أمير المؤمنين

الحسن بن على بن أبى طالب

رضي الله عنه

شخصيته وعصره

د. على محمّد الصّلاّبى

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٩٨٣٤

الترقيم الدولي: I.S.B.N
977-265-527-6

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله تعالى ونصرته والدعوة إليه أهدى هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يكون خالصًا لوجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿ ... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أما بعد:

هذا الكتاب امتداد لدراسة عهد النبوة والخلافة الراشدة، لقد صدرت مجموعة من الكتب فى هذا الشأن، وهى: السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق، وفصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وتيسير الكريم المنان فى سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، لقد سميت هذا الكتاب، أمير المؤمنين الحسن بن على بن أبى طالب، شخصيته وعصره، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين الحسن من مولده حتى استشهاده، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه وكنيته وصفته ولقبه، وتسمية رسول الله له، وتأذين رسول الله فى أذنيه وحلق شعر رأسه، وعقيقته، ومرضعته أم الفضل رضى الله عنها وعن زواجه

وزوجاته والروايات التى حولهنَّ، وبيان حقيقة الروايات التى تزعم بأن الحسن رضى الله عنه كان مزواجًا مطلاقًا، كما يتحدث الكتاب عن أولاده، وإخوانه وأخواته، وأعمامه وعماته، وأخواله وخالاته، وعن والدته السيدة فاطمة رضى الله عنها، عن مهرها وجهازها وزفافها، ووليمة عرسها، ومعيشتها وزهدها وصبرها، ومحبة رسول الله لها وغيرته عليها، وصدق لهجتها وسيادتها فى الدنيا والآخرة، وبيَّن الكتاب العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة، وميراث النبى ﷺ، وتسامح السيدة فاطمة مع أبى بكر رضى الله عنه، وعن وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها، وفصّل الكتاب مكانة الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ، فأشار إلى محبة رسول الله ورحمته بالحسن وملاعبته والدروس المستفادة من هدى النبى ﷺ فى التعامل مع الأطفال، كتقبيلهم والرأفة والرحمة بهم ومداعبتهم وممازحتهم وأهمية الهدايا والعطايا التى تقدم لهم، وحسن استقبالهم وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم واللعب معهم، وتكلم الكتاب عن الأحاديث التى أشارت إلى شبه الحسن ابن على رضى الله عنه بالنبى ﷺ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وقوله ﷺ: «هما ريحانتاى من الدنيا» وعن إعلان رسول الله ﷺ على الملأ عن كون الحسن السيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين، وذكرت الأحاديث التى رواها الحسن بن على عن جده رسول الله ﷺ، ونقلت وصف رسول الله، كما رواه الحسن، وذكرت ما جاء فى فضائله، كآية التطهير وحديث الكساء، وناقشت آية التطهير ومناط الاختلاف بين أهل السنة والشيعة فى هذه الآية، وبينت التفسير الصحيح للآية على منهج علماء خير القرون ومن سار على هديهم، وذكرت آية المباهلة ووفد نصارى نجران وبينت علاقة ذلك بالحسن، وأشرت إلى أثر التربية الأسرية على الحسن بن على رضى الله عنه وأثر الواقع الاجتماعى على تربيته. وأفردت مبحثًا مستقلاً عن حياة الحسن فى عهد الخلفاء الراشدين، فتكلمت عن مكانة الحسن فى عهد الصديق وأهم الأحداث التى أثرت فى ثقافته فى عصر أبى بكر وماذا استفاد من ذلك العهد الزاهر، وكذلك فى عهد عمر وعثمان وعلىّ رضى الله عنهم جميعًا، وتحدثت عن استيعاب الحسن للفقه الراشدى فى نظام الحكم ومفاهيم الإسلام وعلاقته الحميمة بالخلفاء الراشدين،

وتعرضت لمعركة الجمل وصفين وموقف الحسن منها، وتحدثت عن استشهاد أمير المؤمنين على رضى الله عنه ووصية أمير المؤمنين على للحسن والحسين رضى الله عنهما، ونهى أمير المؤمنين على عن المثلة بقاتله، وخطبة الحسن بعد استشهاد أبيه، وعن استقبال معاوية رضى الله عنه خبر مقتل على رضى الله عنه، وعن بيعة الحسن وشرطه فى البيعة وبطلان قضية النص على خلافته، وإنما اختارته الأمة وفق نظام الشورى المعروف، وتكلمت عن مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة فى خلافته، وأثبت بأن خلافته كانت خلافة راشدة حقة لأن مدته فى الحكم كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التى أخبر النبى ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا، فقد روى الترمذى بإسناده إلى مولى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك**»[1]، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول فى سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا[2]، وبذلك يكون الحسن خامس الخلفاء الراشدين[3]، وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضًا بلفظ: «**الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك الملك**»[4]، وعند أبى داود بلفظ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء أو ملكه من يشاء**»[5]، ولم يكن فى الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ: «**الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة**»، أن الأشهر التى تولى فيها الحسن بعد موت أبيه كانت داخلة فى خلافة النبوة ومكملة لها، وهذه بعض أقوال أهل العلم:

---

(١) سنن الترمذى مع شرحها، تحفة الأحوذى (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧) حديث حسن.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٣) مأثر الأنافة (١/ ١٠٥)، مرويات خلافة معاوية، خالد الغيث، ص (١٥٥).

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٧٤٤) إسناده حسن.

(٥) صحيح سنن أبى داود (٣/ ٧٧٩)، سنن أبى داود (٢/ ٥١٥).

١- قال القاضى عياض رحمه الله: لم يكن فى الثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة، والأشهر التى بويع فيها الحسن بن على والمراد فى حديث: «الخلافة ثلاثون سنة»: خلافة النبوة فقد جاء مفسرًا فى بعض الروايات: «خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا»[١].

٢- وقال أبو العز الحنفى فى شرح الطحاوية: وكانت خلافة أبى بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفًا وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة وخلافة علىّ أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر[٢].

٣- وقال ابن كثير: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذى أوردناه فى دلائل النبوة[٣] من طريق سفينة مولى رسول الله قال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على[٤].

٤- وقال ابن حجر الهيثمى: هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده ﷺ، ولى الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأيامًا، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقًا لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»[٥]، فإن تلك الستة أشهر هى المكملة لتلك الثلاثين[٦]، فهذه بعض أقوال أهل العلم فى كون الحسن أحد الخلفاء الراشدين، فأهل السنة يعتقدون أن خلافة الحسن، كانت خلافة حقة وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التى أخبر النبى ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة[٧].

هذا وقد بينت بأن هناك خطبًا نسبت للحسن لا تصلح، وذكرت أقوال أهل العلم فى بعض الكتب، ككتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى، والذى يعتبر من الكتب التى شوّهت تاريخ صدر الإسلام، وهذا الكتاب، كتاب أدب وسمر وغناء ومجون وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين فى آذان أهل الأدب

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠١).

(٢) شرح الطحاوية، ص (٥٤٥).

(٣)، (٤) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٥) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٣٩٧).

(٦)، (٧) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٧٤٨).

والتاريخ، وقد نقلت أقوال أهل العلم فى الأصفهانى، وعدم ثقتهم فيه وتضعيفه واتهامه فى نقله، وأثبت بالحجج والبراهين والدراسة العلمية أن هذا الكتاب لا يصلح أساسًا كمصدر للعلم أو مرجعًا للبحث فى الأدب والتاريخ، ولقد كان لهذا الكتاب أثر كبير فى تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه، ومن الكتب التى ساهمت فى تشويه تاريخ الصحابة بالباطل، كتاب نهج البلاغة، فهذا الكتاب مطعون فى سنده ومتنه، فقد جُمع بعد أمير المؤمنين على رضى الله عنه بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضى وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصًا فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل فى النهج؟ وأما المتهم بوضع النهج فهو أخوه على، وقد بينت أقوال العلماء فى نهج البلاغة.

إن كتاب نهج البلاغة يجب الحذر منه فى الحديث عن الصحابة ومن أراد الاستفادة منه فعليه أن يعرض المسائل العقائدية والأحكام الشرعية، وما يتعلق بالصحابة الكرام على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافق الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عند علماء المسلمين، فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه، فكتاب الأغانى ونهج البلاغة وغيرهما من الكتب الواهية لا يمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها فى البحث التاريخى الجاد الذى يراد به وجه الله تعالى.

هذا وقد تتبعت أهم صفات الحسن وحياته فى المجتمع وأثبت أن شخصيته تعتبر شخصية قيادية فذّة، وأنه رضى الله عنه اتصف بصفات القائد الربانى، فمن أهم الصفات التى أشرت إليها بُعد نظره، واستيعابه للأحداث الجارية حوله، وقدرته على قيادة الجماهير، وعزيمته القوية فى تنفيذ الأهداف المرسومة. وقد اتضحت هذه الصفات عند حديثنا عن مشروعه الإصلاحى العظيم بالإضافة إلى بعض الصفات الأخرى؛ كالعلم بالكتاب والسنة، والعبادة الخاشعة، وزهده الكبير فى السلطة وأمور الدنيا، وإنفاقه وكرمه وجوده وسخاؤه الذى لا يميز بين غنى وفقير، أو صغير وكبير، وقريب أو بعيد، فقد كانت نفسه مجبولة على البذل

والعطاء والكرم والسخاء فى مرضاة الله تعالى، وكأن هذه الشخصية العظيمة مراد الشاعر:

إنى لـتُطربنـى الخـــلال كــــريمة ... طرب الـغـــــريـب بأوبـة وتلاقِ

ويهـــــزُّنى ذكــرُ المـروءة والندى ... بين الشـــمــــائل هِزةَ المشـــتــاق

فـإذا رُزِقتَ خليـقـة مـحـمـودة ... فـقـد اصطفـاك مـقـسم الأرزاق

فـــالـناس هذا حظـه مـــال، وذا ... علـم وذاك مكـارم الأخـــــلاق

ومن صفاته التـى تحدثت عنها حلمه، وتواضعـه، وسيادته، وشرحت مـفهوم صفة السيادة من خلال سيرة الحسن، وبأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحـرمات، بل السـيادة بصـيانتـها وإزالة البـغضاء والشـحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه رضى الله عنه ذروة السيادة.

وعشت مع الحـسن فى حيـاته مع المجتـمع، وكيف كـان يرد على المعتـقدات الفاسدة، ويهتم بقضاء حوائج الناس، ويغار على نسبه النبوى الشريف، ومعاملته لمن يسئ إليه، وحـسن خلقه بين الناس، وبعده عن فضـول الكلام، وتحدثت عن ثناء سادة المجتـمع الإسلامى عليه، وجمعت جملة من أقـواله وخطبه ومواعظه، وشرحتها لكى نستفيد منها فى حياتنا المعاصرة وأفردت مبحثًا عن أهم الشخصيات التى كانت حـوله واخترت قيس بن سـعد بن عبادة الخزرجى، فـهو أول من بايع الحسن وهو من دهاة عصره، ومن أهم القيـادات فى جيش الحسن، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب فهو من قادة جيوشه وولاة أبيه، وقد تعرض فى بعض كتب التاريخ للـتشويه بالزور والبـهتان، ولـذلك اخترته وبينت حـقيـقة مواقـفه، ومن الشخصيات التى كانت حول الحسن ويعتبر من مستشاريه الكبار عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب، فقد استـشاره الحسن فى الصلح مع مـعاوية، فشجعـه ودفعه إلى ذلك، فقد رأيت أن أترجم لهذه الشخصـيات المهمة، وهذا ينسجم مع منهجى فى الدراسة الذى يهـتم بسيرة الحسن وعـصره والشخـصيات المؤثرة فيـه، ومن خلال دراسة هذه الشخصيات، يمكننا الوصول إلى بعض معالم روح ذلك العصر.

ووقفت مع صلح الحسن واعتبرته مشروعًا إصلاحيًا عظيمًا ولذلك قمت بطرحه وفق هذه الرؤية التى وضعها الحسن وقام بتنفيذها، فذكرت أهم المراحل التى مرّ بها الصلح وماذا حدث فى كل مرحلة، وتأملت فى أهم أسباب الصلح ودوافعه، كرغبة الحسن فيما عند الله، وحرصه على حقن دماء المسلمين ووحدة الأمة، وتحقيق نبوءة رسول الله ﷺ وغيرها من الدوافع والأسباب، وقد قمت بتوضيح أقوال الحسن التى كانت سببًا ودافعًا له على الصلح والتى تدل على فهمه العميق لمقاصد الشريعة الغراء.

وتحدثت عن شروط الصلح التى تمت بين الحسن ومعاوية، والنتائج التى ترتبت عليه، وبرهنت بالأدلة التاريخية أن الحسن رضى الله عنه تنازل عن الخلافة لمعاوية من موقف قوة، وليس كما يزعم بعض المؤرخين. وتظهر عظمة الحسن بن على من خلال تصرفاته ومواقفه فى حياته والتى من أهمها تصوره للمشروع الإصلاحى وقدرته الفذة على التنفيذ، فكم من الناس يملكون تصورات ونظريات إصلاحية ولكنهم يعجزون عن إسقاطها فى دنيا الناس.

وقد ناقشت بعض الأكاذيب التاريخية فى هذا الكتاب مثل زعم بعض المؤرخين أن الدولة الأموية فى عهد معاوية عممت على منابرها شتم أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فأثبتت بالبراهين والأدلة، والشواهد الصحيحة على بطلان هذه الفرية والتى التقطها بعض كتاب التاريخ دون إخضاعها للنقد والتحليل حتى صارت عند بعض المتأخرين من المسلَّمات التى لا مجال لمناقشتها، وهى دعوة مفتقرة إلى صحة النقل وسلامة السند من الجرح والمتن من الاعتراض، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند المحققين والباحثين الجادين، علمًا بأن التاريخ الصحيح يثبت احترام وتقدير معاوية لأمير المؤمنين على وأهل بيته الأطهار، كما بينت حقيقة التهم التى ألصقتها بعض كتب التاريخ بمعاوية واتهامه وابنه بدس السم للحسن وأثبت بأن ذلك لا يثبت من حيث السند والمتن معًا، ومضيت مع الحسن بعد استقراره فى المدينة وبعدما أصبح إمام ألفة الأمة، وقطب دائرتها وزعيم وحدتها بدون منافس قال الشاعر:

فى روض فاطمة نما غصنان لم ... لم ينجبهما فى النيِّران سواها

فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة ... الوئام والاتحاد ابناها

حسن الذى صـان الجماعة بعـدما أمس تفـرقـهـا يحلُّ عـراها
ترك الإمـامة ثم أصـبح فى الديار إمـام ألفـتـهـا وحـسـن عُـلاها

وأشرت إلى صلة الحسن بمعاوية رضى الله عنهما، بعد الصلح، والأيام الأخيرة من حياته ووصـيته للحسين رضى الله عنهما، وتفكره فى ملكـوت الله، واحتسابه نفسه عند الله ثم استشهاده ودفنه فى البقيع بالمدينة رضى الله عنه.

إن سيـرة الحسن بن على رضى الله عنه توضح لنا أهمـية امتـلاك القائد لرؤية مستقبليـة يسير على هداها مستعينًا بالله، فالحـسن ملك الرؤية الإصلاحية والقدرة على التنفيذ، مع وضـوح المراحل، والأسباب والشروط والنتائج ومعـرفة العوائق وكيفية التـعامل معها، وترك لنا معالم نيرة فى فقـه الخلاف، والمصالح والمفاسد، ومقاصد الشـريعة، والمفاوضات، والتغلب على أهواء النفوس وأمراضهـا ابتغاء ما عند الله، فالأسر الحاكـمة، والأحزاب الناشطة، والمؤسسات القـائمة، والحركات الإسلامـية والجمعـيات الهادفة فى عـالمنا الإسلامى الكبيـر فى أشد الحاجة لفـقه مدرسة الحـسن فى رأب الصدع، وتوحيد الصف، وحقن الدمـاء وجمع الكلمة، فالحسن خليفة راشد والاقتداء به والاهتمام بفقهه أرشدنا إليه رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتى وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى»(١).

إن الباحث ليسـتغرب من ضعف وجـود فقه الحسن فى ذاكرة الأمـة، كما أنه يتعجب من اختزال فقهه ومشروعه الإصلاحى العظيم فى ثقافتنا، فنهضة الشعوب من عوامل نجاحـها الالتفاف إلى ماضيـها لخدمة حاضـرها واستشراف مستـقبلها. فالتاريـخ - كما هو معروف - ذاكـرة الأمة، ومسـتـودع تجاربها ومعـارفها، وهو عقلها الظاهر والباطن وخزانة قـيمها ومآثرها وأساس شخصيـتها الغائرة فى القدم والممتدة مع الزمن، وله ﷺ سيرة لمّا تستكشف أعماقها، ولخلفائه الراشدين تاريخ حافل عظيم، ولأمـته تاريخ يزهو على تاريخ الأمم والشعـوب والدول، فعلينا أن نستفـيد من هذا التاريخ العـريق ونستخرج منه الدروس والعـبر والمواعظ والسنن، ونستوعب فقه الحضارات، ونسـتلهم من القصص القرآنى، والهدى النبوى والبعد

(١) سنن أبى داود (٤/ ٢٠١)، سنن الترمذى (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

التاريخى، رؤية شاملة لنهضة أمتنا بما يتلاءم مع حاضرنا كى تقوم بدورها الحضارى المنشود فى هداية الناس، ويتأكد للقرون الباقية من عمر الدنيا أن رسالة الإسلام الخالدة التى بعث بها نبينا محمد ﷺ لم تفن، ولن تفنى، وإن القرآن الكريم هو كلمة الحق الباقية إلى يوم الدين، وعلينا أن ننظر بعيوننا فى أمورنا قبل أن نحتاج إليها لكى نبكى بها طويلاً.

هذا وقد حرصت بقدر الاستطاعة على تناول شخصية أمير المؤمنين الحسن من جوانبها المتنوعة، فحياته صفحة مشرقة فى تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم فى هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم من سيرته فقه الخلاف، والمصالح والمفاسد ومقاصد الشريعة، والاستعلاء على حظوظ النفوس، وكيف نعيش مع القرآن الكريم، ونهتدى بهديه ونقتدى برسول الله ﷺ، ويعمق فى قلوبنا فقه القدوم على الله من خلال أقواله وأفعاله، وأثر هذه العلوم فى حياة الأمة، ونهوضها وقيامها بدورها الحضارى المنشود، فلذلك اجتهدت فى دراسة شخصيته وعصره حسب وسعى وطاقتى، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول فى المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من سلسلة تاريخ عصر الخلفاء الراشدين فى ٢١/ صفر/ ١٤٢٥هـ الموافق ١١/ ٤/ ٢٠٠٤م الساعة العاشرة إلا ربعًا ليلاً، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله البركة والقبول، وأن يكرمنا برفقة النَّبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

وبهذا الكتاب أضع سلسلة عصر الخلفاء الراشدين بين يدى قارئها، ولا أدَّعى الكمال فيها، قال النَّاظم:

وما بها من خطأ ومن خلل ... أذنت فى إصلاحه لمن فعل

لكن بشرط العلم والإنصاف ... فذا وذا من أجمل الأوصاف

والله يهــــدى سُـــبل الســــلام سـبحـــانه بحبله اعتـــصـامى

فلله الحمــد على ما منَّ به عليَّ أولاً وآخرًا، وأسأله سـبحانه بأسمـائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذه السلسلة التاريخية لوجهه خالصة، ولعباده نافعة، وأن يثيبنى على كل حرف كتبته ويجعله فى ميزان حسناتى، وأن يثيب إخوانى الذين أعانونى بكافَّـة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجـهد المتواضع، ونرجـو من القارئ الكريم أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومـغفرته ورحمته ورضوانه فى صالح دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

وصلى الله على سيدنا محـمـد وعلى آله وصحـبه وسلم، سـبحـانك اللهم وبحمـدك، أشهـد أن لا إله إلا أنت، أستغـفرك وأتوب إليك، وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

على محمد محمد الصلابى

٢١/ صفر/ ١٤٢٥هـ

الأخوة القراء الكرام:

يسر المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبه من خلال دور النشـر، ويطلب من إخوانه الدعاء فى ظهر الغـيب بالإخلاص والصواب، ومواصلة المسيرة فى خدمة تاريخ أمتنا.

الفصل الأول

الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنه
منذ ولادته حتى خلافته

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته فى عهد النبوة

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمى القرشى[(١)]، المدنى الشهيد[(٢)]، فهو سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، وهو سيد شباب أهل الجنة، فهو ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأبوه أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وحفيد أم المؤمنين خديجة وخامس الخلفاء الراشدين.

ثانيًا: مولده وتسميته ولقبه وفقه النبى فى تسمية المواليد:

ولد رضى الله عنه وأرضاه فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية على الصحيح، وقيل: ولد فى شعبان، وقيل: ولد بعد ذلك، قال الليث بن سعد: ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن على فى شهر رمضان من ثلاث، وولدت الحسين فى ليال خلون من شعبان سنة أربع[(٣)]، وقال البرقى أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم: ولد الحسن فى النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية[(٤)]، ومثله قاله ابن سعد فى طبقاته[(٥)]، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه، لما ولد الحسن سميته حربًا فجاء النبى ﷺ فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلنا: حربًا، قال: لا، بل هو حسن، فلما ولد الحسين سميته حربًا، فجاء النبى ﷺ فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟، قلنا: حربًا، قال: بل هو حسين. فلما ولد الثالث سميته حربًا، فقال: بل هو محسّن، ثم قال: إنى سميتهم بولد هارون: شبر وشبير ومشبّر[(٦)]، وقد فرح رسول الله بهذا المولود الجديد وسارع الناس بتهنئة

---

(١)، (٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٤٦).

(٣) نسب قريش (١/٢٣) الدوحة النبوية، ص (٧١).

(٤) الذرية الطاهرة للدولابى، ص (٦٩).

(٥) الطبقات (١/٢٢٦).

(٦) مسند أحمد (١/٩٨، ١١٨) صحيح ابن حبان (١٥/ ٤١٠) إسناد الحديث صحيح.

الأبوين بهذا السبط المبارك، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يسرعون فى زف البشرى لأهل المولود الجديد، وقد ثبت عن الحسن البصرى تهنئة لطيفة يقول فيها: بورك لك فى الموهوب وشكرت الواهب ورزقت برّه وبلغ أشده، ونلاحظ أن رسول الله ﷺ عندما سمى الحسن والحسين رضى الله عنهما عدل بهما عن مسميات قبل الإسلام وما تدل عليه أسماؤها من القتال وسفك الدماء فاختار لهما أكرم الأسماء وأجل المعانى[1]، وقد وصف الحسن رضى الله عنه بالسيد ولقبه بهذا اللقب جده الرسول الكريم محمد ﷺ كما جاء فى الحديث الصحيح: «**إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[2].

ونتعلم من هدى النبى ﷺ قيمة مهمة فى حياتنا وهى الحرص على اختيار أجمل وأحسن الأسماء لأبنائنا، وهذا توجيه للآباء والأمهات على اختيار الاسم الحسن فى اللفظ والمعنى فى قالب النظر الشرعى واللسان العربى، فيكون: حسنًا، عذبًا على اللسان، مقبولاً للأسماع، يحمل معنى شريفًا كريمًا، ووصفًا صادقًا، خاليًا مما دلت عليه الشريعة على تحريمه أو كراهته، مثل: شوائب التشبه والمعانى الرِّخوة ومعنى هذا أن لا يختار الأب المسلم اسمًا إلا وقد قلَّب النظر فى سلامة لفظه ومعناه على علم ووعى وإدراك، وأن يستشير بصيرًا فى سلامته ممّا يُحْذَرُ، فهو أسلم وأحكم، ومن الجارى قولهم: حق الولد على والده أن يختار له أمًا كريمة وأن يسميه اسمًا حسنًا. وأن يورثه أدبًا حسنًا. وقد بين العلماء أن للأسماء المشروعة رتبًا ومنازل وهى مستحبة وجائزة وهى على الترتيب كالآتى:

١ - استحباب التسمية بهذين الاسمين: عبد الله وعبد الرحمن وهما أحب الأسماء إلى الله تعالى، كما ثبت الحديث بذلك عن النبى ﷺ من الأسماء المتضمنة العبودية لله فى معانيها، وميزة هذه الأسماء أنها أصدق تعبير على حقيقة عبودية الإنسان لربه وفقره وذله له، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، حيث قال: إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن[3]، وذلك لاشتمالهما

---

(١) الحسن بن على ودوره السياسى، فيتخان كردى، ص (١٦).

(٢) البخارى (٢/٣٠٦).

(٣) مسلم رقم (٢١٣٢).

على وصف العبودية. وقد خصّها الله فى القرآن، بإضافة العبودية إليها دون سائر أسمائه الحسنى، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[الجن: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾[الفرقان: ٦٣]، وجمع بينهما فى قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء: ١١٠]. وقد سمّى النبى ﷺ ابن عمّه العباس: عبد الله رضى الله عنهما، وفى الصحابة رضى الله عنهم نحو ثلاثمائة رجل كل منهم اسمه عبد الله، وبه سُمى أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة إلى المدينة، عبد الله ابن الزبير(١).

٢- **التسمية بأسماء أنبياء الله ورسله:** لأنهم سادات بنى آدم وأخلاقهم أشرف الأخلاق، وأعمالهم أزكى الأعمال، فالتسمية بأسمائهم تذكر بهم وبأوصافهم وأحوالهم، وقد أجمع العلماء على جواز التسمية بهم، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة حيث سمى ابنه إبراهيم، وأفضل أسماء الأنبياء: اسم نبينا ورسولنا محمد ابن عبد الله ﷺ وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين أجمعين(٢).

٣- **التسمية بأسماء الصالحين من المسلمين:** وصحابة رسول الله إلى يوم الدين، وقد كان لصحابة رسول الله نظر لطيف فى ذلك، فهذا الصحابى، الزبير بن العوام رضى الله عنه يسمى أولاده - وهم تسعة - بأسماء بعض شهداء بدر رضى الله عنهم، وهم: عبد الله، المنذر، عروة، حمزة، جعفر، مصعب، عبيدة، وخالد.

٤- **ثم يأتى من الأسماء ما كان وصفًا صادقًا للإنسان:** بشروطه وآدابه واسم المولود يكتسب الصفة الشرعية متى توافرت فيه، وهذه شروط منه: أن يكون حسن المبنى والمعنى لغة وشرعًا، ويخرج بهذا كل اسم محرم أو مكروه إما فى لفظه أو معناه أو فيهما كليهما وإن كان جاريًا فى نظام العربية، كالتسمى بما معناه التزكية، أم المذمة أو السبُّ، بل يسمى بما كان صدقًا وحقًا(٣) وقد قام رسول الله ﷺ بذلك.

---

(١) تسمية المولود، بكر عبد الله أبو زيد، ص (٣٣).

(٢) المصدر نفسه، ص (٣٥، ٣٦).

(٣) المصدر السابق نفسه، ص (٣٩).

وقد دلت الشريعة على تحريم تسمية المولود فى واحد من الوجوه الآتية:

١- اتفق المسلمون على أنه يحرم كل اسم معبد لغير الله مثل عبد الرسول، عبد النبى، عبد علىّ، عبد الحسين، عبد الأمير - يعنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه - عبد الصاحب، فالخلق كلهم مهما علوا فهم عباد خاضعون ذليلون فقراء لله، والله تعالى هو المستحق وحده للعبادة، فلا ينبغى التسمية بالتعبيد لغير الله من خلقه.

٢- التسمية بالأسماء الأعجمية المولّدة للكافرين الخاصة بهم، والمسلم المطمئن بدينه يبتعد عنها وينفر منها ولا يحوم حولها، وقد عظمت الفتنة بها فى زماننا، فيلتقط اسم الكافر من أوروبا، وأمريكا وغيرها، وهذا من أشد مواطن الإثم وأسباب الخذلان، ومنها: بطرس، جرجس، جورج، ديانا.. وغيرها. وهذا التقليد للكافرين فى التسمِّى بأسمائهم، إن كان مجرّد هوى وبلادة ذهن، فهو معصية كبيرة وإثم(١)، وقد فصَّل الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد فى كتابه تسمية المولود فمن أراد الزيادة والتوسع فليراجعه(٢).

ثالثًا: تأذين رسول الله فى أذن الحسن:

لما ولد الحسن أذَّن رسول الله ﷺ فى أذنيه بالصلاة كما روى ذلك عن أبى رافع(٣)، والسر فى ذلك وحكمته كما قال الدهلوى: - رحمه الله -:

١- الأذان من شعائر الإسلام.

٢- إعلام الدين الإسلامى.

٣- ثم لا بد من تخصيص المولود بذلك الأذان بأن يؤذن فى أذنه.

٤- علمت أن من خاصية الأذان أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذى الولد فى أول نشأته، فقد ثبت أن النبى ﷺ قال: ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه

---

(١)، (٢) تسمية المولود، بكر بن عبد الله بن زيد، ص (٤٧).

(٣) سنن أبى داود (٥١٠٥) إسناده ضعيف فيه عاصم بن عبيد الله، ضعفه ابن معين وقال البخارى: منكر الحديث كما فى الكاشف (٢٥٣٠).

فيستهل صارخًا من مس الشيطان[1] إلا مريم وابنها[2]، وثبت قوله ﷺ: إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين[3].

وأضاف ابن القيم - رحمه الله - أسرارًا أخرى للتأذين فقال:

٥- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلقن التوحيد عند خروجه منها.

٦- وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به، وإن لم يشعر مع ما فى ذلك من فائدة أخرى وهى:

٧- هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التى قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

٨- وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التى فطر عليها على تغيير الشيطان لها ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم[4]، وهكذا نتعلم من هدى النبى ﷺ، استحباب الأذان فى أذن المولود اليمنى ثم تقام الصلاة فى الأذن اليسرى، وبذلك يكون أول ما يلامس أذنيه الدعوة إلى الركن الركين فى هذا الدين بعد توحيد رب العالمين[5].

رابعًا: تحنيك المولود:

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم ويحنكهم[6]، فمن باب أولى أن يكون ﷺ برك على الحسن وحنكه، يقول

(١) حجة الله البالغة (٢/ ٣٨٥).

(٢) البخارى (٥/ ١٩٦) رقم (٤٥٤٨).

(٣) البخارى (١/ ١٧٠) رقم (٦٠٨).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، محمد سويد نقلاً عن تحفة المودود لابن القيم، ص (٥٤) تحقيق فوّاز أحمد زمزلى.

(٥) موسوعة تربية الأجيال المسلمة، نصر العنقرى، ص (٦٦).

(٦) مسلم (١/ ٢٣٧) رقم (٢٨٦).

النووى - رحمه الله - معلقًا على قول عائشة رضى الله عنها: فيبرك عليهم أى يدعو لهم ويمسح عليهم، وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته، وقولها: فيحنكهم، قال أهل اللغة التحنيك أن يمضغ التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصغير(١).

والتحنك يكون عقب التأذين إن أمكن ذلك، ويفضل إن أمكن أن يقوم بالتحنيك رجل صالح، وفى ذلك تأسى بالصحابة الكرام حيث حرصوا على إرسال أبنائهم إلى النبى ﷺ ليحنكهم، ويستخدم فى التحنيك التمر، فإن لم يوجد فشئ حلو، وسبب ذلك:

١- لأن التمر مثل حليب الأم، يحمل جميع الفيتامينات التى يحتاجها جسم الغلام.

٢- الغلام الصغير يولد بحاسة التذوق، فإذا استخدمت معه التمر تنبهت هذه الحاسة وحرك لسانه وفمه، فكان بذلك أقدر على التقام ثدى أمه عند الرضاع.

٣- المعدة تمتص السكريات بسرعة فائقة، وبذلك لا يشكل التحنيك أى معاناة معوية للغلام(٢).

يقول الدكتور فاروق مساهل - مجلة الأمة القطرية عدد (٥٠) فى مقالته تحت عنوان - اهتمام الإسلام بتغذية الطفل معلقًا على حديث التحنيك ما نصه -: والتحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية مكثت البشرية أربعة عشر قرنًا من الزمان لكى تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار وخاصة حديثى الولادة والرضع معرضون للموت لو حدث أحد أمرين:

- إذا نقصت كمية السكر فى الدم بالجوع.

- إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم(٣).

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم.

(٢) موسوعة تربية الأجيال المسلمة، ص (٦٨).

(٣) منهج التربية النبوية، ص (٦٤).

خامسًا: حلق شعر رأس الحسن رضى الله عنه:

عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن فاطمة حلقت حسنًا وحسينًا يوم سابعهما فوزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة[١]، والأحاديث فى هذا الباب صحيحة بمجموع طرقها[٢]. وقال الشيخ الدهلوى - رحمه الله - معلقًا على الحديث: السبب فى التصدق بالفضة، أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية كان ذلك نعمة يجب شكرها وأحسن ما يقع به الشكر ما يؤذن[٣] أنه عوضه... وأما تخصيص الفضة فلأن الذهب أغلى ولا يجده إلا غنى وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود[٤].

سادسًا: العقيقة:

عن ابن عباس رضى الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا[٥]، وفى رواية: كبشين كبشين[٦]، وعن أبى رافع: أن الحسن بن علىّ لمّا ولد أرادت أمُّه أن تَعُقَّ عنه بكبشين، فقال رسول الله ﷺ: لا تعقى عنه، ولكن أحْلقى شعر رأسه فتصدقى بوزنه من الورق، ثم ولد الحسين، فصنعت مثل ذلك[٧]. وإنما صرفها ﷺ عن العقيقة لتحمُّله عنها ذلك لا تركًا بالأصالة. يدل عليه حديث علىٍّ رضى الله عنه: عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن (بشاة) وقال: «**يا فاطمة احْلقى رأسه وتصدَّقى بزنة شعره فضَّة**»، فوزنّاه فكان وزنُه درهمًا أو بعض درهم. خرَّجه الترمذى[٨]، وقد روى عن فاطمة أنَّها عقَّت عنهما وأعطت القابلة[٩] فخذ شاة ودينارًا واحدًا[١٠]، ولعل فاطمة باشرت الإعطاء، وكان ممّا عق

(١) الطبقات، الطبقة الخامسة (١/ ٢٣١) إسناده مرسل.

(٢) موسوعة تربية الأجيال، ص (٧٢).

(٣) يؤذن: يشعر.

(٤) حجة الله البالغة (٢/ ٣٨٥).

(٥) سنن أبى داود فى الأضاحى رقم (٢٨٤١) فى إسناده ضعف.

(٦) سنن النسائى (٧/ ١٦٦) باب كم يعق عن الجارية، إسناده صحيح.

(٧) مسند أحمد (٦/ ٣٩٢) فى إسناده ضعف.

(٨) سنن الترمذى رقم (١٥١٩) حسن غريب إسناده ليس متصلاً.

(٩) القابلة: الدَايَةُ أو المولِّدة.

(١٠) تحفة المودود، ص (٥٥) لابن القيم.

به ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أمْلَحَين، وأعطى القابلة الفخذ، وحلق رأسه وتصدَّق بزنة الشعر، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخَلُوق[1] ثم قال: يا أسماء، الدم مِنْ فعل الجاهلية. فلمّا كان بعد حول ولد الحسين[2].

إن للعقيقة فوائد جمة منها، أنها قربان عن المولود يقدم إلى الله مع خروج الغلام إلى الدنيا، وبذلك تقدم الشكر على ما أنعم الله عليك وغير ذلك من الفوائد. وقد قال الشيخ الدهلوى - رحمه الله -: يستحب لمن وجد الشاتين أن ينسك بهما عن الغلام وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث فتناسب زيادة الشكر وزيادة التنويه. أما سبب الأمر بالعقيقة فهو أن العرب كانوا يعقون عن أولادهم، وكانت العقيقة أمرًا لازمًا عندهم وسنة مؤكدة، وكان فيها مصالح كثيرة راجعة إليه المصلحة المالية والمدنية والنفسية فأبقاها الرسول ﷺ وعمل بها ورغب الناس فيها إلا أن رسول الله ﷺ غيّر فى تقاليدها، فعن بريدة رضى الله عنه قال: كنا فى الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة ولطخنا رأسه بدمها، فلما كان الإسلام كنا إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة وحلقنا رأسه، ولطخنا رأسه بزعفران[3]. وهذا من الفقه النبوى فإنه لما رأى عادة فيها منفعة للناس مشوبة ببعض الانحراف - تلطيخ رأس المولود بالدم - فلم يبحها مطلقًا بدعوى حاجة الناس إليها، وفى نفس الوقت لم يمنعها مطلقًا بسبب ما فيها من انحراف، وإنما حافظ على ما يحقق الناس فى هذه العادة وأكده ونهى عن العادة الجاهلية وحرمها وهذه حكمة نبوية جديرة بالاهتمام والتأمل.

سابعًا: ختان[4] الحسن بن على رضى الله عنه:

عن جابر رضى الله عنه: أنّ النبى ﷺ عقَّ عن الحسن والحسين، وختنهما لسبعة أيام[5]، وعن محمد بن المنكدر أن النبى ﷺ ختن الحسين لسبعة أيام[6]،

---

(١) الخلوق: ضرب من الطيب.

(٢) ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، لأبى العباس الطبرى، ص (٢٠٧).

(٣) المستدرك للحاكم (٤/٢٣٨) صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى.

(٤) الختان: لغة قطع القلفة أى الجلدة التى على رأس الذكر.

(٥) سنن البيهقى (٨/ ٣٢٤) إسناده ضعيف.

(٦) البخارى (٧/ ١٨٤) رقم (٦٢٩٧).

والختان من أمور الفطرة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط»[1].

والختان صبغة الحنيفية، فهو للحنفاء بمنزلة الصبغ والتعميد عند عباد الصليب، فهم يطهرون أولادهم بزعمهم حين يصبغونهم فى ماء المعمودية، ويقولون: الآن صار نصرانيًا، فشرع الله سبحانه للحنفاء صبغة الحنيفية، وجعل ميسمها الختام[2]، فقال عز من قائل: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، والمقصود أن صبغة الله هى الحنيفية التى صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له، وصبغة الأبدان بخصال الفطرة من الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط والمضمضة والاستنشاق والسواك والاستنجاء، فظهرت فطرة الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم[3]، ومن اللطائف الفقهية فى أمر الختان ما ذكره الخطابى: أما الختان فإنه وإن كان مذكورًا فى جملة السنن فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين صلى عليه ودفن فى مقابر المسلمين[4].

ثامنًا: مرضعة الحسن بن على أم الفضل رضى الله عنهما:

عن أم الفضل قالت: قلت: يا رسول الله رأيت فى المنام كأن عضوًا من أعضائك فى بيتى أو قالت: فى حجرتى فقال: تلد فاطمة غلامًا إن شاء الله فتكفلينه، قالت: فجئت به يومًا إلى النبى ﷺ، فبال على ظهره فدحيت[5] فى ظهره، فقال النبى ﷺ: «مهلاً يرحمك الله أوجعت ابنى». فقلت: ادفع إلىّ إزارك فأغسله فقال: لا، صبّى عليه الماء فإنَّه يُصَبُّ على بوْل الغلامَ ويغسل بول الجارية[6].

---

(١) مسلم رقم (٢٥٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٥٣).

(٣) موسوعة تربية الأجيال، ص (٧٥).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، ص (٦٩).

(٥) لطمته بيدها فى رواية أخرى.

(٦) المستدرك (١٦٦/١) وصححه ووافقه الذهبى، وهناك من ضعفه.

وأم الفضل هى امرأة العباس بن عبد المطلب اسـمها لُبَابَة بنت الحارث الهلالية وهى لبابة الكبرى، أسلمت قبل الهجرة[١]، وقال ابن سعد: أم الفضل أوّلُ امرأة آمنت بعد خـديجة[٢]. وروتْ عن النبى ﷺ، وروى عنها ابنَاهَا عـبد الله وتمام، وعُمير بن الحـارث مولاها وكُريب مولى ابنها وعبد الله بن عـباس، وعبد الله بن الحارث بن نوفل وآخرون.

وأخرج الزبير بن بكار وغيـره، عن ابن عباس عن النبى ﷺ: الأخوات الأربع مؤمنات: أم الفـضل، وميـمونة، وهى شقـيقة أم الفـضل، وأما أسـماء وسلمى فأختاهما من أبيهما وهمـا بنتا عُميس الخثعمية[٣] وأم الفضل خالة خالد بن الوليد رضى الله عنه[٤]، فأم خالد هى لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية[٥]. وكان يقال عن والدة أم الفضل بأنهـا أكرم الناس أصهـار ميمونة زوج النبى ﷺ، والعـبّاس تزوج أختها شقيقتها لُبـابة أم الفضل، وحمزة تزوج أختها سلمى، وجعفر بن أبى طالب شقيقتها أسماء، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق ثم تزوجها بعده على بن أبى طالب[٦] رضى الله عنهم جميعًا. وقد قال ابن عمر: كانت من المنجبات وكان النبى ﷺ يزورها[٧]، وفى الصـحيح: أن الناس شكُّـوا فى صيـام النبى ﷺ يوم عرفة، فأرسلـت إليه أم الفضل بقدح لبن فشرب وهو بالموقف فـعرفوا أنه لم يكن صائمًا[٨]، وتحكى لنا أم الفضل رضى الله عنها عن آخر ما سمعت من رسول الله ﷺ - قرأ فى المغرب بسورة ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]. فقالت: يا بنى لقد ذكرتنى بقـراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سـمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب[٩]، وعاشت أم الفـضل إلى خلافة أبى بكر الصديق وخـلافة

---

(١)، (٢) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٧٧).

(٣) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد العك (٣/ ٢١٦٢).

(٤) سيرة آل بيت النبى الأطهار، مجدى فتحى، ص (٣١).

(٥) الاستيعاب رقم الترجمة، ص (٦١٠).

(٦) الإصابة فى تمييز الصحابة (٨/ ٤٥٠).

(٧) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (٤/١٩٠٨).

(٨) البخارى، ك الحج رقم (١٦٦١).

(٩) البخارى رقم (٧٦٣).

الفاروق من بعده وفى أثناء خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهم جميعًا، توفيت قبل زوجها العباس[1] رضى الله عنهما، وقد ولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم وهم: الفضل وبه كانت تُكنى ويُكْنى زوجها العباس أيضًا -أبو الفضل- وعبد الله الفقيه، وعبيد الله الفقيه، ومعبد، وقُثم، وعبد الرحمن وأم حبيبة سابعة - وفى أم الفضل هذه يقول عبد الله بن يزيد الهلالى:

ما ولدت نجيبة مِنْ فحل ... بَجَبلٍ نعلمه وسَهْل

كستةٍ من بطن أمِّ الفضل ... أُكرِمْ بها من كهلة وكَهْلِ

عم النبى المصطفى ذى الفضل ... وخاتم الرسل وخير الرسل[2]

تاسعًا: زواج الحسن وزوجاته والروايات التى حولهن:

وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته، خولة الفزازية، وجعدة بنت الأشعث، وعائشة الخثعمية، وأم إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التميمى، وأم بشير بنت أبى مسعود الأنصارى، وهند بنت عبد الرحمن بن أبى بكر، وأم عبد الله وهى بنت الشليل بن عبد الله أخى جرير البجلى، وامرأة من بنى ثقيف وامرأة من بنى عمرو بن أهيم المنقرى، وامرأة من بنى شيبان من آل همام بن مرة وربما تجاوز هذا العدد بقليل، وهو كما ترى لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصلة بعرف ذلك العصر، وأما ما رواه رواة الأثر، فى كونه تزوج سبعين وفى بعض الروايات تسعين والبعض الآخر مائتين وخمسين والبعض الآخر ثلاثمائة وروى غير هذا إلا أنه من الشذوذ بمكان وهذه الكثرة المزعومة موضوعة.

وأما الروايات فهى كالتالى:

١- **الرواية الأولى:** فقد ذكرها ابن أبى الحديد وغيره[3]، وقد أخذوها عن على ابن عبد الله البصرى الشهير بالمدائن المتوفى سنة ٢٢٥هـ وهو من الضعفاء الذين لا يعول على أحاديثهم، فقد امتنع مسلم من الرواية عنه فى صحيحه[4]، وضعَّفه

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة (٨/ ٤٥١).

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (٤/ ١٩٠٨).

(٣) حياة الإمام الحسن بن على (٢/ ٤٤٥ - ٤٦٠).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨).

ابن عدى فى الكامل فقال فيه: ليس بالقوى الحديث وهو صاحب الأخبار قل ما له من الروايات المسندة[1].

٢- الرواية الثانية فهى مرسلة: والمرسل من أنواع الضعيف.

٣- وأما الرواية الثالثة والرابعة: فقد ذكرها صاحب قوت القلوب لأبى طالب المكى وهو لا يعول على مُؤَلَّفِه، وعلى كل حال فالرقم القياسى لكثرة أزواج أمير المؤمنين الحسن مستندة إليه ومأخوذة عنه، وقد اشتهر أبو طالب المكى بالزهد والوعظ وذكر فى القوت أشياء منكرة[2]، وذكر فى كتابه أحاديث لا أصل لها[3]، فقد جاء فى كتابه قوت القلوب: وتزوج الحسن بن على مائتين وخمسين، وقيل: ثلاثمائة، وكان علىٌّ يضجر من ذلك ويكره حياءً من أهلهن إذا طلقهن، وكان يقول: إن حسنًا مطلق فلا تنكحوه، فقال له رجل من همدان: والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء، فمن أحب أمسك، ومن كره فارق فسرّ علىٌّ بذلك وأنشأ يقول:

لو كنت بوابًا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

... وكان الحسن ربما عقد له أربعة وربما طلق أربعة[4]، فهذه روايات لا تصح ولا تثبت وبالتالى لا يعول عليها.

وقد جاءت قصص فى أسانيدها ضعف شديد تتعلق بزواج الحسن منها:

١- عن الهذلى، عن ابن سيرين قال: كانت هند بنت سهيل بن عمرو[5] عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد[6] وكان أبا عُذرتها[7]، فطلقها فتزوجها عبد الله

(١) لسان الميزان (٤/ ٢٥٢).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣٣٩).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٤١).

(٤) قوت القلوب (١/ ٢٤٦).

(٥) هند بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس أسلم أبوها عام الفتح وكانت عند حفص بن عبد زمعة وولدت له ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عتاب ثم عبد الله بن عامر ثم خلف عليها حسين بن على، هكذا فى نسب قريش، ص (٤٢٠).

(٦) عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد كان والده والى مكة لرسول الله ﷺ وكان عبد الرحمن مع على يوم الجمل وقتل فى المعركة، انظر أنساب قريش، ص (١٩٣).

(٧) العُذرة: البكارة، وقال ابن الأثير: العذرة: ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاض وجارية عذراء بكر لم =

ابن عامر بن كريز[1]، ثم طلقها، فكتب معاوية إلى أبى هريرة أن يخطبها على زيد بن معاوية، فلقيه الحسن بن على فقال: أين تريد؟ قال: أخطب هند بنت سهيل بن عمرو على يزيد بن معاوية، قال: أذكرنى لها، فأتاها أبو هريرة، فأخبرها الخبر فقالت: خِرْ لى، قال: أختار لك الحسن، فتزوجها، فقدم عبد الله ابن عامر المدينة، فقال للحسن: إن لى عندها وديعة فدخل إليها والحسن معه وجلست بين يديه فَرَقَّ ابن عامر فقال الحسن: ألا أنزل لك عنها، فلا أراك تجد محللاً[2] خيرًا لكما منى فقال: وديعتى، فأخرجت سفطين فيهما جواهر ففتحهما، فأخذ من واحد قبضة وترك الباقى فكانت تقول: سيدهم جميعًا الحسن وأسخاهم ابن عامر، وأحبهم إلىّ عبد الرحمن بن عتاب[3]، وهذه القصة فى إسنادها الهذلى وهو إخبارى متروك الحديث وقال الذهبى: مجمع على ضعفه[4].

٢- عن سحيم بن حفص الأنصارى، عن عيسى بن أبى هارون المزنى، قال: تزوج الحسن بن على حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر[5]، وكان المنذر بن الزبير هَوِيَها، فأبلغ الحسن عنها فطلقها الحسن فخطبها المنذر فأبت أن تزوجه وقالت: شهرنى، فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب[6] فتزوجها، فرقى إليه المنذر أيضًا شيئًا فطلقها، ثم خطبها المنذر فقيل لها: تزوجيه، فيعلم الناس أنه كان يعضهك[7]، فتزوجته فعلم الناس أنه كذب عليها، فقال الحسن لعاصم بن عمر: انطلق بنا حتى نستأذن المنذر فندخل عليها، فدخل فكانت إلى عاصم أكثر نظرًا

= يمسها رجل، ويقال: فلان أبو عذرتها إذا كان أول من افترعها وافتضها، لسان العرب مادة عذر (٤/ ٥٥١).

(١) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة من بنى عبد شمس ابن خال عثمان بن عفان ولد على عهد النبى ﷺ، وجزم ابن حبان أن له رؤية للنبى ﷺ وقد ذكرت سيرته فى كتابى عثمان بن عفان، ص (٣١٩).

(٢) المحلل هو: الذى يتزوج امرأة قد بانت من زوجها الأول بقصد تحليلها للزوج الأول وقد جاء النهى عن ذلك كما فى الحديث: لعن الله المحلل والمحلل له، انظر: الإرواء رقم (١٨٩٧).

(٣) الطبقات الكبرى، الطبعة الخامسة من الصحابة (١/ ٣٠٣).

(٤) ديوان المتروكين والضعفاء، ص (٣٥٢).

(٥) حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر روت عن عمتها عائشة وخالتها أم سلمة.

(٦) عاصم بن عمر بن الخطاب من تابعى أهل المدينة توفى سنة ٧٠ هـ، تقريب التهذيب (١/ ٣٨٥).

(٧) العَضَة والعِضَة والعضهية: البهيتة وهى: الإفك والبهتان.

منها إلى الحسن وكانت إليه أبسط فى الحديث، فقال الحسن للمنذر: خذ بيدها فأخذ بيدها، وقام الحسن وعاصم فخرجا وكان الحسن يهواها وإنما طلقها لما رقا إليه المنذر، فقال الحسن يومًا لابن أبى عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، وحفصة عمته: هل لك فى العقيق[1]؟ قال: نعم، فخرجا فمرا على منزل حفصة، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلاً ثم خرج، ثم قال الحسن مرة أخرى لابن أبى عتيق: هل لك فى العقيق؟ فقال: يا ابن أم ألا تقول: هل لك فى حفصة[2]؟، وفى إسناد هذا الحديث رجال لا توجد لهم ترجمة فى كتب الجرح والتعديل ويكفى فى ضعفه نكارة متنه[3].

٣- حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال على: ما زال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يورثنا عداوة القبائل[4]، وهذا الأثر مرسل ضعيف[5].

إن الروايات التاريخية التى تشير إلى الأعداد الخيالية فى زواج الحسن بن على رضى الله عنه لا تثبت من حيث الإسناد، وبالتالى لا تصلح للاعتماد عليها نظرًا للشُبه والطعون التى حامت حولها، ويؤيد افتعال تلكم الكثرة أمور منها:

١- إنها لو صحت لكان للحسن بن على رضى الله عنه من الأولاد جمع غفير يتناسب معها والحال الذى ذكر لها اثنان وعشرون ولدًا ما بين ذكر وأنثى، وهذا العدد يعتبر طبيعيًا بالنسبة لذلك العصر ويتناقض كليًا مع تلك الكثرة ولا يلتقى معها بصلة.

٢- ومما يدل على وضع ذلك وعدم صحته ما روى أن أمير المؤمنين رضى الله عنه كان يصعد المنبر ويقول: لا تزوجوا الحسن فإنه مطلاق، كما ذكر ذلك صاحب قوت القلوب[6]، فنهى أمير المؤمنين الناس عن تزويج ولده على المنبر لا يخلو إما

---

(١) العقيق: واد بناحية المدينة فيه مزارع وبساتين.

(٢) الطبقات الكبرى الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٣٠٧).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٠٥).

(٤)، (٥) المصدر نفسه (١/ ٣٠١).

(٦) قوت القلوب (٢/ ٢٤٦).

أن يكون قد نهى ولده عن ذلك فلم يستجب له حتى اضطر إلى الجهر به وإلى نهى الناس عن تزويجه، وإما أن يكون ذلك النهى ابتداء من دون أن يعرف ولده الحسن بغض والده وكراهية أبيه لذلك، وكلا الأمرين بعيدان كل البعد. أما الأول، فهو بعيد لأن الحسن رضى الله عنه كان بارًا بأبيه ولا يخالفه ولا يعصى أمره، وأما الثانى، فبعيد أيضًا لأن الأولى بأمير المؤمنين أن يعرّف ولده ببغضه وكراهته لذلك ولا يعلن ذلك على المنبر أمام الجماهير الحاشدة، مما يسبب اضطرابًا فى العلاقات الأسرية بين الوالد وولده. ومضافًا إلى ذلك أن الأمر إما أن يكون سائغًا شرعًا أو ليس بسائغ، فإن كان سائغًا فما معنى نهى أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وإن لم يكن سائغًا، فكيف يرتكبه الحسن؟ إنا لا نشك فى افتعال هذا الحديث ووضعه من خصوم الحسن بن على رضى الله عنه ليشوهوا بذلك سيرته العاطرة[1]، والتى توجت بمساعيه فى وحدة الأمة، وهذه عادة الرواة الكذبة فى تشويه سيرة المصلحين وتاريخ الأمة، ومن هنا تتضح أهمية علم الجرح والتعديل والحكم على الروايات والدور العظيم الذى قام به علماء الحديث فى بيان زيف مثل هذه الأخبار. ولذلك ننصح الباحثين فى تاريخ صدر الإسلام الاهتمام بنقد مثل هذه الروايات حتى يميزوا صحيحها من سقيمها؛ فيقدموا للأمة خدمة جليلة ولا يتورطوا مثل ما تورط فيه بعض السادة الذين لا نشك فى نواياهم بسبب اعتمادهم فى بحوثهم على الروايات الضعيفة والموضوعة.

٣- ومما يؤيد افتعال تلك الكثرة لأزواجه ما روى أن الحسن بن على رضى الله عنه لما وافاه الأجل المحتوم خرج جمهرة من النسوة حافيات حاسرات خلف جنازته وهن يقلن: نحن أزواج الإمام الحسن. إن افتعال ذلك صريح واضح، فإنا لا نتصور ما يبرر خروج تلك الكوكبة من النسوة حافيات حاسرات، وهن يهتفن أمام الجماهير بأنهن زوجات الحسن، فإن كان الموجب لخروجهن إظهار الأسى والحزن، فما الموجب لهذا التعريف والسير فى الموكب المزدحم بالرجال مع أنهن قد أمرن بالتستر وعدم الخروج من بيوتهن، إن هذا الأثر وأمثاله لا يصح ولا يثبت من حيث الإسناد.

---

(١) حياة الإمام الحسن (٢/ ٤٥١).

ومن الأخبار الموضوعة التى تشابه تلك الأخبار ما رواه محمد بن سيرين، أن الحسن رضى الله عنه تزوج بامرأة فبعث لها صداقًا مائة جارية مع كل جارية ألف درهم[(١)]. ويستبعد أن يعطى الحسن بن على رضى الله عنه هذه الأموال الضخمة مهرًا لإحدى زوجاته، فإن ذلك لون من ألوان الإسراف والتبذير وهو منهى عنه فى الإسلام، فقد أمر بالاقتصار على مهر السنة، وسبب ذلك تسهيل أمر الزواج لئلا يكون فيه إرهاق وعسر على الناس، ومن المؤكد أن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه لا يخالف سنة جده ﷺ، ولا يسلك أى مسلك يتنافى مع شريعته، إن هذا الحديث وأمثاله من الموضوعات تؤيد وضع كثرة الأزواج، وتزيد فى الافتعال وضوحًا وجلاءً. وعلى أى حال، فليس هناك دليل يثبت كثرة أزواج الحسن بن على رضى الله عنه سوى تلكم الروايات، ونظرًا لما ورد عليها من الطعون فلا تصلح دليلاً للإثبات[(٢)]، ولمعرفة كيف يستفيد الأعداء من الروايات الضعيفة والباطلة ننقل ما قاله المستشرق لامنس عن زواج الحسن بن على رضى الله عنه، وألصق به التهم وطعن برجاله وحماته، وقد كتب عن أزواج الحسن بن على رضى الله عنه ما نصه: ولما تجاوز - يعنى الحسن - الشباب، وقد أنفق خير سنى شبابه فى الزواج والطلاق فأحصى له حوالى المائة زوجة، وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق، وأوقعت عليًا فى خصومات عنيفة وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير السرف، وقد خصص لكل من زوجاته مسكنًا ذا خدم وحشم، وهكذا نرى كيف يبعثر المال أيام خلافة على التى اشتد عليها الفقر[(٣)].

لقد اعتمد المستشرق الإنجليزى لامنس فى قوله: إن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان كثير الزواج والطلاق على روايات موضوعة وآثار واهية وزاد عليها لامنس، فذكر من البهتان والأكاذيب بما لم يقل به أحد غيره فقد قال:

١- إنه ألقى أباه فى خصومات عنيفة بسبب كثرة زواجه وطلاقه، ولم يشر أحد ممن ترجم لأمير المؤمنين على أو الحسن رضى الله عنهما إلى تلك الخصومات العنيفة التى زعمها المستشرق لامنس.

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٩٧).

(٢) حياة الإمام الحسن بن على (٢/ ٤٥٢).

(٣) دائرة المعارف (٧/ ٤٠٠).

٢- وذكـر أن أميـر المؤمنين الحـسن بن على رضى الله عنه خـصص لكل من زوجاته مـسكنًا ذا خدم وحشـم، مع أن جميع المؤرخين الذين اطلعـت عليهم لم ينقلوا ذلك، وهذا من الكذب السافر والافتراء المحض.

إن لجان التنصير المسيـحى التى حاربت الإسلام وبغت عليه هى التى تدفع هذه الأقلام المأجـورة وتزج بها للنيل من الإسـلام، وإلى تشويه واقعـه والحط من قيم رجاله وأعـلامه الذين أناروا الطريق للركب الإنسـانى، ورفعوا منار الحـضارة فى العالم(١).

عاشرًا: أولاده:

وأما ذريته الشريفة، فهم: الحسن، وزيد، وطلحة، والقاسم، وأبو بكر، وعبد الله، وقد قتل هؤلاء مع عمهم الحسين الشهـيد بكربلاء، وعمرو، وعبد الرحمن، والحسين، ومـحمد، ويـعقوب، وإسـماعيل، وحـمزة، وجعـفر، وعـقيل، وأم الحسين، ولـم يعقب من ذريتـه إلا الحسن، وزيد، فللحـسن المثنى خمـسة أولاد أعقبوا وفيه العدد والبـيت، وأمه خولة بنت منظور الفزارية، ولزيد ابن هو الحسن ابن زيد، فـلا عـقب له إلا منه، وأم زيد أم بشـر بنت أبى مـسعـود الأنصـارى البدرى. وقد ولى إمرة المديـنة لأبى جعفر المنصور وهو والد السيـدة نفيسة، وله: القاسم، وإسمـاعيل، وعبد الله، وإبراهيم، وزيد، وإسـحاق، وعلى- رضى الله عنهم أجمعين(٢)، وهذه سيرة مختصرة لبعض أولاد الحسن.

١- زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه: أمـه أم بشيـر بنت أبى مسعود وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية فولد زيد بن حسن محمدًا هلك لا بقية له وأمه أم ولد، وحسن بن زيد ولى المدينة لأبى جعفر المنصور وأمه أم ولد، ونفيسة بنت زيد تزوجـها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفـيت عنده وأمها لُبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

---

(١) حياة الإمام الحسن بن على (٢/ ٤٥٥).

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص (٩٣، ٩٨)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٩) الدوحة النبوية الشريفة ص (١٠٠).

وأخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبى الموالى قال: رأيت الناس ينظرون إليه ويعجبون من عُظْم خلقه ويقولون: جده رسول الله ﷺ.

وأخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنى عبد الله بن أبى عُبيدة قال: ردفت أبى يوم مات زيد بن حسن ومات ببطحاء ابن أزهر على أميال من المدينة فحُمل إلى المدينة، فما أوفينا على رأس الثنية بين المنارتين طُلع بزيد بن حسن فى قبة على بعير ميتًا وعبد الله بن حسن يمشى أمامه قد حزم وسطه بردائه ليس على ظهره شىء فقال لى أبى: يا بُنى أنزل وأمسك بالركاب، فوالله لئن ركبت وعبد الله يمشى لا تُبلنى عنده بالة أبدًا، فركبتُ الحمار ونزل أبى فمشى فما زال يمشى حتى أدخل زيدًا داره ببنى حُديلة، فغسل ثم أخرج به على السرير إلى البقيع(١).

٢- **الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب:** وأمه خولة بنت منظور الفزارية، وولد الحسن بن الحسن محمدًا وأمه رملة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العُزى، وعبد الله بن الحسن مات فى سجن أبى جعفر، وإبراهيم بن الحسن مات فى السجن أيضًا مع أخيه، وزينب بنت الحسن تزوجها الوليد بن عبد الملك ابن مروان ثم فارقها، وأم كلثوم بنت الحسن وأمهم فاطمة بنت الحسين بن على ابن أبى طالب، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن تيم، وجعفر بن الحسن وداود وفاطمة وأم القاسم وهى قسيمة، ومُليكة وأمهم أم ولد تُدعى حبيبة فارسية كانت لآل أبى أبس من جديلة، وأم كلثوم بنت الحسن لأم ولد(٢).

ومن مواقف الحسن بن الحسن قوله لرجل ممن غلوا فى أهل البيت: ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. قال فقال له رجل: إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال: ويحك لو كان الله مانعًا بقرابة من رسول الله أحدًا بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أبًا وأمًا، والله إنى لأخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وإنى لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. ويلكم اتقوا الله وقولوا فينا الحق؛ فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/٣١٨، ٣١٩).

(٢) سيرة آل بيت النبى الأطهار، مجدى فتحى السيد، ص (٣١٢).

نرضى به منكم. ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا إن كان هذا الذى تقولون من دين الله ثم لم يُطلعونا عليه ولم يُرغبونا فيــه. قال: فقال له الرافضى: ألم يقل رسول الله عليه السلام لعلىّ: من كُنْتُ مولاه فعلىّ مولاه؟ فقال: أما والله أن لو يعنى بذلك الإمرة والسلطان لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البـيت ولقال للنــاس هذا وليكم من بعدى، فـإن أنصح الناس كـان للناس رسول الله ﷺ ولو كان الأمر كما تقولون: إن الله ورســوله اختارا عليًا لهذا الأمر والقيام به بعد النبى عليه السلام إن كان لأعظم الناس فى ذلك خطأً وجُرمًا إذ ترك ما أمره به رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره أو يعذر فيه إلى الناس[1]. وهكذا يتبين موقف أهل البيت فى محاربتهم للغلو.

حادى عشر: إخوانه وأخواته:

ونتحدث عن ترجـمة مختصـرة عن أشقائه من أولاد السيـدة فاطمة رضى الله عنها:

١ - الحسين بن على رضى الله عنه:

هو أبو عـبــد الله الحـسين بن على بن أبى طالـب، سـبط رسـول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، وابن بنت رسول الله، فاطمة رضى الله عنها، كان مولده سنة ٤ هـ، وقيل غير ذلـك، ومات رضى الله عنه قتيلاً شهيـدًا، فى يوم عاشوراء من شهر المحـرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض الـعراق، فرضى الله عنه وأرضاه[2]، وقد وردت فى مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

أ- مـا رواه أحمـد بإسناده إلى يعلـى العامـرى رضى الله عنه أنه خـرج مع رسول الله ﷺ يعنى إلى طـعام دعوا له قـال: فاستـمثل رسول الله أمـام القوم، والحسين مع غلمـان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصـبى يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبى ﷺ يضـاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قـفـاه والأخرى تحت ذقنه ووضـع فاه وقـبَّله وقـال: الحـسين منى وأنا من

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/٣١٩، ٣٢٠).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٥٢) الإصابة (١/ ٣٣١ - ٣٣٤).

الحسين، اللهم أحب من أحب حسينًا، الحسين سبط من الأسباط[1]. وفى ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضى الله عنه إذ حث على محبته وكأنه ﷺ بنور الوحى رأى ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض له ومحاربته، وأكد ذلك بقوله: أحب الله من أحب حسينًا، فإن محبته تؤدى لمحبة رسول الله ومحبة الرسول تؤدى إلى محبة الله[2].

ب- ومنها ما رواه البخارى بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أُتِىَ عبيد الله بن زياد[3] برأس الحسين عليه السلام فَجُعِل فى طَسْت فجعل يَنْكُت وقال فى حُسْنه شيئًا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبًا بالوسْمَة[4].

جـ- وفى رواية أخرى عن أنس أيضًا قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان أحسبه قال جميلاً فقلت: والله لأسوءنك إنى رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك قال: فانقبض[5].

٢- مُحَسَّن بن على بن أبى طالب:

لا نعرفه إلا فى الحديث الذى يرويه هانى بن هانى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: لمَّا ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلت: سمّيته حربًا، قال: بل هو الحسن، فلما ولد الحسين قال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلت: سميته حربًا، قال: بل هو الحسين. فلما ولد الثالث جاء النبى ﷺ فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلت: حربًا، قال: بل هو محسَّن ثم قال: إنى سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبّر وشُبَيْر ومشبّر[6]. والظاهر أنه مات طفلاً[7]، ويتبين لنا من هذه الرواية الصحيحة أن محسن مات فى عهد النبى ﷺ

---

(١) فضائل الصحابة رقم (١٣٦١) إسناده حسن.

(٢) تحفة الأحوذى (١٠/ ٢٧٩).

(٣) قتل عبيد الله عام ٧٦هـ، الإعلام (٤/ ١٩٣).

(٤) الوسمة: شجر باليمن يخضب بورقه الشجر، البخارى رقم (٣٧٤٨).

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٩٨٥) رقم (١١٩٧) إسناده حسن.

(٦) مسند أحمد (١/ ٩٨) إسناده صحيح.

(٧) التبيين فى أنساب القرشيين لابن قدامة المقدسى، ص (١٣٣).

وهذا يبطل مـزاعم الغلاة والكذابين فى رواياتهم الكاذبة الذين يزعـمون أن عـمر ضرب فاطمة وأسقط ابنها.

٣- أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنها:

زوج على بن أبى طالب رضـى الله عنه ابنتـه من فـاطمـة بنت النبى ﷺ من الفاروق حينما سأله زواجهـا منه رضى الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقرارًا لفضله ومناقبه، واعترافًا بمحاسنه وجمـال سيرته وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة مـا يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[١]، وقـد ولدت أم كلثوم بنت علـى من عمـر رضى الله عنه ابنة سميت «رقية» وولدًا سمته زيدًا، وقد روى أن زيد بن عمر حضر مشاجرة فى قوم من بنى عدى بن كعب ليـلاً فخرج إليهم زيد بن عـمر ليصلحهم فأصـابته ضربة شجت رأسه ومات من فـوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيًـا عليها من الحزن فماتت من ساعتها، ودفـنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر فى وقت واحد، وصلى عليهم عبـد الله بن عمر بن الخطاب، قدمـه الحسن بن على بن أبى طالب وصلّى خلفه[٢]، وقد فصلت سيرتها فى كتابى عن عمر بن الخطاب.

٤- زينب بنت علي بن أبى طالب رضى الله عنها:

ولدت فى حياة الـنبى ﷺ وكانت عاقلة لبيـبة جزلة زوَّجها أبـوها ابن أخيه عبد الله بن جعـفر، فولدت له أولادًا، وكانت مع أخيها لمـا قتل، فحملت إلى دمشق[٣].

ومن أشهر إخوانه من أبيه:

٥- محمد بن الحنفيّة:

وكانت أمه من سبى بنى حنيـفة، اسمها خولة بنت جعفـر، وكان فاضلاً عالمًا ذا علم ودين وعبادة، وكان حامل راية أبيه يوم الجمل، وكان قويًا، وحكيمًا، ومما روى

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص (١٠٥).

(٢) أسد الغابة (٧/ ٤٢٥) ونساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، ص (١٨٥).

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة (٨/ ١٦٧).

من كلامه أنه قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًا حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا. وقال: إن الله تعالى جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها. وقال: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر. وقال: كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل. توفى سنة ثلاث وتسعين هجرية(١).

ثانى عشر: أعمامه وعماته:

وهذه نبذة مختصرة عن أعمامه وعماته:

١- طالب بنِ أبى طالب: هلك مشركًا بعد غزوة بدر، وقيل: إنه ذهب فلم يرجع، ولم يُدر له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا فى الأرض، وكان محبًا لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح وكان خرج إلى بدر كرهًا، وجرت بينه وبين قريش حين خرجوا إلى بدر محاورة فقالوا: والله يا بنى هاشم لقد عرفنا - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شعرًا وقصيدة ثناء على النبى ﷺ وبكى فيها أصحاب قليب بدر(٢).

٢- عقيل بن أبى طالب: فكان يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر فى أول سنة ثمان، وكان أُسر يوم بدر ففداه عمّه العباس، ووقع ذكره فى الصحيح فى مواضع كثيرة، وشهد غزوة مؤتة ولم يسمع له ذكر فى الفتح وحنين، كأنه كان مريضًا، أشار إلى ذلك ابن سعد لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلى الحسين بن على، أن عقيلاً كان ممن ثبت يوم حنين ومات فى خلافة معاوية، وفى تاريخ البخارى الأصغر بسند صحيح أنه مات فى أول خلافة يزيد قبل الحرة(٣)، وعمره ست وتسعون سنة(٤).

٣- جعفر بن أبى طالب: فهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم

(١) التبيين فى أنساب القرشيين، ص (١٣٦).
(٢) الجوهرة فى نسب النبى ﷺ وأصحابه من المرتضى للندوى، ص (٢٣).
(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٤).
(٤) المرتضى للندوى، ص (٢٤).

النجاشي ومن تبعه على يديه - ولقد تحدثت عنه في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر[١].

٤- **أم هانئ بنت أبي طالب:** ابنة عم النبي ﷺ فقيل: اسمها فاختة، وقيل: اسمها فاطمة وقيل: هند، والأول أشهر وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى وفي فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بني مخزوم، وقال لها رسول الله ﷺ: أجرنا من أجرت يا أم هانئ، وروت أم هانئ عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها[٢]، قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي رضي الله عنه[٣].

٥- **جُمانة بنت أبي طالب:** هي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد وأفردها في باب بنات عم النبي ﷺ وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنه جعفر بن أبي سفيان بن أبي طالب، وأطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقًا[٤].

ثالث عشر: أخواله وخالاته:

أما أخواله فقد ماتوا وهم صغار ولم يبلغ أحد منهم إلى سن البلوغ، وهم القاسم، وإبراهيم، وزاد الزبير بن بكار عبد الله - وسمى بالطيّب والطاهر - لأنه ولد بعد النبوة[٥] وعليه أكثر علماء النسب، وقيل: إن الطيّب، والطاهر ولدان آخران. ولكن عبد الله والطيب والطاهر قد ماتوا بمكة بإجماع العلماء[٦]، وجميع أولاده صلوات الله وسلامه عليه من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم فإنه من ماريا القبطية التي أهداها له مقوقس مصر، عندما أرسل له الدعوة إلى الإسلام في السنة السادسة من الهجرة، وكان ﷺ يكنّى عليه الصلاة والسلام بأبي القاسم،

---

(١) المرتضى، ص (٢٤).
(٢) المصدر نفسه، ص (٢٥).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٩/٣١٧، ٣١٨).
(٤) الإصابة (٤/٢٥٩، ٢٦٠)، المرتضى، ص (٢٧).
(٥) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٣١).
(٦) الاستيعاب (٤/٢٨١).

وقد قيل: أنه أكبر أولاده وأول من مات منهم، ولد بمكة قبل النبوة، ومات صغيرًا، وقيل: بل عاش حتى بلغ سن التمييز، فقيل: إنه بلغ المشى[1]، وقيل: بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة[2]، وأما خالاته فزينب، ورقية، وأم كلثوم رضى الله عنهن.

١ - زينب بنت رسول الله ﷺ:

أكبر خالات الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه زينب وأدركت الإسلام، وهاجرت، وكان رسول الله ﷺ محبًا لها، وقد كانت أول بناته زواجًا، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة المعدودين - مالاً وتجارة وأمانة - وهو ابن أخت خديجة، أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة لأمها وأبيها، فقالت خديجة لرسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى، وكانت خديجة تعده بمنزلة ولدها، فلما أكرم الله تعالى نبيه بنبوته آمنت خديجة وبناتها رضى الله عنهن، فلما بادى رسول الله ﷺ قريشًا بأمر الله تعالى، أتوا بالعاص بن الربيع، فقالوا: إنكم قد فرّغتم محمدًا من همِّه، فرُدّوا عليه بناته، فاشغلوه بهنَّ، وقالوا لأبى العاص بن الربيع: فارق صاحبتك، ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت، فقال: لاها الله إذًا، لا أفارق صاحبتى، ولا أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثنى على صهره خيرًا[3]. وجاء عنه أنه تذكر زينب وهو فى تجارته فى الشام فقال[4]:

ذكرت زينب لما ورّكت[5] إرما[6] ... فقلت: سقيًا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة ... وكلُّ بعلٍ سيثُنى بالذى علما[7]

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٣١)، الذرية الطاهرة للدولابى، ص (٤٢).
(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٣١).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٦).
(٤) طبقات ابن سعد (٨/ ٣٢)، مستدرك الحاكم (٤/ ٤٤).
(٥) وورّكت: أى اضطجعت، يقال: ورك يرك وروكًا: إذا اضطجع، أى كأنه وضع وركه فى الأرض.
(٦) الإرم: الأحجار التى تنصب علامات فى الطرق والمفاوز والجمع أرم وإرام.
(٧) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٣١).

أ- وفاء زينب لزوجها:

وكما كان أبو العاص بن الربيع وفيًا لزوجه زينب، كانت هذه كذلك له، فقد أبى أبو العاص أن يسلم بمكة، وأقامت زوجه معه على إسلامها، حتى كانت معركة بدر، فحضرها أبو العاص فى صفِّ كفار قريش، فأسر فيمن أسر منهم، فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب فى فداء أبى العاص بمال، وكانت فيه قلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها، قالت عائشة أم المؤمنين: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردّوا عليه الذى له(١).

ويجدر بنا أن نقف وقفة تأمل فى خطابه لأصحابه وما تضمنه من سمو العبارة والأدب الرفيع مما ينبغى أن نتحلى به فى حياتنا. وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه عهدًا، بأن يخلى زينب لتلحق به، وكانت من المستضعفين بمكة من النساء، واستكتمه رسول الله ﷺ ذلك وصدق فى عهده وأرسل زينب وتعرضت لابتلاء شديد فى طريقها إلى المدينة(٢).

ب- إسلام زوجها وأمانته:

وأقام أبو العاص بن الربيع بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام، وكان رجلاً مأمونًا، بمال له، وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً، لقيته سرية لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هاربًا، فلما قدمت السرية بماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها فأجارته، وجاء فى طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح، فكبّر الناس وراءه صرخت زينب من صُفّة النساء: أيها الناس إنى قدْ أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٧٢).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبى، المغازى، ص (٦٩).

ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم: قال: أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم. ثم انصرف، فدخل على ابنته، فقال: أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلص إليك، فإنك لا تَحلِّين له. وبعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا المال، فقال: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه ماله الذى له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فئ الله الذى أفاء عليكم، فأنتم أحق به، قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه فردَّوه، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو، والرجل يأتى بالشنَّة[1] والإداوة[2] حتى إن أحدهم ليأتى بالشطاط، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذى مالٍ من قريش ماله، ومن كان أبضع معه. ثم قال: يا معشر قريش، هل بقى لأحدٍ منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا: كلا، فجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك وفيًا كريمًا، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوُّف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أدَّاها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت، ثم خرج فقدم على رسول الله ﷺ[3]، وجاء عن عامر الشعبى وغيره، أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بأس ما أبدأ به إسلامى أن أخون أمانتى[4]. ومن أقوال أبى العاص رضى الله عنه: نتعلم قيمة عظيمة وهى الأمانة والتحلى بمكارم الأخلاق حتى مع غير المسلمين، فلا ينبغى للمسلم أن يخون أمانته لأى سبب كان.

ولما قدم أبو العاص بن الربيع على رسول الله ﷺ مسلمًا ردّ عليه زوجته زينب بالنكاح الأول، ولم يحدث نكاحًا جديدًا[5]، وقد جاء فى التحاقهما بالنبى ﷺ

---

(١) الشنة هى: السقاء البالى.

(٢) الإداوة: مطهرة يتوضأ منها.

(٣) التاريخ الإسلامى للذهبى، المغازى، ص (٧٠).

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (١/ ١٥٤).

(٥) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤١).

بالمدينة روايات أخرى إلا أنها تتفق على وفاء أبى العاص بن الربيع لرسول الله ﷺ، وتتفق على إيذاء المشركين لزينب فى خروجها من مكة[١].

جـ- وفاتها وذريِّتها:

فقد جاء عن عروة بن الزبير: أن رجلاً أقبل بزينب بنت رسول الله فلحقه رجلان من قريش، فقاتلاه حتى غلباه عليها، فدفعاها حتى وقعت على صخرة، فأسقطت وأهريقت دمًا، وذهبوا بها إلى أبى سفيان، فجاءته نساء بنى هاشم فدفعها إليهن ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع، فكانوا يرون أنها شهيدة، وكانت وفاتها فى أول سنة ثمان من الهجرة النبوية[٢].

ووقف رسول الله ﷺ على تجهيزها، فعن أم عطية رضى الله عنها قالت: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال لنا: اغسلنها وترًا، ثلاثًا أو خمسًا، واجعلن فى الخامسة كافورًا، أو شيئًا من كافور، فإذا غسلتنها فأعلمننى، قالت: فأعطانا حقْوة، وقال: أشعرنها إياه[٣]. وهكذا نرى حجم المصائب التى تحملها الرسول ﷺ حتى وصلت إلى بناته، وقد استمر على طريق الدعوة صابرًا محتسبًا، ومنه نتعلم أن طريق إعزاز الإسلام يحتاج إلى صبر واستعداد للتضحية.

وقد أنجبت زينب رضى الله عنها من أبى العاص بن الربيع، أمامة، وعليًا، أما على فقد مات وهو صغير، وقيل: مات فى حياة الرسول ﷺ، وقد ناهز الحلم ودخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وهو مردفه على ناقته. وكانت أمامة عند رسول الله ﷺ بالموقع الكريم، والمحل العظيم، فقد كان يحملها على عاتقه وهو يؤم الناس فى الصلاة، فعن أبى قتادة الأنصارى قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلى وهو يحمل أمامة بنت أبى العاص ابنة ابنته على عاتقه، فإذا ركع وضعها وإذا قام حملها[٤]، وعن عائشة رضى الله عنها أن النجاشى أهدى للنبى ﷺ حِلْية فيها

---

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤١).

(٢) مجمع الزوائد للهيثمى (٩/ ٢١٦).

(٣) مسلم، ك الجنائز (٣/ ٦٤٨)، طبقات ابن سعد (٨/ ٣٤).

(٤) مسلم، رقم (٥٤٣).

خاتم من ذهب فصُّه حبشى فـأخذه وإنه لمعرض عنه، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب، وقال: تَحلّىْ بهذا يا بنية[1]، وفى رواية: أن رسول الله ﷺ دخل على أهله ومعه قلادة جزع[2]، فقال: لأعطينَّها إلى أحبكنّ إلىَّ، فقلن: يدفعها إلى ابنة أبى بكر، فدعا بابنة أبى العاص من زينب فعقدها بيده[3]، وكان على عينها رَمَص، فمسحه بيده ﷺ. وأما أمامـة فقد عاشت، وتزوجها على بن أبى طالب بعد وفـاة خالتها فاطمـة الزهراء، وكان أبو العاص بن الربيع قـد أوصى بابنته أمامـة إلى الزبير بن العـوام، فزوجـها من على بن أبى طالـب، واستـشهـد على رضى الله عنه وهى عنده، ثم تزوجت بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وماتت عنده، ولم تنجب أمـامـة لعلى بن أبى طالب، ولا للمـغيـرة بن نوفل، وقـيل: ولدت للمغيرة ولدًا سماه يحيى ومات، فانقطع بذلك نسل السيدة زينب عليها السلام.

٢- رقيَّة بنت رسول الله ﷺ:

وقـد ولدت على الأصح بعـد زينب سنة ثلاث وثلاثين من عـمـر النبى ﷺ، وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة وبايعت حين بايعـه الناس، وكانت قد خطبها عتـبة بن أبى لهب، فلمـا نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال له أبوه: رأسى من رأسك حرام إن تطلق ابنة محـمد، وسأل رسول الله ﷺ عتبة طلاقـها وسألته هى ذلك. ولم يكن قـد دخل بهـا - فقـالت له أمه أم جـمـيل - وهى حمَّـالة الحطب-: طلَّقها يا بُنّى، فـإنها قد صبأت ففـارقها، فأخرجهـا الله من يده كرامة لها، وهوانًا له، فتزوجت عـثمان بن عفان بمكة، وهاجر بهـا إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة فهى ممن هاجر الهجرتين[4].

هذا وقد توفـيت بالمدينة بعد انتهـاء غزوة بدر، فعن ابن شهـاب الزهرى قال: تخلّف عـثمان بـن عفان عن غـزوة بدر على امـرأته رقية بـنت رسول الله ﷺ، وكانت قد أصابتهـا الحصبة، وجاء زيد بن حارثة بشيرًا بوقـعة بدر، وعثمان على

---

(١) مسند أحمد (٦/ ١٠١، ٢٦١) سنده ضعيف، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٣).

(٢) الجزع: هو الخرز اليماني، واحدته جزعة.

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٤٠)، الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ٢٤٥)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٣).

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٤)، تفسير القرطبى (٤/ ٢٤٢).

قبر رقية، قال أبو عمر بن عبد البر: لا خلاف بين أهل السير أن عثمان بن عفان رضى الله عنه إنما تخلَّف عن بدر على امرأته رقية بأمر رسول الله ﷺ، وأنه ضرب له بسهمه وأجره[1]، وقد ولدت رقيَّة رضى الله عنها لعثمان بالحبشة ولدًا سماه عبد الله، وكان يُكنَّى به بلغ سنتين، وقيل: ست سنين، فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات، وقيل: أسقطت من عثمان سقطًا، ثم ولدت عبد الله، فمات، ولم تلد له غيره حتى توفيت رضى الله عنها وأرضاها[2]، قال ابن سعد فى الطبقات: وهاجرت معه - أى عثمان - إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعًا. . وكانت فى الهجرة الأولى قد أسقطت من عثمان سقطًا ثم ولدت له بعد ذلك ولدًا فسماه عبد الله وكان عثمان يكنى به فى الإسلام[3] وبهذا يكون نسبها قد انقطع[4].

٣- أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ:

وأما خالة الحسن رضى الله عنه الثالثة فهى أم كلثوم، فقد عرفت بكنيتها، ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيرى أن اسمها أمية وهى أكبر سنًا من فاطمة رضى الله عنهما[5]، وكانت قد تزوجها عتيبة بن أبى لهب، أخو عتبة الذى تزوج أختها رقية - ولم يدخلا بهما - فأمره أبوه وأمه أن يفارقها كما أمرا أخاه أن يفارق أختها. وجاء إلى النبى ﷺ فقال له: كفرت بدينك، وفارقتُ ابنتك لا تحبنى ولا أحبك، ثم سطا عليه فشق قميص النبى ﷺ، وكان خارجًا إلى الشام، فقال النبى ﷺ: أما إنى أسأل الله أن يسلط عليك كلبًا من كلابه فخرج فى تَجْر قريش - أى جماعة التجار - نحو الشام حتى نزلوا بمكان يقال له: الزرقاء فأطاف بهم الأسد فى تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: أيا ويل أمى هو والله آكلى كما دعا علىّ محمد، أقاتلى ابن أبى كبشة وهو بمكة وأنا بالشام، فعدا عليه الأسد من بين القوم، فأخذ برأسه فضغمه ضغمة فقتله[6]، ولما فارقها عتيبة

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٩٥٢).

(٢) الذرية الطاهرة للدولابى، ص (٥٣) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٥).

(٣) الطبقات (٨/ ٣٦).

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٥).

(٥) المصدر نفسه، ص (٤٦).

(٦) المعجم الكبير للطبرانى (٢٢/ ٤٣٥، ٤٣٦) وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف، الذرية الطاهرة للدولابى رقم (٧٦).

ابن أبى لهب لم تزل بمكة مع رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله ﷺ، وخرجت إليها مع عياله[1].

أ- زواجها:

عن سعيد بن المسيب قال: أيمت حفصة بنت عمر بن الخطاب من زوجها وعثمان من رقية فمرّ عمر بعثمان فقال: هل لك فى حفصة؟ فأعرض عنى ولم يحر إلىَّ شيئًا فأتى عمر النبى ﷺ فشكاه فقال النبى ﷺ: «**فخير من ذلك أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان أم كلثوم**». فتزوج النبى ﷺ حفصة، وزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ[2]، وكان زواج أم كلثوم من عثمان بن عفان رضى الله عنهما سنة ثلاث من الهجرة النبوية، فى ربيع الأول، وبنى بها فى جمادى الآخرة[3]. وجاء أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهى تغسل برأس عثمان رضى الله عنه، فقال: يا بنيَّة أحسنى إلى أبى عبد الله، فإنه أشبه أصحابى خلقًا[4].

وفاتها:

ولم تزل أم كلثوم عند عثمان رضى الله عنهما إلى أن توفيت فى شعبان سنة تسع من الهجرة وصلّى عليها رسول الله ﷺ، وجلس على شفير قبرها، فعن أنس بن مالك أنه رأى النبى ﷺ جالسًا على قبر أم كلثوم، قال: فرأيت عينيه تدمعان، فقال: هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا، قال: فانزل فى قبرها[5]. وقد غسلتها أسماء بنت عُميس، وصفية بنت عبد المطلب وهى التى شهدت أم عطية غُسلها، وحكت قول رسول الله ﷺ: «**أغسلنها ثلاثًا، أو خمسًا، أو أكثر من ذلك**»[6].

---

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٦).

(٢) مستدرك الحاكم (٤/ ٤٩) صحيح.

(٣) سنن ابن ماجة رقم (١١٠) فيه ضعف، الدوحة النبوية، ص (٤٧).

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٨١) قال الهاشمى: فيه محمد بن عبد الله يروى عن المطلب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٥) البخارى، ك الجنائز (٣/ ٢٠٨) رقم (١٢٨٥).

(٦) البخارى رقم (١٢٥٣) الاستيعاب رقم (٣٠٦٣).

وجاء عند ابن سعد أن على بن أبى طالب، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، قد نزلوا فى حفرتها مع أبى طلحة، وأن التى غسلتها هى أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب[1].

ذريتها:

اتفق العلماء على أن أم كلثوم، لم تلد ولم تعقب[2]. ومن الغريب أن بعض الشيعة الروافض يطعنون بصحة نسب بنات النبى ﷺ ومع ذلك يزعمون بأنهم يحبون النبى ﷺ مخالفين بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتاريخ، ويكفى فى الرد عليهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩] فذكر بناته بالجمع.

---

(١) الطبقات (٨/ ٣٨، ٣٩)، الاستيعاب رقم (٣٥٦٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ٣٨) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ٤٨٧)، الإصابة (٤/ ٤٨٩)، مجمع الزوائد (٩/ ٢١٧)، عيون الأثر لابن سيد الناس (٢/ ٣٨٠) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٩).

المبحث الثانى

أم الحسن بن على بن أبى طالب

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم

هى فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها[١]، ولدت رضى الله عنها قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبى ﷺ[٢]، زوَّجها النبى ﷺ على بن أبى طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وزينب ومحسِّن، وكانت وفاتها بعد وفاة النبى ﷺ بستة أشهر فرضى الله عنها وأرضاها[٣].

أولاً: مهرها وجهازها:

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندى شىء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شىء تستحلها؟ فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: ما فعلت درع سلحتكها؟ فوالذى نفس على بيده إنها الحُطَمِيَّةُ ما قيمتها أربعمائة درهم، فقلت: عندى، فقال: قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٤]. وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل[٥]، وقربة ووسادة أدم[٦] حشوها إذخر[٧]، وقد

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٥٢٠)، الإصابة (٤/ ٣٦٥).

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٦).

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٩، ٤٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨).

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ١٦٠) إسناده حسن.

(٥) خميل: القطيفة. (٦) الأدم: الجلد.

(٧) إذخر: نبات، صحيح السيرة النبوية، ص (٦٦٧) مسند فاطمة الزهراء وما ورد فى فضلها، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلى، ص (١٨٩).

جاء فى روايات الشيعة مساهمة لعثمان بن عفان رضى الله عنه فى الزواج الميمون حيث قال على رضى الله عنه: فأخذت درعى فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع منى قال: يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم منى؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية منى إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله ﷺ، فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبى ﷺ بخير[1].

ثانيًا: زفافها:

قالت أسماء بنت عميس: كنت فى زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبى ﷺ إلى الباب فقال: يا أم أيمن ادعى لى أخى، فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: نعم يا أم أيمن، قالت: فجاء على فنضح النبى ﷺ من الماء ودعا له ثم قال: أدع إلىّ فاطمة قالت: فجاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول الله ﷺ: اسكتى فقد أنكحتك أحب أهل بيتى إلىّ، قالت: ونضح النبى ﷺ عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سوادًا بين يده، فقال: من هذا؟ فقالت: أنا، قال: أسماء؟ قلت: نعم، قال: أسماء بنت عميس؟ قلت: نعم، قال: جئت فى زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟ قلت: نعم، قالت: فدعا لى[2]، وفى هذه القصة قيمة اجتماعية رفيعة وهى التعاون بين أفراد المجتمع فى المناسبات الاجتماعية المختلفة.

ثالثًا: وليمة العرس:

عن بريدة قال: لما خطب علىٌّ فاطمة، قال رسول الله ﷺ: إنه لا بد للعُرس[3] من وليمة، قال: فقال سعد: علىّ كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: يا على لا تحدث شيئًا حتى تلقانى..

---

(١) كشف الغمة للأربلى (١/ ٣٥٩) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٧، ١٣٨).

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٩٥٥) رقم (٣٤٢) إسناده صحيح.

(١) للعرس: أى للعروس.

فدعا النبى ﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علىّ، فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك فى شبلهما»[1].

رابعًا: معيشة على وفاطمة رضى الله عنهما:

كانت معيشة على وفاطمة رضى الله عنهما وهما من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن عليًا رضى الله عنه قال: مكثنا أيامًا ليس عندنا شيء، ولا عند نبى الله ﷺ، فخرجت، فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق فمكثت هنيهة أوامر نفسى فى أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين[2] فاشتريت به دقيقًا، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجنى واخبزى، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذى بها - ثم خبزت، فأتيت نبى الله ﷺ، فأخبرته، فقال: كلوا فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل[3].

وعن الشعبى، قال: قال على رضى الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ وما لى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لى خادم غيرها[4]، وعن مجاهد قال على: جعت مرة بالمدينة جوعًا شديدًا، فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرًا، فظننتها تريد بلَّه[5]، فأتيتها فقاطعتها[6] كلّ ذنوب[7]، على تمرة، فمددت ستة عشرة ذنوبًا، حتى مجلت يداى[8]، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت: يكفى هذا بين يديها[9]، فعدت لى ست عشرة تمرة، فأتيت النبى ﷺ، فأخبرته، فأكل معى منها[10].

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى، ص (١٥٣)، فضائل الصحابة (٢/٨٥٨) إسناده صحيح.

(٢) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.

(٣) كنز العمال (٧/٣٢٨)، المرتضى للندوى، ص (٤١).

(٤) كنز العمال (٧/ ١٣٣) المرتضى للندوى، ص (٤١).

(٥) المدر، يعنى الطين اليابس، تريد له يعنى الماء.

(٦) فقاطعتها: أى اتفقت معها على أجرة.

(٧) ذنوب: دلو. (٨) مجلت: تورمت من العمل.

(٩) يعنى بسطهما وضمهما.

(١٠) صفة الصفوة (١/ ٣٢٠)، الموسوعة الحديثية، مسند أحمد (١١٣٥) إسناده ضعيف لانقطاعه.

في هذا الخبر بيـان لشدة الحال التي مر بها والد الحسن في المدينة، ونأخذ منها صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائد حيث خرج عليّ للعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظرًا ما تجود به أيدي المحسنين، وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهم على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي ﷺ فأكل معه[1]، إن من أهم الدروس في هذه القصة هو أن فقر الإنسان أو غناه المادي لا يعبر بالضرورة على حب الله للعبد من عدمه للعبد، وإنما المعيار الحقيقي هو تقوى الله عز وجل وينبغي أن يكون تقييمنا للناس على هذا الأساس.

خامسًا: زهد السيدة فاطمة وصبرها:

كانت حياة والد الحسن رضي الله عنهما في غاية البساطة بعيدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده[2]، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادمًا من السبي، قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت[3]، حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بسبي فاذهبي، فاستخدميه[4]، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتيت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنية. قالت: جئت لأسلم عليك واستحييت أن تسأله ورجعت، فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتينا جميعًا، فقال علي: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي[5]، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: **والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى[6] بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم**

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٩/٤٩، ٥٠).

(٢) انظر: معين السيرة، ص (٢٥٥) للشامي.

(٣) سنوت: استقيت.

(٤) أي أسأليه خادمًا.

(٥) مسلم رقم (٢٧٢٧)، السيرة النبوية للصلابي (٢/٩٩).

(٦) تطوى: طوى من الجوع، فهو خالي البطن جائع لم يأكل.

أثمانهم، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذ غطت رؤوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيت أقدامهما تكشف رؤوسهما، فثارا، فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ قالا: بلى. فقال: كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام، فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين[1].

وفي هذه القصة السالفة بعض القيم منها، إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي ﷺ الأزمة الاقتصادية التي مرت بدولة الرسول ﷺ في المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة ملحة وأما حاجة علي وفاطمة للخادم، فليست بمرتبة احتياج أهل الصفة، فقدم رسول الله أهل الصفة عليهم، وكانت وسائل رسول الله في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة، ولقد تأثر والد الحسن بن علي رضي الله عنهما بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بأمير المؤمنين علي فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله ﷺ له، وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين[2].

سادسًا: محبة رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة وغيرته عليها:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة[3]، وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سافر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه[4]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا ولا دلّا برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده

(١) البخاري رقم (٣٧٠٥) مسلم رقم (٢٧٢٧).

(٢) مسلم (٤/٢٠٩٢).

(٣) مسند أحمد (٥/ ٢٧٥)، الدوحة النبوية، ص (٥٦).

(٤) الاستيعاب (٤/٣٧٦) في سنده أبو فروة الرهاوي مضعف، الدوحة النبوية، ص (٥٦).

من فاطمة بنت رسول الله، وكـانت إذا دخلت عليه قام إليها فقـبلها وأجلسها فى مجلسه، وكـان النبى ﷺ إذا دخل عليها قامت من مـجلسها فقبلتـه وأجلسته فى مجلسها[(١)]، وفى رواية: أنها كانت تقبل يديه[(٢)]، وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب أهل بيتى إلىَّ فاطمة**»[(٣)].

وقد أراد على رضـى الله عنه أن يتزوج بنت أبى جـهل على فاطمـة، فخطب رسول الله ﷺ الناس، وإن فى رواية السـيدة عائشة للحـديث دليلاً على حقـيقة المحبة بين السيدتين وليست كما يدعى المغرضون[(٤)]، فقال: «**فاطمة بضعة منى فمن أغضبهـا أغضبنى**»[(٥)]، وعن المسور بن مخرمـة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «**إن بنى هاشم بن المغيـرة استأذنونى أن ينكحـوا ابنتهم علىّ بن أبى طالب، فـلا آذن لـهم ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحـب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتـهم، فإنما ابنتى بـضعة منى يربـنى ما رابها ويؤذيـنى ما آذاها**»[(٦)]، وروى الترمذى بـسنده إلى عبد الله بن الزبير رضى الله عنه أن عليًـا ذكر بنت أبى جهل فبلغ ذلـك النبى ﷺ فقال: «**إنما فاطمة بضـعة منى يؤذينى ما آذاها ويتـعبنى ما أتعبها**»[(٧)].

ومن مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضًا بإسناده إلى بريدة رضى الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسـول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال علىّ[(٨)]، ولا يفهم من هذا الحديث معـارضته لما ثبت فى الصحيح من حديث عـمرو بن العاص، أنه سئل النبى ﷺ: أى الـناس أحب إليك؟ قال: عائـشة، قال: من الرجـال؟ قال: أبوها[(٩)]. فالمراد من هذا الحـديث والله أعلم أن فاطمة أحب النسـاء إليه من أهله

---

(١) مسلم رقم (٣٤٥٠)، صحيح سنن أبى داود رقم (٥٢١٧).

(٢) سنن أبى داود رقم (٥٢١٧) وصححه الألبانى صحيح سنن أبى داود (٣/ ٩٧٩).

(٣) مسند الطيالسى (٢/ ٢٥) حسن صحيح.

(٤) أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (١/ ١٣٦).

(٥) البخارى رقم (٤١٧٣).

(٦) البخارى رقم (٥٢٣٠).

(٧) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٦) رقم (١٣٢٧) إسناده صحيح.

(٨) المستدرك، ك معرفة الصحابة (٣/ ١٥٥) صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

(٩) البخارى رقم (٤٣٥٨).

وعلىّ من رجالهم، وفى ذلك يقول ابن العربى عند هذا الحديث: كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ أبو بكر وأحب أزواجه إليه عائشة، وأحب أهله إليه فاطمة وعلىّ من رجالهم، وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث ويرتفع عنها التعارض(١).

سابعًا: صدق لهجتها:

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضى الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبى ﷺ قالت: ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة منها ألا أن يكون الذى ولدها(٢).

وفى ذلك منقبة ظاهرة لها رضى الله عنها فقد وصفتها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بأنها كانت تشبه النبى ﷺ هيئة وطريقة وحسن حال كما كان التزامها للصدق أشبه له، فرضى الله عنها وأرضاها(٣).

ثامنًا: سيادتها فى الدنيا والآخرة:

جاءت الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق التى دلت على سيادتها فى الدنيا والآخرة، روى الترمذى بإسناده إلى أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: **«حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا امرأة فرعون»**(٤)، وروى الحاكم بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا من كان من مريم بنت عمران»**(٥). وقال البخارى: باب مناقب فاطمة رضى الله عنها، وقال النبى ﷺ: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»**(٦).

---

(١) عارضة الأحوذى (١٣/ ٢٤٧، ٢٤٨)، العقيدة فى أهل البيت، ص (١٣٧).

(٢) المستدرك (٣/ ١٦٠، ١٦١) صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٣) العقيدة فى أهل البيت، ص (١٣٦).

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٢٥٥) رقم (١٣٢٥)، صححه الألبانى المشكاة (٣/ ٧٤٥).

(٥) فضائل الصحابة رقم (١٣٣٢) إسناده حسن لغيره.

(٦) البخارى، ك فضل الصحابة (٤/ ٢٥٢).

تاسعًا: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبى ﷺ:

قالت عائشة رضى الله عنها: إن فاطمة والعباس رضى الله عنهما أتيا أبو بكر رضى الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إنى سمعت رسول الله يقول: **«لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال»**[(١)]، وفى رواية قال أبو بكر رضى الله عنه: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإنى أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ[(٢)]، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: إن أزواج النبى ﷺ، حيث توفى رسول الله، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أبى بكر، ليسألنه ميراثهن من النبى ﷺ، فقالت عائشة رضى الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ: **«لا نورث ما تركنا صدقة»**[(٣)].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقتسم ورثتى دينارًا، ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهى صدقة»**[(٤)]، وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع فاطمة رضى الله عنها امتثالاً لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله يعمل به إلا عملت به[(٥)]، وقال: والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته[(٦)]، وقد تركت أم الحسن رضى الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، وقد غلا الشيعة فى قصة ميراث النبى ﷺ غلوًا مفرطًا مُجانبين الحق والصواب، وقد ناقشتهم فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب[(٧)]، وبينت فيه حقيقة ما وقع بين الصديق والسيدة فاطمة فى قضية الميراث.

---

(١) البخارى رقم (٦٧٢٦).

(٢) مسلم رقم (١٧٥٩).

(٣) البخارى رقم (٦٧٣٠)، مسلم رقم (١٧٥٨).

(٤) البخارى رقم (٦٧٢٩).

(٥) مسلم رقم (١٧٥٨).

(٦) البخارى رقم (٦٧٢٦).

(٧) أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (١/ ١٩٩).

عاشرًا: تسامح السيدة فاطمة مع أبى بكر رضى الله عنه:

وقد ثبت عن فاطمة - رضى الله عنها - أنها رضيت عن أبى بكر بعد ذلك، وماتت وهى راضيه عنه، على ما روى البيهقى بسنده عن الشعبى أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق، فاستأذن عليها، فقال على: يا فاطمة هذا أبو بكر الصديق يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[1]، قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوى، والظاهر أن عامر الشعبى سمعه من على أو ممن سمعه من على[2]. وبهذا تندحض مطاعن الشيعة على أبى بكر التى يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت فى بداية الأمر فقد رضيت بعد ذلك وماتت وهى راضية عنه، ولا يسع أحدًا صادقًا فى محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[3].

ولا يعارض هذا ما ثبت فى حديث عائشة: **إنما يأكل آل محمد ﷺ هذا المال،** وأنى والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت[4]، فإن هذا بحسب علم عائشة - رضى الله عنها - رواية الحديث، وفى حديث الشعبى زيادة علم، وثبوت زيارة أبى بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة - رضى الله عنها - نفت والشعبى أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافى، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافى، خصوصًا فى مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبى بكر لفاطمة - رضى الله عنها - ليست من الأحداث الكبيرة التى تشيع فى الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هى

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى (٦/ ٣٠١).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٤٣٤).

(٤) البخارى رقم (٤٢٤٠)، رقم (١٧٥).

من الأمور العادية التى قد تخفى على من لم يشهدها، والتى لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها. على أن الذى ذكره العلماء أن فاطمة - رضى الله عنها - لم تتعمد هجر أبى بكر - رضى الله عنه - تلك الفترة أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهى النبى ﷺ عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[1]، قال القرطبى صاحب المفهم فى سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم أنها (أى فاطمة) لم تلتق بأبى بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ وللازمتها بيتها، فعبر الراوى عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[2]، وهى أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ، كيف لا يكون كذلك وهى بضعة من رسول الله ﷺ، وسيدة نساء أهل الجنة[3].

لقد انشغلت فاطمة رضى الله عنها عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهى مصيبة تزرى بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذى ألزمها الفراش عن أية مشاركة فى أى شأن من الشئون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول بكل لحظة من لحظاته، بشون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها، فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله[4]، ومن كان فى مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذى نقله العينى، ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوى عن ذلك بالهجران[5]، وقد دل على ذلك زيارة أبى بكر لها وترضيته لها كما مر معنا.

حادى عشر: وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها:

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبى بكر أسماء بنت عميس هى التى كانت تمرض فاطمة بنت النبى ﷺ

(١) الانتصار للصحب والآل، ص (٤٣٤).
(٢) البخارى، رقم (٦٠٧٧).
(٣) المفهم (١٢/ ٧٣).
(٤) مسلم، رقم (٢٤٥٠).
(٥) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص (١٠٨).

ورضى الله عنها فى مرض موتـها، وكانت معها حتى الأنفـاس الأخيرة وشاركت فى غسلها وترحيلهـا إلى مثواها الأخير، وكان على رضى الله عنه يمرضـها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رضى الله عنها، وقد وصتها بوصايا فى كفنها ودفنها وتشييع جنازتها، فعملت أسماء بها[1]، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إنى قد استـقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المـرأة الثوب فيصفهـا، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئًا رأيـته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتـها ثم طرحت عليها ثوبًا، فـقالت فاطمة: ما أحـسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال[2]، وعن ابن عبـد البر: فاطمـة رضى الله عنها أول من غطى نعشـها فى الإسلام، ثم زينب بـنت جحش، وكان الصـديق دائم الاتصال بعلى من ناحـيـة ليسـأله عن أحـوال بنت النبى ﷺ خلاف مـا يزعـمه القـوم، فمـرضت، أى فاطمـة رضى الله عنها، وكـان على يصلى فى المسجـد الصلوات الخمس، فلمـا صلى قال له أبو بكر وعـمر: كـيف بنت رسول الله؟ ومن ناحـية أخرى كـان الصديق يسأل زوجـته أسمـاء بنت عميـس حيث كانت هى المشرفة والممرضة الحـقيقية لها، ولما قـبضت فاطمة من يومهـا، فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنسـاء، ودهش الناس كيـوم قبض فيـه رسول الله ﷺ، فأقـبل أبو بكر وعمـر يعزيان عليًـا ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسـبقنا بالصـلاة على ابنة رسول الله[3]، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمـضان سنة إحدى عشرة، عن مالك بن جعفـر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين، قـال: ماتت فاطمة بين المغرب والعـشاء فحضـرها أبو بكر وعمر وعثـمان والزبير وعبـد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم، فلمـا وضعت ليصلى عليها، قـال على: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضى الله عنه: وأنت يا أبا الحـسن؟ قال: نعم فوالله لا يصلى عليـها غيرك، فـصلى عليها أبو بكر رضى الله عنه ودفنت ليـلاً. وجاء فى رواية: صلى أبو بكر الصديق رضى الله عنه على فـاطمة بنت رسول الله فكبر عليـها أربعًا[4]،

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص (٧٧).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٣٧٨).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (٧٧)، كتاب سليم بن قيس، ص (٢٥٥).

(٤) المختصر من كتاب الموافقة، ص (٦٨) فى سنده ضعف.

وفى رواية مسلم صلى عليها على بن أبى طالب وهى الرواية الراجحة(١)، وأما ما يوجد فى بعض الكتب الشيعية من كون السيدة فاطمة أوصت عليًا رضى الله عنهما، بأن لا يقوم على قبرها أحد من الذين ظلموها وجحدوا حقها لأنهم أعداؤها وأعداء أبيها، فهذا من الأباطيل، ولا تصح رواياته، بل هى موضوعة، مثل التى ذكرها صاحب كتاب حياة الإمام الحسن بن على(٢).

وهذه أبيات رقيقة وعذبة قالها محمد إقبال فى قصيدته العصماء فى السيدة فاطمة رضى الله عنها:

نسب المسيح بنى لمريم سيرة	بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرف فى ثلاث مطالع	فى مهد فاطمة فما أعلاها
هى بنت مَنْ هى زوج مَنْ هى أم مَنْ	من ذا يدانى فى الفخار أباها
هى ومضة من نور عين المصطفى	هادى الشعوب إذا تروم هداها
من أيقظ الفطر النيام بروحه	وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة	مثل العرائس فى جديد حلاها
هى أسوة للأمهات وقدوة	يترسم القمر المنير خطاها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها	ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

إلى أن قال:

لولا وقوفى عند شرع المصطفى	وحدود شرعته ونحن فداها
لمضيت للتطواف حول ضريحها	وغمرت بالقبلات طيب ثراها

وقال فى قصيدة فى بيان أن السيدة فاطمة أسوة للنساء المسلمات:

وهى أم السَّيدينِ الأكرمين	حسنٍ خير حليم وحسين
ذا سراج فى ظلام الحَرم	حافظ وحدة خير الأمم

(١) مسلم، رقم (١٧٥٩).

(٢) حياة الإمام الحسن بن على، باقر القرشى (١/ ١٦٤).

ازدرى الملك ابتغاء الألفة ... أطفأ النِّيران بين الإخوة
ذاك في الأبرار ربُّ العَلَمِ ... أسوةُ الأحرار في الخَطْب العَمى
سيرةُ الأولاد صنعُ الأمهات ... وخلالُ الخير طبع الأمَّهات
زهرةٌ في روضة الصدق البتول ... أسوة النِّسوة في الحق البتول
نُشِّئت ما بين صبر ورضا ... في الفَمِ القرآنُ والكفّ الرَّحَى
دمعها من خشية الله جرى ... في مصلاَّها يفوق الجوهرا[1]

(١) ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد غورى (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).

المبحث الثالث

مكانة الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ

كانت بشرى رسول الله ﷺ بمولد الحسن عظيـمة، وكان ﷺ يحمله ويداعبه، ويدعوه لـيتسلـق صدره ويلعب مـعه، وترعرع الحـسن رضى الله عنه فى حـجر النبوة، ولاحظته عين الرعاية النبوية، والعناية المصطفوية، من ولادته حتى يفاعته، لا سيما شـبهه بالنبى ﷺ ظاهر فى محيَّاه وأسـاريره، وقد تمتع الحسن رضى الله عنه بمكانة كبيرة وتقدير عال من جده الرسول الكريم ﷺ، وهذا ليس لكونه سبطه فحسب، بل لما تحمله نفس الحسن - رضى الله عنه - من صفات طيبة وخلق عال وتواضع كريم(1)، وهذه بعض الأحـاديث والمواقف التى تبين مكانة الحـسن عند جده ﷺ.

أولاً: محبة رسول الله ﷺ ورحمته بالحسن وملاعبته له:

١- **عن أبى هريرة** رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «**من أحب الحسن والحسين فقد أحبَّنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى**» (2).

٢- **وعن عبد الله بن مـسعود** قال: كان النبى ﷺ يُصلى والحـسن والحسين يثبان على ظهره، فيباعـدهما الناس فقال: «**دعوهما، بأبى همـا وأمى، من أحبنى فليحب هذين**» (3).

٣- **وعن أبى هريرة** رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال للحسن: «**اللهم إنى أحـبه، فأحبه، وأحب من يحبه**» (4). قال أبو هريرة: **فما رأيته إلا دمعت عيناى**(5).

---

(١) الحسن بن على سيـرته ودوره السياسى والإدارى، فتـيخان كردى، ص (٤٥)، الدوحة النبـوية الشريفة، ص(٧٢).

(٢) سنن النسائى رقم (٨١٦٨) قام الشيخ عثمان الخميس بتخريج الحديث وحكم على درجته بأنه حسن لذاته فى رسالته: أحاديث بشأن السبطين، ص (٣١٢).

(٣) أحاديث بشأن السبطين، ص (٢٩٣) عثمان الخميس، حديث حسن.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٢٤٩، ٣٣١) سنده صحيح.

(٥) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٧٤).

٤- **وعن البراء بن عازب** قال: رأيت الحسن بن عليّ على عاتق النبى ﷺ وهو يقول: «اللهم إنى أحبه فأحبه»(١).

٥- **وعن عليّ** رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وقال: «من أحبَّنى وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معى فى درجتى يوم القيامة». أخرجه أحمد والترمذى وقال: «وكان معى فى الجنَّة». وقال: حديث غريب(٢).

٦- **وعن يعلى بن مرة** قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يدَه فى عنقه فضمَّه إلى بطنه وقبَّل هذا ثم قبَّل هذا ثم قال: «إنى أحبُّهما، فأحبوهما. أيها الناس: الولد مبخلة مجبنة»(٣).

٧- **عن زهير بن الأقمر** قال: قال رجل من الأزد: سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن بن على: «من أحبَّنى فليُحبه، فليبلغ الشاهد منكم الغائب». ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدّثْتُكم(٤).

٨- **وعن أسامة بن زيد** - **رضى الله عنهما** - قال: كان رسول الله ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ويقول: **اللهمَّ إنى أرحمهما فارْحمهما**(٥).

٩- **وعن أبى هريرة** - **رضى الله عنه** - قال: دخل الأقرع بن حابس على النبى ﷺ فرآه يقبِّل إما حسنًا وإما حسينًا فقال: تقبِّله، ولى عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم. فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»(٦).

---

(١) مسلم، رقم (٢٤٢٢).

(٢) مسند أحمد (١/ ٧٧)، سنن الترمذى، رقم (٣٧٣٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٤) ثم قال: إسناده ضعيف، والمتن منكر وأورده فى الميزان (٣/ ١١٧).

(٣) مسند أحمد (٤/ ١٧٢)، سنن ابن ماجة، رقم (٣٦٦) فى الأدب، وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات: انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٥).

(٤) مستدرك (٣/ ١٧٣، ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣، ٢٥٤)، إسناده صحيح.

(٥) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٤١٥) ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، ص (٢١٦).

(٦) مسلم، رقم (٢٣١٨).

١٠- عن معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يمصُّ لسان الحسن أو شفته، وإنَّه لن يُعَذَّب لسانٌ أو شفتان مصَّهما رسول الله[١].

ورواية معاوية للحديث تدل على محبته للحسن.

١١- عن أبى هريرة رضى الله عنه: أنه لقِىَ الحسن بن علىّ فى بعض طرق المدينة فقال له: اكشف لى عن بطنك - فداك أبى - حتى أقبِّل حيث رأيت رسول الله ﷺ وسلم يقبِّلُه. قال: فكشف عن بطنه، فقبَّل سرته[٢].

١٢- عن عكرمة عن أبى عباس قال: كان النبى ﷺ حاملاً الحسن بن على رضى الله عنهما على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبى ﷺ: **«ونعم الراكب هو»**[٣].

١٣- وعن أبى الزبير، عن جابر قال: دخلت على النبى ﷺ، فإذا هو على أربع والحسن والحسين رضى الله عنهما على ظهره يحبو بهما فى البيت وهو يقول: **«نعم الجمل جملكما، ونعم العِدْلان أنتما»**[٤].

١٤- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا نصلى مع النبى ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين رضى الله عنهما على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضى صلاته[٥].

١٥- حدثنا ابن بريدة عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ أقبل الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران إذ نزل

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٩٣)، إسناده صحيح، سير أعلام (٣/ ٢٥٩).

(٢) المستدرك (٣/ ١٦٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٣) الشريعة للآجرى (٥٢١٦٠) إسناده ضعيف.

(٤) الشريعة للآجرى (٥٢١٦٠) إسناده ضعيف فيه مسروح أبو شهاب: تكلم فيه، قال العقيلى: لا يتابع عليه - أى هذا الحديث وقال ابن أبى حاتم: سألت أبى عن مسروح وعرضت عليه بعض حديثه فقال: يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثورى. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بخبره لمخالفته الإثبات فى كل ما يروى. المجروحين (٣/ ١٩)، الميزان (٤/ ٩٧).

(٥) الشريعة (٥/ ٢١٦١) إسناده ضعيف فيه محمد بن عيسى بن حيان المدائنى. قال الدارقطنى: ضعيف متروك.

رسول الله ﷺ عن المنبر فرفعهما إليه وقال: صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمضيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما[١].

١٦- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فى طائفة من النهار لا يكلمنى ولا أكلمه حتى جاء سوق بنى قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء[٢] فاطمة فقال: أثم لكع[٣] أثم لكع يعنى «حسنًا»، فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخابا[٤]، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه[٥].

١٧- وعن سلمة بن الأكوع قال: لقد قُدت بنبى الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبى ﷺ هذا قدامه، وهذا خلفه[٦].

فمن هذا المعين فليتعلم الآباء المحبة وليغترفوا العطف والحنان على الأبناء، وفيها الشىء الكثير من هدى النبى ﷺ لمحبته للحسن ورحمته به وملاعبته، وفيها إرشاد نبوى للمسلمين فى كيفية بناء نفس الطفل وتكوينه، وفيها إجابة لهذا السؤال المهم كيف نبنى عاطفة الطفل؟ ونؤدى له حقه ليكون إنسانًا سويًا فى مستقبله؟ فقد أشارت الأحاديث النبوية إلى مجموعة من الأسس التى بتطبيقها نسير على هدى ونور بيّن.

أ- الأساس العاطفى الأول: القُبلة والرأفة والرحمة للأطفال:

إن للقبلة دورًا فعالاً فى تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دورًا كبيرًا فى تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق فى تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهى دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ،

(١) الشريعة للأجرى (٥/ ٢١٦٢).
(٢) خباء فاطمة: أى بيتها.
(٣) لكع: يريد به الصغير، وإذا قيل للكبير، فمعناه قليل العلم.
(٤) السخاب: القلادة، وجمعه سُخُب، ويصنع من القرنفل والعود والمسك وغير ذلك، وقيل: خيط فيه خرز.
(٥) مسلم (٤/ ١٨٨٢، ١٨٨٣).
(٦) مسلم، رقم (٢٤٢٣).

وهى برهان على تواضع الكبير للصغير، وهى النور الساطع الذى يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هى أولاً وأخيراً السنة الثابتة فى المصطفى ﷺ مع الأطفال[1]، وإن الرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية وهى طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى.

ب- الأساس الثانى: المداعبة والممازحة مع الأطفال:

وقد بينا بعض الأحاديث النبوية التى تدل على ذلك وفيها دروس وعبر من هدى النبى ﷺ فى مداعبة الأطفال، تارة بالحمل وأخرى بالمضاحكة.. وإلى غير ذلك وقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله ﷺ، فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم وينزلون منازلهم، ويتصابون لهم ويلاعبونهم، وقد قال عمر رضى الله عنه: ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى - أى فى الأنس والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده. وكان رسول الله ﷺ يلاعب الحسن والحسين رضى الله عنهما.

وبهذه المداعبة والملاعبة، كان تعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال وهو يغذى نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة، بعيداً عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفل حقه[2].

جـ- الأساس العاطفى الثالث: الهدايا والعطايا:

للهدايا أثر طيب فى النفس البشرية عامة، وفى نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً، والرسول ﷺ بين لنا عملية هذا الركن القوى فى بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها، وقد بينا ما فعله رسول الله ﷺ مع ابنة خالة الحسن بن على، أمامة بنت أبى العاص من بنت رسول الله زينب، فعن عائشة رضى الله عنها أن النجاشى أهدى للنبى ﷺ حلْية فيها خاتم من ذهب فصّه حبشى، فأخذه، وإنه لمعرض عنه، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب، وقال: تَحلّى بهذا يا بنية[3].

(١) منهج التربية الإسلامية للطفل، ص (١٧٩).

(٢) منهج التربية النبوية، ص (١٨٤).

(٣) سنن ابن ماجة، رقم (٣٦٤٤)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٣).

د- الأساس الرابع: مسح رأس الطفل:

وكان رسول الله ﷺ، يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، الأمر الذى يشعر الطفل بوجوده وحب الكبار له، واهتمامهم به. عن مصعب بن عبد الله قال: عبد الله بن ثعلبة ولد قبل الهجرة بأربع سنين وحمل إلى رسول الله ﷺ فمسح وجهه وبرك عليه عام الفتح، وتوفى رسول الله ﷺ وهو ابن أربع عشرة[1].

هـ- الأساس الخامس: حسن استقبال الطفل:

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه وأهم ما فى اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيبًا استطاع الطفل متابعة الحديث وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم، فيفتح قلبه وما يدور فى خاطره ويعرض مشاكله ويتحدث عن أمانيه، كل ذلك يحصل إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة[2]، وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه جاء من سفر، فسبق بى إليه، فحملنى بين يديه ثم جئ بأحد ابنى فاطمة الحسن والحسين رضى الله عنهما فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[3].

و- الأساس السادس: تفقد حال الطفل والسؤال عنه:

كثيرًا ما يمشى الطفل وحده فيضل الطريق ويتيه فى الشارع، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبها سريعًا لشروده، وتم تتبع أثر الطفل والعثور عليه بأسرع ما يمكن، والعكس بالعكس، وهذه السرعة تلعب دورًا كبيرًا فى نفس الطفل فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه ويشتد عذابه النفسى كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليه، لهذا سارع رسول الله ﷺ وأمر أصحابه بمساعدته والانتشار فى الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين[4]، فقد روى

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٣٧٩).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، ص (١٨٥).

(٣) مسلم، رقم(٢٣٢٨)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٨).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، ص (١٨٦).

الطبراني عن سلمان رضى الله عنه قال: كنا حول رسول الله ﷺ فجاءت أم أيمن رضى الله عنهما فقالت: يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين رضى الله عنهما، قال: وذاك وأد النهار - يقول ارتفاع النهار - فقال النبى ﷺ: قوموا فاطلبوا ابنى وأخذ كل رجل وجهة وأخذت نحو النبى ﷺ فلم يزل حتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين رضى الله عنهما ملتزق كل واحد منهما صاحبه. وإذا شجاع - أى حية الذكر وقيل الحية مطلقًا - قائم على ذنبه يخرج من فيه شرار النار، فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطبًا لرسول الله ﷺ ثم انساب - أى جرى - فدخل بعض الأحجار ثم أتاهما، فأفرق بينهما ثم مسح وجوههما وقال: بأبى وأمى أنتما ما أكرمكما على الله ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر، فقلت: طوبى لكما نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ: ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما[(1)]. فأنت تلاحظ الخوف الذى حصل للحسن والحسين حيث التزق كل واحد بالآخر خائفًا من الحيَّة، ومسارعة الرسول ﷺ لفك هذا الخوف ثم التفريق بينهما.. ثم مسح وجهيهما - ثم دعا لهما ثم أكرمهما بحملهما على عاتقه ثم مدحهما، بقوله: ونعم الراكبان هما ، وما ذلك إلا من شدة حبه وحرصه واهتمامه بالحسن والحسين[(2)].

ز- الأساس السابع: لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

كان النبى ﷺ - وهو الرسول القائد - يلعب مع الحسن والحسين - كما مرّ معنا - وما هذا إلا ليربى الوالدين والكبار، وليقتدوا به ويلعبوا مع أطفالهم، وقد روى أن رسول الله ﷺ كان يشجع الحسن على الحسين فعن أبى عباس قال: اتَّحد الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ، فجعل يقول: هى يا حسن، خذ يا حسين، فقالت عائشة: تعين الكبير؟ قال إن جبريل يقول: خذ يا حسين[(3)]، وجاء فى رواية ضعيفة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قعد رسول الله ﷺ موضع

(١) معجم الطبرانى (٣/ ٦٥)، رقم (٢٦٧٧) وفى المجمع (٩/ ١٨٢) وفيه أحمد بن راشد الهلالى وهو ضعيف، ضعفه الذهبى فى المغنى (١/ ٣٩).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، ص (١٨٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٦) إسناده حسن.

الجنائز، فطلع الحسن والحسين فاعتركا، فقال النبى ﷺ: إيها حسن. فقال علىٌّ: يا رسول الله: أعلى حسين تواليه؟ فقال: هذا جبريل يقول: إيها حسين[1]، فأنت شاهدت أنواعًا مختلفة من لعبه ﷺ مع الحسن والحسين وما ذاك إلا ليدلك النبى ﷺ إلى فكرة التنوع فى اللعب مع الأطفال، وأنت لاحظت أيضًا ثناءه ومدحه لهما فى اللعب، وذلك ليزيد من نشاطهما النفسى فى اللعب فيستمران بلا كلل ولا تعب ويتابعان اللعب بحب وشغف، وذلك ليكون غذاء جسميًا ونفسيًا فى آن واحد[2]، كما أن اللعب للأطفال فيه مجموعة من الفوائد والقيم منها جسدية، وتربوية، واجتماعية، وخلقية، وذاتية، وعلاجية[3].. إلخ.

ثانيًا: شبه الحسن بن على رضى الله عنه بالنبى ﷺ:

١- عن أبى خالد، قال: قلت لأبى جُحَيْفَة: رأيت النبى ﷺ؟ قال: نعم: كان أشبه الناس به الحسن بن على[4].

٢- عن عقبة بن الحارث، قال: إنى لمع أبى بكر إذ مرَّ على الحسن بن على فوضعه على عنقه ثم قال: بأبى شِبْهَ النبى لا شبيهًا بعلىّ، قال: وعلىٌّ معه فجعل علىّ يضحك[5]، وفى رواية أخرى عن عقبة بن الحارث، قال: خرجت مع أبى بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبى ﷺ بليال وعلىّ يمشى إلى جنبه فمر بحسن ابن علىّ وهو يلعب مع غلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول: وبأبى شبه النبى ليس بشبه بعلىّ وعلىّ يضحك[6]، ونرى حقيقة المحبة والانسجام بين أبى بكر وعلى وهذا ما تؤكده هذه الرواية الصحيحة ليس كما يدعى بعض الناس.

٣- عن هانئ بن هانئ، عن على قال: الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبى ﷺ ما كان أسفل ذلك[7].

---

(١) سير أعلام النبلاء فيه انقطاع ضعيف جدًا وقوله: أيها معناه التحريض والتشجيع والاستحسان، والأصل فيها أنها للكف انظر سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٤).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، ص (٢٠٩ - ٢١٦).

(٣) المصدر نفسه، ص (٢١٦).

(٤) الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٢٤٥) أخرجه البخارى، رقم (٣٥٤٤) إسناده صحيح.

(٥) البخارى، رقم (٣٧٥٠).

(٦) الطبقات، الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٢٤٧) إسناده صحيح.

(٧) الطبقات، الطبقة الخامسة (١/ ٢٤٧) إسناده ضعيف.

٤- عن عاصم بن كليب، قال: حدثنى أبى، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من رآنى فى النوم فقد رآنى، فإن الشيطان لا ينتحلُنى». قال أبى: فحدثته ابن عباس وأخبرته أنى قد رأيته[١]، قال: رأيته؟ قلت: أى والله لقد رأيته، قال: فذكرت الحسن بن على؟ قال: إى والله، لقد ذكرته وتَفيّئه[٢] فى مشيته[٣]. قال ابن عباس: إنه كان يُشبهُهُ[٤].

٥- عن البهى مولى الزبير قال: تذاكرنا من أشبه النبى ﷺ من أهل بيته؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به، أحبهم إليه، الحسن بن على، رأيته يجئ وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال: ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل، ولقد رأيته يجئ وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر[٥].

٦- قال: قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهرى أخبرنى أنس قال: لم يكن أحد أشْبَه بالنَّبى ﷺ من الحسن بن على[٦]، وعنه قال: كان الحسن بن على من أشبههم وجهًا بالنبى ﷺ[٧].

٧- عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها أتت بالحسن والحسين إلى رسول الله ﷺ فى شكواه الذى توفِّى فيه، فقالت: يا رسول الله هذان ابناك، فورِّثهما شيئًا. فقال: «أما الحسن فله هيبتى وسُؤْدُدِى، وأمّا حُسينٌ فله جُرأتى وجُودِى»[٨].

٨- وعن أبى مليكة قال: كانت فاطمة رضى الله عنها تنقر الحسن وتقول: بنى شبيه رسول الله ﷺ ليس بشبيه على[٩] رضى الله عنهما.

---

(١) أى رأى النبى ﷺ فى المنام.

(٢) تفيئه: أى تحريكه يمينًا وشمالاً انظر: لسان العرب (١/ ١٢٥).

(٣) الطبقات، الطبقة الخامسة (١/ ٢٤٨).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٤٨) إسناده حسن.

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٤٩) إسناده ضعيف.

(٦) الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوى، ص (٢٦٣).

(٧) ذخائر ذوى القربى، ص (٢٢١).

(٨) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص (٢٨٧) قال الشيخ عثمان الخميس: فى ضوء دراسة إسناد الحديث تبين أنه ضعيف جدًا لمكان محمد بن حميد وإبراهيم بن على، ص (٢٨٩).

(٩) مجمع الزوائد (٩/ ١٧٦) مرسل وفيه زمعة بن صالح وهو لين.

٩- وممن يشبه برسول الله ﷺ: جعفر بن أبى طالب، والحسن بن على، وأبو سفيان بن الحارث، وقثم بن العباس، والسائب بين عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب[١].

١٠- عن أبى إسحاق أنه سمع هبيرة بن يَرِيم أنه سمع عليًا رضى الله عنه يقول: من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى وجهه وشعره فلينظر إلى الحسن بن على، ومن سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى كعبه خلقًا فلينظر إلى الحسين بن على رضى الله عنهما[٢].

ثالثًا: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة:

١- عن حذيفة قال: سألتنى أُمِّى: منذ متى عهدك بالنَّبىِّ ﷺ؟ قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا. قال: فنالت منِّى وسبَّتنى. قال: فقلت لها: دَعينى فإنِّى آتى النَّبىَّ ﷺ فأُصلى معه المغرب، ثمَّ لا أدعه حتّى يستغفر لى ولك، قال: فأتيت النبى ﷺ فصليت معه المغرب، فصلَّى النبى العشاء ثم انفتل فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب، فاتبعته فسمع صوتى فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة. قال: ما لك؟ فحدثته بالأمر، فقال: غفر الله لك ولأُمِّك، ثم قال: أمّا رأيت العارض الذى عرض لى قُبَيلُ؟ قال: قلت: بلى. قال: فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربَّه أن يُسلم علىَّ ويبشرنى أن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[٣].

٢- عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة[٤].

٣- عن الحكم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة عيسى ويحيى

---

(١) التبيين فى أنساب القرشيين، ص (١٠٢).

(٢) الشريعة للأجرى (٥/٢١٤٦).

(٣) مسند أحمد (٥/٣٩١) الحديث فيه المنهال بن عمرو تكلم فيه بعضهم لترك شعبة له ولكنه مقبول الحديث على الصحيح، ثم هو قد توبع من قبل عدى بن ثابت وعاصم وهما وإن كان فى الطريقين عنهما كلام إلا أنه يمكن أن يقوى بعضهما انظر: الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص (١٧٦).

(٤) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص (١٨٢) حسن لغيره.

ابن زكريا **عليهما السلام**[١]، وقد قام الشيخ عثمان الخميس بدراسة طرق هذا الحديث وبين أنه روى عن ستة عشر صحابيًا[٢]، وقال: والحديث سئل عنه أحمد ابن حنبل، فقال: صحيح[٣]، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية، وقال: فى أسانيده كلها ضعف[٤]، وقال الذهبى: روِىَ من وجوه يُقوِّى بعضها بعضًا[٥]. ثم قال عثمان الخميس: والذى يظهر لى أنه يمكن الجمع بين أقوال هؤلاء الأئمة، فهو كما قال الحافظ ابن كثير: فى أسانيده كلها ضعف. انتهى، وبعضها حسن وبعضها حسن لغيره، فيقوىٍّ بعضها بعضًا، كما قال الحافظ الذهبى، وبالتالى فهو صحيح كما قال الإمام أحمد ولكن لغيره[٦] والله أعلم.

رابعًا: هما ريحانتاىَ من الدنيا:

عن أبى نُعيم، قال: سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المُحْرِم - قال شعبة أحسبه يقتل الذباب - فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبى ﷺ: **هما ريحانتاىَ من الدنيا**[٧]، وعن الحسن، عن أبى بكرة قال: رأيت الحسن والحسين رضى الله عنهما يثبان على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلى فيمسكهما بيده حتى إذا استقر على الأرض تركهما، فلما صلى أجلسهما في حجره ثم مسح رؤوسهما، ثم قال: **إن ابنَّى هذين ريحانتاى من الدنيا** ثم أقبل على الناس فقال: **إن ابنى هذا سيد، وأرجو أن يصلح الله عز وجل به بين فئتين عظيمتين فى آخر الزمان**[٨]، قال محمد بن الحسين الآجرى: يعنى به الحسن رضى الله عنه[٩]، وعن أبى بكرة قال: كان النبى يصلى، فكان إذا سجد جاء الحسن فركب ظهره، فكان النبى ﷺ إذا رفع رأسه أخذه فوضعه على الأرض

---

(١) الشريعة للأجرى (٥/ ٢١٤٤) إسناده حسن.

(٢) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص (٢١١).

(٣) السؤال، رقم (١٢٤) المنتخب من العلل للخلال، لابن المقدسى.

(٤) البداية والنهاية (٨/ ٢٠٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٣).

(٦) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص (٢١٢).

(٧) البخارى، رقم (٣٧٥٣).

(٨) صحيح ابن حبان، رقم (٦٩٦٤).

(٩) الشريعة للأجرى، ص (٢١٥٧).

وضعًا رفيقًا، فإذا سجد ركب ظهره، فلما صلى أخذه فوضعه فى حجره، فجعل يقبله، فقال له رجل: أتفعل بهذا الصبى هكذا؟ فقال: إنهما ريحانتاى، وعسى الله عز وجل أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[1].

خامسًا: سيادته فى الدنيا والآخرة:

أعلن رسول الله ﷺ مكانة الحسن بن على رضى الله عنه وبيّن جلالة قدره، على مرأى ومسمع من الناس فى غير ما مرة، وقد تواترت الروايات بقوله ﷺ عن الحسن: «وإن ابنى هذا سيد».

قال ابن عبد البر: وتواترت الآثار الصحاح عن النبى ﷺ أنه قال فى الحسن بن على: إن ابنى هذا سيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين[2]، ورواه جماعة من الصحابة، وفى حديث أبى بكرة فى ذلك: وأنه ريحانتى من الدنيا، ولا أسود ممن سماه رسول الله ﷺ سيدا[3]. وعن أبى بكرة قال: سمعت النبى ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[4]، فهذا الحديث فيه منقبة للحسن رضى الله عنه فقد أخبر النبى ﷺ بأنه سيد. قال ابن الأثير: قيل: أراد به الحليم لأنه قال فى تمامة: وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[5]. وجاء فى تحفة الأحوذى «فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل بل هو الرئيس على القوم والجمع سادة وهو مشتق من السؤدد وقيل من السواد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس: أى الأشخاص الكثيرة، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين تثنيه فئة وهى الفرقة[6]، ووصفه عليه الصلاة والسلام للفئتين بالعظيمتين، كما فى رواية عند البخارى[7]، لأن المسلمين كانوا يومئذ

(١) الشريعة للآجرى، ص (٢١٥٧) إسناده حسن.

(٢) مسند أحمد (٥/ ٥١) والبخارى بنحوه (٣/ ٢٤٤).

(٣) الاستيعاب (١/ ٤٣٧).

(٤) البخارى، فضائل الصحابة، رقم (٣٧٤٦).

(٥) النهاية فى غريب الحديث (٣/ ٤١٧).

(٦) تحفة الأحوذى (١/ ٢٧٧).

(٧) البخارى، فضائل الصحابة، رقم (٣٧٤٦).

فرقتين فرقة مع الحسن رضى الله عنه وفرقة مع معاوية، وهذه معجزة عظيمة من النبى ﷺ حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر، وأصل القضية أن علىّ بن أبى طالب لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادى يوم الجمعة وليلة السبت وتوفى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة وبويع لابنه الحسن بالخلافة فى شهر رمضان من هذه السنة، وأقام الحسن أيامًا مفكرًا فى أمره، ثم رأى اختلاف الناس فرقة من جهته وفرقة من جهة معاوية ولا يستقيم الأمر، ورأى النظر فى إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر فى حقه سلم الخلافة لمعاوية فى الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وقيل: فى ربيع الآخر وقيل: فى غرة جمادى الأولى، وكانت خلافته ستة أشهر إلا أيامًا وسمى هذا العام عام الجماعة وهذا الذى أخبر به النبى ﷺ: «**لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين**»(١). فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن على فإنه ترك الملك لا قلة ولا ذلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.

عن سعيد بن أبى سعيد قال: كنا مع أبى هريرة جلوسًا، فجاء الحسن بن على ابن أبى طالب، فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا الحسن بن على قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدى، فقلت له: تقول يا سيدى؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لسيد(٢). وعن جابر بن عبد الله أنه قال: من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب الجنة، فلينظر إلى الحسن بن على(٣). وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين فى الجنة جمع غفير من الصحابة، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله ﷺ بذلك مرة بعد مرة، أو فى محافل جامعة، وممن جاء عنهم، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وأسامة بن زيد، وقرة بن إياس، ومالك بن الحويرث، والبراء بن عازب، وأبو هريرة رضى الله عنهم وغيرهم(٤).

---

(١) فتح البارى (١٣/ ٦٦).

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ١٦٩) وقال: صحيح، وأقره الذهبى والطبرانى، رقم (٢٥٩٦) وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٧٨): رجاله ثقات.

(٣) صحيح ابن حبان (١٥/ ٤٢١، ٤٢٢) مناقب الحسن، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية وذكر إسناده وقال: لا بأس به.

(٤) روايات هذه الأحاديث فى مجمع الزوائد (٩/ ١٨٣) والمعجم الكبير (٣/ ٢٤) والدوحة النبوية الشريفة، ص (٨١).

سادسًا: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبىّ ﷺ يُعوِّذُ الحسن والحسين ويقول: إنّ أباكما - أى إبراهيم عليه السلام - كان يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة[(١)] ومن كل عين لامّة[(٢)]، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين يقول: أُعيذُكُما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة، ويقول: وهكذا كان إبراهيم يُعَوِّذُ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام[(٣)].

وهذا علاج يتفرد به الطب النبوى للأطفال، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل عند رسول الله ﷺ، وهذا ما فعله - ﷺ - مع الحسن والحسين[(٤)]، وفى هذا الحديث قيمة رفيعة حيث بين رسول الله ﷺ أهمية دعاء الوالدين لأبنائهم وما فيها من فوائد عظيمة منها، جلب الراحة والطمأنينة والحفظ والبركة للأبناء والآباء من جهة، ومن جانب آخر صرف الشر عنهم بإذن الله من الحسد والشيطان وهوام الأرض وفوق هذا كله، فإن الدعاء هو مخ العبادة كما قال رسول الله ﷺ، وفيه شعور بالفقر والالتجاء إلى الله وحده وهذا من أهم مقاصد الإسلام.

سابعًا: الأحاديث التى رواها الحسن بن على عن رسول الله ﷺ:

إن مما اتفق عليه المسلمون أن أصول العلم والمعرفة التى توصل إلى مرضاة الحق سبحانه وتعالى القرآن الكريم، وما ثبت من أقوال وأفعال وتقريرات الحبيب المصطفى ﷺ وهذا ما يعرف بالسنة النبوية، وهى لا تُعْرَفُ عبر الحقب والأجيال إلا بالنقل والرواية والأخبار، وقد اتجه أهل العلم والمعرفة إلى ضبط أسماء الرواة ومعرفتهم، ثم البحث عن سيرهم وأحوالهم، ليخلصوا إلى التأكد من أمرين اثنين وإعطاء كل راوٍ قدره فى ميزانهما:

---

(١) هامّة: كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها.

(٢) لامّة: هى التى تصيب ما نظرت إليه بسوء، البخارى، رقم (٣٣٧١).

(٣) سنن الترمذى، رقم (٢٠٦٠) حديث حسن صحيح.

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، ص(٢٤٨).

١- العدالة: وهى استقامة السيرة، وصلاح الحال، والتقصِّى عن المحرمات بعد القيام بالواجبات، والتحلى بالمروءة وارتداء لبوسها السابغ.

٢- الضبط والاتقان للحديث المروى والنص المنقول، والوعى والاستيعاب له، حفظًا أو كتابة أو هما معًا، وهذا الذى تقدم حكم عام شامل لجميع الرواة ونقلة السنة النبوية، خلا الصحابة، رضوان الله عليهم لأنهم حملة الرسالة عن رسول الله ﷺ، وقد رباهم على عينه ونشأهم بكريم رعايته وعميق عنايته.

ولقد كان الأئمة من أهل البيت الكرام، رضوان الله عليهم محل تقدير علماء الحديث والرواية، فى الأخذ عنهم ما رووه عن رسول الله ﷺ، لما تمتعوا به من عدالة وإتقان، وأمير المؤمنين على رضوان الله عنه وابناه الحسن والحسين من جلَّة الصحابة فهم فوق التعديل والسؤال لكونهم من سادات الصحابة رضى الله عنهم. وأبو الحسن، أمير المؤمنين على رضى الله عنه روى له بقى بن مخلد الأندلسى المتوفى ٢٧٦هـ فى مسنده - وهو أوسع المسانيد فى الإسلام - خمسمائة وستة وثمانين حديثًا (٥٨٦)[١]. وروى له أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ فى مسنده المتداول بين أيدينا ثمانمائة وتسعة عشر حديثًا بتكرار الطرق (٨١٩)[٢]، وأخرج له أصحاب الكتب الستة: البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجة، ثلاثمائة واثنين وعشرين حديثًا (٣٢٢)[٣]، اتفق البخارى ومسلم على عشرين حديثًا منها (٢٠) وانفرد البخارى بتسعة (٩)، ومسلم بخمسة عشر حديثًا (١٥) وفى الأحاديث من المضامين والمعانى ما يتعلق بجميع وسائل الحياة: العقائد والأحكام والتفسير وغيرها[٤].

ويعتبر أمير المؤمنين علىّ أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله ﷺ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء، وكثرة الرواة عنه، وانتشار طلبة العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال، ووقوع الأحاديث التى تقتضى البلاغ

---

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص(١٣٩) مقدمة مسند بقى بن مخلد، ص(٨٠).

(٢) مسند أحمد (١/ ١٦٤).

(٣) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزى (٧/ ٣٤٦).

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص(١٤٠).

والرواية فى أمور كثيرة فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة(١)، وقد استفاد ابنه الحسن منه استفادة عظيمة، أما من جده ﷺ فقد توفى ﷺ والحسن صغير كما هو معلوم، فعقل عن رسول الله ﷺ أحاديث وأمورًا ذكرها منسوبة لرسول الله ﷺ كصغار الصحابة الآخرين، ابن عباس ومحمود بن الربيع، فقد حفظ الحسن عن جده وعن أبيه وأمه وحدَّث عنه ابنه الحسن بن الحسن، وسويد بن غفلة، وأبو الحوراء السعدى، والشعبى، وهبيرة بن بَرِيم، وأصبغ بن نُباته والمسيبُ بن نجبة(٢)، وقد روى له بقى بن مخلد فى مسنده عن رسول الله ثلاثة عشر حديثًا (١٣)(٣)، وروى له أحمد فى مسنده عشرة أحاديث (١٠)، وله فى السنن الأربعة ستة أحاديث(٤) وهذه الأحاديث منها:

١- **عن أبى الحوراء عن الحسن بن على قال:** علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى قنوت الوتر: «**اللهمَّ اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت، فإنك تقضى ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت**»(٥). ونرى هنا كيف حرص سيد البشر على تعليم الحسن محبة الله سبحانه وتعالى وعبوديته والتعلق بالله وحده لا شريك له، وهذه هى حقيقة التوحيد الخالص الذى يجب أن يحققه المسلم فى حياته ويربى عليه أبنائه.

٢- **عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن علىّ،** فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون بعلم، ولا يدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية، جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يُفتح له(٦).

---

(١) الدوحة النبوية الشريفة ص (١٤٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٤٦).

(٣) تلقيح أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير لابن الجوزى، ص (٣٦٩).

(٤) مسند أحمد (٣/١٦٧) تحقيق أحمد شاكر، مسند أهل البيت تحقيق عبد الله الليثى الأنصارى، ص(٢٥)، الدوحة النبوية، ص (١٤٢).

(٥) مسند أحمد (٣/١٦٨) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٦) مسند أحمد (٣/١٦٧، ١٦٨) إسناده صحيح.

٣- عن عمرو بن حبشى قال: خطبنا الحسن بن على بعد قتل على فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس، ما سبقه الأوّلون بعلم، ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف حتى يفتح له، وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه، كان يرصدها لخادم أهله(١).

٤- عن محمد بن على عن الحسن بن على: أنه مرّ بهم جنازة، فقام القوم ولم يَقُمْ، فقال الحسن: ما صنعتم؟ إنما قام رسول الله ﷺ تأذيًا بريح اليهودى(٢).

٥- عن أبى الحوراء السعدى قال: قلت للحسن بن على: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: أذكر إنى أخذت تمرة من تمر الصدقة، فألقيتها فى فمى، فانتزعها رسول الله ﷺ بلعُابها فألقاها فى التمر، فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه التمرة؟ قال: إنا لا نأكل الصدقة، قال: وكان يقول: **دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**، قال: وكان يعلمنا هذا الدعاء: **اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، إنه لا يَذِلّ من واليت، وربما قال: تباركت ربنا وتعاليت**(٣).

ومن خلال حديث رسول الله ﷺ يتضح أن آل بيت رسول الله ﷺ لا تحل لهم الصدقة، والصدقة نوعان، صدقة الفرض، وهى الزكاة، وصدقة التطوع، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. قال المفسرون: هى الزكاة أى الصدقة المفروضة، وليس هناك خلاف فى أن الصدقة بنوعيها لا تحل لرسول الله ﷺ، وصدقة الفرض، كما تحرم عليه ﷺ، تحرم على آله رضوان الله عليهم، ولكن فى حرمة صدقة التطوع على آل البيت خلاف، فللشافعى رضى الله عنه فيها قولان، أصحهما بالحرمة، وسبب حرمة الصدقة أو الزكاة على آل البيت الطاهرين أو ضحه الحبيب المصطفى ﷺ، فى حديث شريف طويل، نأخذ منه قوله ﷺ: «**إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد، إنما هى أوساخ الناس**»(٤)، قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث فى صحيح

---

(١) مسند أحمد (٣/ ١٦٧، ١٦٨) إسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد (٣/ ١٦٧، ١٦٩) إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٣) مسند أحمد (٣/ ١٦٧، ١٦٩) إسناده صحيح.

(٤) مسلم رقم (١٠٧٢).

مسلم: ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فهى كغسالة الأوساخ، وفى هذا تنزيه لهم، وإعلاء لمكانتهم، والتنويه بطهارتهم[١]، رضى الله عنهم، ولهذا لم يكونوا يأخذون شيئًا من الصدقات فى عهد رسول الله ﷺ، ولا بعد ذلك، وكانوا يأخذون نصيبهم من خُمس الغنائم، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الأنفال: ٤١]. قال المفسرون قوله تعالى: ﴿ وَلِلرَّسُولِ ﴾، أى سهم من الخمس يعطى لرسول الله ﷺ، ولذى القربى، وقد اختلف العلماء فى المراد بالآل فى الزكاة وفى تحديدهم إلى قولين:

أ- ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد فى رواية إلى أنهم بنو هاشم فقط وهم آل على، وآل العباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب، ولم يدخل فيهم أبو لهب فيجوز الدفع إلى بنيه، لأن حرمة الصدقة لبنى هاشم كرامة من الله تعالى لهم ولذريتهم حيث نصروا النبى ﷺ فى جاهليتهم وإسلامهم، أما أبو لهب فكان حريصًا على أذى رسول الله ﷺ فلم يستحقها بنوه[٢]، وقال بعض علماء الحنابلة: ويدخل فيهم آل أبى لهب لأنهم من سلالة هاشم[٣]، وكيف لا يدخلون وقد أسلم من أبناء أبى لهب عتبة ومعتب يوم الفتح، وسر النبى ﷺ بإسلامهما ودعا لهما وشهدا معه حنينًا والطائف ولهم عقب عند أهل النسب[٤].

ب- **ويرى الشافعى أنهم بنو هاشم وبنو المطلب**: واستدل على ذلك بما يلى:

* أن النبى ﷺ أعطى سهم ذوى القربى من الخمس لبنى هاشم وبنى المطلب ولم يعط أحدًا من قبائل قريش غيرهم، كما أخرج البخارى من حديث جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله فقلنا: يا رسول الله أعطيت بنى عبد المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال النبى ﷺ:

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (٧/ ١٨٣ - ١٨٧).

(٢) شرح فتح القدير لابن الهمام (٢/ ٢٧٢ - ٢٧٤)، المنتقى للباجى (٢/ ١٥٣)، نيل الأوطار (٤/ ١٧٢).

(٣) الإنصاف للمرداوى (٣/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٤) التبيين فى أنساب القرشيين، ص(١٤٣).

إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد[١]. ووجه الدلالة من الحديث أن بنى المطلب مع بنى هاشم فى سهم ذوى القربى، وهم آله، فدل على أن بنى المطلب آل النبى ﷺ أيضًا، وعلى أن الزكاة تحرم عليهم وأن هذه العطية إنما هى عوض عما حرموه من الصدقة، وبالتالى فإن هذا الحكم (منع الزكاة) يتعلق بذوى القربى، كاستحقاق الخمس فوجب أن يستوى فيه الهاشمى والمطلبى[٢]، وعن الإمام أحمد فى بنى المطلب روايتان:

إحداهما: تحرم عليهم الزكاة لقول النبى ﷺ: **إنا وبنو المطلب لم نفترق فى جاهلية ولا إسلام إنما نحن شيء واحد**[٣]. وفى لفظ رواه الشافعى فى مسنده: «**إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه**»[٤]، ولأنهم يستحقون من خمس الخمس فلم يكن لهم الأخذ من الزكاة كبنى هاشم.

ثانيتهما: لهم الأخذ منها وفقًا لمذهب أبى حنيفة ومالك لدخولهم فى عموم قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**﴾ [التوبة: ٦٠]. لكن خرج بنو هاشم لقوله ﷺ: **إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**[٥]، فيختص المنع بهم[٦]، وقالوا: إن قياس بنى المطلب على بنى هاشم غير صحيح لأن بنى هاشم أقرب إلى النبى ﷺ وأشرف، وأما مشاركتهم لهم فى خمس الخمس فلم يستحقوا ذلك بمجرد القرابة، بل لنصرتهم لرسول الله ﷺ والنصرة لا تقتضى المنع[٧].

وقد تحدث الفقهاء عن حكم دفع الزكاة إليهم فى حال منعهم من خمس الخمس، فإذا لم يعطوا حقهم من خمس الخمس لخلو بيت المال من الفئ أو الغنيمة، أو لاستيلاء الظلمة واستبدادهم بهما، فقد قال بعض العلماء من المتقدمين

---

(١) البخارى ك فرض الخمس، رقم (٣١٤٠).

(٢) معالم السنن للخطابى (٢/ ٧١)، الأم للشافعى (٢/ ٦٩)، المجموع للنووى (٦/ ٢٤٤)، العقيدة فى أهل البيت، ص(١٨١).

(٣) سنن أبى داود، الإمارة، رقم (٢٩٨٠).

(٤) سنن النسائى، رقم (٤١٣٧).

(٥) مسلم، رقم (١٠٧٢).

(٦) العقيدة فى أهل البيت، ص(١٨١).

(٧) المغنى لابن قدامة (٤/ ١١١، ١١٢).

والمتأخرين أنهم يعطون من الزكاة، فقد رُوى عن الإمام أبى حنيفة أنه يجوز الدفع إلى بنى هاشم فى زمانه، لأن عوضهما وهو الخمس لم يصل إليهم، وإذا لم يصل إليهم العوض (الخمس) عادوا إلى المعوض (الزكاة[1])، وقال بعض المالكية: إذا حرموا حقهم من بيت المال وصاروا فقراء جاز أخذهم وإعطاؤهم من الزكاة[2]، وفى ذلك يقول أبو بكر الأبهرى[3]: قد حلت لهم الصدقات فرضها ونقلها[4]، وقال أبو سعيد الاصطخرى من الشافعية: إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم، إنما حرموا الزكاة لحقهم فى خمس الخمس، فإذا منعوا منه وجب أن يدفع إليهم[5]، وذلك لحديث: إن لكم فى خمس الخمس ما يكفيكم، أو يغنيكم[6]، فجعلوا الغنى عن الزكاة بخمس الخمس، فإذا عدم زال الغنى، فخمس الخمس علة لاستغنائهم وشرط لمنعهم، فإذا زال الشرط انتفى المانع، وقال بعض علماء الحنابلة: يجوز الأخذ من الزكاة إذا منعوا من خمس الخمس لأنه محل حاجة وضرورة[7]، واختاره ابن تيمية[8].

٦- **حدثنا ربيعة بن شيبان أنه قال للحسن بن على**: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: «**أدخلنى غرفة الصدقة، فأخذت منها تمرة فألقيتها فى فمى، فقال رسول الله ﷺ: ألقها فإنها لا تحل لرسول الله ولا لأحد من أهل بيته**»[9] ﷺ.

٧- **حدثنا بُريدة بن أبى مريم عن أبى الحوراء** قال: كنا عند الحسن بن على، فسُئِل: ما عَقَلْتَ من رسول الله ﷺ؟ أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: كنت أمشى

---

(١) حاشية ابن عابدين (٢/ ٩١).

(٢) بلغة السالك (١/ ٢٣٢) حاشية الدسوقى (١/ ٤٥٢، ٤٥٣).

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن محمد صالح أبو بكر التميمى شيخ المالكية فى العراق توفى ٣٧٥هـ: انظر شذرات الذهب (٣/ ٨٥، ٨٦).

(٤) المنتقى للباجى (٢/ ١٥٣).

(٥) المجموع للنووى (٦/ ٢٤٤ - ٢٤٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٣) قال ابن كثير: حديث حسن الإسناد.

(٧) الإنصاف للمرداوى (٣/ ٢٥٥) وكشاف القناع للبهونى (٢/ ٢٩١).

(٨) الاختيارات (١٠٤)، العقيدة فى أهل البيت، ص(١٨٦).

(٩) مسند أحمد (٣/ ١٧٠) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

معه فمر على جَرِين من تمر الصدقة، فأخذت تمرة فألقيتها فى فمى، فأخذها بلعابى، فقال بعض القوم: وما عليك لو تركتها؟ قال: إنا آل محمد لا تحلُّ لنا الصدقة، وعقلت منه الصلوات الخمس(١).

٨- **عن أيوب بن محمد:** أن الحسن بن على وابن عباس رأيا جنازة، فقام أحدهما وقَعد الآخر، فقال الذى قام: ألم يَقمْ رسول الله ﷺ؟ وقال الذى قعد: بلى وقعد(٢).

هذه بعض الأحاديث التى رواها الحسن بن على رضى الله عنهما عن جده ﷺ

ويعتبر الحسن بن على رضى الله عنه من علماء الصحابة المفتين، وهو من ضمن الطبقة الثالثة، فقد قسم المحدِّثون علماءَ الصحابة إلى ثلاث طبقات، وذلك نظراً إلى قلة أو كثرة فتاواهم، قال ابن القيم رحمه الله: كانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط.

أ- **المكثرون من الفتيا:** والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مئة ونيف وثلاثون نفسًا ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم؛ قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع فى فتوى كل واحد منهم سفر ضخم، قال: وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا ابن عباس رضى الله عنه فى عشرين كتابًا، وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام فى العلم والحديث.

ب- **المتوسطون فى الفتيا:** قال أبو محمد: والمتوسطون منهم فيما روى عنهم من الفتيا أبو بكر الصديق، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدرى، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم.. إلخ.

---

(١) مسند أحمد (٣/ ١٧٠) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

(٢) مسند أحمد (٣/ ١٧١) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

جـ- **المقلّون فى الفتيا**: والباقون منهم مقلّون فى الفتيا، ولا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلك.. وهم أبو الدرداء، وأبو اليسر، وأبو سلمة المخزومى، وأبو عبيدة بن الجراح، والحسن والحسين ابنا على ابن أبى طالب، والنعمان بن بشير، وأبى بن كعب، وأبو أيوب، وأبو طلحة، وأبو ذر، وأم عطية، وصفية أم المؤمنين، وحفصة، وأم حبيبة رضى الله عنهم أجمعين(١).

ثامنًا: صفة رسول الله ﷺ، كما يرويها الحسن بن على:

١- **عن الحسن بن على عن خاله هند بن أبى هالة** قال: كان رسول الله ﷺ متواصل(٢) الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السكت لا يتكلم من غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه(٣)، ويتكلم بجوامع الكلم(٤)، كلامه فصل(٥)، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافى(٦) والمهيمن(٧)، يعظم النعمة وإن دقت(٨)، لا يذم منها شيئًا، غير أنه لم يكن يذم ذواقًا(٩)، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا مكان لها(١٠)، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح(١١)، وإذا فرح غض طرفه، جُل(١٢) ضحكه التبسم،

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٢، ١٣)، سيرة عائشة، سليمان الندوى، ص (٣٢٧).

(٢) أى لا ينفك حزن عن حزن يعقبه.

(٣) جمع شدق بالكسر طرف الفم أى أنه يستعمل جميع فمه للتكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين كفعل المتكبرين.

(٤) أى بكلمات قليلة الحروف جامعة لمعان كثيرة وقيل: الجوامع القواعد الكلية المحتوية على الفروع المتكثرة.

(٥) الفاصل بين الحق والباطل.

(٦) الجافى: الغليظ الطبع السيئ الخلق العديم البر.

(٧) المهيمن: لم يكن غليظ الخلق ولا ضعيفه بل كان معتدلاً، من أنواع المهابة والوقار والجلالة.

(٨) صغرت وقلت.

(٩) المأكول والمشروب فعال بمعنى المفعول من الذوق.

(١٠) أى ولا يغضبه أيضًا ما كان له علاقة بالدنيا.

(١١) جد فى الإعراض وبالغ فيه.

(١٢) معظمه أو أكثره.

(١٣) من افتر ضحك ضحكًا حسنًا حتى بدت أسنانه من غير قهقهة.

يفتر[١٣] عن مثل حب الغمام[١]، وكان فخمًا[٢] مفخمًا[٣] يتلألأ[٤] وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، مسيح[٥] القدمين ينبو[٦] عنهما الماء، إذا زال[٧] زال قلعًا يخطو تكفيّا[٨]، ويمشى هونًا ذريع المشية[٩]، إذا مشى كأنما ينحط من صبب[١٠]، وإذا التفت التفت جميعًا[١١]، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة[١٢]، يسوق أصحابه، يبدأ من لقى بالسلام[١٣].

٢- وعن الحسن بن على عن الحسين بن على عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جاء وصف النبى كالتالى: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا[١٤] ولا صاخبًا[١٥] فى الأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح[١٦]. ما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ولا ضرب خادمًا، ولا امرأة، ما رأيته منتصرًا من مظلمة ظُلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء، فإذا انتهك من محارم الله تعالى كان من أشدهم غضبًا، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وإذا دخل بيته كان بشرًا من البشر يفلى[١٧] ثوبه، ويحلب شاته،

---

(١) أى البرد.

(٢) أى عظيمًا فى نفسه.

(٣) أى المعظم فى الصدور والعيون.

(٤) يتلألأ: أى يستنير.

(٥) مسيح: أملسهما.

(٦) ينبو: يتباعد ويتجافى.

(٧) أى رفع رجله عن الأرض رفعًا بائنًا بقوة لا كمن يمشى ويقارب خطاه تبخترًا.

(٨) جملة مؤكدة لما قبلها وهو بكسر الفاء المشددة بعدها ياء أى يمشى مائلاً إلى سنن المشى لا إلى طرفيه، يقال يتكفأ أى يتمايل إلى قدام.

(٩) أى سريعها.

(١٠) أى محل منحدر.

(١١) أى لا يسارق النظر.

(١٢) وهى مفاعلة من اللحظ وهو النظر باللحاظ يقال: لحظه ولحظ إليه.

(١٣) مختارات من أدب العرب لأبى الحسن الندوى، ص(١٣).

(١٤) أى ولا المتكلف به أى لم يكن الفحش له خلقيًا ولاكسبيًا.

(١٥) صاخبًا: صيَّاحًا.

(١٦) صفح عنه: أعرض عنه وتركه، بابه فتح.

(١٧) فلا يفلى فليًا رأسه أو ثوبه: نقاهما من القمل.

ويخدم نفسه، كـان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفـهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليـهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غـير أن يطوى على أحد منهم بشره[١]، ولا خلقه، ويتـفقد[٢] أصحـابه ويسأل عمـا فى الناس، ويحسّن الحسن ويقويه، ويقبـح القبيح ويوهيه[٣]، معتـدل الأمر غير مخـتلف، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا ويملوا، لكل حال عنده عتاد[٤]، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة[٥] ومؤازرة[٦]، لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حـيث ينتهى به المجـلس ويأمر بذلك، يعطى كل جلسـائه بنصيـبه، لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم علـيه منه، من جالسه أو فاوضه[٧] فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجته لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقـه فصـار لهم أبًا، وصاروا عنده فى الحـق سواء، مجلـسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن[٨] فيه الحرم ولا تنثى[٩] فلتاته[١٠]، معادلين[١١] يتفاضلون فيـها بالتقوى، متواضعـين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب[١٢].

٣- عن الحـسن بن على عن الحـسـين بن على عن على رضـى الله عنهم ملتـقطًا من جزء الشمائل للترمذى: كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب[١٣]، ليس بفظ[١٤]،

(١) بشره: بالكسر طلاقة الوجه وبشاشته.
(٢) يتفقد: يتعرف ويطلب من غاب منهم.
(٣) يوهيه: يضعفه.
(٤) العتاد: هو العدة والتأهب مما يصلح لكل ما يقع أعتُد وعَتد وأعتدة.
(٥) هى إصلاح أحوال الناس بالمال والنفس.
(٦) مؤازرة: المعاونة.
(٧) فاوضه: عامله فى حاجة أو خالطه.
(٨) ولا تؤبن: هو العيب والتهمة أى لا تقذف ولا تعاب.
(٩) ولا تنثى: لا تشاع ولا تذاع.
(١٠) فلتاته: زلاته ومعائبه على تقدير وجود وقوعها جمع فلتة.
(١١) متعادلين: متساوين.
(١٢) مختارات من أدب العرب لأبى الحسن الندوى ص١٥.
(١٣) أى سريع العطف كثير اللطف، جمـيل الصفح، وقيل: قليل الخلاف وقيل: كناية عن السكون والوقار والخشوع والخضوع.
(١٤) الغليظ السيئ الخلق الخشن الكلام.

ولا غليظ ولا صخاب ولا فحّاش ولا عياب ولا مشاح[١]، يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه ولا يجيب[٢] فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء[٣]، والإكبار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدًا ولا يعيبه ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق[٤] جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم[٥]، يضحك مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه[٦]، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ[٧]، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهى أو قيام، أجود الناس صدرًا وأصدق الناس لهجة[٨]، وألينهم عريكة[٩]، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه ويقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[١٠].

تاسعًا: آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وأما حديث الكساء، فقد روت عائشة رضى الله عنها، فقالت: خرج النبى ﷺ غداة وعليه مرط مرحل[١١]، فأدخل عليًا وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم، قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ

(١) اسم فاعل من باب المفاعلة من الشح وهو البخل وقيل: أشده.
(٢) أي لا يجيب أحدًا فيما لا يشتهى بل يسكت عنه عفوًا وتكرمًا.
(٣) الجدال.
(٤) أمالوا رأسهم وأقبلوا ببصرهم إلى صدروهم.
(٥) أى حديث أفضلهم أو كأول تكلمهم أى لا عن ملالة وسآمة.
(٦) الإرفاد: الإعطاء والإعانة..
(٧) أى من مقارب فى منحه غير مجاوز به عن حد مثله ولا مقصر به عما رفعه الله إليه من علو مقامه.
(٨) اللسان. (٩) الطبيعة.
(١٠) مختارات من أدب العرب لأبى الحسن الندوى، ص (١٦) نقلاً عن الشمائل للترمذى.
(١١) كساء من خز أو صوف أو كتان لسان، العرب (٧/ ٤٠١) والمرحل: نقش فيه تصوير الرحال.

﴿الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وإن رواية عائشة للحديث تبين لنا كذب من يقول إن الصحابة يكتمون فضائل على، فهذه عائشة التى يدعون أنها تبغض عليًا هى التى تروى هذا الفضل لعلى وفاطمة(١) والحسن والحسين رضى الله عنهم.

إن الخطاب فى الآيات الكريمة كله لأزواج النبى ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣١] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبى ﷺ ومعهن الأمر والنهى والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما فى هذا من المنفعة التى تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبى ﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبى ﷺ يتعدى عليًا والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما فى حديث زيد بن أرقم وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس(٢).

وقد تعمد علماء الشيعة الإثنى عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآنى الذى جاءت فيه والذى خاطب الله به نساء النبى ﷺ إغفالاً لنساء النبى ﷺ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أم

---

(١) حقبة من التاريخ، ص (١٨٧).

(٢) مسلم، رقم (١٠٧).

المؤمنين عائشة، قالت: خرج النبى ﷺ غداة وعليه المرط[١] المرحل[٢] من شعر أسود فجاء الحسن بن على، فأدخله ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبى ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير[٣]، لتثبيت المعنى الذى يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة[٤]، ويرى علماء الشيعة أن فى آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء على وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها بل ومن الخطأ والسهو البشرى[٥]، ويعتقدون أن الحسن بن على هو الإمام الثانى المعصوم عندهم.

إن عصمة الإمامة عند الشيعة الإمامية شرط من شروط الإمامة وهى من المبادئ الأولية فى كيانهم العقدى ولها أهمية كبرى عندهم ونتيجة لما أضفاه الشيعة الرافضة على أئمتهم من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسئولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ فى أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة الرافضة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون فى كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر عنهم أى معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان[٦]، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء فى تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرع وتأديب الأنام معصومون، كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز

---

(١) مرط: يعنى كساء..

(٢) وهو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

(٣) سنن الترمذى، ك المناقب رقم: (٣٧٨٨).

(٤)، (٥) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٧٦).

(٦) دراسات عن الفرق د. أحمد جلى، ص (٢٠٣).

منهم سوء فى شىء من الدين ولا ينسون شيئًا من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب[1]، وقد تحدثت عن هذه العقيدة بنوع من التفصيل فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب[2]، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

وأما حجة الشيعة الإمامية فى آية التطهير فنقدها من وجوه:

أ- حديث أم سلمة السابق، فقد ورد بعدة صيغ:

فروى عن أم سلمة أنها قالت: كان النبى ﷺ عندى وعلى وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، وفى رواية أخرى: أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، وفى رواية أخرى: أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا. وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة فى دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[3]، وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أحاديث الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبى ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فى بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنًا وحسينًا، فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال:

---

(١) أوائل المقالات للمفيد، ص (٣٥).

(٢) أسمى المطالب سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (٢/ ٣٠٢).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٧٧).

أنت على مكانك وأنت على خير[١]، وهناك رواية هامة جـدًا رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت فى الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[٢]، ولعل التعليل فى ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع على بن أبى طالب تحت كساء واحد فلذلك أدخلها رسول الله ﷺ بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سـمعت أم سلمـة زوج النبى ﷺ حـين جاء نعى الحسـين بن على، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قـتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله، فإنى رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببـرمة قد وضعت فيها عصيـدة تحملها فى طبق لها، حتى وضعتهـا بين يديه، فقال لها: **أين ابن عمك؟** قالت: هو فى البيت، قال: **اذهبى فادعيـه وائتنى بابنيه**، قال: فجاءت تقود ابنيهـا كل واحد منهما بيد، وعلىّ يمشى فى إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ، فأجلسـهما فى حجرة وجلس علىٌ على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجـتبذ كساء خيبريًا كان بساطًا لنا على المنامة، فلفَّه رسول الله ﷺ فأخذ بشماله طرفى الكساء وألوى بيده اليـمنى إلى ربه عـز وجل، قـال: **اللهم أهل بيـتى أذهب عـنهم الرجس وطهـرهم تطهـيـرًا**، قلت: يا رسول الله ألسـت من أهلك؟ قال: **بلى فـادخلى فى الكسـاء**، فدخلت فى الكسـاء بعدما قـضى دعاءه لابن عمـه علىّ وابنيه وابنته فـاطمة[٣]، فشهد رسـول الله ﷺ لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها فى الـكساء بعد دعائه لهم[٤].

ب- ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصـمة والإمامة أن الخطاب فى الآيات لأزواج النبى ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهنّ:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ**

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٢٧) رقم (١٩٩٤) إسناده فيه ضعف وله طرق قوية.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٧٧).

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٢) رقم (١١٧٠) اسناده حسن.

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٧٨).

لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبى ﷺ ومعهن الأمر والنهى والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما فى هذا من المنفعة التى تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبى ﷺ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع فى اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أى امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

والمخاطب هنا أيضًا زوجة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥] فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطبًا النبى ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] ولا شك فى دخول زوجاته أو خديجة

(١) الإمامة والنص، فيصل نور، ص (٣٨٦).

رضى الله عنها على أقل تقدير فى الأهل، باعتبار أن السورة مكية[1]، وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا؟ أى زوجتك، وهذا بين[2].

جـ- إذهاب الرجس لا يعنى فى لغة القرآن معنى العصمة:

يقول الراغب الأصفهانى فى مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس، الرجس: الشىء القذر، قال: رجل رجسى، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [المائدة: ٩٠].. والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر.. وجعل الكافرين رجسًا من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٠٠].

قيل: الرجل النتن، وقيل: العذاب، وذلكم كقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] وقال: ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وبالجملة لفظ (الرجس) أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما فى قوله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠]، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات ونحو قوله: ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [المائدة: ٩٠]، ولم يثبت أن أستخدام القرآن لفظ (الرجس) بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون فى إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته[3].

د- التطهير من الرجس لا يعنى إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة (الرجس) لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه فى الاجتهاد وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية فإن كلمة التطهير لا تعنى

---

(١) الإمامة والنص، ص(٣٩١).

(٢) المصدر نفسه، ص (٣٩٣).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص(١٨١).

العصمــة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنيــن وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهيــر، فقد قال الله تعالى عن صحابة رسوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقــال عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكما أخبــر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهــل البيت أخبر كذلك بأنه يــريد تطهير المؤمنين فإن كان فــى إرادة التطهير وقوع للعصــمة لحصل هذا للصحــابة، ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١] ولم يكن فى هذا إثبات لعــصمته مع أنه لا فرق يذكر فى الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ليذهب عنكم الرجز أهل البــيت ويطهــركم تــطهــيراً وبــيّن قــوله فى أهل بدر: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ فالرجز والرجس متقاربان، ويطهركم فى الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذى جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى.

والعجــب فى علماء الشــيعة الرافــضة إنهم يــتمسكون بــالآية ويصرفونــها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهــير إلى إثبات عصمة أصحاب الكســاء ثم يتناســون فى الوقت نفــسه آيات أخــرى نزلت فى إرادة الله عــز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحــون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادته تطهيرهم بنص الآية[1]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾. [النور: ٤٠].

-الإرادة فى الآية إرادة شرعية، وهى غير الإرادة القدرية:

يعنى يحب الله أن يذهــب عنكم الرجس، وقــد تحــدث علمــاء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص(١٨٢).

- إرادة شرعية دينية: وهى تتضمن معنى المحبة والرضا، كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨].

- إرادة قدرية خلقية: وهى بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة فى قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿ وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤]، فالمعاصى إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التى تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التى لا يلزم منها المحبة والرضا[(١)]، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلى زوجات النبى ﷺ، ولكن الإرادة فى هذه الآية، إرادة شرعية ولذلك جاء فى الحديث أن النبى ﷺ لما جللهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى اللهم أذهب عنهم الرجس»[(٢)].

هـ- دعاء النبى ﷺ يحسم القضية:

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس»[(٣)]، بل فى هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت فى نساء النبى ﷺ، وأن رسول الله ﷺ أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الربانى عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم[(٤)]، فطهرهم كما طهر الله نساء النبى بنص الآية[(٥)].

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باعبد الله، ص (٣٨٧).
(٢) سنن الترمذى، ك مناقب أهل البيت، رقم (٣٧٨٧).
(٣) سنن الترمذى، ك مناقب أهل البيت، رقم (٣٧٨٧)، صححه الألبانى.
(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص(١٨٢).
(٥) أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين علىّ (٢/ ٣١٤).

و- من الردود الدالة على عدم دلالة الآية الإمامة والعصمة:

ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين على والحسن والحسين رضى الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رضى الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما فى الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضى الله عنها كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة المزعومين لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم[1] وهم:

- على بن أبى طالب رضى الله عنه.
- والحسن بن على رضى الله عنه.
- والحسين بن على رضى الله عنه.

عاشراً: آية المباهلة ووفد نصارى نجران:

جاء وفد نجران إلى رسول الله ﷺ.. فقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبى ﷺ: يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدًا[2]، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبى يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا، وتقول: إنه عبد الله، فقال: أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب، فإن كنت صادقًا فأرنا مثله؟ فأنزل الله الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]. فكانت حجة دامغة شبّه فيها الغريب بما هو أغرب منه[3]، فلما لم تجدِ معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى

(١) الإمامة والنص، ص (٣٨٧).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٣٣) سنده فيه ضعف.

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٢٩ - ٦٣٨).

المباهلة[1]، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وخرج النبى ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: **وإذا أنا دعوت فأمنوا**[2]، فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبى حقًا، وأنه ما باهل قوم نبيًا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفى حلة، ألف فى رجب، وألف فى صفر[3]. وهكذا يتضح المقصد الحقيقى لنزول الآية ومناسبتها وأنه ليس لها علاقة لا من قريب ولا من بعيد على ما ادعاه الشيعة على إمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنص، وقد رددت على زعمهم فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه[4]، فمن أراد التوسع فليرجع إليه.

حادى عشر: أثر التربية الأسرية على الحسن بن على رضى الله عنه:

نشأ الحسن بن على رضى الله عنه فى بيت النبوة وتربى على يدى جده ووالده على وأمه فاطمة رضى الله عنهما، فأخذ عن جده ووالديه مفاهيم الإسلام، ولهذه النشأة تأثير كبير فى بناء وتكوين شخصيته القوية التى التزمت بأوامر الإسلام واستقامت على تعاليمه، فالرسول ﷺ يقول: **الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام**[5]، فمعدن الحسن بن على نادر الوجود، لم ينشأ فى الجاهلية وإنما نشأ فى بيت النبوة، مما جعله يكون سيدًا بما تعنى هذه الكلمة من معنى، وقد اجتمع للحسن بن على من أصالة النسب والتربية الأسرية ما لم يجتمع لغيره من الناس.

فجده الحبيب المصطفى - ﷺ -.

وأبوه على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وأمه فاطمة الزهراء رضى الله عنها.

---

(١) السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/٥٤٧).

(٢)، (٣) السيرة النبوية لأبى شبهة (٢/ ٥٤٧).

(٤) أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٦).

(٥) البخارى، رقم (٣٣٨٣).

وجدته لأمه السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ تولى أمير المؤمنين على تربية الحسن والحسين وأشرف عليهما إشرافًا مباشرًا، وكانت شخصية أمير المؤمنين تتوافر فيها شروط الأب المربى ولا شك أنه فهم واستوعب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]. ومن الشروط الواجب توافرها فى الأب المربى المسئول هى:

١- الإخلاص والشعور بأهمية القضية والاهتمام بها:

فقد اهتم أمير المؤمنين على بتربية وتعليم الحسن والحسين وشمَّر عن ساعد الجد، وتعهدهم بالرعاية والاهتمام، ويكون هدفه من ذلك رضاء الله وثوابه والتقرب إليه بتربية علىّ أولاده على طاعة الله وهدى نبيه ﷺ.

٢- إعطاء القدوة الحسنة للأبناء:

تعتبر من أهم وسائل التربية إن لم تكن هى أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحة فى كيان الإنسان التى تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار(١)، يقول ابن خلدون: ويبدأ التقليد غايته فى سن الخامسة أو السادسة ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة(٢)، وكان أمير المؤمنين على قدوة عظيمة لابنه الحسن فهو من سادات الصحابة ومن الخلفاء الراشدين، وكان الحسن بن على يقلد أباه وأمه عن حب عميق.

٣- كان أمير المؤمنين على رحيمًا رفيقًا لينًا فى تربيته:

فقد كان أمير المؤمنين متحليًا بالرحمة والحلم، وكان رفيقًا ولينًا بالحسن والحسين فى تربيتهما ويعرف لهما فضلهما ومكانتهما من رسول الله ﷺ والسيدة فاطمة رضى الله عنها.

---

(١) مسئولية الأب، عدنان باحارث. ص (٦٥).

(٢) مقدمة ابن خلدون نقلاً عن موسوعة تربية الأجيال المسلمة، لنصر بن محمد العنقرى، ص(٨٦).

٤- التوسط في المعاملة والعدل بين الأبناء:

ويظهر هذا الخلق جليًا في وصيته للحسن والحسين عندما أصبح من الدنيا راحلاً ولأصحابه مفارقًا ولكأس المنية شاربًا، وقد اتبع أمير المؤمنين على رضى الله عنه التوجيهات القرآنية في تربيته وتعليمه وتوجيهه لأبنائه مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٣، ١٤].

والمقصود أن الهدى القرآنى اهتم بتذكير الأنبياء بتربية الأبناء، وحياة أمير المؤمنين على تطبيق لأوامر الله عز وجل، وابتعاد عن نواهيه، هذه بعض الصفات المهمة فى شخصية أمير المؤمنين على والتى ساعدته فى تربية ابنيه الحسن والحسين.

ثانى عشر: أثر الواقع الاجتماعى على تربية الحسن:

إن البيئة الاجتماعية المحيطة لها دور فعال ومهم فى صناعة الرجال وبناء شخصيتهم، فالحسن بن على رضى الله عنه عاش فى زمن ساد فيه الصحابة، والرعيل الأول الذى تربى على يدى رسول الله ﷺ، فهيمنت الفضيلة والتقوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريد، وكثر الإقبال على طلب العلم والعمل بالكتاب والسنة، فهذه الحالة دفعت الحسن بن على إلى الاستفادة والاقتداء بالمجتمع الذى يعيش فيه، فكان عدد الصحابة الذين استوطنوا المدينة فى حياة الرسول كمًا كبيرًا، واستمر عدد كبير فى المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وإن مجتمعًا عاش فيه الرسول ﷺ وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، لهو مجتمع لا يدانيه أى مجتمع آخر، فقد شاهد هذا المجتمع الوحى وصاحب الدعوة، ولازم رسول الله ﷺ، فكان لهذه الملازمة والصحبة آثار نفسية ومعان إيمانية وتعلق روحى[1]، فكان هذا المجتمع محل جذب الناس والتأثير فيهم بالسلوك والقول، وأن هذا المجتمع له قوة التأثير فى صياغة شخصية الحسن بن على التربوية والعلمية.

---

(١) الإمام الزهرى، شرّاب، ص (٢٦).

المبحث الرابع

الحسن بن على فى عهد الخلفاء الراشدين

أولاً: مكانة الحسن بن على فى عهد الصديق رضى الله عنه:

كان للحسن والحسين بن على رضى الله عنهما مكانة مرموقة لدى الصديق وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم جميعًا، فقد كانوا يحبونهما، ويتعاملون معهما، بشكل خاص، فبينما كان أبو بكر وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما يمضيان بعد صلاة العصر فرأى أبو بكر رضى الله عنه الحسن يلعب مع الغلمان، فأخذه أبو بكر فحمله على عنقه وقال:

بأبى شبيه النبى ليس شبيهًا بعلىّ

وعلىٌّ يبتسم[1]. وقد تأثر الحسن بن على بسيرة الصديق حتى أنه سمّى أحد أبنائه على أبى بكر، ولا يسمّى أحد من الناس أسماء على شخص معين إلا نتيجة حب ومعرفة مفصلة بسيرته، وقد تعلم الحسن بن على من عهد الصديق سواء فى حياته أو بعد وفاة أبى بكر أمورًا منها:

١ - هول فاجعة وفاة الرسول ﷺ وموقف أبى بكر منها:

قال ابن رجب: لما توفى رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومن اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية[2]، وقال ابن إسحاق: ولما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة فيما بلغنى تقول لما توفى النبى ﷺ: ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية، والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم[3]، وقال القاضى أبو بكر بن العربى: .. واضطربت الحال.. فكان موت النبى ﷺ قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فأما

---

(١) نسب قريش (١/ ٢٣)، البخارى (٥/ ٩٣).

(٢) لطائف المعارف ص١١٤.

(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ٣٢٣).

على فاستخفى فى بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر، وقال: ما مات رسول الله وإنما واعده ربه كما واعد موسى، وليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم[(١)]، ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مُغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين، أم الموتة التى عليك فقد متها[(٢)]، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال: اجلس يا عمر، وهو ماض فى كلامه، وفى ثورة غضبه، فقام أبو بكر فى الناس خطيبًا بعد أن حمد الله وأثنى عليه، فقال: أما بعد فإن من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، ثم تلاً هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فنشج الناس يبكون.

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعًا جميلاً، فالله هو الحى الذى لا يموت، وأنه وحده الذى يستحق العبادة، وأن الإسلام باق بعد موت محمد ﷺ[(٣)]، كما جاء في رواية من قول الصديق: إن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء وبه هدى الله محمدًا ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالى من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدنّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله فلا يبغين أحد إلا على نفسه[(٤)].

كان موت محمد ﷺ مصيبة عظيمة، وابتلاء شديدًا، ومن خلالها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد للأمة فذ لا نظير له ولا مثيل[(٥)]، فقد أشرق اليقين

---

(١) العواصم من القواصم ص (٣٨).

(٢) البخارى، ك المغازى - رقم (٤٤٥٢).

(٣) استخلاف أبى بكر الصديق - جمال عبد الهادى، ص(١٦٠).

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (٧/ ٢١٧).

(٥) دولة - مجدى حمدى، ص(٢٥، ٢٦).

فى قلبه وتجلى ذلك فى رسوخ الحقائق فيه، فعرف حقيقة العبودية، والنبوة، والموت، وفى ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته رضى الله عنه، فانحاز بالناس إلى التوحيد (من كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت) وما زال التوحيد فى قلوبهم غضًا طريًا، فما إن سمعوا تذكير الصديق لهم حتى رجعوا إلى الحق[1]، تقول عائشة رضى الله عنها: فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضى الله عنه فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها[2].

ولا شك أن هذه الحادثة أخذت مكانها الطبيعى فى ذاكرة الحسن بن على وأصبحت من ضمن ثقافته ومعرفته، فقد كان عمر الحسن عندما مضى رسول الله إلى الرفيق الأعلى سبع أو ثمانى سنين وهو طور تنمو فيه مدارك الطفولة، وتتكون فيه فكرة الطفل كالعدسة اللاقطة تنقل إلى ذاكرته كثيرًا من المشاهدات والصور، والحسن من الأطفال الأذكياء وله من الاستعداد لأن يستوعب مجريات ذلك العهد ويفهم الغايات السامية والأعمال العظيمة، والمواقف المشهودة والقيم الكبرى التى قام بها الصديق، ولقد أثرت تلك الأعمال والمواقف على نفسية الحسن وتملك قلبه حب الصديق وسمى أحد أبنائه عليه.

ومن أهم الدروس التى تعلمها الحسن من وفاة النبى ﷺ هى أن البقاء للمبادئ وليس للأشخاص، وأهمية التعلق بالله وحده فهو الباقى وهو النافع والضار وهو على كل شىء قدير.

٢- سقيفة بنى ساعدة:

لما علم الصحابة رضى الله عنهم بوفاة رسول الله ﷺ، اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة فى اليوم نفسه وهو يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم فى اختيار من يلى الخلافة من بعده[3]، والتف الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة رضى الله عنه، ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة إلى المهاجرين وهم مجتمعون مع أبى بكر لترشيح من يتولى الخلافة[4]، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى

(١) استخلاف أبى بكر الصديق ص، (١٦٠).

(٢) البخارى، رقم (١٢٤١، ١٢٤٢).

(٣) التاريخ الإسلامى (٩/ ٢١).

(٤) عصر الخلافة الراشدة للعمرى، ص(٤٠).

إخواننا من الأنصار، فإن لهم فى هذا الحق نصيبًا[1]، فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة، فإذا رجل مزمَّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعَك، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم[2]، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر[3]، فلما سكت أردت أن أتكلم - وكنت قد زوَّرت مقالتى أعجبتنى أريد أقدمها بين يدى أبى بكر، وكنت أدارى منه بعض الحِدَّة، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم منى وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحىِّ من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم - فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا - فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدم فتضرب عنقى لا يُقرِّبنى ذلك من إثم أحب إلىَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسوِّل إلى نفسى عند الموت شيئًا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكك، وعذيقها المرحب[4]، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار[5]. وفى رواية أحمد.. فتكلم أبو بكر رضى الله عنه فلم يترك شيئًا فى الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم وإلا ذكره، وقال: ولقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت

(١) عصر الخلافة الراشدة للعمرى، ص(٤٠).

(٢) أى عدد قليل.

(٣) أى يخرجوننا من أمر الخلافة.

(٤) الجذيل: عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به، والمحكك: الذى يحتك به كثيرًا، أراد أن يستشفى برأيه، والعذيق: النخلة: أى الذى يعتمد عليه.

(٥) البخارى، ك الحدود - رقم (٦٨٣٠).

وادي الأنصار، ولقد علمت يا سعد[1]، أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم، قال: فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[2].

وكان أبو بكر الصديق زاهدًا فى الإمارة وظهر زهده فى خطبته التى اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغبًا ولا سألتها الله عز وجل فى سر وعلانية، ولكنى أشفقت من الفتنة، ومالى فى الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرًا عظيمًا ما لى به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكانى[3]، وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أى معارضة لخلافته واستحلفهم على ذلك فقال: أيها الناس أذكر الله أيما رجل ندم على بيعتى لما قام على رجليه، فقال على بن أبى طالب، رضى الله عنه، ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبة المنبر، والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك[4].

هذه هى الحقائق التى عرفها وتعلمها الحسن بن على عن حادثة السقيفة لا كما يدعى مزورو التاريخ، ولم يكن أبو بكر وحده الزاهد فى أمر الخلافة والمسئولية، بل أنها روح العصر - ويمكن الرجوع إلى النصوص التى تم ذكرها بتوسع فى كتابى الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق[5]، ويمكن القول: إن الحوار الذى دار فى سقيفة بنى ساعدة لا يخرج عن هذا الاتجاه، بل يؤكد حرص الأنصار على مستقبل الدعوة الإسلامية واستعدادهم المستمر للتضحية فى سبيلها، فما أن أطمانوا على ذلك حتى استجابوا سراعًا لبيعة أبى بكر الذى قبل البيعة لهذه الأسباب، وإلا فإن نظرة الصحابة مخالفة لرؤية الكثير مما جاء بعدهم ممن خالفوا المنهج العلمى، والدراسة الموضوعية، بل كانت دراستهم متناقضة مع روح ذلك

(١) يعنى سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنه.

(٢) مسند أحمد (١/ ٥)، صحيح لغيره.

(٣) المستدرك (٣/ ٦٦) قال الحاكم: حديث صحيح وأقره الذهبى.

(٤) الأنصار فى العصر الراشدى، ص (١٠٨)، الرياض النضرة (١/ ٢١٦).

(٥) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق، ص(١٣٦ - ١٨٧).

العصر، وآمال وتطلعات أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار وغيرهم، وإذا كان اجتماع السقيفة أدى إلى انشقاق بين المهاجرين والأنصار كما زعمه بعضهم(١)، فكيف قبل الأنصار بتلك النتيجة وهم أهل الديار وأهل العدد والعدة؟ وكيف انقادوا لخلافة أبى بكر ونفروا فى جيوش الخلافة شرقًا وغربًا مجاهدين لتثبيت أركانها لو لم يكونوا متحمسين لنصرتها؟ فالصواب اتضح من حرص الأنصار على تنفيذ سياسة الخلافة والاندفاع لمواجهة المرتدين، وأنه لم يتخلف أحد من الأنصار عن بيعة أبى بكر فضلاً عن غيرهم من المسلمين، وأن أخوة المهاجرين والأنصار أكثر من تخيلات الذين سطروا الخلاف بينهم فى رواياتهم المغرضة(٢) والتى زعموا أن حادثة السقيفة أثرت فى نفسية الحسن بن على لما رأى من التآمر والمكر والخديعة كما زعم صاحب كتاب حياة الإمام الحسن بن على(٣).

فالحقيقة التى يعرفها الحسن بن على رضى الله عنه أنه لم يحدث أزمات لا بسيطة ولا خطيرة، ولم يثبت أى انقسام، أو فرق لكل منها مرشح يطمع فى الخلافة كما زعم بعض كُتَّاب التاريخ الذين اعتمدوا على روايات الروافض، وكتب الأدب، وأكاذيب التاريخ، ولم يثبت النقل الصحيح تآمرًا حدث بين أبى بكر وعمر وأبى عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ(٤)، فهم كانوا أخشى لله وأتقى من أن يفعلوا ذلك.

إن الحسن رضى الله عنه حدثنا بأنه عقل الصلوات الخمس فى عهد الرسول ﷺ، وكان يتردد على مسجد رسول الله ﷺ. ولا شك فى أنه رأى رسول الله ﷺ يقدم أبا بكر على غيره أثناء مرضه ﷺ، وقد علم ببيعة المسلمين لأبى بكر بعد جده، فمعتقد الحسن بن على رضى الله عنه فى خلافة أبى بكر، معتقد أهل السنة والجماعة القائل بصحة وشرعية خلافة أبى بكر الصديق بعد النبى ﷺ لفضله وسابقته وتقديم النبى ﷺ إياه فى الصلوات على جميع الصحابة، وقد فهم

---

(١) انظر: الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة، ص(٧١ - ٧٤).

(٢) الأنصار فى العصر الراشدى.

(٣) انظر: حياة الحسن بن على، باقر شريف القرشى (١/ ١٢٣ - ١٣٩).

(٤) استخلاف أبى بكر، جمال عبد الهادى، ص (٥٠، ٥١، ٥٣).

أصحاب النبى ﷺ مراد المصطفى من تقديمه فى الصلاة، فأجمعوا على تقديمه فى الخلافة ومتابعته ولم يختلف منهم أحد ولم يكن الرب جل وعلا ليجمعهم على ضلالة؛ فبايعوه طائعين وكانوا لأوامره ممتثلين ولم يعارض أحد فى تقديمه[(١)]، فعندما سئل سعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة[(٢)]، وقد نقل جماعة من أهل العلم المعتبرين إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر رضى الله عنه أولى بالخلافة من كل واحد[(٣)]، كالخطيب البغدادى[(٤)] وأبى الحسن الأشعرى[(٥)]، وعبد الملك الجوينى[(٦)]، وأبى بكر الباقلانى[(٧)]. وقد استوعب الحسن بن على رضى الله عنه أسس الخلافة الإسلامية الراشدة وبأنها تقوم على الشورى، والبيعة، وقد أجمع المسلمون على وجوب الخلافة، وأن تعيين الخليفة فرض على المسلمين يرعى شئون الأمة ويقيم الحدود ويعمل على نشر الدعوة الإسلامية وعلى حماية الدين والأمة بالجهاد وعلى تطبيق الشريعة وحماية حقوق الناس ورفع المظالم وتوفير الحاجات الضرورية لكل فرد[(٨)].

هذا وقد قام أهل الحل والعقد فى سقيفة بنى ساعدة ببيعة الصديق خاصة ثم رشحوه للناس فى اليوم الثانى وبايعته الأمة فى المسجد البيعة العامة[(٩)].

وقد تعلم الحسن رضى الله عنه مما دار فى سقيفة بنى ساعدة مجموعة من المبادئ منها: أن قيادة الأمة لا تقام إلا بالاختيار، وأن البيعة هى أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة، وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأصلب دينًا والأكفأ إدارة، فاختيار الخليفة يكون وفق مقومات إسلامية، وشخصية، وأخلاقية، وأن الحوار

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٥٥٠).

(٢) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٠٧).

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٥٥٠).

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٠، ١٣١).

(٥) الإبانة عن أصول الديانة، ص (٦٦).

(٦) كتاب الإرشاد، ص (٣٦١).

(٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٥).

(٨) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص (١٦٣).

(٩) المصدر نفسه، ص (٦٦، ٦٧).

الذى دار فى سقيفة بنى ساعدة قام على قاعدة الأمن النفسى السائد بين المسلمين حيث لا هرج ولا مرج، ولا تكذيب ولا مؤامرات، ولا نقض للاتفاق، ولكن تسليم للنصوص التى تحكمهم حيث المرجعية فى الحوار إلى النصوص الشرعية[١].

٣- بعض ملامح الحكم فى عهد الصديق:

إن الحسن بن على رضى الله عنه قد استوعب هدى النبى ﷺ وهدى الخلفاء الراشدين، ولذلك نجده عندما تنازل لمعاوية شرط عليه الالتزام بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين، وهذا يدلنا على أنه على علم ودراية بعهد الصديق رضى الله عنهما، وخطبة الصديق عندما تولى القيادة تعتبر من عيون الخطب الإسلامية على إيجازها؛ وقد قرر فيها قواعد العدل والرحمة فى التعامل بين الحاكم والمحكوم وركز على أن طاعة ولى الأمر مرتبة على طاعة الله ورسوله، ونص على الجهاد فى سبيل الله لأهميته فى إعزاز الأمة، وعلى اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك فى حماية المجتمع من الانهيار والفساد[٢]، ومن خلال الخطبة، والأحداث التى تمت بعد وفاة الرسول، تعلم الحسن بن على ملامح نظام الحكم فى بداية عهد الخلافة الراشدة والتى من أهمها:

أ- القرآن الكريم والسنة النبوية المرجعية العليا فى دولة الصديق رضى الله عنه: قال أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته: أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم[٣].

ب- حق الأمة فى مراقبة الحاكم ومحاسبته:

وجاء فى خطبته: فإن أحسنت فأعينونى وإن أساءت فقومونى[٤].

جـ- إقرار مبدأ العدل والمساواة بين الناس:

وجاء فى خطبته أيضًا: الضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله[٥].

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص(٢٥٦).

(٢) التاريخ الإسلامى (٩/٢٨).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٦).

(٤)، (٥) المصدر نفسه (٦/ ٣٠٥).

د- الصدق أساس التعامل بين الحاكم والمحكوم:

وجاء في خطبته أيضًا: الصدق أمانة والكذب خيانة[1]. إن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل، وفي العهد الراشدي.

هـ- إعلان التمسك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك:

قال أبو بكر رضي الله عنه: وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل[2]، وهذا ما فهمه الصديق من قول رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم»[3].

و- تطهير المجتمع من الفواحش:

قال أبو بكر رضي الله عنه: ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء[4]، والصديق هنا يذكر الأمة بقول النبي ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»[5].

هذه بعض الأهداف التي بينها الصديق في خطابه للأمة بعد البيعة العامة والذي رسم فيه سياسة الدولة؛ فحدد مسئولية الحاكم ومدى العلاقة بينه وبين المحكومين، وغير ذلك من القواعد المهمة في بناء الدولة وتربية الشعوب[6].

٤- مبايعة والد الحسن للصديق رضي الله عنهما:

جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًا والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر وقد ذكرت تفاصيلها في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[7]، وقد رأى الحسن والده في مواقفه الداعمة للصديق، فقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يفارق الصديق في وقت

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٢) المصدر نفسه (٦/ ٣٠٥).

(٣) سنن أبي داود، رقم (٣٤٦٢) صححه الألباني.

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٥) صحيح ابن ماجة للألباني، رقم (٤٠١٩).

(٦) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص(١٨٣).

(٧) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١/ ١٨٧).

من الأوقات، ولم ينقطع عنه فى جماعة من الجماعات، وكان يشاركه فى المشورة، وفى تدبير أمور المسلمين، وكان رضى الله عنه لأبى بكر عيبة نصح[1] له، مرجحًا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أى شىء آخر.

ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبى بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء فى موقفه من توجه أبى بكر رضى الله عنه بنفسه إلى ذى القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان فى ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامى[2]، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذى القصة واستوى على راحلته أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا، فرجع[3]، فلو كان على رضى الله عنه - أعاذه الله من ذلك - لم ينشرح صدره لأبى بكر، وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها على، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو له الجو، وإذا كان فوق ذلك - حاشاه الله - من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغرى به أحدًا يغتاله، كما يفعل السياسيون الانتهازيون بمنافسيهم، وأعدائهم[4]، وقد كان رأى على رضى الله عنه مقاتلة المرتدين وقال لأبى بكر لما قال له: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال أقول: إنك إن تركت شيئًا مما كان أخذه منهم رسول الله، فأنت على خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعونى عقالاً[5].

ولا شك أن الحسن بن على سمع والده فى مدحه لأبى بكر وعمر مثل قوله: لا يفضلنى أحد على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[6]، وقوله: ألا أخبركم

---

(١) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود ووعاء من أدم يكون فيه المتاع.

(٢) المرتضى للندوى، ص (٩٧).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤، ٣١٥).

(٤) المرتضى للندوى، ص (٩٧).

(٥) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشرى، ص (٤٨).

(٦) فضائل الصحابة (١/ ٨٣) فى سنده ضعف.

بخير هذه الأمة بعـد أبى بكر وعمر[1]، وقد تواتر عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: خير الأمة بعد نبـيها أبو بكر وعمر. وقد روى هذا عنه من طرق كثـيرة قـيل إنها تبلغ ثمانـين طريقًا[2]، وعن صلة بن زفر العـبسى قال: كان أبو بكر إذا ذكـر عند على قال: السبَّاق تذكرون، والذى نفـسى بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[3]، وقد كان على رضى الله عنه يمتثل لأوامر الصديـق؛ فعندما جاء وفـد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضـعفًا وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستـئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة وأحس منهم الصديق خطرًا على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة. وجعل الحـرس على أنقابها يبـيتون بالجيـوش، وأمر عليًا والزبيـر وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا ذلك حتى أَمِنوا منهم[4].

وللتعامل الموجود بينهم وللتعـاطف والتوادد والوئام الكامل كان علىّ وهو سيد أهل البـيت ووالد سـبطى الرسـول ﷺ، يتـقبل الـهدايا والتـحف دأب الأخـوة المتساورين ما بينهم والمتحابين كما قبل الصـهباء الجارية التى سبيت فى معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[5]،وأيضًا منحه الصديق خولـة بنت جعفر بن قيس التى أسرت مـع من أسر فى حرب اليـمامـة وولدت له أفضل أولاده بعـد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبى أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليهـا محمد بن الحنفـية[6]، يقول الإمـام الجوينى عن بيعة الصـحابة لأبى بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبى بكر - رضى الله عنه - وكان على رضى الله عنه سائغًا لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بنى حنيـفة[7]، ووردت روايات عديدة فى قـبوله هو وأولاده الهـدايا المالية والخمس من الغنائم وأموال الفئ من الصديق رضى الله عنهم أجمعين، وكان علىّ

(١) مسند أحمد (١/ ١٠٦، ١١٠، ١٢٧) صححه أحمد شاكر.

(٢) منهاج السنة (٣/ ١٦٢).

(٣) الطبرانى فى الأوسط (٧/ ٢٠٧، ٢٠٨) إسناده ضعيف.

(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٦٤)، الشيعة وأهل البيت، ص (٧١).

(٥)، (٦) الطبقات (٣/ ٢٠) .

(٧) الإرشاد للجوينى، ص (٤٢٨) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة للغفارى.

هو القاسم والمتولى فى عهده على الخمس والفئ وكانت هذه الأموال بيد على، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن[1]، وكان على رضى الله عنه يؤدى الصلوات الخمس فى المسجد خلف الصديق، راضيًا بإمامته، ومظهرًا للناس اتفاقه ووئامه معه[2].

وهذا ما عرفه الحسن بن على فى علاقة والده بالصديق، بالإضافة إلى المصاهرات بين الصديق وأهل البيت، وتسمية أهل البيت بعض أسمائهم باسم أبى بكر، فقد كانت صلة أبى بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، وكانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبى بكر كانت زوجة جد الحسن بن على ﷺ، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة وهى طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التى كانت زوجة لجعفر بن أبى طالب شقيق على، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولدًا سماه محمدًا الذى ولاه على مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها على بن أبى طالب فولدت له ولدًا سماه يحيى[3]، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبى بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام على للصديق رضى الله عنهما، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل بعد وفاته كما هو معروف بداهة، وعلى رضى الله عنه لم يسم ابنه بأبى بكر إلا متيمنًا بالصديق، وإظهارًا له المحبة والوفاء وحتى بعد وفاته وإلا فلا يوجد فى بنى هاشم رجل قبل على سمى ابنه بهذا الاسم، ثم لم يقتصر على بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق بل بعده بنوه أيضًا مشوا مشيه ونهجوا نهجه، فالحسن والحسين سميا كل واحد منهم أحد أولادهما بأبى بكر، وحتى اليعقوبى والمسعودى ذكرا ذلك، وهما من مؤرخى الشيعة[4]، واستمر أهل البيت

---

(١) ، (٢) الشيعة وأهل البيت، ص (٧٢).

(٣) خلافة على بن أبى طالب وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية للسلمى، ص (٢٢).

(٤) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢٢٨).

يسمون من أسماء أولادهم بأبى بكر، ولا شك أن العلاقة المتينة بين أبى بكر وعلى رضى الله عنهما كان لها أثرها البالغ فى نفسية وقلب الحسن بن على مما ترتب عليه تقديره للصديق واحترامه ومعرفة فضله ومكانته فى الإسلام.

٥- إنفاذ الصديق جيش أسامة رضى الله عنهما:

ومن الأحداث المشهورة فى عهد الصديق والتى لها أثرها الخاص فى ثقافة الحسن وجيله إنفاذ أبى بكر لجيش أسامة بعد وفاة الرسول ﷺ وإصراره على ذلك تنفيذًا لوصية رسول الله ﷺ، فقد اقترح بعض الصحابة على الصديق رضى الله عنه بأن يبقى الجيش فقالوا: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب - كما ترى - قد انتقصت بك فليس ينبغى لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين[١]، وأرسل أسامة من معسكره من الجرف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما إلى أبى بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إن معى وجوه المسلمين وجلتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وحرم رسول الله، والمسلمين أن يتخطفهم المشركون[٢]. وبعد مناقشات ومداولات أمر الصديق بفض الاجتماع الأول ثم دعاهم إلى اجتماع عام آخر فى المسجد، وفى هذا الاجتماع طلب من الصحابة أن ينسوا فكرة إلغاء مشروع وضعه رسول الله بنفسه، وأبلغهم أنه سينفذ هذا المشروع حتى لو تسبب تنفيذه فى احتلال المدينة من قبل الأعراب المرتدين، فقد وقف خطيبًا وخاطب الصحابة[٣] قائلاً: والذى نفس أبى بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته[٤].

وطلبت الأنصار رجلاً أقدم سنًا من أسامة يتولى أمر الجيش وأرسلوا عمر بن الخطاب ليحدث الصديق فى ذلك، فقال عمر رضى الله عنه: فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سنًا من أسامة رضى الله عنه، فوثب أبو بكر رضى الله عنه وكان جالسًا وأخذ بلحية عمر رضى الله عنه وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب:

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٨).
(٢) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٦).
(٣) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص (٨٣).
(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٥).

استعمله رسول الله ﷺ، وتأمرنى أن أعزله[١]. . ثم خرج أبو بكر الصديق حتى أتاهم، فأشخصهم، وشيعهم، وهو ماش وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر رضى الله عنهما، فقال له أسامة رضى الله عنه: يا خليفة رسول الله: والله لتركبن أو لأنزلن. فقال: والله لا تنزل، والله لا أركب. وما علىَّ أن أغبر قدمى فى سبيل الله[٢]. ثم قال الصديق رضى الله عنه لأسامة رضى الله عنه: إن رأيت تعيننى بعمر رضى الله عنه فافعل، فأذن له[٣].

ثم توجه الصديق رضى الله عنه إلى الجيش فقال: يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عنى: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا[٤]، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منه شيئًا بعد شىء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقوامًا قد فحصوا[٥] أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم[٦] بالسيف خفقًا، اندفعوا باسم الله[٧].

وأوصى الصديق أسامة رضى الله عنهما أن يفعل ما أمر به النبى الكريم قائلاً: أصنع ما أمرك به نبى الله ﷺ، ابدأ ببلد قضاعة تم ايت آبل[٨]، ولا تقصرن فى شىء من أمر رسول الله، ولا تعجلن لما خلَّفت عن عهده[٩]. ومضى أسامة بجيشه وانتهى إلى ما أمر به النبى ﷺ من بث الخيول من قبائل قضاعة، والغارة على آبل، فسَلم وغنم[١٠]، وكان مسيره ذاهبًا وقافلاً أربعين يومًا[١١].

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٦).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (٤/ ٤٦).

(٤) ولا تمثلوا: يقال: مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً: إذا قطعت أطرافه وشوهت به.

(٥) فحصوا: حلقوا.

(٦) فأخفقوهم: من أخفق فلانًا أى صرعه.

(٧) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٦).

(٨) آبل: منطقة فى جنوب بلاد الأردن اليوم.

(٩)، (١٠) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٧).

(١١) المصدر نفسه (٤/ ٤٧)، تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٠١).

وقد قدم بنعى رسول الله على هرقل وإغارة أسامة فى ناحية أرضه خيراً واحداً، فقالت الروم: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا[١]، وقال العرب: لو لم يكن لهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش[٢]، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه[٣].

ولقد اختلق بعض الشيعة الرافضة حديثًا نسبوه لرسول الله، لا أصل له فى كتب السنة فقالوا: إن رسول الله لعن من تخلف عن جيش أسامة، وهذا الحديث منكر لا أصل له، وهم ما احتجوا بهذا الحديث المختلق إلا ليجعلوا من أبى بكر وعمر أول الملعونين، فقد قالوا: وقد تخلف أبو بكر وعمر عن جيش أسامة ولم يجد الرافضة الحديث مسندًا إلا من طريق منبوذ مجهول لدى الرافضة والسنة.

لقد استفاد الحسن بن على رضى الله عنه وشباب ذلك الجيل من قصة إنفاذ جيش أسامة دروسًا وعبرًا منها:

أ- الأحوال تتغير وتتبدل والشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين:

فقد علم الصديق الأمة إذا نزلت بها الشدة وألمت بها المصيبة أن تصبر، فالنصر مع الصبر، وأن لا تيأس ولا تقنط من رحمة الله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]. وليتذكر المسلم دائمًا أن الشدة مهما عظمت، والمصيبة مهما اشتدت وكبرت فإن من سنن الله الثابتة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]. وإن المسلم لأمره عجيب فى هذه الدنيا فقد بين رسول الله ﷺ فى قوله: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[٤].

فالشدائد والمصائب مهما عظمت وكبرت لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين، فوفاة الرسول الكريم ﷺ لم تشغل الصديق عن أمر الدين وأمر ببعث أسامة فى ظروف كالحة مظلمة بالنسبة للمسلمين، ولكن ما تعلمه الصديق من رسول الله من

(١) عهد الخلفاء الراشدين للذهبى، ص (٢٠).

(٢) قصة بعث أبى بكر جيش أسامة د. فضل إلهى، ص (١٤).

(٣) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٧).

(٤) مسلم (٤/ ٢٢٩٥).

الاهتمام بأمر الدين مقدم على كل شيء وبقى هذا الأمر حتى ارتحل من هذه الدنيا[١]، وقد تعلم الحسن بن على رضى الله عنه هذا الدرس واستوعبه وعاش به فى حياته.

ب- المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد، ووجوب اتباع النبى ﷺ:

فقد تعلم الحسن بن على من قصة إنفاذ جيش أسامة بأن مسيرة الدعوة لم ولن تتوقف، حتى بموت سيد الخلق، وإمام الأنبياء وقائد المسلمين ﷺ، وقد كان الصديق رضى الله عنه قبل ذلك قد بين فى خطبته التى ألقاها إثر بيعته عن عزمه على مواصلة بذل الجهود لخدمة هذا الدين[٢]، وقد جاء فى رواية قوله: فاتقوا الله أيها الناس، واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، والله لا نبالى من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة، وما وضعناها بعد، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغين أحد إلا على نفسه[٣].

ومن الدروس التى استفادها الحسن بن على من قصة إنفاذ جيش أسامة رضى الله عنهم أنه يجب على المسلمين اتباع أمر النبى ﷺ، فى السراء والضراء، فقد بين الصديق من فعله أنه عاض على أوامر النبى ﷺ بالنواجذ، ومنفذها مهما كثرت المخاوف وشدت المخاطر، فمن أقوال الصديق الخالدة فى تلك الحادثة: والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته[٤]، وقدم بموقفه هذا صورة تطبيقية لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقد تعلم المسلمون أن الله تعالى ربط نصر الأمة وعزها باتباع النبى ﷺ، فمن أطاعه فله النصر والتمكين، ومن عصاه فله الذل والهوان، فسر حياة الأمة فى طاعتها لربها واقتدائها بسنة نبيها ﷺ[٥].

---

(١) قصة بعث أبى بكر جيش أسامة، ص (٢٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (٢٧).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢١٣، ٢١٤).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٥).

(٥) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق للصلابى، ص (٢٢٧)، قصة جيش أسامة، ص(٢٢٧).

جـ- حدوث الخلاف بين المؤمنين ورده إلى الكتاب والسنة:

ومما استفاده الحسن بن على رضى الله عنه من هذه القصة أنه قد يحدث الخلاف بين المؤمنين الصادقين حول بعض الأمور، فقد اختلفت الآراء حول إنفاذ جيش أسامة رضى الله عنه فى تلك الظروف الصعبة، وقد تعددت الأقوال حول إمارته ولم يصر أحد على رأى بعد وضوح فساده وبطلانه، وعندما رد الصديق الخلاف إلى ما ثبت من أمر النبى ﷺ ببعث أسامة وبيّن رضى الله عنه أنه ما كان ليفرط فيما أمر به رسول الله ﷺ بعدما وضحه لهم الصديق، وكما أنه لا عبرة لرأى الأغلبية إذا كان مخالفًا للنص، فقد رأى عامة الصحابة حبس جيش أسامة، وقالوا للصديق: إن العرب قد انتقضت عليك وإنك لا تصنع بتفريق الناس شيئًا[(١)]، فأولئك الناس لم يكونوا كعامة الناس بل كانوا من الصحابة الذين هم خير البشر وجدوا على الأرض بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، لكن الصديق رضى الله عنه لم يستجب لهم مبينًا أن أمر الرسول ﷺ أجل وأكرم، وأوجب من رأيهم كلهم[(٢)]، قال الحافظ ابن حجر تعليقًا على رأى الأكثرية، حول وفاته ﷺ: فيؤخذ منه أن الأقل عددًا فى الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثرية، فلا يتعين الترجيح، بالأكثر[(٣)].

فخلاصة الكلام أن مما نستفيده من قصة تنفيذ الصديق جيش أسامة رضى الله عنهما أن تأييد الكثرة لرأى ليس دليلاً على إصابته[(٤)]، ومما يستفاد من هذه القصة انقياد المؤمنين وخضوعهم للحق إذا اتضح لهم، فعندما ذكرهم الصديق أن النبى ﷺ قد أمر بتنفيذ جيش أسامة وهو الذى عين أسامة أميرًا على الجيش، انقاد أولئك الأبرار للأمر النبوى الكريم[(٥)].

د- جعل الدعوة مقرونة بالعمل:

فقد تعلم الحسن بن على رضى الله عنه من قصة جيش أسامة أهمية جعل الدعوة مقرونة بالعمل، فقد علم أن الصديق لم يقتصر على الإصرار على إمارة أسامة فحسب بل قدم اعترافًا عمليًا بإمارته، وقد تجلى ذلك فى أمرين:

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص (٢٢٧).

(٢) قصة بعث أبى بكر جيش أسامة، ص (٤٤).

(٣) فتح البارى (٨/ ١٤٦).

(٤) قصة بعث أبى بكر جيش أسامة، ص (٤٦).

(٥) المصدر نفسه، ص (٥٢).

* مشى أبى بكر رضى الله عنه مع أسامة رضى الله عنه، وهو راكب وقد كان ابن عشرين سنة من عمره، وأصر علـى المشى مع أسامة رضى الله عنه، كما أصر على بقاء أسامة راكبًا لما طلب منه أسامة رضى الله عنه إما أن يركب هو، أو يأذن له بالنزول، فلم يوافق رضى الله عـنه لا على هذا ولا على ذاك، وكأن الصـديق بمشيـه ذلك يخاطب الجيش فيـقول: انظروا أيها المسلمـون أنا أبو بكر رغم كونى خليفة رسول الله ﷺ أمشى مع أسامة وهو راكب إقرارًا وتقديرًا لإمارته.

* كان أبو بكر الصديق يرغب فى بقاء عمر بن الخطاب نظرًا لحاجته إليه، لكنه لم يأمـره بذلك، بل استـأذن من أسـامة فـى تركه إيـاه بالمدينة إن رأى هو ذلك مناسبًا، وبهذا قدم الصديق رضى الله عنه صورة تطبيقـية أخرى لاعترافه واحترامه لإمـارة أسامـة رضى الله عنه، وفيـها بلا شـك دعوة قـوية للجيش إلى الإقـرار والانقـياد لإمـارته، وهذا الذى اهتم به الصـديق رضى الله عنه من جعل دعـوته مقرونة بالعمل هو الذى أمر به الإسلام ووبّخ الرب عز وجل أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم(1)، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

هـ- مكانة الشباب فى الإسلام:

ومما يتجلى فى هذه القصة منزلة الشباب العظيمة فى خدمة الإسلام، فقد عين رسول الله ﷺ الشاب أسـامة بن زيد رضى الله عنه أميرًا على الجيش المعـد لقتال الروم - القوة العظمى فى زعم الناس فى ذلك الوقت - وكان عمره آنذاك عشرين سنة، أو ثمانى عشرة سنة، وأقره أبو بكر الصديق رضى الله عنه على منصبه رغم انتقـاد الناس، وعاد الأمير الـشاب بفضل الله من مهـمته التى أسندت إليـه غانمًا ظافرًا، وفى هذا توجيه للشباب فى معرفة مكانتهم فى خدمة الإسلام(2).

فعلـى الدعاة والمربين إعطاء هذا الجـانب حقـه بالاهتمـام، وفتح المجـال أمام الطاقات الشابة لكى تبدع فى خدمة دينها، وهذه السنة النبوية تجدد الحيوية والنشاط فى الأمة وتساهم فى تفجير طاقات خلاقة تقوم بالدور الحضارى المنوط بالمسلمين.

---

(١) قصة بعث أبى بكر جيش أسامة، ص (٦٦).

(٢) المصدر نفسه، ص(٧٠).

و- صورة مشرقة من آداب الجهاد فى الإسلام:

وتعلم الحسن بن على رضى الله عنه من قصة بعث أبى بكر لجيش أسامة الصورة المشرقة للجهاد الإسلامى، وقد تجلت تلك الصورة المشرقة فى وصية أبى بكر الصديق لجيش أسامة عند توديعهم إياهم، ولم يكن أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى وصاياه للجيوش إلا مستنًا بسنة المصطفى ﷺ حيث كان ﷺ يوصى الأمراء والجيوش عند توديعهم[1]، ومن خلال الوصية التى جاءت فى البحث تظهر الغاية من حروب المسلمين فهى دعوة إلى الإسلام، فإذا ما رأت الشعوب جيشًا يلتزم بهذه الوصايا لا يملك إلا الدخول فى دين الله طواعية واختياراً[2].

ز- أثر جيش أسامة على هيبة الدولة الإسلامية:

عاد جيش أسامة ظافرًا غانمًا بعدما أرهب الروم حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعد ما جمع بطارقته: هذا الذى حذرتكم، فأبيتم أن تقبلوا منى!! قد صارت العرب تأتى مسيرة شهر فتغير عليكم ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم[3]، وأصاب القبائل العربية فى الشمال الرعب والفزع من سطوة الدولة الإسلامية، وكان لهذه الغزوة أثر فى حياة المسلمين وفى حياة العرب الذين فكروا فى الثورة عليهم، وفى حياة الروم الذين تمتد بلادهم على حدودهم[4].

فقد فعل هذا الجيش بسمعته ما لم يفعله بقوته وعدده، فأحجم من المرتدين من أقدم، وتفرق من اجتمع، وهادن المسلمين من أوشك أن ينقلب عليهم، وصنعت الهيبة صنيعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يصنع السلاح[5]، حقًا لقد كان إرسال هذا الجيش نعمة على المسلمين، إذ أمست جبهة الردة فى الشمال أضعف الجبهات، ولعل من آثار هذا أن الجبهة فى وقت الفتوحات كان كسرها أهون على المسلمين من كسر جبهة العدو فى العراق، كل ذلك يؤكد أن أبا بكر رضى الله عنه

(١) قصة بعث أبى بكر جيش أسامة، ص (٨٠).
(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص (٢٦٩).
(٣) ولم تكلم: ولم تُجرح.
(٤) الصديق - لهيكل باسا، ص (١٠٧).
(٥) عبقرية الصديق - للعقاد، ص (١٠٧).

كان فى الأزمـات، من بين جميع البـاحثين عن الحل، أثقـبهم نظرًا، وأعمـقهم فهمًا[1]، وقد أثبتت الأحداث تأثر الحـسن بن على، بالخلفاء الراشدين فى إدارته للأزمات، فكان فى خلافـته من أعمق الناس فهمًا وأبعدهـم نظرًا وأشدهم حرصًا على وحدة المسلمين.

٦- حروب الردة:

كان رأى الصديق فى حـرب المرتدين رأيًا ملهمًا، وهو الرأى الذى تمليه طبـيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأى موقف غيـره سيكون فيه الفشل والضياع والهزيمـة والرجوع إلى الجاهلية، ولولا الله ثم القـرار الحاسم من أبى بكر رضى الله عنه فى قتال أهل الردة لتغـير وجه التاريخ وتحولت مسيـرته، ورجعت عقارب الساعة إلى الـوراء ولعادت الجاهلية تعـيث فى الأرض فسادًا[2]، لقد تجلى فـهمه الدقيق وشدة غيرته على هذا الدين فى قوله: قد انقطع الوحى وتم الدين، أينقص وأنا حى؟[3].

لقد سـمع أبو بكر وجهـات نظر الصحـابة فى حرب المرتدين، ومـا عزم على خوض الحـرب إلا أنه كان سريع القـرار حاسم الرأى فلم يتردد لحظة واحـدة بعد ظهور الصواب له. وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبى بكر - هذا الخليفة العظيم - فى حياته كلها[4]، ولقد اقتنـع المسلمون بصحة رأيه ورجـعوا إلى قوله واستصوبوه، وأصبح قـوله: والله لو منعونى عقالاً[5] كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتـهم على منعه[6]، من أقواله الخـالدة التى حفظهـا لنا التاريخ ولم تهـملها الليالى، ولـم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار الزمن ولا أسوار القرون. ولقد استخدم فى جهاده للمرتدين دهاء وحنكة سياسية ورؤية استراتيجية واضحة تمثلت فى أسـاليب عدة منهـا، النفسـية، والدعـوية، والاستـخبـاراتية، والإعـلاميـة، والعلمية، وتوجها بجيوشه المظفرة التى قضت على حركة الردة فى جزيرة العرب.

(١) حركة الردة. د. على العتوم، ص (١٦٨).

(٢) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص (٨٦).

(٣) المرتضى لأبى الحسن الندوى، ص (٧٠) ، مشكاة المصابيح رقم (٦٠٣٤).

(٤) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص (٨٧).

(٥) العقال: هو الحبل الذى يعقل به البعير.

(٦) البخارى رقم (٦٩٢٤).

ولقد فهم وتعلم الحسن فقه الصديق فى التعامل مع المرتدين ولمس بعض فقه التمكين فى جهاده للمرتدين والتى من أهم معالمه:

- استقرار التنظيم الإدارى فى الجزيرة[1].

ولا شك أن حروب الردة وأسبابها، وفقه الصديق فى القضاء عليها أخذت بلباب الحسن بن على وشكلت جزءًا من ثقافته سواء عن طريق السماع أو المشاهدة.

- كما أن معالم السياسة الخارجية فى دولة الصديق كانت واضحة فى حس أبناء الجيل الذى من نوابغه الحسن بن على رضى الله عنه، فقد رسمت خلافة الصديق رضى الله عنه أهدافًا فى السياسة الخارجية، للدولة الإسلامية والتى كان من أهمها:

- بذر هيبة الدولة فى نفوس الأمم الأخرى.

- العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها.

- رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة.

- مواصلة الجهاد الذى أمر به المولى عز وجل فى القرآن.

- كما أن معالم التخطيط الحربى عند الصديق أصبحت من ثقافة ذلك الجيل وأدبياته، خصوصًا لإطلاع القيادة الشبابية وعلى رأسهم الحسن بن على، فقد وضع الصديق مع مستشاريه من الصحابة خطوطًا رئيسية للخطة الحربية التى سار عليها، وقد كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله عز وجل للمسلمين ومن هذه الخطوط:

- عدم الإيغال فى بلاد العدو حتى تدين للمسلمين.

- التعبئة وحشد القوات.

- تنظيم عملية الإمداد للجيوش.

- تحديد الهدف من الحرب.

- إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات.

- عزل ميدان المعركة.

---

(١) الانشراح ورفع الضيق فى سيرة أبى بكر ص (٣٢٩ - ٣٦٥).

- التطور فى أساليب القتال.

- سلامة خطوط الاتصال مع القادة.

- ذكاء الخليفة وفطنته[1].

فقد امتازت الخطط الحربية الإسلامـية فى بداية الفتوحات بوجود العقل المدبر، ذى الفطنة والذكاء والكياسة والفراسة، وهو الصديق وقد ساعد أبا بكر على فهمه الواسع للتـخطيط الحـربى طول مـلازمـته للنـبى ﷺ، فقـد تربى على تعلـيمـه وتوجيهاته.

فكسب علومًا شتى، وخبرات متنوعة، فقام بعد رحيل رسول الله ﷺ فى مقام الخلافة خير قيام، فحمل البصيرة الواعية، وزود الجيوش بالنصائح الغالية، وأرسل الإمدادات فى أوقاتهـا تسعف المجاهدين، وتمدهم بالهمة والعزيمـة الماضية.[2] إن الحسن بن على رضى الله عنـه تربى على كتاب الله وهدى رسـوله وتشرّب هدى الخلفاء الراشدين المهديين والذين فى مقدمتهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

ثانيًا: فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

كان عمر رضى الله عنه شديد الإكـرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم حتى على أبنائه، وأسرته، وله فى ذلك مواقف كثيرة منها:

١- أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر:

جاء فيـما رواه الحسين بن على رضى الله عنه: أن عـمر قال لى ذات يوم: أى بنى لو جعلت تأتينا وتغشـانًا؟ فجئت يومًا وهو خال بمعاوية وابن عـمر بالباب لم يؤذن له، فرجعـت فلقينى بعد، فقـال: يا بنى لم أرك تأتينا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فـرجعت فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله ابن عمر، إنما أنبت فى رؤوسنا ما ترى: الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[3].

٢- والله ما هنأ لى ما كسوتكم:

روى ابن سعد عن جعفر بن محمـد الباقر عن أبيه على بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليـمن، فكسا الناس فراحوا فى الحلل، وهو بين القـبر والمنبر

(١) الانشراح ورفع الضيق، ص (٤٥٤، ٤٥٥).

(٢) تاريخ الدعوى الإسلامية، ص (٣٣٦).

(٣) المرتضى، ص (١١)، كنز العمال (٧/ ١٠٥)، الإصابة (١/ ١٣٣).

جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضى الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه ثم قال: والله ما هنأ لى ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والى اليمن أن ابعث بحلتين للحسن والحسين وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[1].

٣- تقديم الحسن والحسين وبنى هاشم فى العطاء:

عن أبى جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناس من أصحاب النبى ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بنى هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلى، حتى وإلى ما بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بنى عدى بن كعب، فكتب: من شهد بدرًا من بنى هاشم، ثم من شهد بدرًا من بنى أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب، فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم[2]، وألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر لقرابتهما من رسول الله ﷺ ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم[3].

وفى هذه القصة تظهر حقيقة محبة عمر لآل البيت عمومًا والحسن والحسين خصوصًا، حيث خصهما بأن جعلهما مع الطبقة الأولى من سادات الصحابة فى العطاء وما ذلك إلا محض المحبة لهما وتقديرًا لهما من مكانتهما من رسول الله ﷺ.

٤- معاملة عمر بن الخطاب للسيدة فاطمة والدة الحسن رضى الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ:

عن أسلم العدوى قال: لما بويع لأبى بكر بعد النبى ﷺ كان على والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر فدخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك

(١) المرتضى، ص (١١)، الإصابة (١/ ١٠٦).

(٢) الخراج لأبى يوسف، ص (٢٤، ٣٥) المرتضى، ص (١١٨).

(٣) تاريخ دمشق الكبير (١٤/ ٦).

أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل عليّ والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليهما حتى بايعا[١]، وهذا هو الثابت الصحيح والذى مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له. وقد زاد رواة الشيعة الرافضة فى هذه الرواية واختلقوا إفكًا وبهتانًا وزورًا وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلا النفر أحرق عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصى المسلمين بتأخرهم عن البيعة ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءنى وحلف بالله لأن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله أنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عنى فلا ترجعوا إلىّ، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[٢].

وهذه القصة الباطلة لم تثبت عن عمر رضى الله عنه، ودعوى أن عمر رضى الله عنه همّ بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبرى الطبرسى فى كتابه دلائل الإمامة[٣]، عن جابر الجعفى، وهو رافضى كذاب باتفاق أئمة الحديث كما فى الميزان الذهبى[٤]، وتهذيب التهذيب[٥]، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو فى بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التى لا أساس لها من الصحة وما علموا إنهم يطعنون فى على رضى الله عنه وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر، وهو من أشجع أصحاب النبى ﷺ[٦]، بل إن بعض عقلاء الشيعة أنكر صحة هذا الهذيان والزور[٧]. علما بأن محسن ولد فى حياة النبى ﷺ كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة فى مسند الإمام أحمد كما سبق.

٥- زواج عمر من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب:

كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت ورعاية

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة: المصنف (١٤/ ٥٦٧) إسناده صحيح.

(٢) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبى محمد اليمنى (١/ ١٤٠).

(٣) دلائل الإمامة، ص (٢٦) نقلا عن عقائد الثلاثة والسبعين (١/ ١٤٠).

(٤) الميزان الذهبى (١/ ٢٧٩).

(٥) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٧).

(٦) حقبة من التاريخ، ص (٢٢٤).

(٧) مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص (٢٥٢).

حقوقــهم، فمن هذا الباعث خطب عــمر أم كلثوم ابنة على وفاطــمة رضوان الله عليهم وتودد إلــيه فى ذلك قائلاً: فــوالله ما على الأرض رجل يرصــد من حسن صحــبتها مـا أرصده، فقــال على: قد فعلت، فأقــبل عمر إلى المهــاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفــئونى.. ثم ذكر أن سبب زواجه منها مــا سمعه من النبى ﷺ: كل سبب ونسب منقطــع يوم القيامة إلا مـا كان من سببى ونسبى، فأحببت أن يكون بينى وبين رسول الله ﷺ سبب[1]، وقد قـام الأستاذ أبو مـعاذ الإسمـاعيلى فى كتابه (زواج عــمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب حقــيقة وليس افتراء) بتتبع مــراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يــتعلق بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئًا من سيرتها ومواقفــها فى حياتها فى عهد الفاروق فى كتابى فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره.

٦- فى غنائم المدائن:

عندما فتحت المدائن[2]، عام ١٦ هـ، جاءت الأموال منها فقام عمر رضى الله عنه بإعطاء الحسن والحسين رضى الله عنهما ألف درهم لكل واحد منهما، وأعطى ابنه عبدالله خمسمائة[3]، وفى هذه الحادثة تأكيد على محبة عمر للحسن والحسين وتقديمه لهما.

* تأثر الحسن بن على بالفقه الراشدى للفاروق:

قامت دولة الــفاروق على فقــه الخلافــة الراشدة وكان - بعــد الله وتوفيــقه - لعبــقرية الفاروق أثر فى تطوير مــؤسسات الدولة والاجتــهاد فى النوازل الفقهــية، وإدارة الأزمات، ومما ساعد على تأثر الحسن بن على بثقافته، وأدبيات عهد الفاروق قرب والده أمير المؤمنين على من الفاروق، فــقد كان على رضى الله عنه عــضواً بارزًا فى مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر

---

(١) إسناده حسن أخرجه الحاكــم فى المستدرك (٣/ ١٤٢) صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى مــتعقبا: منقطع وأورده الهيثــمى فى مجمع الزوائد (٣/ ١٧٣) وقال: أورده الطبرانى فى الكبــير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهناك من ضعفه.

(٢) المدائن: بلدة بينها وبين بغداد ستة فراسخ فتحت على يد سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه.

(٣) مقامات العلماء للغزالى، ص (١٦١).

رضى الله عنه يعرف لعلى فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسنًا، فقد ثبت فيه قوله فيه: أقضانا على[1]، وكان لعلى اجتهادات فى الأمور القضائية، والمالية والإدارية فى عهد الفاروق أخذ بها أمير المؤمنين عمر، وكان الفاروق يستشير عليًا فى الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفى موضع التقويم الهجرى وغير ذلك من الأمور[2].

وكان على رضى الله عنه طيلة حياة عمر مستشارًا ناصحًا لعمر محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًا وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التى تناسب أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقضّ عليه، وكل أمورهم كانت تجرى من وراء الكواليس[3]، إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل فى خلافة عمر تلك الخصوصية فى العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافى بين عمر وعلى رضى الله عنهما، فقد كان على هو المستشار الأول لعمر فى سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علىٌّ على عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان على رضى الله عنه يمحضه النصح فى كل شئونه وأحواله[4]، فلا شك أن تلك العلاقة بين على وعمر رضى الله عنهما لها انعكاساتها الثقافية والعلمية والتربوية على الحسن وأبناء ذلك الجيل، والمواقف التى تدل على قوة العلاقة بين عمر وعلى كثيرة منها:

* كسانى هذا الثوب أخى وخليلى:

خرج على وعليه برد عدنى فقال: كسانى هذا الثوب أخى وخليلى وصفيى وصديقى أمير المؤمنين عمر[5]، وفى رواية عن أبى السفر قال: رُئى على علىّ بن

---

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، ص (١١٠٢).
(٢)، (٣) على بن أبى طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، ص (٩٩).
(٤) فقه السيرة النبوية للبوطى، ص (٥٢٩).
(٥) المختصر من كتاب الموافقة، ص (١٤٠).

أبى طالب رضى الله عنه برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلى وصفيى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ناصح الله فنصحه، ثم بكى[1]. ومن هذه القصص وأمثالها عرف الحسن حقيقة محبة على وأهل البيت لعمر ومحبة عمر لهم.

* ما قاله على فى عمر بعد استشهاده:

قال ابن عباس كما فى صحيح البخارى: وُضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعنى إلا رجل أخذ منكبى، إذا على بن أبى طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلىَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنى كنت كثيرًا ما أسمع النبى ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[2].

* إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك:

لما فرغ على من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: أنزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل فى الرحبة وصلى فى الجامع الأعظم ركعتين[3].

* حب أهل البيت لعمر رضى الله عنه:

إن من دلالة محبة أهل البيت لعمر رضى الله عنه تسمية أبنائهم باسمه حبًا وإعجابًا بشخصيته، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات الودية الوطيدة والتى تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، الصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية

(١) المصنف لابن أبى شيبة (١٢/ ٢٩).

(٢) البخارى، رقم (٣٦٨٥).

(٣) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص (٣٨٣).

عمر[1]، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر أولاد على بن أبى طالب: وعمر من التغلبية وهى الصهباء بنت ربيعة من السبى الذى أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمّر عمر هذا حتى بلغ خمسًا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث على رضى الله عنه، وذلك أن جميع إخوته وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضى الله عنهم - يعنى أنه لم يقتل معهم - بالطف فورثهم[2].

هذا وتبعه الحسن فى ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهم فسمّى أحد أبنائه عمر أيضًا[3]، وكذلك الحسين بن على سمّى عمر، ومن بعد الحسين ابنه على الملقب بزين العابدين سمّى أحد أبنائه باسم عمر[4]، وكذلك موسى بن الصادق الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر[5]، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدى النبى ﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرته العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه فى صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان فى ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين فى البيوت الهاشمية التى التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة. ونحن ندعو الشيعة اليوم، الاقتداء بعلى والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت فيحبون أنصار دين الله وأصحاب رسوله، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين[6]، نرجو ذلك.

* قول عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فى عمر:

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبدالله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين، فقال، فقال: أمسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: فقلت: إنما

(١) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢١٣)، الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣).

(٢) الفصول المهمة، ص (١٤٣)، الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٣٤).

(٥) المصدر نفسه، ص (١٣٥).

(٦) اذهبوا فأنتم الرافضة، عبدالعزيز الزبيرى، ص (٢٣٠).

أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألنى عن رأيى، فعمر كان خيراً منى ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن أناسًا يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لى - ونحن بين القبر والمنبر -: اللهم إن هذا قولى فى السر والعلانية، فلا تسمعنّ علىَّ قول أحد بعدى. ثم قال: من هذا الذى يزعم أن عليًا رضى الله عنه كان مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه. وكفى بإزراء على علىّ ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه[1].

ثالثًا: فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه:

كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الإسلامية من سنتها الأولى، فلم يفته شىء من أخبار النُّبُّوة الخاصَّة، والعامَّة فى حياة النبى ﷺ، ولم يفته شىء بعدها من أخبار الخلافة فى حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرى شىء مما نسمّيه اليوم بأعمال التأسيس فى الدولة الإسلامية، وكان المنهج التربوى الذى تربى عليه عثمان ابن عفان، وكل الصحابة الكرام، القرآن الكريم، المنزل من عند رب العالمين، كما أن الرافد القوى الذى أثر فى شخصية عثمان بن عفان، وصقل مواهبه، وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ، وتتلمذه على يديه فى مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان رضى الله عنه لازم الرسول ﷺ فى مكة بعد إسلامه كما لازمه فى المدينة بعد هجرته، فقد نظم عثمان نفسه، وحرص على التلمذة فى حلقات مدرسة النبوة فى فروع شتى من المعارف والعلوم على يدى معلم البشرية، وهاديها، والذى أدبه ربُّه، فأحسن تأديبه، ولم يكن عثمان بن عفان رضى الله عنه ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه، أو هروب ينشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه فى تغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ، لأن الفضل الذى حازه أهل بدر فى شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان رضى الله عنه خرج فيمن خرج مع الرسول ﷺ فرده ﷺ للقيام على ابنته رقية التى اشتد بها المرض وماتت بسبب ذلك، فكان عثمان فى أجلِّ فرض لطاعته لرسول الله ﷺ،

(١) النهى عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب لمحمد عبدالواحد المقدسى، ص (٥٧).

وتخلفه، وقد ضرب له بسهمه، وأجـره، وشاركهم فى الغنيمة والفضل، والأجر لطاعته المولى عز وجل ورسوله، وانقياده لهما.

وفى الحديبية ذكر المحب الطبرى اختصاص عثمان بعدة أمور، منها: اختصاصه بإقامـة يد النبى ﷺ الكريمة مقام يـد عثمان لما بايع الصـحابة، وعثمـان غائب، واختصاصـه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى من بمكة أسيـرًا من المسلمين، وذكر شهادة النبى فى عثمان بموافقته فى ترك الطواف لما أرسله فى تلك الرسالة(١)، وفى فتح مكة قبل رسول الله ﷺ شفاعة عثمان بن عفان فى عبدالله بن أبى السرح فى فتح مكة(٢). ومن حياة عثمان رضى الله عنه الاجتماعية فى المدينة، زواجه من أم كلثـوم بنت رسول الله ﷺ بعـد وفاة رقـيـة بنت رسول الله، ووفـاة عبـدالله بن عثـمان، ثم وفاة أمّ كلـثوم رضى الله عنها، ومن مـساهمتـه الاقتـصادية فى بناء الدولة، شراء بئر رومة بعشرين ألف درهم، وجـعلها عثمان رضى الله عنه للغنى والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجـد النبوى، وإنفاقه الكبير على جيش العسرة، وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضله مع غيره، ومنها ما ورد فى فضله وحده، وقد أخبر رسـول الله ﷺ عن الفتنة التى يقتل فـيها عثمـان، وكان رضى الله عنه من الصحابة وأهل الشـورى الذين يؤخذ رأيهم فى أمهات المسائل فى عـهد الصديق، فـهو ثانى اثنين فى الحظوة عنـد الصديق، فـعمـر بن الخطاب للحزم والشّـدائد، وعثمـان للرِّفق والأناة، وكان عمر وزير الخـلافة الصديقيـة، وكان عثمـان أمينها العام، وكاتبـها الأكبر، وكان رضى الله عنه ذا مكانـة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عـمر عن شيء رموه بعـثمان وبعـبد الرحمن بن عـوف، وكان عثـمان يسمّـى الرِّديف - والرِّديف بلسان العـرب هو الذى يكون بعد الرّجـل - والعرب تقول ذلك للرّجل الذى يرجـونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقـدر هذان على عمل شيء، ثلثوا بالعبّاس(٣).

وكان الحسن بن على رضى الله عنه فى عهد عثـمان فى عز الشباب وعنفوانه، فقد كان فى سن يسمح لصاحبهـا أن يستوعب ما يدور حوله ويتعلم من الأحداث

---

(١) المناقب النضرة فى المناقب العشرة، ص (٤٩٠، ٤٩١).

(٢) أضواء البيان فى تاريخ القرآن، لصابر أبو سليمان، ص (٧٩).

(٣) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان للصّلابى، ص (٢٧٤).

ومن سياسة الخليفة الراشد عثمان ومن حوله من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أهم الدروس التى استوعبها الحسن بن على هى:

١- الفقه العمرى فى الاستخلاف:

استمرّ اهتمام الفاروق رضى الله عنه بوحدة الأمة، ومستقبلها حتَّى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهى بلا شك لحظات خالدة، تجلَّى فيها إيمان الفاروق العميق، وإخلاصه، وإيثاره[١]، وقد استطاع الفاروق فى تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها فى اختيار الخليفة الجديد، وكانتَ دليلاً ملموسًا، ومعْلمًا واضحًا على فقهه فى سياسة الدولة الإسلامية، لقد مضى قبله الرسول ﷺ، ولم يستخلف بعده أحدًا بنصٍّ صريح، ولقد مضى أبو بكر الصِّدِّيق، واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصَّحابة، ولمَّا طُلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر فى الأمر مليّا، وقرّر أن يسلك مسلكًا آخر يتناسب مع المقام، فرسول الله ﷺ ترك النّاس، وكلهم مقرٌّ بأفضلية أبى بكر، وأسبقيته عليهم فاحتمال الخلاف كان نادرًا، وخصوصًا أن النبى ﷺ وجّه الأمة قولاً وفعلاً إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده، والصِّدِّيق لما استخلف عمر، كان يعلم: أنّ عند الصحابة أجمعين قناعة بأنّ عمر أقوى، وأفضل من يحمل المسئولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة، ولم يخالفه رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر[٢]، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد، فتعتمد على جعل الشورى فى عدد محصور، وقد حصر ستَّة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يصلحون لتولّى الأمر، ولو أنهم يتفاوتون، ويحدّد لهم طريقة الانتخاب، ومدَّته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة، وحدّد الحكم فى المجلس، والمرجِّح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات فى المجلس، وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل، أو يسمع ما يدور فى مجلس أهل الحلِّ والعقد[٣]، وهذا بيان ما أجمل فى الفقرات السَّابقة.

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعانى، ص (١٦١).
(٢) أوليات الفاروق للقرشى، ص (١٢٢).
(٣) المصدر نفسه، ص (١٢٤).

أ- العدد الذى حدده للشُّورى، وأسماؤهم:

أمّا العدد، فهو ستة، وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقَّاص، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم جميعًا، وترك سعيد بن زيد، وهو من العشرة المبشَّرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلة بنى عدى[1]، وكان عمر رضى الله عنه حريصًا على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أنَّ فيهم من هو أهل لها، فهو يُبعد قريبه سعيد ابن زيد عن قائمة المرشَّحين للخلافة[2].

ب- طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا فى بيت أحدهم، ويتشاوروا، وفيهم عبدالله بن عمر يحضر معهم مشيرًا فقط، وليس له من الأمر شىء، ويصلِّى بالناس أثناء التشاور صهيب الرُّومىُّ، وقال له: أنت أمير الصَّلاة فى هذه الأيام الثلاثة. حتى لا يولِّى إمامة الصلاة أحدًا من الستة، فيصبح هذا ترشيحًا من عمر له بالخلافة[3]، وأمر المقداد ابن الأسود، وأبا طلحة الأنصارىَّ أن يرقبا سير الانتخابات[4].

جـ- مدَّة الانتخابات أو المشاورة:

حدَّدها الفاروق رضى الله عنه بثلاثة أيام، وهى فترة كافية، وإن زادوا عليها، فمعنى ذلك أن شقَّة الخلاف ستتَّسع، ولذلك قال لهم: لا يأتى اليوم الرّابع إلّا وعليكم أمير[5].

د- عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

أخرج ابن سعد بإسناد رجاله ثقات: أنَّ عمر رضى الله عنه قال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثا، وليخل هؤلاء الرّهط فى بيت، فإذا اجتمعوا على رجل، فمن

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤٢).

(٢) الخلفاء الراشدون للخالدى، ص (٩٨).

(٣) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوى، ص (٢١٣).

(٤) أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة، ص (٦٤٨).

(٥) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٦٤).

خالفهم فاضربوا رأسه[1]. فعمر رضى الله عنه أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرّهط ويشقَّ عصا المسلمين، ويفرِّق بينهم، عملاً بقوله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل منكم يريد أن يشقَّ عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»[2]، وما جاء فى كتب التَّاريخ من أن عمر رضى الله عنه أمرهم بالاجتماع، والتَّشاور، وحّد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل، وأبى أحدهم، فليضرب رأسه بالسَّيف، وإن اجتمع أربعة، ورضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما[3]، فهذه من الرِّوايات التى لا تصح سندًا، فهى من الغرائب، التَّى ساقها أبو مخنف - الرّافضى الشيعى - مخالفًا فيها النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصَّحابة رضى الله عنهم، فما ذكر أبو مخنف من قول عمر لصهيب: وقم على رؤوسهم - أى: أهل الشورى - فإن اجتمع خمسة، ورضوا رجلاً، وأبى واحد، فاشدخ رأسه بالسَّيف، وإن اتَّفق أربعة، فرضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما[4]، فهذا قول منكر، وكيف يقول عمر رضى الله عنه هذا، وهو يعلم أنَّهم هم الصَّفوة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذى اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضله وقدرهم[5]، وقد ورد عن ابن سعد: أن عمر قال للأنصار: «أدخلوهم بيتًا ثلاثة أيام، فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم»[6]، وهذه الرِّواية منقطعة، وفى إسنادها «سماك بن حرب» وهو ضعيف، وقد تغير بأخره[7].

هـ- الحكم فى حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبدالله بن عمر معهم فى المجلس، وأن ليس له من الأمر شىء، ولكن قال لهم: فإن رضى ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكِّموا عبدالله بن عمر، فأىُّ الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم

(1) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٦٤).

(2) مسلم (٣/ ١٤٨٠).

(3)، (4) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٢٦).

(5) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، د. يحيى، ص (١٧٥).

(6) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٤٢).

(7) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (١٧٦).

يرضوا بحكم عبدالله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرَّحمن بن عوف، ووصف عبدالرَّحمن بن عوف بأنه مسدَّدٌ رشيدٌ، فقال عنه: ونعم ذو الرأى عبد الرَّحمن بن عوف مسدَّدٌ رشيدٌ، له من الله حافظ، فاسمعوا منه(١).

و- جماعة من جنود الله تراقب الاختيار، وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاريَّ، وقال له: يا أبا طلحة، إن الله - عزّ وجلَّ - أعزَّ الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحثَّ هؤلاء الرَّهط، حتّى يختاروا رجلاً منهم(٢)، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتمونى فى حفرتى، فاجمع هؤلاء الرَّهط فى بيت حتَّى يختاروا رجلاً منهم(٣).

ز- جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل:

ومن فوائد الشُّورى: جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل، لأنَّ عمر جعل الشُّورى فى ستة أنفس مع علمه أنَّ بعضهم كان أفضل من بعض، ويؤخذ هذا من سيرة عمر فى أمرائه الذين كان يؤمرهم فى البلاد، حيث كان لا يراعى الفضل فى الدِّين فقط، بل يضمُّ إليه مزيد المعرفة بالسِّياسة مع اجتناب ما يخالف الشَّرع منها، فاستخلف معاوية، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل من كلٍّ منهم فى أمر الدِّين، والعلم كأبى الدَّرداء فى الشَّام، وابن مسعود فى الكوفة(٤).

ح- جمع عمر بين التعيين، وعدمه:

عرف عمر أن الشُّورى لن تكون بين الستة فقط، وإنما ستكون فى أخذ رأى الناس فى المدينة، فيمن يتولَّى الخلافة، حيث جعل لهم أمدًا ثلاثة أيَّام، فيمكنهم من المشاورة، والمناظرة لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتِّفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التى هى دار الهجرة، وبها معظم الصَّحابة، وكلُّ من كان ساكنًا فى

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٢٥).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (٥/ ٢٢٥).

(٤) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى (٢/ ٩٧).

بلد غيرها كان تبعًا لهم فيما يتّفقون عليه، فما زالت المدينة حتى سنة ٢٣ هـ مجمع الصَّحابة لأنَّ كبار الصَّحابة فيها، حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة[١].

ط- أهل الشورى أعلى هيئة سياسية:

إنّ عمر رضى الله عنه أناط بأهل الشُّورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم، ومن المهمّ أن نشير إلى أنَّ أحدًا من أهل الشُّورى لم يعارض هذا القرار الذى اتّخذه عمر، كما أنَّ أحدًا من الصَّحابة الآخرين لم يثر أىَّ اعتراض عليه، ذلك ما تدلُّ عليه النُّصوص التى بين أيدينا، فنحن لا نعلم أنَّ اقتراحًا آخر قد صدر عن أحد من النّاس فى ذلك العصر، أو أنَّ معارضة ثارت حول أمر عمر خلال السَّاعات الأخيرة من حياته، أو بعد وفاته، وإنّما رضى الناس كافة عن هذا التدبير، ورأوا فيه مصلحة لجماعة المسلمين، وفى وسعنا أن نقول: إن عمر قد أحدث هيئة سياسية عليا، مهمّتها انتخاب رئيس الدَّولة، أو الخليفة، وهذا التنظيم الدُّستورى الجديد، الذى أبدعته عبقرية عمر لا يتعارض مع المبادئ الأساسية التى أقرَّها الإسلام، ولا سيما فيما يتعلق بالشُّورى، وعلى هذا لا يتوجَّه السُّؤال الذى قد يرد على بعض الأذهان، وهو: من أعطى عمر هذا الحقَّ؟ ما هو مستند عمر فى هذا التدبير؟ ويكفى أن نعلم أنَّ جماعة من المسلمين قد أقرَّت هذا التدبير، ورضيت به، ولم يُسمع صوت اعتراض عليه، حتى نتأكد أنَّ الإجماع - وهو من مصادر التشريع - قد انعقد على صحته، ونفاذه[٢]، ولا ننسى أن عمر خليفة راشد.

كما ينبغى أن نؤكِّد: أن أهل الشُّورى أعلى هيئة سياسية قد أقرَّها نظام الحكم فى الإسلام فى العهد الرَّاشدى، كما أن الهيئة التى سماها عمر، تمتّعت بمزايا لم يتمتع بها غيرها من جماعة المسلمين، وهذه المزايا مُنحت لها من الله، وبلغها الرسول، فلا يمكن عند المؤمنين أن يبلغ أحد من المسلمين مبلغ هؤلاء العشرة، من التقوى، والأمانة. هكذا ختم عمر رضى الله عنه حياته، ولم يشغله ما نزل به من البلاء، ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظامًا صالحًا

---

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٩٧).

(٢) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ للقاسمى (١/ ٢٢٧، ٢٥٨).

للشورى لم يسبقه عليه أحد، ولا يُشكُ أنّ أصل الشُّورى مقرّرٌ فى القرآن الكريم، والسُّنّة القولية، والفعلية، وقد عمل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، ولم يكن عمرًا مبتدعًا بالنسبة للأصل، ولكنَّ الذى عمله عمر هو تعيين الطّريقة التى يختار بها الخليفة، وحصر عدد معين جعلها فيهم، وهذا لم يفعله الرّسول ﷺ، ولا الصِّدِّيق رضى الله عنه، بل أوَّل من فعل ذلك عمر، ونِعْمَ ما فعل، فقد كان أفضل الطُّرق المناسبة لحال الصَّحابة فى ذلك الوقت(١).

ولا شك أن هذا التطوير الرائع لفقه الخلافة والوعى السياسى وما تتطلبه المرحلة من اجتهادات عملية ساهم فى تثقيف وتعليم الحسن بن على رضى الله عنه وأعطاه فهمًا واسعًا ونظرًا ثاقبًا، فيما بعد مما جعله يختار أسلوبًا جديدًا، لم يسبق إليه ساهم فى توحيد الأمة بعد الفرقة والاختلاف، فالشخصيات الفذَّة، والعبقريات المبدعة لا تأتى من فراغ وإنما هى حصيلة لخبرة واسعة، واستفادة كبيرة من جهود من سبقها فى البناء الحضارى الربانى الراشدى.

٢- منهج عبد الرحمن بن عوف فى إدارة الشُّورى:

ومما عاصره الحسن بن على فى أمر بيعة عثمان منهج عبد الرحمن بن عوف فى إدارة الشورى والذى تمثل فى الخطوات التالية:

أ- اجتماع الرّهط للمشاورة:

لم يكد يفرغ النَّاس من دفن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتَّى أسرع رهط الشُّورى وأعضاء مجلس الدَّولة الأعلى إلى الاجتماع فى بيت عائشة أمِّ المؤمنين رضى الله عنها وقيل: إنَّهم اجتمعوا فى بيت فاطمة بنت قيس الفهْرِية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا فى أعظم قضية عرضت فى حياة المسلمين - بعد وفاة عمر - وقد تكلَّم القوم، وبسطوا آراءهم، واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء، رضيها الخاصة والكافة من المسلمين(٢).

ب- عبد الرحمن يدعو إلى التنازل:

عندما اجتمع أهل الشُّورى قال لهم عبدالرّحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزُّبير: جعلت أمرى إلى علىٍّ. وقال طلحة: جعلت أمرى إلى

---
(١) أوليَّات الفاروق، ص (١٢٧).
(٢) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص (٦٢، ٦٣).

عثمان. وقال سعد: جعلت أمـرى إلى عبد الرحمن بن عوف. وأصبح المرشحون ثلاثة، على بن أبى طالب، وعثـمان بن عفان، وعـبد الرحمن بن عـوف. فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمـر، فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلهم فى نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبدالرحمن بن عوف: أفتجعلونه إلىَّ والله علىَّ أن لا آلو عن أفضلكما؟ قالا: نعم[1].

ج- تفويض ابن عوف بإدارة عمليَّة الشُّورى:

بدأ عبـد الرحمن بـن عوف رضى الله عنه اتصـالاته، ومشـاوراته فور انتـهاء اجتماع المرشَّحـين الستة صباح يوم الأحد، واستمـرَّت مشاوراته، واتصالاته ثلاثة أيام كاملة، حتى فجر يوم الأربعاء من المحرم، وهو موعد انتهاء المهلة التى حدّدها لهم عـمر، وبدأ عـبد الرحـمن بن عوف بـعلىٍّ بن أبى طالب، فقـال له: إن لم أبايعك فأشـر علىَّ، فمن ترشح للخلافة؟ فـقال علىّ: عثمـان بن عفان، وذهب عبـد الرحمن إلى عثـمان وقال له: إن لـم أبايعك، فـمن ترشح للخلافة؟ فـقال عثمان: علىَّ بن أبى طالب.. وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصحابة الآخرين، واستشارهم، وكان يشاور كلَّ من يلقاه فى المـدينة من كبار الصَّحابة، وأشرافهم، ومن أمراء الأجناد، ومن يأتى للمـدينة، وشملت مشاوراته النِّسـاء فى خدورهنّ، وقد أبدين رأيهن، كما شملت الصِّبيـان، والعبيد فى المدينة. وكان معظم المسلمين يشيـرون بعثمـان بن عفَّـان، ومنهم من كان يشيـر بعلىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنهمـا، وفى منتصف ليلة الأربعـاء، ذهب عبد الرحـمن بن عوف إلى بيت ابن أخته: المسور بن مـخرمة، فطرق البيت، فوجد المسور نائمًا، فـضرب الباب حتى استيقظ، فـقال: أراك نائمًا، فوالله ما اكتحلت هذه الليلـة بكبير نوم، انطلق فادع الزبيـر، وسعدًا، فـدعوتهـما له: فـشاورهمـا ثمّ دعانى، فـقال: ادع لى علـيًا، فدعـوته، فناجاه حـتَّى ابهارَّ[2] الليل ثم قام علـىٌّ من عنده.. ثم قال: ادع لى عثمان، فدعوته فناجاه حتى فرّق بينهما المؤذن بالصُّبح[3].

---

(١) البخارى، ك فضائل أصحاب النبى، رقم (٣٧٠٠).

(٢) ابهار: أى: انتصف.

(٣) البخارى، ك الأحكام، رقم (٧٢٠٧).

د- الاتفاق على بيعة عثمان رضى الله عنه:

وبعد صلاة صبح يوم البيعة، اليوم الأخير من شهر ذى الحجة ٢٣ هـ/ ٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرُّومى الإمام، إذ أقبل عبد الرَّحمن بن عوف، وقد اعتمَّ بالعمامة التى عمَّمه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين، والأنصار، وامرأء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر، وصاحبوه إلى المدينة[1]، وجاء فى رواية البخارى.. فلمَّا صلَّى النَّاس الصُّبح، واجتمع أولئك الرّهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين، والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر، فلمّا اجتمعوا، تشهَّد عبد الرحمن، ثم قال: أمّا بعد: يا علىُّ: إنى قد نظرت فى أمر النَّاس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل بنفسك سبيلاً. فقال عبد الرحمن مخاطبًا عثمان[2]: أبايعك على سُنَّة الله، ورسوله، والخليفتين من بعده، فبايعه الناس: المهاجرون، والأنصار وأمراء الأجناد، والمسلمون[3]. وجاء فى رواية صاحب التمهيد، والبيان: أن علىًّ بن أبى طالب أوَّل من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف[4].

هـ- حكمة عبد الرحمن بن عوف فى تنفيذ خطة الشُّورى:

نفّذ عبدالرحمن بن عوف خطة الشورى بما دلَّ على شرف عقله، ونبل نفسه، وإيثاره مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصَّة ونفعه الفردى، وترك عن طواعية ورضا أعظم منصب يطمح إليه إنسان فى الدنيا، ليجمع كلمة المسلمين، وحقق أوّل مظهر من مظاهر الشورى المنظمة فى اختيار من يجلس على عرش الخلافة، ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة، والصبر، والحزم، وحسن التدبير ما كفل له النجاح فى أداء مهمته العظمى، وقد كانت الخطوط التى اتخذها كالآتى:

(١) شهيد الدار، ص (٣٧) وهناك خلاف فى تحديد تاريخ البيعة.

(٢) فقال: أى عبد الرحمن مخاطبًا عثمان.

(٣) البخارى، ك الأحكام، رقم (٧٢٠٧).

(٤) التمهيد والبيان، ص (٢٦).

* بسط برنامجه في أول جلسة عقدها مجلس الشورى في دائرة الزمن الذى حدّده لهم عمر، وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورى على أن يدلوا برأيهم، فعرف مذهب كل واحد منهم، فسار في طريقه على بينة من أمره.

* خلع نفسه وتنازل عن حقه في الخلافة، ليدفع الظّنون ويستمسك بعروة الثّقة الوثقى.

* أخذ في تعرُّف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه، وشركائه في الشُّورى، فلم يزل يقلّب وجوه الرّأى معهم، حتى انتهى إلى شبه انتخابه جزئىٍّ، فاز فيه عثمان برأى سعد بن أبى وقاص، ورأى الزبير بن العوام، فلاحت له أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين معه.

* عمد إلى معرفة كلٍّ واحد من الإمامين: عثمان، وعلىٍّ في صاحبه بالنِّسبة إلى وزنه من سائر الرَّهط الذين رشَّحهم عمر، فعرف من كل واحد منهما: أنه لا يعدل صاحبه أحدًا إذا فاته الأمر.

* أخذ في تعرُّف رأى مَنْ وراء مجلس الشُّورى من خاصَّة الأمَّة، وذوى رأيها، ثمَّ من عامّتها، وضعفائها، فرأى أنَّ معظم النَّاس لا يعدلون أحدًا بعثمان، فبايع له، وبايعه عامَّة الناس[1].

لقد تمكَّن عبد الرحمن بن عوف بكياسته، وأمانته، واستقامته، ونسيانه نفسه بالتخلّى عن الطّمع في الخلافة، والزّهد بأعلى منصب في الدولة أن يجتاز هذه المحنة، وقاد ركب الشُّورى بمهارة، وتجرد مما يستحقُّ أعظم التقدير[2].

قال الذَّهبى: ومن أفضل أعمال عبد الرَّحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمَّة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتَّم نهوض على جمع الأمَّة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها، لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمِّه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبى وقَّاص[3]، وبهذا تحقَّقت صورة

(١) عثمان بن عفان رضى الله عنه - لصادق عرجون، ص (٧٠، ٧١).
(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٠) ص (٢٥٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٦).

أخرى من صور الشُّورى فى عهد الخلفاء الرَّاشدين: وهى الاستخلاف عن طريق مجلس الشُّورى، ليعيِّنوا أحدهم بعد أخذ المشورة العامَّة، ثمَّ البيعة العامة[١].

فهذا هو الذى تم فى عملية الشورى وما عاصره الحسن بن على رضى الله عنه من أحداث، ولا ينظر للأباطيل الرافضية التى دست فى قصة الشورى وشوهت التاريخ الإسلامى والتى تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين، والمفكرين المحدثين ولم يمحِّصوا الرِّوايات، ويحقّقوا فى سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرّافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتبًا خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[٢]، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدى فى خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ تولية الخلافة[٣]، ورواية من طريق عبد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر، وحصره للشورى فى الستة ووصيته لكلٍّ من علىّ وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب فى هذا الأمر[٤].

وقد نقل البلاذرى خبر الشورى، وبيعة عثمان عن أبى مخنف[٥] الرافضى، وعن هشام الكلبى، منها ما نقله عن أبى مخنف[٦]، ونقل ابن أبى الحديد بعض أحداث قصَّة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهرى[٧]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشُّورى) للواقدى[٨]، وقد تضمَّنت الرِّوايات الشيعيَّة عدَّة أمور مدسوسة، ليس لها دليلٌ من الصِّحَّة، وهى:

*** اتهام الصَّحابة بالمحاباة فى أمر المسلمين:**

اتَّهمت الرِّوايات الشِّيعيَّة الصَّحابة بالمحاباة فى أمر المسلمين، وعدم رضا علىّ بأن يقوم عبد الرحمن بن عوف باختيار الخليفة، فقد ورد عن أبى مخنف، وهشام

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص(٢٧٨).

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤/٢٤٦).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/٦٣) (٣/٦٧).

(٤) المصدر السابق نفسه (٣/ ٣٤٠).

(٥)، (٦) أنساب الأشراف (٥/ ١٨، ١٩).

(٧) شرح نهج البلاغة (٩/ ٤٩، ٥٠، ٥٨).

(٨) شرح نهج البلاغة (٩/ ١٥)، عثمان بن عفان للصلابى، ص (٧٣).

الكلبيِّ عن أبيه، وأحمد الجوهريِّ: أنَّ عمر جعل ترجيح الكفَّتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأنَّ عليًا أحسَّ بأن الخلافة ذهبت منه، لأنَّ عبد الرحمن سيقدِّم عثمان للمصاهرة التي بينهما[(١)]، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النَّسب القريب بين عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، فقال: فإنَّ عبد الرحمن ليس أخا عثمان، ولا ابن عمِّه، ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أميَّة، فإن بني زهرة أخوال النَّبيّ ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: هذا خالي فليرني امرؤ خاله[(٢)]، فإنَّ النبي ﷺ لم يؤاخ بين مهاجريٍّ ومهاجريٍّ، ولا بين أنصاريٍّ وأنصاريٍّ، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع الأنصاري[(٣)]، وحديثه مشهور ثابت في الصِّحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[(٤)].

وقد بنت الرِّوايات الشيعية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما، متناسية أن قوة النَّسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأوّل، وأنها لا تقوم على نسب ولا على مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبدالرحمن وعثمان، فهي أنَّ عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد[(٥)].

* حزب أمويّ، وحزب هاشمي:

أشارت رواية أبي مخنف الرافضي إلى وقوع مشادَّة بين بني هاشم وبني أميَّة أثناء المبايعة، وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة[(٦)]، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الرِّوايات الشِّيعيَّة الرَّافضيَّة، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الرِّوايات، فصوَّروا تشاور أصحاب الرَّسول ﷺ في تحديد

---

(١) أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص (٣٢٢).
(٢) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٢٠) رقم (٤٠١٨).
(٣) البخاري، ك مناقب الأنصار، رقم (٣٧٨٠).
(٤) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٧١، ٢٧٢).
(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٧).
(٦) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (١٧٧، ١٧٨).

الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائرى، وأنَّ الناس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أموى وحزب هاشمى وهو تصوُّر موهوم، واستنتاج مردود ولا دليل عليه، إذ أنه ليس نابعًا من ذلك الجوِّ الذى كان يعيشه أصحاب رسول الله حينما كان يقف المهاجرى مع الأنصارى ضدَّ أبيه، وأخيه، وابن عمه وبنى عشيرته، وليس نابعًا من تصوُّر هؤلاء الصَّحب وهو يضحُّون بكلِّ شىء من حطام الدنيا فى سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التى رويت عن هؤلاء تثبت: أنَّ هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزَّاوية الضيقة فى معالجة أمورهم، فليست القضيَّة قضيَّة تمثيل عائلى، أو عشائرى، فهم أهل شورى لمكانتهم فى الإسلام[1].

*** أقوال نسبت زورًا وبهتانًا لوالد الحسن رضى الله عنهما:**

قال ابن كثير: وما يذكره كثير عن المؤرخين كابن جرير، وغيره عن رجال لا يعرفون: أنَّ عليًا قال لعبد الرَّحمن بن عوف: خدعتنى، وأنَّك إنَّما وليته لأنَّه صهرك، ويشاورك كلَّ يوم فى شأنه، وأنه تلكَّأ حتى قال لعبد الرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما يثبت فى الصِّحاح فهى مردودة على قائليها، وناقليها، والله أعلم، والمظنون من الصّحابة خلاف ما يتوهَّم كثير من الرَّافضة، وأغبياء القصَّاص الذين لا تمييز عنهم بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها، وسقيمها، و........، وقويمها، والله الموفق للصَّواب[2].

من الدروس المهمة التى استفدتها من دراستى لمرحلة السيرة النبوية والخلافة الراشدة أنه بجانب الرواية الصحيحة التى تظهر حقيقة الصورة المشرقة للصحابة فى دينهم وصفائهم ومحبتهم لبعضهم، هناك صورة أخرى مناقضة لها حرص أعداء الإسلام من الكذابين على نشرها حقدًا على الإسلام وروَّج لها المستشرقون

---

(١) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة، ص (٧٨، ٧٩).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٥٢).

وأذنابهم، وتورط فيها بعض الفضلاء عن جهل، وهى بطبيعة الحال تساهم فى إضعاف الأمّة وفقدان الأجيال التالية نموذج الاقتداء فى سلفهم الصالح، فيجب على الغيورين من الباحثين فى هذه الأمَّة كشف هذا الزيف والأباطيل والتحذير من الكتب التى تروّج لها وتنشرها، وبيان الروايات الصحيحة والترويج للكتب التى تتبناها دفاعًا عن الصحابة الكرام وابتغاء لمرضاة الله تعالى.

٣- معتقد الحسن بن على فى خلافة عثمان رضى الله عنهم:

إن معتقد الحسن بن على فى خلافة عثمان، هو ما ذهب إليه الصحابة، حيث أجمعوا على صحة خلافته بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولم يخالف، أو يعارض فى هذا أحد، بل الجميع سلَّم له بذلك، وقد قال أبو الحسن الأشعرى: وثبتت إمامة عثمان رضى الله عنه بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشُّورى، الذين نصَّ عليهم عمر، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله(١)، وقال عثمان الصَّابونى مبينًا عقيدة أهل السنة، وأصحاب الحديث فى ترتيب الخلافة بعد أن ذكر أنَّهم يقولون أوّلاً بخلافة الصِّدِّيق، ثم عمر، قال: ثم خلافة عثمان رضى الله عنه بإجماع أهل الشورى، وإجماع الصحابة كافة، ورضاهم حتَّى جعل الأمر إليه(٢).

٤- الحسن بن على فى فتح أفريقيا فى جيش العبادلة:

كانت خطة عثمان فى الفتوحات تتسم بالحسم والعزم وتمثَّلت فى الآتى: إخضاع المتمرِّدين من الفرس، والرُّوم وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيها وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامى إلى ذلك، وكانت معسكرات الإسلام ومسالكه (ثغوره) فى عهد عثمان هى عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق: الكوفة، والبصرة،

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، ص (٦٨).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية (١/ ١٣٩).

ومعسكر الشَّام فى دمشق بعد أن خلص الشَّام كله لمعاوية بن أبى سفيان، ومعسكر مصر، وكان مركزه الفسطاط، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام، ومواصلة الفتوحات، ونشـر الإسلام، ومن أشهر قادة الفتوحات فى عـهد عثمان رضى الله عنه: الأحنف بن قيس، وسليمان بن ربيعـة، وعبد الرحمن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة.

وقد استفاد المسلمون من تلك الفتوحـات العثمانية دروسًا منها، تحقق وعد الله للمؤمنين بـالنصر والتمكين والتطور فـى فنون الحرب والسيـاسة وركوب البـحر، والقتال البحرى، وجمع المعلومـات عن الأعداء، والحرص على وحدة الكلمة فى مواجهة العدو.

وعندما أراد أمير المؤمنين عـثمان رضى الله عنه أن يفتح أفريقيا اسـتشار الأكابر من أصحاب رسول الله، فقد جاء فى رياض النفـوس أن أمير المؤمنين عثمان جاءه من واليه على مـصر عبدالله بـن سعد، أنَّ المسلمين يغـيرون على أطراف أفريقـيا فيصيـبون من عدوهم وأنهم قريبون من حَـوز المسلمين، فأعرب عثمـان بن عفان رضى الله عنه - على إثر ذلك - للمسور بن مخرمـة عن رغبته فى بعث الجيوش لغزو أفـريقيا. جـاء فى هذا الصدد مـا نصه: فمـا رأيك يا ابن مخـرمة؟ قلت: اغزهم. قـال: أجمع اليوم الأكابر مـن أصحاب رسول الله، وأسـتشيرهم، فـما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليـه أكثرهم فعلته.. آيْتِ عليًا، وطلحة والزبير والعبـاس، وذكر رجالاً، فخـلا بكل واحد منهم فى المسجد، ثم دعـا أبا الأعور سعيد بن زيد. فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلى أفريقيـا؟ فقال له: سمـعت عمر يقول: لا أغـزيها أحدًا من المسلمين مـا حملت عيناىَ الماء. فلا أرى لـك خلاف عمر. فقـال له عثمان: والله ما نـخافهم وإنهم لراضون أن يقروا فى مـواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليـه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الـغزو إلى أفريقيا، فخـرج بعض الصحابة، منهم عبدالله بن الزبير وأبو ذر الغفارى[1]، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر

(١) رياض النفوس (١/٨، ٩) الجهاد والقتال لهيكل (١/ ٥٥٦).

والحسن والحسين[1] وغيرهم كثير، وقد قدم المسلمون الغالى والرَّخيص فى فتوحات أفريقيا، واستشهد منهم الكثير، وممَّن توفى منهم بأفريقيا فى خلافة عثمان أبو ذُؤيب الهُذلى وكان شاعراً مشهورًا، وهو الذى قال:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

وتجلدى للشامتين أُريهم ... أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وبعد انتصارهم الكبير على أعدائهم اتجه الحسن ومعه ثلة مباركة من المسلمين إلى عاصمة الخلافة وقلبه مفعم بالسرور والارتياح لتوسع النفوذ الإسلامى، وانتشار دين رب العالمين.

٥- موقف والد الحسن بن على والصحابة فى فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت فى فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه كالرخاء وأثره فى المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعى، ومجىء عثمان بعد عمر رضى الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية فى أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب فى كتابى «تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره».

ولقد استخدم أعداء الإسلام فى فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرًا، والتحريض والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس والطعن فى الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضى الله عنهم، عائشة وعلى وطلحة والزبير، والإشاعة بأن على بن أبى طالب رضى الله عنه الأحق بالخلافة وأنه الوصى بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق فى كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا

(١) ليبيا من الفتح العربى حتى انتقال الخلافة الفاطمية للدكتور صالح مصطفى، ص (٤١)، الشرف والتسامى بحركة الفتح الإسلامى للصَّلابى، ص (١٩).

إلا بدعوة الصحابة، وصعَّدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل[1]، وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا فى جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى مقتل الخليفة وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأية وسيلة[2]، وكان التنظيم السبئى بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودى خلف تلك الأحداث والتى بعدها كالجمل وصفين وغيرهما وقد تحدثنا عن حقيقة عبد الله بن سبأ فى كتابى عثمان بن عفان، وكتابى أسمى المطالب فى سيرة على بن أبى طالب رضى الله عنهم، فمن أراد المزيد فليرجع إليهما، ولقد تعرّضت فى كتابى عثمان بن عفان للشبهات التى ألصقت بتاريخ عثمان رضى الله عنه وبينت كذبها وبطلانها، بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة، فقد كان عثمان رضى الله عنه بحق الخليفة المظلوم الذى افترى عليه خصومه الأوَّلون، ولم ينصفه المتأخرون.

*** موقف على رضى الله عنه فى بداية الفتنة:**

استمر على رضى الله عنه فى طريقته المعهودة مع الخلفاء وهى السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقًا بقوله: لو سيرنى عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[3]، وعندما نزل المتمردون فى ذى المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهرًا ونصفًا، أرسل إليهم عثمان عليًا ورجلاً آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم على رضى الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[4]، وفى رواية أنهم شادُّوه وشادهم مرتين أو ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله،

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٤٠١).

(٢) المصدر نفسه، ص (٤٠٢).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٢٥) سنده صحيح.

(٤) تاريخ دمشق ترجمة عثمان، ص (٣٢٨)، تاريخ خليفة، ص (١٦٩).

ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[1]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفى يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفىء، ويعدل فى القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك فى كتابًا، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة[2]، وهكذا اصطلح عثمان رضى الله عنه مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[3]، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعًا راضين تبيَّن لمشعلى الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطًا آخر يذكى الفتنة ويحييها يقتضى تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضى الله عنه، وبرز ذلك فيما يلى:

فى أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبًا على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم، فكأنه يقول: خذونى فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ورأوا معه كتابًا ففتحوا الكتاب، فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[4]، ونفى عثمان رضى الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذى لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم فلم يصدقوه[5]، وهو الصادق البار لغاية فى نفوسهم. وهذا الكتاب الذى زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبى السرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها[6]:

كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين -الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم- مسافة شاسعة، فالعراقيون فى الشرق والمصريون

---

(١)، (٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٢٩).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٢٩).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٧٩).

(٥) فتنة مقتل عثمان (٥/ ١٣٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

(٦) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان للصَّلابى، ص (٤١٠).

فى الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا فى آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوَّروا الكتاب واستأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[1]، بل أن عليًا يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[2].

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتبًا على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان على وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضى الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان، فتنفى وتقول: لا والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسى[3] هذا. ويعقب الأعمشى فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[4]، ويتهم الوافدون عليًا بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابًا[5]، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد فى المدينة خير من الرباط فى الثغور البعيدة[6]، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج - قتلة عثمان - كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زوَّر هذا الكتاب على عثمان أيضًا، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[7]، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبرى وخليفة من استنكار كبار الصحابة - على وعائشة والزبير - أنفسهم لهذه الكتب فى أصحِّ الروايات[8].

(١)، (٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٩).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٤).

(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٦٩).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٧) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٨) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).

إن الأيدى المجرمة التى زوَّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هى نفسها التى أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهى التى زورت وروَّجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل ولقنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زوَّرت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيدًا سعيدًا، ولم يكن عثمان الشهيد المجنى عليه وحده فى هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنيًا عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوَّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التى تلقت تاريخها مشوَّهًا هى كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودى وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب فى هذا العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره(١).

* موقف الحسن بن على ووالده أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان رضى الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة فى المسجد، وكان صابرًا على هذه البلوى التى أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوى بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وإنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث فى الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة فى الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم(٢)، وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة؟ وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله؟ وهو الذى تربى على عين النبى ﷺوالذى شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، ومتى؟ بعد ما تجاوز السبعين وقارب الثمانين من عمره أهكذا تكون معاملته؟ واشتدت سيطرة المتمردين على المدينة حتى أنهم ليصلون بالناس فى أغلب الأوقات(٣)، وحينها أدرك

---

(١) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص (٢٣٨، ٢٣٩).
(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد على، ص (٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٥).

الصحابة أن الأمـر ليس كما حسبوا، وخـشوا من حدوث ما لا يحمد عـقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليـه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسـببـه[1]. وأرسل كبـار الصحـابة أبناءهم دون استـشارة عـثمـان رضى الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن على رضى الله عنهـما، وعبدالله بـن الزبير، فقد كـان عثمان يحب الحـسن ويكرمه، فعندما وقـعت الفتنة وحوصر عثمان رضى الله عنه أقسم على الحسن رضى الله عنه بالرجوع إلى منزله، وذلك خشيـة عليه أن يصاب بمكروه[2]، وقد قـال عثمـان للحسن رضى الله عنه: ارجع يا ابن أخى حتى يأتى الله بأمره[3]، صحت روايات أن الحسن حـمل جريحًا من الدار يوم الدار[4]، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن على وابن عمر رضى الله عنهما[5].

وقد كان على من أدفع الناس عن عثـمان رضى الله عنه وشهد له بذلك مروان ابن الحكم[6] كمـا أخرج ابن عساكـر عن جابر عن عبد الله رضى الله عنهـما أن عليًا أرسل إلى عـثمان، فقال: إن مـعى خمسمائة دارع، فـأْذَنْ لى، فأمنعك من القوم فـإنك لم تحدث شيئًـا يُستحل به دمُك، فـقال: جزيت خيـرًا، ما أحب أن يُهراق دم فى سببى[7]، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رضى الله عنهما، أثناء الحـصار، فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثـمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عـطشًا، فأرسل على رضى الله عنه إليـه بثلاث قـرب مملوءة ماء، فمـا كادت تصل إليه، وجرح بسـببها عـدة من موالى بنى هاشم وبنى أميـة حتى وصلت[8]، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغـاء على عثمان وقتلوه رضى الله عنه، وأرضاه.

---

(١) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٧)، المسند (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة (٤/ ١٢٠٨).

(٣) الرياض النضرة نقلاً عن الحسن بن على ودوره السياسى، ص (٤٦).

(٤) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢٨) بسند صحيح.

(٥) تاريخ خليفة، ص (١٧٤).

(٦) تاريخ الإسلام للذهبى، ص (٤٦٠ - ٤٦١) إسناده قوى.

(٧) تاريخ دمشق، ص (٤٠٣).

(٨) أنساب الأشراف للبلاذرى (٥/ ٧٦).

ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم فى المسجد، فذهبت عقولهم، وقال على لأبنائه وأبناء أخيه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح[1]، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تبًا لكم سائر الدهر، اللهم إنى أبرأ إليكم من دمه أن يكون قتلت أو مالأت على قتله[2].

وهكذا كان موقف على رضى الله عنه، نصحًا وشورى، وسمعًا وطاعة، ووقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بالشهادة[3].. . . . ويبوء المفسدون بالإثم.

أن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنكر قتل عثمان، وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك فى خطبه، وغيرها: إنه لم يقتله ولا أمر بقتله، ولا مالأ عليه، ولا رضى، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[4]، خلافًا لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضيًا بقتل عثمان رضى الله عنهما[5]، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة فى مقتله رضى الله عنه: فأما الذى ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فإنه كذب، وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه[6]، وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على علىّ رضى الله عنه، وافتراء عليه، فعلى رضى الله عنه لم يشارك فى دم عثمان رضى الله عنه ولا أمر ولا رضى، وقد روى عنه ذلك، وهو الصادق البار[7]، وقد قال على رضى الله عنه: اللهم أنى أبرأ إليك من دم عثمان[8].

---

(١) ابن أبى عاصم الآحاد والثمانى (١/ ١٢٥) نقلاً عن خلافة على، ص (٨٧).
(٢) مصنف ابن شيبة (١٥/ ٢٠٩) إسناده صحيح.
(٣) خلافة على بن أبى طالب، ص (٨٧)، على عبد الحميد.
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).
(٥) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص (١٢٩)، حق اليقين، عبدالحميد شبر، ص (١٨٩).
(٦) المستدرك (٣/ ١٠٣).
(٧) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).
(٨) العقيدة فى أهل البيت ص، (١٣٠)، إسناده حسن، الطبقات (٣/٣).

وقد شوهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحـابة من فتنة مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الرافضية التى ذكرها كثير من المؤرخين. والمتتبع لأحداث الفتنة فى تاريخ الإمـام الطبرى، وكـتب التاريخ الأخـرى من خلال روايات أبى مـخنف، والواقدى، وابن أعـثم، وغيرها من الأخـبار يبيـن ويشعر أن الصـحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة، ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع فى اتهام عثمان بأنه الخليـفة الذى كثرت سقطاته، فاستحق مـا استحق، ويظهر طلحة فى مروياته كواحد من الثائرين على عـثمان، والمؤلبين ضده، ولا تختلف روايات الواقدى عن روايات أبى مخنف، وقد كثرت الروايات الرافضية التى تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمـان رضى الله عنه، وأنهم هم الذين حركوا الفتنة، وأثاروا الناس، وهذا كله كذب وزور[١].

وخلافًا للروايات الرافضية والموضوعة والضعـيفة فقد حفظت لنا كتب المحدثين بحمـد الله الروايات الصحيـحة التى يظهر فـيها الصـحابة من المؤازرين لعثـمان، والمنافحين عنه والمتبـرئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يـستبعد أى اشتراك لهم فى تحريك الفتنة، أو إثارتها[٢]. إن الصحابة جمـيعًا رضى الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضى الله عنه، ومن قال خلاف ذلك فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أى دليل ينهض إلى مرتبة الصـحة، ولذلك أخرج خليفة فى تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم، عن أبيه، قال: قلت للحـسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهـاجرين والأنصار؟ قال: لا، كـانوا أعلاجًا[٣] من أهل مصـر. وقال الإمام النَّووى: ولـم يشـارك فى قتله أحد من الصحابة، وإنما قـتله همج، ورعاع من غوغاء القـبائل سفلة الأطراف والأراذل، تحزَّبوا، وقـصدوه من مصر، فـعجز الصَّحـابة الحاضرون عن دفـعهم، فحـصروه حتَّـى قتل، رضى الله عنه[٤]، وقد وصفهم الزبير رضى الله عنه بأنهم غوغاء الأمصار، ووصفتهم السيدة عائشة بأنَّهم نزَّاع القبائل[٥]، ووصفـهم ابن تيميـة بأنهم خوارج مـفسدون وضـالون، باغون

---

(١)، (٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤- ١٨)

(٣) العلج: كل جاف شديد من الرجال.

(٤) شهيد الدار عثمان بن عفان، ص (١٤٨).

(٥) شرح النووى على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٨).

معتدون[1]، ووصفهم الذهبيُّ بأنهم رؤوس شر، وجفاء[2]، ووصفهم ابن العماد الحنبليُّ فى الشذرات بأنَّهم أراذل من أوباش القبائل[3]، ويشهد على هذا الوصف تصرُّف هؤلاء الرُّعاع منذ الحصار إلى قتل الخليفة رضى الله عنه ظلمًا، وعدوانًا، فكيف يمنع الماء عنه، والطّعام، وهو الذى طالما دفع من ماله الخاص ما يروى ظمأ المسلمين بالمجان[4]، وهو الذى يساهم بأموال كثيرة عندما يلمُّ بالناس مجاعة، أو مكروه، وهو الدائم العطاء عندما يصيب النَّاس ضائقة، أو شدَّة من الشدائد[5]، حتى أنَّ عليًا رضى الله عنه يصف هذا الحال، وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيُّها الناس: إن الذى تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين، ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرّجل الماء، ولا المادة - الطعام - فإن الرُّوم، وفارس لتأسر، وتطعم، وتسقى[6]. لقد صحَّت الأخبار، وأكّدت حوادث التاريخ على براءة الصَّحابة من التَّحريض على عثمان أو المشاركة فى الفتنة ضدّه[7]، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابى «تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان»[8].

رابعًا: الحسن بن على فى عهد والده رضى الله عنهما:

تمت بيعة على رضى الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه على أيدى الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق، ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير فى الدين، فبعد أن قتلوه -رضى الله عنه- ظلمًا وزورًا وعدوانًا يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين[9]، قام كل من بقى بالمدينة من أصحاب رسول الله بمبايعة على رضى الله عنه بالخلافة، وذلك

(١) منهاج السنة (٢/ ١٨٩ - ٢٠٦).

(٢) دول الإسلام للذهبى (١/ ١٢)

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٠).

(٤) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان للصلابى ص، (٤٥٠).

(٥) التمهيد والبيان، ص (٤٢٤).

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٠٠).

(٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٨).

(٨) عثمان بن عفان للصَّلابى، ص (٤٥١ - ٤٦٦).

(٩) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣١).

لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق فى ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان رضى الله عنه ولم يكن أبو السبطين رضى الله عنه حريصًا عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقى من الصحابة بالمدينة وخوفًا من ازدياد الفتن وانتشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال أثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التى أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ واتباعه الذين استخفهم فاطاعوه لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى، وقد روى الكيفية التى تم بها اختيار على رضى الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[1]، وقد ذكرت تلك الروايات بالتفصيل فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه، وقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن عليًا رضى الله عنه كان متعينًا للخلافة بعد عثمان رضى الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له لما رأوا لفضله على من بقى من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلامًا، وأوفرهم علمًا، وأقربهم بالنبى ﷺ نسبًا، وأشجعهم نفسًا، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا، فكان رضى الله عنه متعينًا للخلافة دون غيره، وقد قام من بقى من أصحاب النبى ﷺ بالمدينة بعقد البيعة به بالخلافة بالإجماع فكان حينئذ إمامًا حقًا وجب على سائر الناس طاعته وحرمة الخروج عليه ومخالفته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم، ابن سعد[2]، وابن قدامة[3]، وأبو الحسن الأشعرى[4]، وأبو نعيم الأصبهانى[5]، وأبو منصور البغدادى[6]، والزهرى[7]، وعبدالملك الجوينى[8]، وأبو عبدالله بن بطة[9]،

---

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٢/ ٦٧٧).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٣١).

(٣) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين، ص (٧٧، ٧٨) نقلا عن عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٨٩).

(٤) الإبانة عن أصول الديانة ص ٧٨، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٦).

(٥) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٦) كتاب أصول الدين، ص (٢٨٦، ٢٨٧).

(٧) الاعتقاد، ص (١٩٣).

(٨) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، ص (٣٦٢، ٣٦٣).

(٩) لوامع الأنوار البهية للسفاريتى (٢/ ٢٤٦)، عقيدة أهل السنة (٢/ ٦٩٢).

والغزالى[1]، وأبو بكر بن العربى[2]، وابن تيمية[3]، وابن حجر[4]، والذى نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة على رضى الله عنه محل إجماع على أحقيتها وصحتها فى وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان رضى الله عنه حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضى الله عنه، فقد جاءت على رضى الله عنه على قدر فى وقتها ومحلها[5].

١ - خروج أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى الكوفة:

لم يكن بعض الصحابة رضى الله عنهم فى المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من المدينة، وقد تبين ذلك حينما همَّ علىٌّ بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما هو رأى معاوية فيما هو صانع[6]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التى تملكها بعض الأمصار فى تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[7]، فلما علم أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت.. فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب. وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[8]، ولكن حصل كثير من المستجدات السياسية التى أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرّر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريبًا من أهل الشام[9]، وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء فى جيش على، وطريقة التعامل

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد، ص (١٥٤).

(٢) العواصم من القواصم، ص (١٤٢).

(٣) الوصية الكبرى، ص (٢٣).

(٤) فتح البارى (٧/ ٧٢).

(٥) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٢/ ٦٩٣).

(٦)، (٧)، (٨) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)، الأنصار فى العصر الراشدى، ص (١٦١).

(٩) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (١٨٣).

معهم، فكثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة لا زالت مستمرة، فلابد من التروى حتى تتجلى الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما نرى كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضئ لنا ويسفر. وروى الطبرى أن عليّاً رضى الله عنه خرج فى تعبئته التى كانت تعبأ إلى الشام وخرج معه النشطة من الكوفيين والبصريين متخفين فى سبعمائة رجل[١]، والأدلة على تثاقل الكثير من أهل المدينة على إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة منها، خطب الخليفة التى شكا فيها من هذا التثاقل[٢].

٢- نصيحة الحسن بن على لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة، وعندما بلغ الربذة[٣] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[٤]، وفى الربذة قام إليه ابنه الحسن رضى الله عنهما وهو باك لا يخفى حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتنى، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال على: إنك لا تزال تخن خنين الجارية[٥]، وما الذى أمرته فعصيته؟، قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضى الله عنه أن تخرج من المدينة، فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قُتل أن لا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدى غيرك، فعصيتنى فى ذلك كله. قال: أى بنى، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتى بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنًا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصًا لا أصل إلى شيء مما ينبغى، وأما قولك: اجلس فى بيتك فكيف لى بما قد لزمنى؟

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل(٥/ ٤٨١).

(٢) الطبقات (٢/ ٢٣٧)، الأنصار فى العصر الراشدى، ص (١٦٣).

(٣) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٤٠ كم.

(٤) انساب الأشراف (٢/ ٤٥) خلافة على بن أبى طالب، ص (١٤٣).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٢)، خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

أو مِنْ تريدنى؟ أتريدنى أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها، ويقال: دباب دباب[١]، ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم نخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمنى من هذا الأمر ويعنينى فمن ينظر فيه، فكف عنك أى بنى.

من هذه الحادثة نلاحظ حسن تربية أمير المؤمنين علىّ لابنه، وكيف أعطاه مجالاً ليعبر عما فى نفسه بدون ضغوط ثم رد أمير المؤمنين على كل اعتراض، كما تبين ميل الحسن رضى الله عنه المبكر للسلم والابتعاد عن استخدام القوة مهما كلف الأمر، أما أمير المؤمنين على، فقد كان حازمًا - والحق معه - فى هذه المشكلة وواضحًا، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه، وكان متريثًا فى تنفيذ القصاص على قتلة عثمان فقد كان ينتظر حتى يستتب له الأمر، ثم ينظر فى شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهما، بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق، لأن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذى ندعوكم إليه من إقرار قتلة عثمان - وهو خير من شر منه - القتال والفرقة[٢]. لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضى تأخير القصاص لا تركه، فأخر القصاص من أجل هذا، وكان رضى الله عنه ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البينة ويجرى القضاء فى مجلس الحكم[٣]، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة[٤]، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان فى جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وكيف يرضى أن يكون هؤلاء فى جيشه، فقد أجاب الإمام الطحاوى عن ذلك بقوله: وكان فى عسكر على رضى الله عنه من أولئك

---

(١) دباب، كقطام: دعاء الضبع للضبع.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦٠).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٦).

(٤) أحكام القرآن لابن العربى (٢/ ١٧١٨).

الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن فى قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله[١]، وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرئ من فعلهم، وكان راغبًا فى الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً. وقد فصلت ذلك فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

٣- أثر الحسن بن على فى استنفار أهل الكوفة:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يمارس صلاحياته كخليفة، وكان فيه من العزم والحزم بحيث لا يستطيع أحد أن يثنيه عن عزمه، فأرسل على رضى الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبى بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا فى مهمتهما، إذ أن أبا موسى الأشعرى والى الكوفة من قبل على، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال فى الفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك فى الفتنة[٢]، فأرسل على بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، ففشل فى مهمته، لتأثير أبى موسى عليهم[٣]، فبعث عبدالله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن على، وعزل أبا موسى الأشعرى واستعمل قرظة بن كعب بدلا منه[٤]، وكان للقعقاع بن عمرو دور كبير فى إقناع أهل الكوفة، قام فيهم وقال: إنى لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولا هو الحق.. والقول الذى هو القول إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا على يلى ما ولى، وقد أنصف فى الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا فى هذا الأمر بمرأى ومسمع[٥].

---

(١) شرح الطحاوية، ص (٥٤٦).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، ص (٤٤) عبدالحميد، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).

(٤) فتح البارى (١٣/ ٢٥)، التاريخ الصغير (١/ ١٠٩).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

وكان للحسن بن على أثر واضح، فقد قام خطيبًا فى الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[1] أمثل فى العاجلة وخير فى العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[2]، ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى على ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثنى عشر ألف رجل تقريبًا[3]، وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين على بذى قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأغنيتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذلك ما نريد وأن يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدأونا بظلم، ولن ندع أمرًا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[4].

٤- محاولات الصلح:

كان على رضى الله عنه حريصًا على أن يقضى على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أوتى من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك فى محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين، وكان من أشهرها محاولة القعقاع بن عمرو فقد حاور طلحة والزبير والسيدة عائشة، وقد تأثروا بما طرح وسألت السيدة عائشة القعقاع عن رأيه فى أمر قتلة عثمان، فقال: هذا أمر دواؤه التسكين، ولابد من التأنى فى الاقتصاص من قتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًا[5] واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم

(١) أولو النهى: أصحاب العقول.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

(٣) مصنف عبدالرزاق (٥/ ٤٥٦، ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهرى.

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٩).

(٥) المقصود: الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين على فى التعامل مع قتلة عثمان.

ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابًا لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقونها وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تعرضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وأيم والله إنى لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإنى لخائف ألا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التى قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة، فاقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على عودته إلى الصلح، وقالوا له: أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم على وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر إن شاء الله، وعاد القعقاع إلى على فى «ذى قار»، وقد نجح فى مهمته، وأخبر عليًا بما جرى معهم، فأعجب على بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه ورضيه من رضيه[1].

٥- دور السبئية فى نشوب القتال فى معركة الجمل:

لما عاد القعقاع وأخبر أمير المؤمنين عليّا بما فعل، أرسل علىّ رضى الله عنه رسولين[2] إلى عائشة والزبير ومن معه يستوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا عليًا، بأنا على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل على حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون فى الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[3]، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وأنى راحل غدًا فارتحلوا -يقصد إلى البصرة-، ألا ولا يرتحلن غدًا أحد أعان على عثمان بشىء فى شىء من أمور الناس[4]، وكان فى معسكر على رضى الله عنه من أولئك الطغاة والخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن فى قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[5]، وحرص أتباع

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧٣٩)، تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢١).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٥).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ٥٣٩).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٥).

(٥) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٦).

ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نـيرانها حتى يفلتوا من القصاص[١]، فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا خرج على وخـرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلمـوا فيما اختلفـوا فيه، فلم يجـدوا أمرًا هو أمثل من الصلح، وترك الحـرب، حين رأوا أن الأمر أخـذ فى الانقشاع، فـافترقوا على ذلك، ورجـع على إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل على إلى رؤساء أصـحابه مـا عدا أولئك الذين حاصـروا عثـمان رضى الله عنه. فبات الناس على نيـة الصلح والعافية وهم لا يشكون فى الصـلح، فكان بعضهم بحـيال بعض وبعـضـهم يخرج إلى بعـض، ولا ينوون إلا الصلح، وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلهم، وقال قائلهم: أمـا طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهمـا، وأما على فلم نعرف أمره حـتى كان اليـوم وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا فى الـغد ولا يرتحل مـعه أحـد أعـان على عـثمـان بشيء، ورأى الناس فـينا - والله - واحـد، وأن يصطلحوا مع على فـعلى دمائنا[٢]، وتكلم ابن السـوداء - عبدالله بن سـبأ وهو المشير فيهم - فقال: إن عـزكم فى خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدًا فانشـبوا القتـال، ولا تفرغوهم للنظر، وإذا أنـتم معه لا يجـد بدًا من أن يمتنع، ويشغل الله عـليًا وطلحة والـزبير ومن رأى رأيهم عـما تكرهون، فابـصروا الرأى وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[٣]. فاجتمعوا على هذا الرأى بإنشاب الحرب فى السر، فغدوا فى الغلس وعليـهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم فـخرج مضريهم إلى مضـريهم وربيعيـهم إلى ربيعيـهم، ويمانيـهم إلى يمانيهم، فـوضعوا فـيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قـوم فى وجوه الذين باغتوهم، فخرج الزبير وطلحة فى وجوه الناس واندلع القتال[٤]، وقد تحدثت عن جولات معركة الجمل بالتفصيل فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فقد كان أثر السبئية فى معركة الجـمل مما يكاد يجمع عليه العلماء، سواء من أسموهم

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٥)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٢٠).
(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٦).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٧).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٥٤١).

بالمفسدين أو بأوباش الطائفتين أو أسماهم البعض بقتلة، أو نبذوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[1] وهذه بعض النصوص التى تؤكد ذلك.

أ- جاء فى أخبار البصرة لعمر بن شبة أن الذى نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[2].

ب- قال الإمام الطحاوى: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من على ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[3].

جـ- وقال الباقلانى: . . وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا، وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين ويبدأوا بالحرب سحرة فى المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذى فى معسكر على: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذى فى طلحة والزبير: غدر على، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشب الحرب، فكان كل فريق منهم دافعًا لمكروه عن نفسه ومانعًا من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول[4].

د- ونقل القاضى عبدالجبار أقوال العلماء، باتفاق رأى على وطلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر فى الأمر، وأنَّ من كان فى المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبروا فى إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك[5].

هـ- ويقول القاضى أبو بكر بن العربى: وقدم علىّ على البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء واشتجر الحرب،

---

(١) عبدالله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام، ص (١٩٤).

(٢) فتح البارى (١٣/ ٥٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص (٥٤٦).

(٤) التمهيد، ص (٢٣٣).

(٥) تثبيت دلائل النبوة للهمذانى، ص (٢٩٩).

وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحداً فى الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[١].

و- ويقول ابن حزم: . . وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر علىّ، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطًا، لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب وإضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة فى غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحربَ بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدرى حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحًا فى ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدى رسول الله - ﷺ -فانصرف ومات من وقته - رضى الله عنه - وقتل الزبير بوادى السباع - بعد انسحابه من المعركة - على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر[٢].

ز- ويقول الذهبى: كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين[٣]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلى ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا فى اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل وشبت نار الحرب، وثارت النفوس[٤]. وفى (دول الإسلام): والتحم القتال من الغوغاء، وخرج الأمر عن على وطلحة والزبير[٥]، يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبرى المصرّحة بدور السبئية فى الجمل، تفسر هذا التعميم وتحدد تلك المسميات التى وردت فى نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى ولو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم،

---

(١) العواصم من القواصم، ص (١٥٦، ١٥٧).

(٢) الفصل فى الملل والنحل (٤/ ١٥٧، ١٥٨).

(٣) العبر (١/ ٣٧)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (١٩٥).

(٤) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (١٩٥).

(٥) دول الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (١٩٥).

فأى مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية» كما هى العادة فى بعض الحركات الغوغائية التى تستغل من قبل المفسدين[1].

وقد كان الحسن رضى الله عنه يوم الجمل على الميمنة وقيل: على الميسرة، وكان يكره القتال ويشير على أبيه بتركه[2].

٦- عدد القتلى فى الجمل:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت فى تقديره الروايات، وذكر المسعودى أن هذا الاختلاف فى تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[3]، وقد أورد خليفة بن خياط بيانًا بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل، فكانوا قريبًا من المائة[4]، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعنى أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين، وهذا هو الرقم، الذى ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث فى رسالته استشهاد عثمان ووقعة الجمل فى مرويات سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى دراسة نقدية[5]، وأما ما ذكره أبو مخنف الرافضى الشيعى فى كون القتلى يصل عددهم إلى عشرين ألفًا[6]،فهذا مبالغ فيه، وقد أساء هذا الكذّاب من حيث يظن أنه أحسن، إذ ذكر أن العشرين ألفًا من أهل البصرة فقط[7]،وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب على رضى الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة رضى الله عنها، وفى رواية أخرى قال: وقيل: خمسة عشرة ألفًا، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل فى المعركة الأولى ونصفهم فى الجولة الثانية[8]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع، وغيره، وفيها مبالغة أيضًا، ويذكر عمر

---

(١) عبد الله بن سبأ للعودة، ص (١٩٦).

(٢) الوافى بالوفيات للصدفى (١٢/ ١٠٩).

(٣) مروج الذهب (٣/ ٣٦٧).

(٤) تاريخ خليفة، ص (١٨٧ - ١٩٠).

(٥) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (٢١٥).

(٦) تاريخ خليفة، ص(٨٦) بسند مرسل.

(٧) المصدر نفسه، ص (١٨٦).

(٨) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٤٢ - ٥٥٥).

ابن شبه أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سندًا[1] وأما اليعقوبى، فقد جاوز هؤلاء جميعًا، إذ وضع عدد القتلى نيفًا وثلاثين ألفًا[2]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جدًا وقد ذكرت فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب أسباب المبالغة.

٧- نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادى على: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبرًا، ولا يدخلوا دارًا، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادى أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[3].

٨- تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج أمير المؤمنين على رضى الله عنه يتفقد القتلى فى نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة السجاد، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابًا صالحًا، ثم قعد كئيبًا حزينًا.. ودعا للقتلى بالمغفرة وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[4].

٩- تأثره من مقتل طلحة رضى الله عنه:

.. وإن عليًا لما دار بين القتلى رأى طلحة مقتولاً فجعل يمسح عن وجهه التراب[5] ثم قال: عزيز علىّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً فى الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجرى وبُجرى[6]، وترحم عليه وقال: ليتنى مت قبل هذا بعشرين سنة[7].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٨٦) إسناده منقطع وهو حسن إلا قتادة.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (٧/ ٥٤٦)، فتح البارى (١٣/ ٦٢).

(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (٢٠٢).

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٦١)، المستدرك (٣/ ١٠٣، ١٠٤) والإسناد حسن لغيره، خلافة على بن أبى طالب، ص، (١٦٩).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٦) سرائرى وأحزانى التى تموج فى جوفى.

(٧) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٥٢٨).

١٠- موقفه من قاتل الزبير رضى الله عنه:

لما غدر عمــرو بن جرموز بالزبير وقتله احــتز رأسه وذهب به إلى علىّ ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده، فاستأذن فقال على: بشرّ قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال على: سمــعت رسول الله يقول: لكل نبى حوارى وحــوارىّ الزبير(١)، ولما رأى على سيف الــزبير قال: إن هذا السـيف طالما فرج الكرب عن وجـه رسول الله(٢)، وفى رواية: منع أمير المؤمنين ابن جرموز من الدخول عليه، وقال للآذن: بشر قاتل ابن صفية بالنار(٣)، ويقال: إن عمرو بن جرموز قــتل نفسه فى عهد على، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف، فهل لك فــيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد(٤) للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير(٥).

وكان أميــر المؤمنين قد وضع الأسرى فى مساء يوم الجــمل فى موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب مــوسى بن طلحة بن عبيد الله، فـقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسألــه عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قــال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نرى أن نأخــذها، إنما أخذناها مــخافة أن ينتــهبــها الناس، ودفع له غلتــها وقال: يا ابن أخى وإننا فى الحاجــة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيــه عمران ابن طلحــة فـبــايعاه، فــلما رأى الأســارى ذلك دخلوا عــلى علىّ رضى الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة(٦)، كما سأل عن مروان ابن الحكم وقال: يعطفنى عليــه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شــباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحــسن والحسين وابن عباس رضى الله عنهــم ليكلموا عليا فقال على: هو آمن فليتوجــه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٩٢٠).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

(٣) الطبقات (٣/ ١٠٥) إسناده حسن، خلافة على، ص (١٦٤) عبدالحميد.

(٤) أقيد: قود: القتل بالقاتل.

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

(٦) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرك (٣/ ٣٧٦، ٣٧٧).

تطاوعه نفســه أن يذهب حتى بايعه[1]، كما أن مــروان بن الحكم أثنى على فعال أمير المؤمنين على وقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى ناد مناديه: ألا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح[2].

١١- أمير المؤمنين على يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:

جهز أمــير المؤمنين على عائشــة بكل شىء ينبغى لها من مركــب وزاد ومتاع، وأخرج معهــا من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختــار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد ابن الحنفية فبلغها، فلما كان اليــوم الذى ترتحل فيــه جاءها حــتى وقف لهــا، وحضــر الناس، فخــرجت على الناس، وودعــوها وودعتــهم وقالت: يا بنى تعــتب بعــضنا على بعض استــبطاء واستــزادة ولا يعتدن أحد مــنك على أحد بشىء بلغه من ذلك، إنه والله مــا كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندى على معتبتى من الأخيار، وقال على: يا أيها الناس، صــدقت والله وبرت، ما كان بينى وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نــبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة، وخرجت يــوم السبت لغرة رجب سنة ستة وثلاثين، وشيعها على أميالاً وسرح بنيه معها يومًا[3].

١٢- ندمهم على ما حصل منهم:

قال ابن تيمية: . . وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلى وغيرهم، ولم يكن يوم الجــمل لهؤلاء قصد فى القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[4].

أ- فأميــر المؤمنين على ورد عنه، عندما نظر وقد أخذت السيــوف مأخذها من الرجال فقال: لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة[5].

---

(١) سنن سعد ابن منصور (٢/ ٣٣٧) بسند حسن.

(٢) كتاب أهل البغى من الحاوى الكبير للماوردى، ص (١١).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٨١).

(٤) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص (٢٢٢).

(٥) الفتن، نعيم بن حماد (١/ ٨٠).

ب- وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن على، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت عليًا حين اشتد القتال وهو يلوذ بى، ويقول: يا حسن، لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة[(١)].

جـ- وعن حسن بن على قال: أراد أمير المؤمنين على أمرًا، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعًا[(٢)].

د- وعن سليمان بن صرد، عن حسن بن على سمع عليّا يقول حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتنى مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[(٣)].

هـ - قال ابن تيمية: إن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا خرجت خروجها تبكى حتى تبل خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلى وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد فى القتال، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم[(٤)].

و- قال الذهبى: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ[(٥)]، ومن أراد التوسع والمزيد من معركة الجمل التى حضرها الحسن بن على رضى الله عنه فليراجع كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

ز- وقبل أن نودع الأحداث المؤلمة فى الجمل نقف عند درس مهم نستخلصه منها: وهو أننا لابد أن نعمل حسابًا لكيد الأعداء ومكرهم فى سبيل إفشال أى جهد مخلص لتوحيد الصف أو فيه خطر على مصالحهم، فيجب فى مثل هذه

---

(١) الفتن، نعيم بن حماد (١/ ٨٠).

(٢) المصدر السابق (١/ ٨١) .

(٣) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص (٢١٧).

(٤) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص (٢٢٢، ٢٢٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).

الحالة إننا إذا اتفقنا على الأفكار العامة أن نرسم الخطط ونضع التدابير اللازمة، لتنفيذ ما اتفقنا عليه، وتفويت الفرصة على الأعداء فى إفشاله وألا تترك الفرحة بجمع الكلمة تنسينا خطر الأعداء وما يمكن أن يقوموا به بالإضرار بالإسلام والمسلمين، وقد استفاد الحسن من هذا الدرس وطبقه فى مشروعه الإصلاحى الذى سيأتى تفصيله بإذن الله.

* معركة صفين:

ومن الأحداث الكبيرة التى شاهدها الحسن بن على فى عهد والده معركة صفين، كما كان على اطلاع مفصل بالعلاقة بين أمير المؤمنين على ومعاوية رضى الله عنهم، فقد كان معاوية رضى الله عنه واليا على الشام فى عهدى عمر وعثمان رضى الله عنهما، ولما تولى على الخلافة أراد عزله وتولية عبدالله بن عمر فأبى عليه عبدالله بن عمر قبول ولاية الشام واعتذر فى ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التى بينهم[1]، ولم يلزمه أمير المؤمنين على وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التى تزعم أن عليا قام بالتهجم على عبدالله بن عمر رضى الله عنه لاعتزاله وعدم الوقوف بجانبه، ففى ذلك الخبر تحريف وكذب[2]، وأقصى ما وصل إليه الأمر فى قضية عبدالله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبى من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إلىّ على قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع فى أهل الشام، فسر فقد أمَّرتك عليهم، فقلت: أذكر الله وقرابتى من رسول الله وصحبتى إياه إلا ما أعفيتنى، فأبى على فاستعنت بحفصة، فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة[3]. وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله فى الطاعة، إذ كيف يوليه على وهو لم يبايع، وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام أرسل أمير المؤمنين على سهل بن حنيف بدلا منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع[4]، وكانت بلاد الشام تغلى غضبًا

---

(١) المصنف لابن أبى شيبة (٧/ ٤٧٢) إسناده صحيح.

(٢) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث، ص (١٦٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٤) رجاله ثقات.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد، ص (١١٠).

على مقتل عثمان ظلما وعدوانا، فقد وصلهم قميصه مخضبًا بدمائه، بأصابع نائلة زوجه التى قطعت أصابعـها وهى تدافع عنه، وكانت قصة استشهاده أليمـة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بنى أمية إلى مكة.

كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية رضى الله عنه، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليـه فهو ولى دمه، والله عـز وجل يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ولذلـك جمع معـاوية الناس، وخطبهـم بشأن عثـمان وأنه قتل ظلمًـا وعدوانا على يد سـفهاء منافـقين لم يقـدروا الدم الحـرام إذ سـفكوه فى الشـهر الحـرام فى البلد الحـرام، فـثـار الناس، واستذكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع فى ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم[(١)].

وهناك حديث آخر له تأثيره فى طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطًا ودافعًا قـويًا للتصميم على تحقـيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشيـر عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمه أن ضرب منكبه فقال: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميـصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلاتخلعه حتى تلقانى ثلاثًا، فقلت لهـا: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسـيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معـاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلىّ به، فكتبت إليه به كتابًا[(٢)].

فقـد كان الحرص الشـديد على تنفيـذ حكم الله فى القتلة السبـب الرئيسى فى رفض أهل الشام بزعامـة معاوية بن أبى سفيان بيعـة على بن أبى طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية فى ولاية الشام، أو طلبه ما ليس بحق إذ كان يدرك إدراكًا

(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤).

(٢) مسند أحمد باقى مسند الأنصار، رقم (٢٤٠٤٥) حديث صحيح.

تامًا أن هذا الأمر فى بقية الستة من أهل الشورى وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر[1]. ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفى بسند جيد، عن أبى مسلم الخولانى أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إنى لأعلم أنه لأعلم منى، وأحق بالأمر منى، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إلىَّ قتلة عثمان وأسلم لهم، وأتوا عليًا فكلموه، فلم يدفعهم إليه[2]، وفى رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل فى البيعة ويحاكمهم إلىَّ فامتنع معاوية[3].

١ - هل خروج معاوية على علىٍّ رضى الله عنهما بسبب أطماع دنيوية؟

إن الروايات التى تصور معاوية فى خروجه عن طاعة على بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، بسبب التنافس والعداء الجاهلى القديم بين بنى هاشم وبنى أمية، وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ مما اعتمد عليها الكُتَّاب المعاصرون - كالعقاد فى عبقرية على، وعبدالعزيز الدورى فى مقدمته فى تاريخ صدر الإسلام- وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة، هى روايات متروكة مطعون فى رواتها عدلاً وضبطًا[4]، مما قد شاع بين الناس قديمًا وحديثًا أن الخلاف بين على ومعاوية -رضى الله عنهما - كان سببه طمع معاوية فى الخلافة وأن خروج هذا الأخير على علىّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، ذكرها مؤرخو الشيعة الروافض أو كتاب الإمامة والسياسة المنسوب زورًا وبهتًا لابن قتيبة الدينورى، فهذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة وإنما كاتبه رافضى محترق، وهذه مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبًا وزورًا ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابًا فى التاريخ يدعى الإمامة والسياسة، ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب المعارف.

---

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد على، ص (١١٢).

(٢) فتح البارى (١٣/ ٩٢)، البداية والنهاية (٨/ ١٢٩).

(٣) فتح البارى (١٣/ ٩٢) استشهاد عثمان، ص (١٦٠).

(٤) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (١١٢).

- إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلاّ إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذى سار عليه المؤلف «الإمامة والسياسة» يختلف تمامًا عن منهج وأسلوب ابن قتيبة فى كتبه التى بين أيدينا، إذ منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب الإمامة والسياسة، فمقدمته قصيرة جدًا لا تزيد عن ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف فى الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده فى مؤلفات ابن قتيبة.

- يروى مؤلف الكتاب عن أبى ليلى بشكل يشعر بالتلقى عنه، وابن أبى ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه: قاضى الكوفة، توفى سنة ١٤٨ هـ والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ أى بعد وفاة ابن أبى ليلى بخمسة وستين عامًا.

- إن قسمًا كبيرًا من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرًا ما يجىء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة، ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد فى كتبه[١].

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء، فهو عندهم من أهل السنة وثقة فى علمه ودينه، يقول السلفى: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول ابن حزم: كان ثقة فى دينه وعلمه، وتبعه فى ذلك الخطيب البغدادى، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب أهل السنة المشهورة[٢]، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين هل من المعقول أن يكون

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة، على العليانى، ص (٩٠).

(٢) لسان الميزان (٣/ ٣٥٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).

مؤلف كتاب الإمامة والسياسة الذى شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم[١].

إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح فى صحابة رسول الله قدحًا عظيمًا، فصور ابن عمر رضى الله عنهما جبانًا، وسعد بن أبى وقاص حسودًا، وذكر محمد ابن مسلمة بأنه غضب على علىّ بن أبى طالب لأنه قتل مرحبًا اليهودى بخيبر، وأن عائشة رضى الله عنها أمرت بقتل عثمان[٢]، والقدح فى الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وإن شاركهم الخوارج إلا أنّ الخوارج لا يقدحون فى عموم الصحابة[٣].

- إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب على الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان خمسًا وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التى وقعت بين الصحابة مائتى صفحة، فقام المؤلف الرافضى باختصار التاريخ الناصع المشرق وسوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

- يقول محمود شكرى الألوسى فى مختصر الاثنا عشرية: ومن مكايدهم- يعنى الرافضة- أنهم ينظرون فى أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم فى الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعى إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته كالسدى فإنهما رجلان أحدهما السدى الكبير والثانى السدى الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضى غال. وعبد الله بن قتيبة رافض غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتابًا سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضى كتابًا سماه بالمعارف أيضًا قصدًا للإضلال[٤]، وهذا ما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضى وليس لابن قتيبة السنى الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء[٥].

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).

(٢) الإمامة والسياسة (١/ ٥٤، ٥٥).

(٣) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩١) للعليانى.

(٤) مختصر التحفة الإثنا عشرية للألوسى، ص (٣٢).

(٥) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩٣).

وقد اعتمد كـثير من المعاصرين على هذا الكتاب وساهموا فـى تشويه كثير من الصحابة الكرام، ولذلـك وجب التحذير منه بطريقة علمـية تعتمد على التـحقيق والتوثيق والدليل والبرهان، وقد ذكر صاحب كتـاب الإمامة والسياسة: أن معاوية ادّعى الخلافة وذلك من خلال الرواية التى ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه: أعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غيره مشورة، فإن صـدقك فقد حلّ خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه[١].

وهذا كلام لايثبت عـن أمير المؤمنين على وإنما من كلام الروافض وقـد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضـوعة والضعيفة التى تزعم أن مـعاوية اختلف مع على من أجل الملك والزعامة والإمارة[٢].

والصحيح أن الخلاف بين علىّ ومعاوية رضى الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاويـة وأصحابه لعلى قبل توقيع القصاص على قتلة عـثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافـة فى شىء، فقد كان رأى معـاوية- رضى الله عنه- ومن حوله من أهل الشام أن يقـتص علىّ- رضى الله عنه- من قتلة عـثمان ثـم يدخلون بعد ذلك البيعة[٣]. ويقول القـاضى ابن العربى أن سبب القتـال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تبـاين المواقف بينهمـا: فهؤلاء - أى أهل العـراق- يدعون إلى علىّ بالبـيعـة وتأليف الكلمـة على الإمـام وهؤلاء- أى أهل الشام- يدعـون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوى القتلة[٤].

ويقول إمـام الحرمين الجـوينى فى لمع الأدلة: إن معـاوية وإن قاتل عليًـا، فإنه لاينكر إمامته ولا يدعيها لنفسـه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظانًا منه أن مصيب، وكان مخطئًا[٥]، ويقول الهيتمى: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أنّ ما جرى بين

---

(١) الإمامة والسياسة (١/ ١١٣).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ١٤٥).

(٣)، (٤) العواصم من القواصم، ص (١٦٢).

(٥) لمع الأدلة فى عقائد أهل السنة والجماعة، ص (١١٥).

معاوية وعليّ- رضى الله عنهما- من الحروب، فلم يكن لمنازعة معاوية لعليّ فى الخلافة للإجماع على أحقيتهـا لعليّ. . فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية طالب بدم ابن عمّه فامتنع على[1]، لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية- رضى الله عنه- اتخذ موقفه للمـطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله فى طاعة على -رضى الله عنه- إذا أقيم الحد على قتلة عثمان.

ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثـأر لعثمان ذريعة لقتال على طمعًا فى السلطان، فمـاذا سيحدث لو تمكن على من إقـامة الحد على قتـلة عثمان، حـتمًا ستكون النتيجة خـضوع معاوية لعلى ومبايعته له، لأنه التـزم بذلك فى موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كـانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عـثمان، على أن مـعاوية إذا كان يخـفى فى نفســه شيئًا آخـر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالى مغامـرة، ولايمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[2]. إن مـعاوية رضى الله عنه كـان من كتّـاب الوحى ومن سـادة المسلمين المشهـورين بالحلم ويكفيه شرف الصحبة، فكيف يعتـقد أن يقاتل الخليفة الشرعى ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلك زائل، وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اختـرت الله على ما سواه[3]، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه: اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به[4]، وقال: اللهم علمه الكتاب وقه العذاب[5].

أما وجه الخطأ فى موقفه فى مقتل عثمان- رضى الله عنه- فيظهر فى رفضه أن يبايع لعليّ- رضى الله عنه- قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لايصح أن يحكم، بل يدخل فى الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده[6]، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لايجوز لأحد أن يقـتص من أحد ويأخذ حقه دون السلطان،

---

(١) الصواعق المحرقة (٢/ ٦٢٢).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥١).

(٤) صحيح سنن الترمذى للألبانى رقم ٣٠١٨ (٣/ ٢٣٦).

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٣) إسناده صحيح.

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ١٥١).

أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضى إلى الفتنة وإشاعة الفوضى[١]، ويمكن القول إن معاوية- رضى الله عنه- كان مجتهدًا متأولاً يغلب ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيبًا فى أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولى عثمان- ابن عمه- وقد قتل مظلومًا، وقرأ عليهم الآية الكريمة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾ [الإسراء:٣٣]. ثم قال: أنا أحب أن تعلمونى ذات أنفسكم فى قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفنى الله أرواحهم[٢].

هذه الأحداث الجسام عاصرها الحسن بن على وعرف موقف كل صحابى من الفتنة وكان ميالاً للصلح والسلم ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

٢- نهى أمير المؤمنين على عن شتم معاوية ولعن أهل الشام بعد معركة صفين:

نشبت الحرب بين على ومعاوية رضى الله عنهما فى صفين، وقد فصلت تلك الأحداث فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب وقد اشتد القتال وتوجه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام، وتفرقت صفوفهم، وكادوا أن ينهزموا، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا: هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس، فمن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز وجل ونىنيب إليه[٣]، فالدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية فى طاعة على والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ أن الحرب التى أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهًا جماعيًا رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها فى اتخاذ القرارات[٤]، فقد قبل أمير المومنين على

---

(١) تفسير القرطبى (٢/ ٢٥٦).

(٢) صفين لابن مزاحم، ص (٣٢)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٢).

(٣) تنزيه خال المؤمنين معاوية، ص (٣٦) نقلا عن تاريخ الطبرى.

(٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٣٨).

رضى الله عنه وقف القتال فى صفين ورضى التحكيم وعدَّ ذلك فتحًا ورجع إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً فى إزالة الخلاف وجمع الكلمة ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد.

وكان أمير المؤمنين بعد نهاية الجولات الحربية فى صفين يتفقد القتلى، وقد وقف على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم ، غفر الله لكم، للفريقين جميعًا[١]، وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين على ومعاوية، خرج على فمشى فى قتلاه فقال: هؤلاء فى الجنة ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء فى الجنة، وليصير الأمر إلىّ وإلى معاوية[٢]، وكان يقول عنهم: هم المؤمنون[٣]، وقوله رضى الله عنه فى صفين لايكاد يختلف عن قوله فى أهل الجمل[٤].

وروى أن عليًا رضى الله عنه لّما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم ولعن أهل الشام أرسل إليهما: أن كفا عما يبلغنى عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة المسدنة، قالا: فلما تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوى عن الغى من لجج به[٥]، وأما ما قيل من أن عليًا كان يلعن فى قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين لاتثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضى المحترق الذى لايوثق فى رواياته كما أن فى أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهى عن سب الصحابة، فقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: إنى أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب فى القول، وأبلغ فى العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[٦]، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدى

(١) خلافة على بن أبى طالب ، عبد الحميد على، ص (٢٥٠).

(٢) مصنف بن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٣) سنده حسن.

(٣) تاريخ دمشق (١/ ٣٢٩ - ٣٣١) خلافة على، ص (٢٥١).

(٤) خلافة على، عبد الحميد على، ص (٢٥١)، تنزيه خال المؤمنين، ص (١٦٩).

(٥) الإخبار الطوال، ص (١٦٥) نقلا عن تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٣٢).

(٦) نهج البلاغة، ص (٣٢٣).

أمير المؤمنين على بـاعتراف أصح كتاب فى نظر الشـيعة[1]، كما أن الحسن رضى الله عنه كان معـاصرًا للأحداث وسمع ورأى مـوقف والده من أهل الشام، وهذه النظرة السليـمة لأصحـاب معاوية سـاعدت الحـسن بن على فى هندستـه لمشروع الإصلاح الذى تقدم به لوحدة الأمة والذى تحقق بفضل الله ثم فقهه العميق لمقاصد الإسلام ومعرفته الدقيقة لعلم المصالح والمفاسد.

٣- مقتل عمّار بن ياسر رضى الله عنه بصفين وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسـول الله ﷺ لعمّار رضى الله عنه: «تقتلك الفئـة الباغية»[2] من الأحاديث الصحيحة الثابتـة عن النبى ﷺ، وقد كان لمقتل عمار رضى الله عنه أثر فى معركة صفين، فـقد كان علمًا لأصحاب رسول الله يتبـعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفـين وكان كافًا سلاحه، فلما رأى مقتل عـمار سل سيفه وقـاتل أهل الشام، وذلك لأنه سـمع حديث رسـول الله عن عمـار: تقـتله الفئـة الباغية[3]، واستمر فى القتال حتى قتل[4]. وكان لمقتل عمّار أثر فى قادة معسكر معاوية فـهذا أبو عبد الرحـمن السلمى دخل فى معسكر أهل الشام فـرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عـمرو، وأبى الأعور السلمى، عند شرعة الماء يسقون- وكانت هى شريعة الماء الوحيدة التى يسـتقى منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمّـار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمـرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئـة الباغية». فقال عمـرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قـال فيه رسـول الله ﷺ ما قال، فقـال معاوية: اسكت فـوالله ماتزال تدحض[5] فى بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[6]، فانتشـر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار فى الهشيم، وجاء فى رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عـمّار وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية» فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع حتى دخل معاوية فقال له معاوية:

---

(١) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٤).

(٢) ، (٣) مسلم، رقم (٢٩١٦).

(٤) خلافة على، ص (٢١١) مجمع الزوائد (٧٢٤٢) وقال فيه: ورواه الطبرانى وفيه معشر وهو لين.

(٥) الدحض: الزلق والداحض من لا ثبات له ولا عزيمة فى الأمور.

(٦) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار قال: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة الباغية»، فقال له معاوية: دحضت فى بولك، أو نحن قتلناه، إنما قتله على وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[١]، وفى رواية صحيحة أيضًا: جاء رجلان عند معاوية يختصمان فى رأس عمار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفسًا لصاحبه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية»، قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبى شكانى إلى رسول الله : فقال رسول الله: أطع أباك مادام حيًا ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل[٢].

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابى الفقيه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما حريص على قول الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عمارًا، فقد تكرر منه هذا الاستنكار فى مناسبات مختلفة، ولاشك أن مقتل عمار رضى الله عنه قد أثر فى أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضى الله عنه أول الحديث تأويلاً غير مستساغ، ولا يصح فى أن الذين قتلوا عمارًا هم الذين جاءوا به إلى القتال[٣]، وقد رد على رضى الله عنه على قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من على إلزام لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها[٤]، وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعًا لعمرو بن العاص للسعى لإنهاء الحرب[٥]، وقد قال رضى الله عنه: وددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[٦]، وقد جاء فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبى ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال عمار: أعوذ بالله من الفتن[٧]، وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبى ﷺ أنه قال: تقتل

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

(٢) مسند أحمد (١١/١٣٨، ١٣٩).

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٣٢٥).

(٤) التذكرة (٢/ ٢٢٣).

(٥) معاوية بن أبى سفيان، الغضبان، ص (٢١٥).

(٦) أنساب الأشراف (١/ ١٧٠)، عمرو بن العاص للغضبان، ص (٦٠٣).

(٧) البخارى، رقم (٤٤٧).

عمار الفئة الباغية، وهذا من إخباره وأعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث[١]، وقال الذهبى بعد ما ذكر الحديث: وفى الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر[٢].

٤- فهم العلماء لحديث رسول الله فى عمار: تقتلك الفئة الباغية:[٣]

أ- قال ابن حجر: وفى هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلى وعمار، ورد على النواصب[٤] الزاعمين أن عليًا لم يكن مصيبًا فى حروبه[٥]، وقال أيضًا: دل الحديث: تقتل عمارًا الفئة الباغية، على أن عليًا كان المصيب فى تلك الحروب، لأن أصحاب معاوية قتلوه[٦].

ب- يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث[٧].

جـ- قال ابن كثير: كان على وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى، قال: حدثنى من هو خير منى -يعنى أبا قتادة- أن رسول الله ﷺ قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية[٨]، وقال أيضًا: وهذا مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنهما مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١١٤٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢١).

(٣) مسلم، رقم (٥٩١٦).

(٤) المقصود بالنواصب هى إحدى طوائف أهل البدع التى أصيبت فى معتقدها بعدم التوفيق للاعتقاد السديد فى الصحابة، فقد زين لهم الشيطان اعتقاد عدم محبة رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين على ابن أبى طالب رضى الله عنه وحملهم على التدين ببغضه وعداوته والقول فيه بما هو برئ منه كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسين بن على وغيره.

(٥) فتح البارى (١/ ٦٤٦).

(٦) المصدر نفسه (١٣/ ٩٢).

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨).

(٨) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).

من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن عليًا محق، وأن معاوية باغ، وما فى ذلك من دلائل النبوة[1].

جـ- وقال الذهبى: هى طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام على، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: تقتلك الفئة الباغية[2].

د- قال القاضى أبو بكر العربى: فى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ﴾ هذه الآية أصل فى قتال المسلمين، والعمدة فى حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة وإليها لجأ الأعيان من هذه الأمة، وإياها عنى النبى ﷺ بقوله: تقتل عمار الفئة الباغية[3].

هـ- وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامة على ووجوب طاعته وأن الداعى إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعى إلى مقاتلته داع إلى النار- وإن كان متأولاً- وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال على، وعلى هذا فمقاتله مخطئ- وإن كان متأولاً- أو باغ- بلا تأويل- وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًا، وهو مذهب الأئمة لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين[4]، وقال أيضًا: مع أن عليًا أولى بالحق مما فارقه، ومع أن عمار قتلته الفئة الباغية- كما جاءت به النصوص- وعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولايكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، ذلك هو اتباع الكتاب والسنة، وأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، هذا منشأ الفرقة والاختلاف[5].

و- وقال عبد العزيز بن باز: وقال: ﷺ فى حديث عمار «تقتل عمار الفئة الباغية»: فقتله معاوية وأصحابه فى موقعة صفين، فمعاوية وأصحابة بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون فى المطالبة بدم عثمان[6].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٩).

(٣) أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧).

(٥) المصدر نفسه (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٦) فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ٨٧).

ز- وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذى وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمترددين أن عليًا كان على حق وأن القتال معه كان واجبًا، ولذا عبر ابن عمر عمن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجبًا وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق، كما أفتى بذلك الفقهاء(١)، لقد كان الحسن بن على رضى الله عنه على يقين راسخ ومعرفة متينة بأن والده كان على الحق.

٥- موقف الحسن بن على من تلك الحروب:

كان موقف الحسن بن على رضى الله عنه هو موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التى وقعت بين الصحابة الكرام رضى الله عنهم، وهو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضى الله عنهم لما يسببه الخوض فى ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم، ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذى حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد والجميع مثابون فى حالتى الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ فى اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة فى الجنة، ولم يجز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التى تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التى فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هى(٢):

أ- قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] ففى هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لايخرجهم عن وصف الإيمان، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم

(١) الأساس فى السنة (٤/ ١٧١٠).

(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٧٢٧).

يخرجهم ذلك من الإيمان لأن الله ذكر فى الآية التى بعدها ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ، فأصحاب رسول الله الذين اقتتلوا فى موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل فى اسم الإيمان الذى ذكر فى هذه الآية، فهم لايزالون عند ربهم مؤمنين إيمانًا حقيقيًا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار فى إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد(١).

ب- **وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»(٢)، والفرقة المشار إليها فى الحديث ما كان من الاختلاف بين على ومعاوية رضى الله عنهما، وقد وصف ﷺ الطائفتين معًا بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة، إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة، والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب على أدنى الطائفتين إلى الحق وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، والذى عليه الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن عليًا هو المصيب وأن معاوية كان مجتهدًا وهو مأجور إن شاء الله ولكن على هو الإمام فله أجران كما ثبت فى صحيح البخارى: إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ له أجر(٣).

جـ- **وعن أبى بكرة قال:** بينما النبى ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبى ﷺ: ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين(٤). ففى هذا الحديث شهادة النبى ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا عليًا ومن معه ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله: فئتين من المسلمين يعجبنا جدًا. قال البيهقى: وإنما أعجبهم لأن النبى ﷺ سماهم

---

(١) العواصم من القواصم، ص (١٦٩، ١٧٠) أحكام القرآن (٤/١٧١٧).

(٢) مسلم (٢/٧٤٥).

(٣) البخارى مع شرحه فى فتح البارى (١٣/٣١٨).

(٤) البخارى، ك الفتن، رقم (٧١٠٩).

جميعًا مسلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن على بعد وفاة على فى تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبى سفيان[1]، فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع على وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبى سفيان، وقد وصفهم النبى ﷺ بأنهم من أمته[2]، كما وصفهم بأنهم جميعًا متعلقون بالحق ولم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذى حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]، وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم - رضى الله عنهم - أجمعين فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم متأولون مجتهدون. وقد بين الحكم فى قتالهم ذلك على بن أبى طالب رضى الله عنه كما مر معنا، فالواجب على المسلم، ومن زعم أنه محب لأهل البيت أن يسلك فى اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة والذين من أئمتهم وسادتهم أمير المؤمنين على وابناه الحسن والحسين وهو الإمساك عما حصل بينهم رضى الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم.

٦- استشهاد أمير المؤمنين على رضى الله عنه:

تركت معركة النهروان فى نفوس الخوارج جرحًا غائرًا لم تزده الأيام والليالى إلا إيلامًا وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلى رضى الله عنه ويثأروا لمن قتل من إخوانهم فى النهروان، واستطاع عبد الرحمن بن ملجم أن يقتل أمير المؤمنين على بالغدر. وهذا محمد بن الحنفية يروى لنا قصة مقتل أمير المؤمنين، فقد قال: كنت والله إنى لأصلى تلك الليلة التى ضرب فيها على فى المسجد الأعظم فى رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريبًا من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج على لصلاة الغداة، فجعل ينادى: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أذرى أخرة من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا؟، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا على لا

(١) الاعتقاد للبيهقى، ص (١٩٨) فتح البارى (١٣/٦٦).

(٢) مسلم (٢/٧٤٦).

لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفًا، ثم رأيت ثانيًا، ثم سمعت عليًا يقول: لايفوتنكم الرجل وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علىّ، فدخلت فيما دخل من الناس، فسمعت عليًا يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلنى، وإن بقيت رأيت فيه رأيى[1]، وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر على، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت على وهى تبكى: أى عدو الله لا بأس على أبى، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقى منهم أحد[2]، وقد جمع الأطباء لعلى رضى الله عنه يوم جرح وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمر السكونى، وكان صاحب كسرى يتطبب، فأخذ أثير رئة شاه حارة، فتتبع عرقًا منها، فاستخرجه، فأدخله فى جراحة على، ثم نفخ العرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإنك ميت[3]، وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علىّ فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين إن فقدناك- ولا نفقدك- فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر[4]، ومن هذا الأثر يظهر إيمان أمير المؤمنين على بحق الأمة فى اختيار خليفتها.

٧- وصية أمير المؤمنين على للحسن والحسين رضى الله عنهم:

دعا أمير المؤمنين حسن وحسينًا، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما فى الكتاب ولا تأخذكما فى الله لومة لائم، ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[5]، قال: نعم، قال: فإنى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، فلا تقطع أمرًا دونهما ثم

---

(١)، (٢) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).

(٣) الاستيعاب (٣/ ١١٢٨).

(٤) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).

(٥) المصدر نفسه (٦/ ٦٣).

قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: أوصيك أى بنى بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه فى الدين، والتثبت فى الأمر والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الفواحش[1].

فلما حضرته الوفاة أوصى فكانت وصيته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به على بن أبى طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، ثم إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع أهلى وولدى بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فاعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا، فإنى سمعت أبا القاسم يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» وانظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله فى الأيتام، فلا تعنوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم، الله الله فى جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ مازال يوصى به حتى ظننا أنه سيورثه، الله الله فى القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله فى الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله فى بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله فى الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله فى ذمة نبيكم فلايظلمن بين أظهركم، والله الله فى أصحاب نبيكم فإن الله أوصى بهم، والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معايشكم، والله الله فى ما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة، ولا تخافن فى الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم وقولوا لله حسنًا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيولى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٣).

من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم، استودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضى الله عنه[1].

وجاء فى رواية أخرى: يا بنى، أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو، والعمل فى النشاط والكسل، والرضا عن الله فى الشدة والرخاء، يا بنى ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده نار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، يا بنى من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف بغى قتل به، ومن حفر لأخيه بئرًا وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه كشف عورات نفسه، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن جالس العلماء وقّر، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطأه، ومن كثر خطأه قل حياؤه، ومن قلّ حياؤه قل ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار. يا بنى، الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، يا بنى العافية عشرة أجزاء: تسعة منها فى الصمت إلا من ذكر الله، وواحدة فى ترك مجالسة السفهاء، يا بنى زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر، يا بنى لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، الحرص مفتاح التعب ومطية النصب، والتدبير قبل العمل يؤمنك الندم، فبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد، طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه، وكلامه وصمته وقوله وفعله[2].

٨- نهى أمير المؤمنين على عن المثلة بقاتله:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه وإن أعش فالجروح قصاص[3]. وفى رواية أخرى قال: أطعموه وأسقوه وأحسنوا إساره، فإن

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٤).

(٢) الشهب اللامعة فى السياسة النافعة لابن رضوان، ص (٦٣٢، ٦٣٣).

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٥٦٠) بسند حسن.

صححت فـأنا ولى دمى أعفو إن شئت وإن شئت استـقدت[1]، وفى رواية أخرى زيادة، وهى قوله: إن مت فـاقتلوه قتلتى ولا تعتدوا إن الله لايـحب المعتدين[2]، وقـد كان على نهى الحسن عن المُثلة، وقـال: يا بنى عـبد المطـلب، لا ألفيـتكم تخوضـون دماء المسلمين، تقولون: قتـل أمير المؤمنين، قتل أمـير المؤمنين، ألا لا يُقـتلن. انظر يا حـسن، إن من ضـربتـه هذه فاضـربه ضـربة بضـربة، ولا تمثل بالرجل، فـإنى سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «إياكم والمثلة ولـو أنهـا بالكلب العقور»[3]، وقد جاء فى شأن وصية أمير المؤمنين بـأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت منها الصحيح ومـنها الضعيف، فالرواية التى فيهـا أمر على رضى الله عنه بإحراق الشقى بعد قـتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير فى اتجـاه واحد فكلها فيهـا أمر على رضى الله عنه بقتل الرجل إن مـات من ضربته ونهاهم عـما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها، وتنهض للاحـتجاج بها، هذا من جهة، كما أن أميـر المؤمنين لم يجعله مرتدًا، فـيأمر بقتله، بـل نهاهم عن ذلك لما همّ بعض المسلمين بقـتله وقال: لا تقـتلوا الرجل، فإن برئت فـالجروح قـصاص، وإن مت فاقتلوه[4]، وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض على رضى الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك فى خصلة؟ إنى والله ما أعطيت الله عـهدًا إلا وفـيت به، إنى كنت قـد أعطيت الله عـهدًا عند الحطيـم أن أقتل عليًـا ومعـاوية أو أموت دونهـما، فـإن شئت خليـت بينى وبينه، ولك الله علىَّ إن لم أقتله- أو قتلته ثم بقيت، أن آتيك حـتى أضع يدى فى يدك، فقال له الحسن: أما والله حتى تعـاين النار ثم قدمه فـقتله[5]، ثم إن الناس أخذوه، فأحـرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[6].

---

(١) المحن لابن أبى العرب، ص (٩٤)، خلافة على، ص (٦٣٩) عبد الحميد على.
(٢) الطبقات (٣/ ٣٥).
(٣) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٤).
(٤) منهاج السنة (٥/ ٢٤٥).
(٥) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٤).
(٦) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٤٤٠).

والصحيح من الروايات والذى يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين على فى معاملة عبد الرحمن بن ملجم، وفيها يظهر خلق الإسلام العظيم فى النهى عن المثلة والالتزام بالقصاص الشرعى. ولا تثبت الرواية التى تقول: فلما دفن أضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبوارى، فقال محمد بن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب: دعونا نشتف منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع، ولم يتكلم، فكحل عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عينى عمّك وجعل يقرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقطع فجزع، فقيل له فى ذلك. فقال: ما ذاك بجزع ولكنى أكره أن أبقى فى الدنيا فواقًا لا أذكر الله فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفى جبهته أثر السجود(١).

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق فى الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النّار، ونجوِّز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم فى الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل(٢).

٩- خطبة الحسن بن على رضى الله عنهما بعد مقتل أبيه:

عن عمر بن حبشى قال: خطبنا الحسن بن على بعد قتل على رضى الله عنه، فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف(٣)، حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطاء كان يرصدها لخادم أهله(٤).

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٩) الأخبار الطوال، ص (٢١٥).
(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٥٤).
(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح: فلاينصرف: فلا يرجع.
(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح.

١٠ - استقبال معاوية خبر مقتل على رضى الله عنهما:

ولما جاء خير قتل على إلى معاوية جعل يبكى، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[١]، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له على بن أبى طالب رضى الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعنى عنك[٢].

ولنتعرف على شخصية على عندما طلب معاوية رضى الله عنه فى خلافته من ضرار الصدائى أن يصف له عليًا، فقال: أعفنى يا أمير المؤمنين قال: لتصفنه، قال: أما إذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً[٣] ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قُصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن- والله- مع تقريبه إيانا وقربه منا- لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرِّب المساكين، ولا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف فى عدله، وأشهد أنى قد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله[٤] وغارت نجومه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم[٥]، ويبكى بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرى غيرى، إلىّ تعرضت أم إلىّ تشوّفت؟ هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها؛ فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها[٦]. وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

(٢) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ١١٠٧).

(٤) سدوله: سدلته.

(٥) تململ السليم: يعنى الملدوغ كانت العرب تسميه كذلك للتفاؤل ببرئه.

(٦) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨)

فى المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلى ومعاوية فأدخلا بيتًا[1] وأجيف الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج على وهو يقول: قضى لى ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من خرج معاوية وهو يقول: غفر لى ورب الكعبة[2]، وروى ابن عساكر عن أبى زرعة الرازى أنه قال له رجل: إنى أبغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل عليًا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأَيْشُ دخولك أنت بينهما؟ رضى الله عنهما[3].

(١) أجيف الباب: رد وأغلق.

(٢)، (٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

الفصل الثانى

بيعة الحسن بن على بن أبى طالب وأهم صفاته وبعض مواقفه فى الحياة الاجتماعية ومشروعه الإصلاحى الذى توج بوحدة الأمة

المبحث الأول

بيعة الحسن بن على رضى الله عنهما

كانت بيعة الحسن بن على رضى الله عنهما فى شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم المرادى(١)، وقد اختار الناس الحسن بعد والده ولم يعين أمير المؤمنين أحدًا من بعده، فعن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليًا يقول: لتخضبن هذه من هذا(٢) فما ينتظر بى الأشقى(٣)، قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته(٤)، قال: إذن تالله تقتلون بى غير قاتلى. قالوا: فاستخلف علينا قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته، قال وكيع(٥) مرة: إذا لقيته قال: أقول: اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك، ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم(٦)، وفى رواية: أقول: اللهم استخلفتنى فيهم ما بدا لك، ثم قبضتنى وتركتك فيهم(٧).

وبعد مقتل على صلى عليه الحسن بن على وكبر عليه أربع تكبيرات، ودفن بالكوفة، وكان أول ما بايعه قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه، وقتال المحلّين، فقال له الحسن رضى الله عنه: على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتى من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايعه الناس(٨)، وقد اشترط الحسن بن علىّ على أهل العراق عندما أرادوا بيعته فقال لهم: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت(٩)، وفى

(١) الطبقات (٣/ ٣٥-٣٨) تحقيق د. إحسان عباس.

(٢) أى لتخضبن لحيته من دم رأسه.

(٣) مجمع الزوائد (٩/ ١٣٩) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) حسن لغيره.

(٤) نبير عترته: نهلك أقرباءه، لسان العرب (٤/ ٥) (٤/ ٥٣٨).

(٥) وكيع بن الجراح، ثقة حافظ عابد، التقريب ٥٨١.

(٦) مسند أحمد (٢/ ٣٢٤) حسن لغيره الموسوعة الحديثة.

(٧) كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٠٤).

(٨) تاريخ الطبرى (٦/ ٧٣).

(٩) المصدر نفسه (٦/ ٧٧).

رواية قال لهم: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم قالوا: ماهو؟ قال: تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت[٢]، وفى رواية ابن سعد: إن الحسن بن على بن أبى طالب بايع أهل العراق بعد علىّ على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضى به[٣]، ويستفاد من الروايات ابتداء الحسن رضى الله عنه فى التمهيد للصلح فور استخلافه والذى سيأتى تفصيله لاحقًا بإذن الله تعالى، ومن دراستنا لبيعة الحسن نستنبط دروسًا وعبرًا وفوائد منها:

أولا: بطلان قضية النص على خلافة الحسن:

عند حديثنا عن بيعة الحسن رضى الله عنه تبرز أمامنا قضية يروج لها الشيعة الإمامية بقوة ألا وهى قضية النص على خلافة الحسن رضى الله عنه من قبل والده على بن أبى طالب رضى الله عنه[٣]، وهذا الأمر يعد من المفتريات على أمير المؤمنين على رضى الله عنه حيث لم يصح النقل عنه بذلك. إن الشيعة الرافضة يعتقدون أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتى بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات فى ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمه الله أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله رجل فرجل مسمى حتى تنتهى إلى صاحبها[٤]، ويعتقد الشيعة الرافضة أن الرسول ﷺ قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إمامًا لاينقصون ولايزيدون وهم:

١- على بن أبى طالب رضى الله عنه المرتضى توفى سنة ٤٠ هـ.

٢- الحسن بن على رضى الله عنه الزكى توفى سنة ٥٠ هـ.

٣- الحسين بن على سيد الشهداء رضى الله عنه توفى سنة ٦١ هـ.

---

(١) الطبقات، تحقيق د. محمد السلمى (١/٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) المصدر نفسه (١/٣١٦، ٣١٧).

(٣) فرق الشيعة للنوبختى، ص (٢٤)، مرويات خلافة معاوية.

(٤) الإمامة والنص، فيصل نور، ص (٨).

٤- على بن الحسين - زين العابدين- توفى سنة ٩٥ هـ.

٥- محمد بن على الباقر توفى سنة ١١٤ هـ.

٦- جعفر بن محمد الصادق توفى سنة ١٤٨ هـ.

٧- موسى بن جعفر الكاظم توفى سنة ١٨٣هـ.

٨- على بن موسى الرضا توفى سنة ٢٠٣هـ.

٩- محمد بن على الجواد توفى سنة ٢٢٠هـ.

١٠- على بن محمد الهادى توفى سنة ٢٥٤ هـ.

١١- الحسن بن على العسكرى توفى سنة ٢٦٠ هـ.

١٢- محمد بن الحسن المهدى توفى سنة ٢٥٦ هـ.

وأساس عقيدة الوصية هو ابن سبأ وكان ينتهى بأمر الوصية عند على رضى الله عنه ولكن جاء فيمن بعد من عممها فى مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية الرافضية تعمل بصمت وسرية، فينفون ذلك نفيًا قاطعًا، كما فعل جدهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقية» حتى يسهل نشر أفكارهم وهم فى مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[(١)]، إن من أخطر الأمور التى ابتدعها الشيعة الوصية وهى أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى على رضى الله عنه، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء فى كتابهم «الكافى»: من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله ﷺ وكان عليًا عليه السلام[(٢)]. ولكن الاستقراء التاريخى لتاريخ الخلفاء الراشدين، لانجد للوصية ذكرًا فى خلافة أبى بكر ولا فى خلافة عمر رضى الله عنهما، وإنما نجد بداية ظهورها فى السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضى الله عنه، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول، عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء على بن أبى طالب، وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهما، ثم نرى هذا القول

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).

(٢) أصول الكافى (٢/١٦، ١٧).

يتبلور فى فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك فى خلافة على رضى الله عنه، وهذه الوصية التى تدعيها الرافضة فقد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختى والكشى، وقد فصلت ذلك فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويكفى فى الرد على زعمهم الباطل ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة- رضى الله عنهم- ومنهم على رضى الله عنه نفسه والأدلة كثيرة منها:

١- ذكر عند عائشة أن النبى ﷺ أوصى إلى على، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبى ﷺ وإنى لمسندته إلى صدرى، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت فكيف أوصى إلى على[١]. وتصريح عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ لم يوص لعلى من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبى ﷺ توفى فى حجرها ولو كانت هناك وصية لكانت هى أدرى الناس بها[٢].

٢- وعن ابن عباس قال: إن عليًا بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإنى والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى فى وجعه هذا، وإنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله، فلنسأله، فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان فى غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال على: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإنى والله لا أسألها رسول الله ﷺ[٣]، وفى قوله رضى الله عنه شهادة للصحابة - رضوان الله عليهم- على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنها، ولما عبرت الأنصار عن رأيها فى السقيفة بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير[٤]، ولبايعوا

---

(١) البخارى، رقم (١٤٧١)، ك الوصايا.

(٢) بذل المجهود فى إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١/ ١٩٠)

(٣) البخارى، ك المغازى، رقم: (٤٤٤٧).

(٤) البخارى، ك الحدود، رقم: (٦٨٣٠).

من عُهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال على للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لى بالخلافة، وقد توفى رسول الله ﷺ فى نفس اليوم، فلما لم يوجد شىء من ذلك تبين ما يدعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه من ذلك من التنصيص على علىٍّ مردود، لمخالفته هذا النص الصريح من على رضى الله عنه، لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة(١).

٣- سئل على رضى الله عنه: أخصكم رسول الله بشىء فقال: ما خصنا رسول الله بشىء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان فى قراب سيفى هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوبًا فيها: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثًا(٢)، قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما عن على رضى الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة،ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله فى حياته، وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليهم فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم لحكمه ونصه، مع ما أنزل الله من ثناء عليهم بالقرآن، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام(٣)، قال النووى: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة الإمامية بالوصية لعلى وغير ذلك من اختراعاتهم(٤).

٤- وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر على يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئًا حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله(٥).

---

(١) الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق على ناصر فقيهى، ص (٢٣٨).

(٢) مسلم (٣/ ١٥٦٧)، رقم (١٩٧٨)

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٢١).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٥١).

(٥) الاعتقاد، ص (١٨٤)، وقال البيهقى فى دلائل النبوة: سنده حسن.

٥- روى أبو بكر البيهقى بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال: قيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: ألا نستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدى على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[١]. فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضى الله عنه إنما من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ بمن فيهم على وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تسترًا ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[٢].

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ الذى هو أول من أحدث الوصية، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زورًا وبهتانًا إلى النبى ﷺ، وهدفهم من ذلك الطعن فى الصحابة رضوان الله عليهم لمخالفتهم أمر الرسول ﷺ وإجماعهم على ذلك، ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[٣]، قال ابن تيمية- رحمه الله- عن رده على الحلى: وأما النص على علىّ فليس فى شىء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم، وما وجدنا قط رواية عند أحد فى هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو فى خلق الله[٤]، وقال فى موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله ﷺ قديمًا ولا حديثًا، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[٥]، وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ فى أمير المؤمنين على ثم عمموها على آخرين من سلالة على والحسين فى إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية فى ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين

(١) الاعتقاد، ص (١٨٤) إسناد جيد.
(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٢٠).
(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٦٥).
(٤) المنهاج (٨/ ٣٨٢)، الفصل (٤/ ١٦١).
(٥) المنهاج (٧/ ٥٠).

فى آل البيت، شيطان الطاق الذى تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[1]، وأنه حينما علم بذلك زيد بن على رحمه الله بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغنى أنك تزعم أن فى آل محمد إمامًا مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك على بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهى حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق على من حر اللقمة، ولا يشفق على من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك، فتكفر، فلا يكون له فيك شفاعة[2].

وهذه القصة المروية فى أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد، وقد بيّن محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامة والتشريع، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[3]، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى سنة ١٧٩ هـ[4]، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت فى الكوفة[5]، بسعى مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها فى القرن الثانى زمرة ممن يدعى الصلة بأهل البيت[6]، أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم[7]،ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم فى عدد الأئمة، قال فى مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة، ولكنهم مختلفون فى مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم سبعة، وبعضهم ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر[8]، والغريب أن القائلين بنظرية الإمامة الإلهية انقسموا إلى عدة فرق كل فريق منهم ينقل روايات مناقضة للآخر فى إمامة من يراه، ثم ينسبون ذلك لعلى رضى الله عنه.

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).

(٢) رجال الكشى، ص (١٨٦).

(٣) مجلة الفتح، ص (٥)، العدد (٨٦٢) عام ١٣٦٧ هـ.

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٣).

(٥) بحار الأنوار (١/ ٢٥٩)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٥).

(٦)، (٧) أصول الشيعة (٢/ ٨٠٦).

(٨) مختصر التحفة، ص (١٩٣).

وكُتُب الشيعة الرافضة نقلت صـورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعـيلية بمسائل الإمامة للناشىء الأكـبر، أو الزينة لأبى حاتم الرازى، أو من كتـب الإثنى عشـرية مثل: المقـالات والفرق للأشـعرى القـمى، وفرق الـشيـعة للنوبختى، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعى الذى يكون فيه الخلاف أمرًا عاديًا، بل هى أساس الدين وأصله المتين، ولاديـن لمن لم يؤمن بإمامهم، ولذلك يُكَفِّر بعضهم بعضًـا ويلعن بعضهم بعضًا[1]، أما الإثنا عشرية فقـد استقر قولها- فيمـا بعد- بحصـر الإمامة فى اثنى عشـر إمامًا، ولم يكن فى العتـرة النبوية بنى هاشم على عهـد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعـمر وعثمـان وعلى رضى الله عنهم من يقول بإمامـة الإثنى عشر[2]، إنما عرف الاعـتقاد باثنى عـشر إمامًا بعـد وفاة الحسن العسكرى[3]، إن حصـر الأئمة بعدد مـعين عقيـدة فاسدة باطلة، وأمـير المؤمنين على وأولاده وأحـفاده برآء منهـا، ففى كـتب الشيـعة المعـتمـدة فى نهج البلاغة، عن على رضى الله عنه قال: دعونى والتمسوا غيرى، فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثـبت عليه العقول[4]، وإن الآفاق قد أغامت[5]، والمحجـة قد تنكرت، واعلموا أنى إن أجـبتكم ركـبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القـائل وعتب العـاتب، وإن تركتمـونى فأنا كـأحدكم ولعلى أسمـعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمـركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم منى أمـيرًا[6].

فلو كانت إمامة على منصوصًـا عليها من الله عز وجل لما جاز لعلى بن أبى طالب تحت أى ظرف من الظروف أن يقول للناس: دعـونى، والتمسوا غـيرى ويقول أنا لكم وزيرًا خير لكم منى أميرًا، كيف والناس تريده وجـاءت تبايعه[7]. ويقول فى النهج كلامًا أكثر صراحة وأشـد وضوحًا حين يقول: إنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعـمر وعثـمان على مـا بايعوهم عليـه، فلم يكن للشاهد أن يختـار ولا

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٧).

(٢) منهاج السنة (٢/ ١١).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٨).

(٤) لا تصبر له ولا تطيق احتماله.

(٥) أغامت: غطيت بالغيم.

(٦) نهج البلاغة خطبة، رقم (٩٢)، ص (٢٣٦).

(٧) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٥٨).

للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار. فإن اجتمعوا على رجل سموه إمامًا كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[1]، وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة إلى حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

- الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد.
- اتفاقهم على شخص سبب لمرضاة الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.
- لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم وبغير اختيارهم.
- لايرد قولهم ولايخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين، فأين هم الشيعة الإثنا عشرية عن هذه التصرفات الهامة[2].

إن مسألة النص لا تثبت بأى وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردود بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الإثنى عشرية لايتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً وهم من ذلك الوقت إلى الآن بدون إمام بشكل فعلى وواقعى، مما ترتب على وضعهم هذا فقدانهم كل ما يزعمون من مبرر ضرورى أو مصلحة ضرورية من وجود إمام معصوم وهذا تناقض ظاهر، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم فى حدود النيابة، وفى هذا العصر اضطروا للخروج نهائيًا عن هذا الأصل الذى هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب، ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعى[3]، وهو فعليًا غير معصوم بالاتفاق ولا عنده نص يخوّله للإمامة، وهم بهذا الأمر نسخوا فعليًا نظرية الإمامة التى شقوا بها صفوف الأمة، فأصبح الإنسان

---

(١) نهج البلاغة، ك إلى معاوية، رقم (٦)، ص (٥٢٦).

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٦١).

(٣) الحكومة الإسلامية للخمينى، ص (٢٤٨)، أصول الشيعة (٢/ ٨١٤).

العادى حتى ولو كان من غير أهل البيت يستطيع أن يحكم ويقود بحجة أنه فقيه، وقد فصّل الأستاذ أحمد الكاتب تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه. وتحدث عن أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه والشورى وبين بوضوح أن الحسن بن على لم يعتمد فى دعوة الناس لبيعته على ذكر أى نص حوله من الرسول ﷺ أو من أبيه أمير المؤمنين على، وتحدث عن إيمان الحسن بن على بنظام الشورى وحق الأمة فى انتخاب إمامها، وقد تجلى هذا الإيمان مرة أخرى عند تنازله عن الخلافة إلى معاوية واشتراطه عليه العودة إلى نظام الشورى بين المسلمين، ولو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول، كما تقول النظرية الإمامية، لم يكن يجوز للإمام الحسن أن يتنازل عنها لأى أحد تحت أى ظرف من الظروف، ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يبايع معاوية أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعته، ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسين ولأشار إلى ضرورة تعيينه من بعده، ولكن الإمام الحسن لم يفعل أى شىء من ذلك وسلك مسلكًا يوحى بالتزامه بحق المسلمين فى انتخاب خليفتهم عبر نظام الشورى، وقد ظل الشهيد الحسين رضى الله عنه ملتزمًا ببيعة معاوية إلى آخر يوم من حياة الأخير، ورفض عرضًا من شيعة الكوفة بعد وفاة أمير المؤمنين الحسن بالثورة على معاوية، وذكر إن بينه وبين معاوية عهدًا وعقدًا لايجوز له نقضه، ولم يدع إلى نفسه إلا بعد وفاة معاوية الذى عهد إلى ابنه يزيد بالخلافة بعده، حيث رفض الحسين البيعة له وأصرَّ على الخروج إلى العراق حيث استشهد فى كربلاء عام ٦١هـ[١].

ثانيًا: ما يحتج به الشيعة الإثنا عشرية فى أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء فى كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال رسول الله : يكون اثنا عشر أميرًا، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبى: إنه قال: كلهم من قريش[٢]، وفى مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لايزال الإسلام عزيزًا إلى اثنى عشرة خليفة، ثم

(١) تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه، ص (١٧، ١٨).

(٢) البخارى، ك الأحكام، باب الاستخلاف (٨/ ١٢٧).

قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبى : ما قال؟ فقال: كلهم من قريش[1]، وفى لفظ: لايزال هذا الدين عـزيزاً منيعًـا إلى اثنى عشـر خليـفة[2]، وفى لفظ آخر: لايزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلاً[3].

وعند أبى داود: لايزال هذا الدين قائمًـا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليـفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة[4]. وأخرجه أبو داود أيضًا من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مـضى قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فـقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج[5].

يتعلق الشيعة الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء فى كتب السنة[6]، ،لكن للاحتجاج عليـهم بما يسلمون به، وبالتأمل فى النص بكل حـيدة وموضـوعية نجـد أن هؤلاء الاثنى عشـر وصفوا بأنـهم يتولون الخلافة، وأن الإسـلام فى عهدهم يكون فى عزة ومنعة، وأن الناس تجـتمع عليهم ولايزال أمر الناس ماضـيًا وصالحًا فى عهـدهم، وكل هذه الأوصاف لاتنطبق على من تدعى الإثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين على والحسن، كـما لم يقم أمـر الأمة فى مـدة أحد من هؤلاء الاثنى عشـر- فى نظر الشـيعـة أنفـسـهم- بل مازال أمـر الأمـة فاسـدًا. . ويتـولى عليـهم الظالمون بل الكافرون[7]، وأن الأئمة أنفـسهم كانوا يتسـترون فى أمور دينهم بالتـقية[8]، وأن عهـد أمير المؤمنين على وهـو على كرسى الخلافـة عهد تقـية، كمـا صرح بذلك شيخـهم المفيد[9]، فلم يستطع أن يظهر القـرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كـما صرح بذلك شـيخـهم الجزائرى[10]، واضطر إلى ممالأه الصـحابة ومجاراتهم على حـساب الدين، كما أقرَّ بذلك شـيخهم المرتضى[11]. . فالحديث فى جانب ومزاعم هـؤلاء فى جانب آخر، ثم أنه ليس فى الحديث حـصر للأئمة

---

(١)، (٢)، (٣) مسلم، ك الإمارة، باب الناس(٢/ ١٤٥٣)

(٤) سنن أبى داود، ك المهدى (٤/ ٤٧١).

(٥) سنن أبى داود (٤/ ٤٧٢)، فتح البارى (١٣/ ٢١١).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٥).

(٧) منهاج السنة (٤/ ٢١٠) المنتقى، ص (٥٣٣).

(٨)، (٩)، (١٠)، (١١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٦).

بهذا العدد، بل نبوءة منه، بأن الإسلام لايزال عزيزًا فى عصور هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبنى أمية عصر عزة ومنعة[1]، ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه فى بنى أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: لايزال هذا الأمر عزيزًا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش. ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل من النقص ماهو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك[2]، ثم إنه قال فى الحديث: كلهم من قريش[3]، وهذا يعنى أنهم لايختصون بعلى وأولاده، ولو كانوا مختصين بعلى وأولاده لذكر مايميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب، فلو امتازوا بكونهم من بنى هاشم، أو من قبيل على لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقًا علم أنهم من قريش، بل لايختصون بقبيلة، بل بنو تيم وبنو عدى، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل[4]، فإذن لم يبق من الأوصاف التى تنطبق على مايريديون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شىء[5].

ثالثًا: مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة فى خلافته:

استمر أمير المؤمنين الحسن بن على بعد بيعته خليفة على الحجاز واليمن والعراق وغير ذلك نحو سبعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: ستة أشهر، وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقة لأن تلك المدة كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التى أخبر النبى ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا[6]، فقد روى الترمذى بإسناده إلى مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة فى

(١) أصول الشيعة (٢/٨١٦).
(٢) منهاج السنة (٤/٢٠٦).
(٣) مسلم (٢/١٤٥٣).
(٤) منهاج السنة (٤/٢١١).
(٥) أصول الشيعة (٢/٨١٨).
(٦) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٧٤٣).

أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك[1]، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا[2]، وبذلك يكون الحسن بن على رضى الله عنه خامس الخلفاء الراشدين[3]. وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضًا بلفظ: الخلافة ثلاثون عامًا ثم يكون بعد ذلك الملك[4]، وعند أبى داود بلفظ: خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء أو ملكه ما يشاء[5]، ولم يكن فى الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ: «الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة» . أن الأشهر التى تولى فيها الحسن بن على بعد موت أبيه كانت داخلة فى خلافة النبوة ومكملة لها فقد قال كل من:

١- أبو بكر بن العربى رحمه الله: فنفذ الوعد الصادق فى قوله ﷺ: الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم تعود ملكًا، فكانت لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وللحسن منها ثمانية أشهر لاتزيد ولا تنقص يومًا، فسبحان المحيط لا رب غيره[6].

٢- وقال القاضى عياض رحمه الله: لم يكن فى ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة والأشهر التى بويع فيها الحسن بن على.. والمراد فى حديث: الخلافة ثلاثون سنة خلافة النبوة فقد جاء مفسرًا فى بعض الروايات: خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا[7].

---

(١) سنن الترمذى مع شرحها تحفة الأحوذى (٦/ ٣٩٥-٣٩٧) حديث حسن.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٣) مآثر الأنافة (١/ ١٠٥)، مرويات خلافة معاوية، خالد الغيث، ص (١٥٥).

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٧٤٤) إسناده حسن.

(٥) صحيح سنن أبى داود (٣/ ٨٧٩)، سنن أبى داود (٢/ ٥١٥).

(٦) أحكام القرآن لابن العربى (٤/ ١٧٢٠).

(٧) شرح النووى على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠١).

٣- وقال الحافظ ابن كثير- رحمه الله-: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذى أوردناه فى دلائل النبوة[١] من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على[٢].

٤- وقال شارح الطحاوية: وكانت خلافة أبى بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفًا، وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة، وخلافة على أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر[٣].

٥- وقال المناوى: بعد ذكره لقوله ﷺ: «ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٤]، قال: وكان ذلك فلما بويع له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة ستة أشهر تكملة للثلاثين سنة التى أخبر المصطفى ﷺ إنها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكًا..[٥].

٦- وقال ابن حجر الهيثمى: هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده ﷺ، ولى الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام بها ستة أشهر وأيامًا، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقًا لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله: الخلافة بعدى ثلاثون سنة[٦]، فإن تلك الستة الأشهر هى المكملة لتلك الثلاثين، فكانت خلافته منصوصًا عليها وقام عليها إجماع من ذكر، فلا مرية فى حقِّيتها[٧].

إن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن خلافة الحسن بن على كانت خلافة حقة وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التى أخبر النبى ﷺ أن مدتها ستكون ثلاثين سنة[٨].

---

(١)، (٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٣) شرح الطحاوية، ص ٥٤٥.

(٤) البخارى (٧/ ٩٤).

(٥) فيض القدير (٢/ ٤٠٩).

(٦)، (٧) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٣٩٧).

(٨) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٧٤٨).

رابعًا: خطب لاتصح للحسن بعد مقتل والده:

ونور هذا المبحث لمعرفة الباطل والتحذير منه كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشـر ولكن لتوقيه ... ومن لايعرف الشر من الخير يقع فيه

وقد اخترع الشيعة الرافضة الكثير من الخطب ونسبوها كذبًا وبهتانًا للحسن بن على رضى الله عنه، وإليك نماذج من ذلك منها:

أيها الناس: من عرفنى فقد عـرفنى، ومن لم يعرفنى، فأنا الحسن بن على، أنا البـشيـر، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى الله عـز وجل بإذنه وأنا ابن السـراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، والذين افتـرض الله مودتهم فى كتـابه إذ يقول: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٢] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت(١).

ونسـجوا خـطبة لأبى الأسـود الدؤلى إلى أن قـالوا: ثم بكى حـتى اخـتلفت أضلاعه ثم قـال: وقد أوصى بالإمامة بعـده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليله وشبيهه فى خلقه وهديه، وإنى لأرجو أن يجبر الله به ما وهى، ويسد به ما انثلم. ويجمع به الشمل، ويطـفئ به نيران الفتنة فبايعـوه ترشدوا، فبايعت الشيـعة كلها وتخلف ناس ممن كان يرى رأى العثمانية وهربوا إلى معاوية(٢).

وذكروا رسائل مطولة من الحسن إلى معاوية يدعوه لبيعته ويدلى بحجته وأحقيته وهى لا تثبت من حيث السند والمتن، وإنما ذكرت فى كتب الشيعة الرافضة العارية من الأسانيد الصحيحة، المتعـارضة مع ما ثبت عن الحسن بن على فى خلافته(٣)، ويكفى أن تلك المراجع تحدث فيها علماء وأهل السنة وبينوا زيفها وبطلانها، وأنها ليست بحجة فـى مجال الاعتقاد والأحكام والعلاقـة بين الصحابة الكرام، ويكفى أن النصوص السالفـة الذكر من كتاب مـقاتل الطالبيين والأغانى للأصـفهانى ومن كتاب نهج البلاغة، وقد تحدث العلماء عن الأصفهانى وكتابه وكذلك نهج البلاغة فقالوا:

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى، ص (٥١، ٥٢).

(٢) الأغانى لأبى فرج الأصفهانى (١/١٢١).

(٣) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموى محمد ماهر حمادة، ص (٩٠ - ٩٥).

١- الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى:

يعتبر كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى كتاب أدب وسمر وغناء ومجون وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين فى آذان أهل الأدب والتاريخ، ولقد تحدث العلماء فيه قديمًا فقالوا:

- قال الخطيب البغدادى: كان أبو الفرج الأصفهانى أكذب الناس، كان يشترى شيئًا كثيرًا من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها.

- قال ابن الجوزى: .. ومثله لايوثق بروايته، يصّح فيه وكتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمَّل كتاب الأغانى، رأى كل قبيح ومنكر(١).

- قال الذهبى: رأيت شيخنا تقىّ الدين بن تيمية يضعّفه ويتهمه فى نقله، ويستهول ما يأتى به(٢).

وقد تحدث عنه بعض المعاصرين فقالوا:

- قال الأستاذ شوقى أبو خليل مقومًا مصادر فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب المطوّل ما نصه: واعتمد حتَّى كتاب الأغانى للأصفهانى، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضًا، إنه كتاب أدب، وهذا لايعنى مطلقًا أن كل كتاب أدب لايؤخذ به، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة، معروفًا عنه الأمانة فى النقل والرواية. إن كتاب الأغانى الذى جعله حتَّى مرجعًا تاريخيًا معتمدًا، صاحبه متَّهم فى أمانته الأدبيَّة والتاريخية، جاء فى ميزان الاعتدال فى نقد الرّجال: أن الأصفهانى فى كتابه الأغانى كان يأتى بالأعاجيب يحدثنا وأخبرنا. ومن يقرأ الأغانى يرى حياة العباسيين لهوًا ومجونًا وغناء وشرابًا.. وهذا يناسب المؤلف وخياله وحياته، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب، فكتاب الأغانى ليس كتاب تاريخ يحتج به(٣).

---

(١) المنتظم (٧/ ٤٠، ٤١).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣).

(٣) موضوعية فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب المطول، ص (١٨٧).

- وقال أبو عبيدة مشهور بن حسن آل مشهور: . . لابد من ذكر أمر هام تفطن إليه بعض الباحثين وهو أن أهواء وميول أبى فرج الشيعية لها دور بارز ظهر فيما دوّنه فى كتابه هذا، قال الدكتور محمد أحمد خلف الله فى خاتمة كتابه أبو الفرج الأصفهانى ما نصه: ولقد وقفنا على ما لأبى فرج من ميول وأهواء، فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء كلما حاولنا الاعتماد على ما خلّف الرجل من مرويات، فقد يكون الرجل مضللاً، وقد يكون صاحب غرض وهوى، وليس يخفى أنّ للأهواء حكمها فى التاريخ، وهو حكم قد يملى رغبته لا فى ذكر الأخبار فحسب وإنما أيضًا فى الكتمان[1].

وأخيرًا لماذا هذا التحذير؟ وقد يتساءل البعض: لماذا هذا التفصيل فى التحذير من هذا الكتاب؟ والجواب: كان هذا التحذير لأسباب كثيرة هى:

أ- لشهرة هذا الكتاب وصيته الذائع.

ب- لاعتماد كثير من أهل التغريب عليه.

جـ- لما حواه من أخبار فيها قدح فى الإسلام والصحابة والخلفاء والولاة الصالحين العادلين.

د- لحرص غير واحد من المعاصرين على إظهار ما فيه على أنه حق وصدق، وقد كتب في ذلك وحرص عليه شفيق جبرى فى كتاب دراسة الأغانى الذى وضعه بتشجيع من طه حسين. والخلاصة أن هذا الكتاب على الرغم من قيمته الأدبية وأسلوبه القوى الأخاذ، إلا أن أخباره ومادته تحتاج إلى وقفات ونقدات[2].

- قال الأستاذ وليد الأعظمى: فى كتابه السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى فى مقدمة كتابه بعد كلام: من هنا بدأت أنظر إلى كتاب الأغانى نظرة جديدة، ورجعت إلى كتب التضعيف، والتوثيق والجرح والتعديل، فوجدت الأصفهانى رجلاً غير مأمون، ولايوثق به عند علمائنا الأجلاء المدققين المحصين، وسلخت من عمرى سنتين كاملتين متفرغًا لكتاب الأغانى أتملى نصوصه، وأقواله، وأقف

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى، ص (٢٣٥)، كتب حذر منها العلماء (٢/ ٣٠).

(٢) كتب حذر منها العلماء (٢/ ٣٠، ٣١).

عند كل خبر من أخباره، حتى فلّيت سطوره وكلماته، واستخرجت قمله من بين شعراته، واصطبرت عليه اصطبار المجاهدين المرابطين على الثغور، فرأيت نيران الشعوبية والحقد وهى تغلى فى الصدور كغلى القدور، وشعرت بنبال الأعداء تتوجه إلينا، وسهامهم تنثال علينا، ورددت قول الشاعر:

لو كان سهمًا لاتقيته ولكنه سهم وثان وثالث

فثمرت عن ساعد الجد لأميز الهزل من الجدّ، والسمَّ من الشهد، . . ورحت أفحص رجال السند الذين روى عنهم الأصفهانى، وبحثت عنهم فى كتب نقد الرجال، وقرأت ما جاء فيهم من أقوال، فوجدت فيهم كل داهية دهياء، وبلية سوداء عمياء من الكذابين والمجروحين والمطعون عليهم، فعزلت أولئك الكذابين وعرّفت بهم،ثم رحت أحصى روايات الأصفهانى عن كل واحد من هؤلاء، وهالنى ما رأيت من الاعتماد على أولئك الكذابين والرواية عنهم، والاستقاء من دلائهم، والاستضاءة بنارهم، ورأيت نفسى فى واد سحيق رهيب، ودخلت فى كهف مظلم كئيب، وإذا كان أولئك الرواة يكذبون فى رواية الحديث النبوى الشريف، فكيف بهم فى أخبار الناس، وقد توزَّعوا إلى مذاهب وفرق وطوائف، تتحاذبهم الأهواء والمشارب والمنافع، وتتقاذف بهم المقاصد والأهداف؟.

وإذا كان الأغانى كتاب أدب وسمر وغناء وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، فليس معنى ذلك أن نسكت عمّا ورد فيه من الدس والكذب الفاضح والطعن والمعايب، وقد جمع فيه الأصفهانى كثيراً من أخبار السيرة والتفسير والفقه والأدب إلى أن قال:

واحتوى الفصل الثانى أخبارًا وحكايات أوردها الأصفهانى عن آل البيت النبوى الشريف، وهى أخبار تسىء إليهم، وتجرح سيرتهم، وتشوِّه سلوكهم، وتوهِّن أمرهم بما يوافق هوى آل بويه الذين يزعمون الولاء لآل البيت كذبًا وزورًا، وقد ناقشت تلك الأخبار وعلَّقت على كل حكاية بما يناسبها. . وجعلت الفصل الرابع للأخبار والحكايات المتفرقة التى طعن فيها الأصفهانى بالعقائد الإسلامية، ولعن دين الإسلام وتفضيل الجاهلية على الإسلام، مع الكفر البواح والاستخفاف

بالصلاة والحج ويوم القيامة، مع دفاع عن البرامكة وإشادة بالفرس، وطعون مختلفة بأعلام العرب والمسلمين، وناقشت كل تلك الأخبار، وعلّقت عليها بما يناسب أيضًا[1]، إلى أن قال في الخاتمة:

بعد هذه الجولة الواسعة فى كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى، والوقوف عند أخباره ومناقشتها والتعليق عليها، أرجو أن يكون القارئ الكريم قد تبين مقاصد هذا الشعوبى الحاقد اللئيم، وقد غضضت وصرفت القلم عن أخبار فظيعة وحكايات شنيعة لايكتبها أشد الناس عداوة وبغضًا للعرب والمسلمين، فقد اتهم كثيرًا من أعلامهم باللواطة، وكريم نسائهم بالسحاق، وألصق بهم السخائم من ذميم الخصال وقبيح الفعال، متسترًا بظلال الأدب والسمر والمذاكرة والمؤانسة، كأن ذلك لا يحصل إلا بشتم سلف هذه الأمة المجيدة فى تاريخها وخُلقها[2].

- وقال أنور الجندى: ركز التغريب والغزو الثقافى على كتابى الأغانى وألف ليلة تركيزًا شديدًا بهدف رفعهما إلى مرتبة المراجع الأساسية التى يعتمد عليها فى تصوير المجتمع الإسلامى، مع تجاهل عيوب الكتابين التى تحول دون اعتمادها فى المصادر الموثوق بها، أما الأول فكاتبه شعوبى عدو للإسلام، وأما الثانى فهو كتاب لقيط ليس له مؤلف، أما كتاب الأغانى، فهو موسوعة فى بضعة وعشرين مجلدًا، وضعها أبو فرج الأصفهانى ليسامر بها الأمراء والفارغين من المترفين فى أسمار الليل، ولم يقصد بها إلى العلم أو التاريخ، وكان الأصفهانى فى نفسه إنسانًا رافضًا لمجتمع المسلمين والعرب، وله ولاء بالمولد والفكر جميعًا إلى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم، ولم يكن عمله هذا إلا نوعًا من الحرب العنيفة التى شنتها الشعوبية على الإسلام والمسلمين، رغبة فى هدم فكرهم كوسيلة إلى هدم مجتمعهم. وقد حرص التغريب وأصحاب نظرية النقد الأدبى الغربى الوافدة على إلقاء الأضواء الساطعة على هذا الكتاب وإحيائه، واعتباره مرجعًا فى الدراسات الأدبية ومصدرًا لتصوير المجتمع الإسلامى، وكان الدكتور طه حسين جزاه الله بما هو أهله من أبرز من دعوا إلى ذلك وألحوا عليه، فقد عمد إلى

(١) السيف اليمانى، ص (١٠-١٣).
(٢) المصدر نفسه، ص (٢٦٤).

الأغانى نفسها، فأصدر اعتماداً على قصصها أحكامًا زائفة على مجتمع المسلمين وتاريخهم أراد بها المساهمة فى عملية التغريب الضخمة والتى كانت تجرى فى الثلاثينيات من هذا القرن[١]. وقال: على أن أقل مواجهة لسيرة الأصفهانى تكشف عن أنه كان من الشعوبيين، وقد عرف بالتحايل والإغراق، وأثبت كثير من الباحثين والمؤرخين أنه لم يكون مؤرخًا وأكدوا أن كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريخ، وإنما هو جماع لقصص وجدها فى الكتب والأسواق، وأراد بها أن يسجل للأغانى والمغنيين، وهو جانب واحد فى حياة المجتمع الإسلامى الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفية، وقد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالانحراف ودمغه المؤرخ اليوسفى بشهادة هى فى نظر العلماء كمصدر موثوق به، إذ قال: إن أبا الفرج أكذب الناس، لأنه كان يدخل سوق الوراقين وهى عدة من الدكاكين مملوءة بالكتب، فيشترى منها شيئًا كثيرًا فى الصحف ويحملها إلى بيته، ثم تكون روايته كلها منها[٢]، وذكر عنه صاحب معجم الأدباء قوله: كان شأنه فى معاقرة الخمر، وحب الغلمان، ووصف النساء شأن الشعراء والأدباء الذين كانوا فى عصره أو قبله، حيث يقدم دهاقين الخمارين، وجلهم من النصارى واليهود والصابئين والمجوس، وقد عرف بمعاقرته للخمر ولم تكن له عناية بتنظيف جسمه وثيابه[٣]..

ثم قال أنور الجندى: ولست أدرى كيف يصلح مثل هذا الكتاب مرجعًا فى نظر الباحثين أو يمكن أن يؤتمن على رأى أو قول، ولقد عودتنا مناهج الفكر الإسلامى أن تنظر إلى كاتبه، فإن وجدناه كريمًا أمينًا موضع تقدير الناس بالصدق والحق، قبلنا منه، وإلا رفضنا ما يقدمه ولو كان صادقًا فى بعضه[٤]. ثم قال تحت عنوان «كتاب مجون وخلاعة» ما نصه: فقد كان الأصفهانى مسرفًا، أشنع فى الإسراف فى الملذات والشهوات، وقد كان لهذا الجانب فى تكوينه الخلقى أثر ظاهر فى كتابه، فإن كتاب الأغانى أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون، وهو حين يعرض

(١) مؤلفات فى الميزان، ص (١٠٠)، كتب حذر العلماء منها (٢/ ٣٨).

(٢) كتب حذر العلماء منها (٢/ ٣٨).

(٣) معجم الأدباء (٥/ ١٥٣).

(٤) مؤلفات فى الميزان، ص (١٠٠ - ١٠٣).

للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة فى أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية إهمالاً ظاهراً يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاغتسال، وهذه الناحية من الأصفهانى أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه، ونظرة فيما كتبه جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، وما كتبه طه حسين فى حديث الأربعاء تكفى للاقتناع بأن الاعتماد على كتاب الأغانى جر هذين الباحثين إلى الحط من أخلاق الجماهير فى عصر الدولة العباسية، وحملهما على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجون. ولا شك أن إكثار الأصفهانى فى تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل فى كتابة جواً مشبعًا بأوزار الإثم، والغواية، وأذاع فى الناس فكرة خاطئة هى اقتران العبقرية بالترف والطيش(١).

إن الخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لروايات الأغانى قيمة تاريخية، وأن يبنوا على أساسها ما يثيرون من حقائق التاريخ، ولقد كان من أخطر أعمال التغريب هو توجيه الباحثين إلى اتخاذ الأغانى مصدراً لدراسة المجتمع الإسلامى، بينما قصر عند جانب واحد هو جانب اللهو،ولم يتعرض للجوانب الأخرى الجادة فى المجتمع وهى متعددة، ومن هنا يوحى حين الاعتماد عليه كمصدر أن الحياة الإسلامية فى القرن الثانى الهجرى كانت لهواً، وهو ما صرح به طه حسين ورده الكثيرون وكشفوا زيفه. كذلك اعتمد المستشرق لامنس على كتاب الأغانى فى كتابه تاريخ بنى أمية، وكذلك ما أورده المستشرق فلهوزن فى كتابه «الدولة العربية وسقوطها»، ويحاول جبور عبد النور أن يدافع عن الأصفهانى فيسأل: أفمن الضرورى إن كان المؤرخ فاسقًا أو مسرفًا يتتبع الإسراف فى اللذات والشهوات أن لا يكون مؤرخًا وألا يكون صادقًا فيما يروى أو يقول أو يكتب؟ ونحن نقول له: نعم، فى فكرنا الإسلامى، فإن لم يكن فى الفكر الغربى كذلك، فهذا أمر آخر، إن فكرنا الإسلامى وضع قواعد البحث والنقد والعلم على أساس الارتباط الجذرى بين علم الباحث وشخصيته، فإن كان منحرفًا فى حياته، مضطربًا فى شخصيته، بعيداً عن الأخلاق والدين، فنحن نرفضه مصدراً علميًا ولا نقبل له شهادة، والأصفهانى بشهادة الجميع من أنصاره وخصومه على السواء مهدور الرأى، ساقط الشهادة، وإن فسقه الشخصى قد أدخل كثيراً من هواه على ما أورده، فضلاً عن

(١) مؤلفات فى الميزان ص (١٠٠ - ١٠٣) نقلاً عن كتب حذر العلماء منها (٢/ ٤٠).

انحرافه الفكرى والعقائدى والاجتماعى مما يفسد آراءه إفسادًا، بالإضافة إلى أن كتاب الأغانى ليس مرجعًا علميًا، ولكنه من كتب التسلية والسمر التى كتبت لتزجية فراغ بعض المترفين، ومن هنا فإنه لايصلح أساسًا كمصدر للعلم أو مرجعًا للبحث فى الأدب والتاريخ[1]، ولقد كان لهذا الكتاب أثر كبير فى تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه.

٢- نهج البلاغة:

من الكتب التى ساهمت فى تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة، فهذا الكتاب مطعون فى سنده ومتنه، فقد جُمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة الرافضة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضى وهو غير مقبول عند المحدثين -لو أسند- خصوصًا فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل فى النهج؟ وأما المتهم- عند المحدثين- بوضع النهج فهو أخوه على[2]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

- قال ابن خلكان فى ترجمة الشريف **المرتضى**: وقد اختلف الناس فى كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضى؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام على، وإنما الذى جمعه ونسبه إليه هو الذى وضعه[3]، والله أعلم.

- وقال الذهبى فى ترجمة المرتضى أبى طالب على بن حسين بن موسى الموسوى المتوفى سنة ٤٣٦هـ: هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام على رضى الله عنه، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل وفيه حق، لكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن، أين المنصف؟ وقيل: بل جَمْع أخيه الشريف الرضى[4] وقال أيضًا: وفى تواليفه سبٌّ أصحاب رسول الله ﷺ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع[5]، وقال أيضًا فى ترجمته: وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قوية فى العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة،

---

(١) مؤلفات فى الميزان، ص (١٠٠- ١٠٣).

(٢) الأدب الإسلامى، نايف معروف، ص (٥٣).

(٣) الوفيات (٣/ ١٣٤).

(٤) كتب حذر منها العلماء (٢/ ٢٥٠)، الميزان (١/ ٢٠٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٩، ٥٩٠).

جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه، ففيه السب الصّراح والحط على السيدين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين، جزم بأن الكتاب أكثره باطل(١).

- وقال ابن تيمية:.. وأيضًا ، فأكثر الخطب التى ينقلها صاحب نهج البلاغة، بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح، فلا هى صدق ولا هى مدح، ومن قال: إن كلام على وغيره من البشر فوق كلام المخلوق، فقد أخطأ، وكلام النبى ﷺ فوق كلامه، وكلاهما مخلوق.. وأيضًا فالمعانى الصحيحة التى توجد فى كلام علىّ موجودة فى كلام غيره، لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيرًا من كلام الناس فجعلوه من كلام على، ومنه ما يحكى عن علىّ أنه تكلَّم به، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به، ولكن هو فى نفس الأمر من كلام غيره، ولهذا، يوجد فى كلام «البيان والتبيين» للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير علىّ، وصاحب «نهج البلاغة» يجعله عن على، وهذه الخطب المنقولة فى كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن على من كلامه، لكانت موجودة قبل هذا المصنَّف، منقولة عن علىّ بالأسانيد وبغيرها، فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرًا منها «بل أكثرها» لا يُعرف قبل هذا علم أن هذا كذب، وإلا فليبيّن الناقل لها فى أى كتاب ذكر ذلك، ومن الذى نقله عن علىّ، وما إسناده؟ وإلا فالدعوة المجردة لايعجز عنها أحد، ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبّين صدقها من كذبها، علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن علىّ من أبعد الناس عن المنقولات، والتمييز بين صدقها وكذبها(٢).

- وقال العلامة المقبلى: أخرج البخارى عن على رضى الله عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإنى أكره الخلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤)، لسان الميزان (٤/ ٢٢٣).

(٢) منهاج السنة (٨/ ٥٥، ٥٦)، كتب حذر العلماء منها (٢/ ٢٥٦).

أصحابى، قال: وكان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن على رضى الله عنه كذبًا، وصدق ابن سيرين رحمه الله، فإن كل قلب سليم، وعقل غير زائغ عن الطريق القويم، ولب تدرب فى مقاصد سالكى الصراط المستقيم، يشهد بكذب كثير مما فى نهج البلاغة الذى صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذى أصاب كل عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس، وأوصلوا ذلك إلى على برواية تسوغ عند الناس وجادلوا عن رواتها، ولكن، لم يبلغوا بها مصنفها(١).

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام على بما يلى:

- خلوُّه من الأسانيد التوثيقية التى تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه متنًا ورواية وسندًا.
- كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين.
- رصد العديد من الأقوال والخطب فى مصادر وثيقة منسوبة لغير على رضى الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.
- اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لايليق به ولا بهما، وتنافى ما عُرف عنه من توقيره لهما بالأسانيد الصحيحة، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ «الشقشقية» التى يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه من التقشف والزهد.
- شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذى عُرف به عصر الإمام على رضى الله عنه، مع أن السجع العفوى الجميل لم يكن بعيدًا عن روحه ومبناه.
- الكلام المنمق الذى تظهر فيه الصناعة الأدبية التى هى من وشى العصر العباسى وزخرفه، ما تجد فى وصف الطاووس، والخفاش، والنحل، والنمل، والزرع والسحب وأمثالها.

---

(١) العلم الشامخ، ص (٢٣٧)، كتب حذر العلماء منها (٢/ ٢٥١).

- الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التى وردت فى ثناياه، والتى لم تُعرف عند المسلمين إلا فى القرن الثالث الهجرى، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهى أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين[1].

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه فى الحديث عن الصحابة، ومن أراد الاستفادة منه فعليه أن يعرض المسائل العقائدية وحديثه عن الصحابة والأحكام التى فيه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فما وافق الكتاب والسنة فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلايلتفت إليه.

لقد نقل صاحب كتاب الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموى خطبًا ورسائل وحوارات للحسن بن على بن أبى طالب مع معاوية رضى الله عنه والمتعلقة بخلافته وعهده أكثرها لايصح[2]، واعتمد على مصادر ضعيفة واهية، كالأغانى ونهج البلاغة وغيرها من الكتب التى لايمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها فى البحث التاريخى الجاد الذى يراد به وجه الله تعالى.

(١) الأدب الإسلامى، ص (٥٤، ٥٥).

(٢) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموى، ص (٧٦ - ١٠٠).

المبحث الثانى

أهم صفاته وحياته فى المجتمع

أولاً: أهم صفاته:

إن شخصية الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف رضى الله عنه بصفات القائد الربانى، فمن أهم هذه الصفات: إيمانه العظيم بالله واليوم الآخر، والعلم الشرعى، والثقة بالله، والصدق، والكفاءة، والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، والتواضع، وقبول النصيحة، والحلم والصبر، وعلو الهمة، والحزم، والإرادة القوية، والعدل والقدرة على حل المشكلات، وغير ذلك من الصفات، وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية استطاع أن يقدم مشروعه الإصلاحى مع قدرته على التنفيذ والتغلب على العوائق فى الطريق، وتوّجت جهوده الفذة بوحدة الأمة، ومن أهم تلك الصفات التى نحاول تسليط الأضواء عليها هى:

١- العلم:

تربى الحسن فى بيت النبوة، فتأثر بجده ﷺ ووالدته السيدة فاطمة فى طفولته واستفاد من والده العلم الغزير، فقد اهتم به اهتمامًا كبيرًا، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يُعلِّم الناس كتاب الله ومن بينهم أبناؤه ومنهم أمير المؤمنين، الحسن والحسين فتعلموا منه منهجه لبيان الحكم الشرعى وطريقته فى الاستنباط، والتى كانت ملامحها الالتزام بظاهر القرآن الكريم، وحمل المطلق على المقيد، وحمل المجمل على المفسر، والعلم بالناسخ والمنسوخ، والنظر فى لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، ومعرفة عادات العرب وأحوالهم، وقوة الفهم وسعة الإدراك، وكان القرآن الكريم لذلك الجيل ومنهم الحسن بن على هو المنهج التربوى مع هدى النبى ﷺ، فكانت للآيات القرآنية الكريمة التى سمعها من والده أمير المؤمنين على أثرها فى علمه وصياغة شخصيته، فقد تطهر قلبه وزكت نفسه، وتفاعلت معه روحه، فأبصر

الحقائق الكبرى فى عالم الوجود، وكان من شيوخه الذين حفظ عليهم القرآن الكريم عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلّمى، مقرىء الكوفة وكان لأبيه صحبة روى عن على رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان، وقد أخذ القراءة عن عاصم وعطاء والحسن والحسين رضى الله عنهم، وكان يقرئ عشرين آية بالغداة وعشرين آية بالعشى وكان فقيهًا وتوفى فى الكوفة فى خلافة عبد الملك بن مروان وكان ثقة كثير الحديث(١)، وعن عبد الله بن المبارك عن عطاء ابن السائب قال: دخلنا على أبى عبد الرحمن السلمى- وهو يقضى أى ينزع فى المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفرش فإنه أوثر(٢)، قال: حدثنى فلان أن النبى ﷺ قال: «لايزال أحدكم فى صلاة مادام فى مصلاه ينتظر الصلاة»(٣)، وفى رواية ابن سعد: «الملائكة تقول اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»، قال أبو عبد الرحمن السلمى: فأريد أن أموت وأنا فى مسجدى(٤)، وكان منهجه رحمه الله فى تعليم القرآن الكريم منهج الصحابة الكرام، فعن أبى عبد الرحمن السلمى قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن- كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما-: أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبى ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم، والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم، والعمل جميعًا، ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة(٥)، ويعتبر أبو عبد الرحمن السلمى شيخ الحسن بن علىّ فى القرآن الكريم من أشهر تلاميذ عثمان بن عفان رضى الله عنه(٦)، وقد سار الحسن بن على على نفس الطريقة فى حفظ القرآن الكريم وفهمه والعمل به.

- نظرة أمير المؤمنين الحسن لله والكون والحياة والجنة والنار:

قد عرف الحسن من خلال القرآن الكريم وتربية والده أمير المؤمنين على من هو الإله الذى يجب أن يعبده، فأصبحت نظرة الحسن بن على إلى الله -عز وجل-

(١) تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣، ١٨٤)، الطبقات (٢/ ١٧٣).

(٢) أوثر: أوطأ.

(٣) كتاب الزهد، رقم (٤٢٠)، ص (١٤١، ١٤٢).

(٤) الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٤، ١٧٥).

(٥) الفتاوى (١٣/ ١٧٧).

(٦) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان، ص (٢٥).

والكون، الحياة، والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم، وهدى النبى ﷺ.

- فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص، موصوف بالكمالات التى تتناهى فهو سبحانه واحد لاشريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

- وأنه سبحانه حدّد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد فى القرآن الكريم(١).

- وأما نظرته للكون، فقد استمدها من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

- وأما هذه الحياة مهما طالت، فهى إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]

- وأما نظرته إلى الجنة، فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة فأصبح هذا التصور مهيمنًا على نفسه، فيرى المتتبع لسيرة الحسن بن على رضى الله عنه عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشدة خوفه من عذاب الله، وعقابه، وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمده من كتاب الله، وتعليم رسول الله ﷺ له، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر فى قلبه كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

---

(١) منهج الرسول فى غرس الروح الجهادية، ص (١٠ - ١٦).

- وعرف الحسن بن على رضى الله عنه من خلال القرآن الكريم حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان، وأن هذا العدو يأتى للإنسان من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، يوسوس له بالمعصية، ويستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعينًا بالله على عدوه إبليس وانتصر عليه فى حياته.

- وتعلّم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة، والاستغفار فى حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد، والكبر، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع الصحابة لقول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

لقد أكرم المولى- عز وجل- الحسن بن على رضى الله عنه بالعيش مع القرآن الكريم، فعاش به، واستمد أصوله، وفروعه من كتاب الله ، وهدى رسول الله ﷺ، وأصبح من أئمة الهدى، الذين يرسمون للناس خط سيرهم، ويتأسى الناس بأقوالهم، وأفعالهم فى هذه الحياة، وكان رضى الله عنه من أهل القرآن، ولذلك كانت خطبه بالقرآن الكريم فقد روى عنه رضى الله عنه بأنه خطب يوم الجمعة فقرأ سورة «إبراهيم» على المنبر حتى ختمها[(١)]، وقد كان هذا من هدى الرسول ﷺ فقد قرأ سورة «ق» حتى ختمها، فقد روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت: ما أخذت «ق، والقرآن المجيد» إلا من لسان رسول الله يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[(٢)]، وروى عن ابن ماجة عن أبى بن كعب قال: قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة «تبارك» وهو قائم، فذكرنا بأيام الله ، وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزنى فقال: متى أنزلت هذه السورة؟ فإنى لم أسمعها إلى الآن، فأشار إليه أن اسكت[(٣)]،ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله فى بيان هدى النبى ﷺ فى خطبته: كان النبى ﷺ كثيرًا ما يخطب بالقرآن[(٤)]، ولذلك كان الحسن بن على رضى الله عنه يوجّه الناس بآيات القرآن الكريم ويتلوها عليهم، ملتزمًا بالمنهج

(١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢٧٨) إسناده ضعيف.

(٢) مسلم، رقم (٨٧٣).

(٣) سنن ابن ماجة، رقم (١١١١) إسناده حسن.

(٤) زاد المعاد (١/ ٤٣).

النبوى فى قراءته للقرآن بإتقان وتركيز وتدبر وخشوع، وتحسين للصوت، فتهتز لها القلوب وتذرف لها الدموع، وإذا حاولنا أن نتأمل فى سورة إبراهيم عليه السلام التى قرأها على المنبر كاملة نلاحظ بأن أهم مواضيعها هى:

- إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله وبالرسل وبالبعث والجزاء وإقرار التوحيد، والتعريف بالإله الحق خالق السماوات والأرض، وبيان الهدف من إنزال القرآن الكريم، وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، واتحاد مهمة الرسل ودعوتهم فى أصول الاعتقاد والفضائل وعبادة الله والإنقاذ من الضلال.
- الوعد والوعيد: ذمّ الكافرين ووعيدهم على كفرهم وتهديدهم بالعذاب الشديد، ووعد المؤمنين على أعمالهم الطيبة بالجنان (الآية٢، والآية ٢٣، والآيات ٢٨-٣١).
- الحديث عن إرسال الرسل بلغات أقوامهم، لتسهيل البيان والتفاهم (الآية: ٤٠).
- تسلية الرسول ﷺ ببيان ما حدث للرسل السابقين مع أقوامهم: قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، والتذكير بعقابهم، كما فى الآيات (٩-١٢) والآيات (١٣-١٨).
- محاورة موسى لقومه ودعوته إياهم لعبادة الله تعالى (٥-٨).
- دعوات إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت الحرام لأهل مكة بالأمان والرزق وتعلق القلوب بالبيت الحرام، وتجنيبه وذريته عبادة الأصنام، وشكره ربه على ما وهبه من الأولاد بعد الكبر، وتوفيقه وذريته لإقامة الصلاة، وطلبه المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين (الآيات ٥٣-٤١).
- بيان مشهد من مشاهد الحوار بين أهل النار فى عالم الآخرة (الآيات ١٩-٢٣).
- ضرب الأمثال لكلمة الحق والإيمان وكلمة الباطل والضَّلال بالشجرة الطيبة والشَّجرة الخبيثة (الآيات ٢٤ - ٢٧).
- التذكير بأهوال القيامة وتهديد الظالمين وبيان ألوان عذابهم (الآيات: ٤٢-٥٢)

- بيان الحكمة من تأخير العذاب ليوم القيامة، وهو ما ختمت به السورة[1] (الآيات: ٥١-٥٢).

هذه أهم المواضيع التى اشتملت عليها سورة إبراهيم عليه السلام والتى خطب بها الحسن بن على رضى الله عنه على المنبر لخطبة الجمعة، كما كان الحسن بن على رضى الله عنه إذا أوى إلى فراشه قرأ سورة الكهف، وقد استهلت السورة ببيان وصف القرآن بأنه قيم مستقيم لا اختلاف فيه ولا تناقض فى لفظه ومعناه، وأنه جاء للتبشير ثم لفت النظر إلى ما فى الأرض من زينة وجمال وعجائب تدل دلالة واضحة على قدرة الله تعالى، وتحدثت السورة عن ثلاث قصص من روائع قصص القرآن الكريم وهى قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذى القرنين، أما قصة سورة الكهف (٩-٢٦) فهى مثال عال، ورمز سام للتضحية بالوطن والأهل والأقارب والأصدقاء والأموال فى سبيل العقيدة الصحيحة واتباع الهدى، فقد فرّ هؤلاء الشباب الفتية المؤمنون بدينهم من بطش الملك الوثنى واحتموا فى غار فى الجبل، فأنامهم الله ثلاثة مائة وتسع سنين قمرية، ثم بعثهم دليلاً حسيًا للناس على قدرته على البعث، واتبع الله تعالى القصة بأمر النبى ﷺ بالتواضع ومجالسة الفقراء المؤمنين وعدم الفرار إلى مجالسة الأغنياء لدعوتهم إلى الدين: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨]. ثم هدد الله تعالى الكفار بعد إظهار الحق، وذكر ما أعده لهم من العذاب الشديد فى الآخرة ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] وقارن ذلك بما أعده سبحانه من جنات عدن للمؤمنين الصالحين (٣٠-٣١).

وأما قصة موسى مع الخضر فى الآيات (٦٠-٧٨) فكانت مثلاً للعلماء فى التواضع أثناء طلب العلم، وأنه قد يكون عند العبد الصالح من العلوم فى غير أصول الدين وفروعه ما ليس عند الأنبياء بدليل قصة خرق السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار، وأما قصة ذى القرنين فى الآيات (٨٣-٩٩) فهى عبرة للحكام والسلاطين، إذ أن هذا الملك تمكن من السيطرة على العالم، ومشارق الأرض ومغاربها، وبنائه السد العظيم بسبب ما اتصف به من التقوى والعدل والصلاح.

---

(١) التفسير المنير (١٣/١٩٨، ١٩٩).

وتخللت هذه القصة أمثلة ثلاثة بارزة رائعة مستمدة من الواقع، لإظهار أن الحق لا يقترن بالسلطة والغنى، إنما يرتبط بالإيمان، وأول هذه الأمثلة قصة أصحاب الجنتين (٣٢-٤٤) للمقارنة بين الغنى المغتر بماله، والفقير المعتز بإيمانه، لبيان حال فقراء المؤمنين وحال أغنياء المشركين، وثانيها: مثل الحياة الدنيا (٤٥-٤٦) لإنذار الناس بفنائها وزوالها. وأردف ذلك بإيراد بعض مشاهد القيامة الرهيبة من تسيير الجبال، وحشر الناس فى صعيد واحد، ومفاجأة الناس بصحائف أعمالهم (٤٧-٤٩) وثالثها: قصة إبليس وإبائه السجود لآدم (٥٠-٥٣) للموازنة بين التكبر والغرور، وما أدى إليه من طرد وحرمان وتحذير الناس من شر الشيطان، وبين العبودية لله والتواضع، وما حقق من رضوان الله تعالى، وأردف ذلك بيان عناية القرآن بضرب الأمثال للناس للعظة والذكر وإيضاح مهام الرسل للتبشير والإنذار والتحذير من الإعراض عن آيات الله (٥٤-٥٧).

وختمت السورة بموضوعات ثلاثة: أولها: إعلان تبديد أعمال الكفار وضياع ثمرتها فى الآخرة (١٠٠-١٠٦) وثانيها: تبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالنعيم الأبدى (١٠٧-١٠٨) وثالثها: أن علم الله تعالى لا يحده حدود ولا نهاية[1] (١٠٩-١١٠)، وكانت آخر آية فى السورة وبعدما بين المولى عز وجل كمال كلامه، أمر تعالى محمداً ﷺ بالتواضع فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف: ١١٠] أى قل يا محمد لهم: ما أنا إلا بشر مثلكم فى البشرية، ليس لى صفة الملكية أو الألوهية، ولا علم لى إلا ما علمنى الله، إلا أن الله تعالى أوحى إلىّ أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد، فلا شريك له فى ألوهيته، فمعبودكم الذى يجب أن تعبدوه هو معبود واحد لا شريك له ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أى فمن آمن بلقاء الله، وطمع فى ثواب الله على طاعته، فليتقرب إليه بصالح الأعمال، وليخلص له العبادة، وليجتنب الشرك بعبادة الله أحدًا من مخلوقاته، سواء أكان شركًا ظاهراً كعبادة الأوثان أو دعاء غير

(١) التفسير المنير (١٦/ ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩).

الله تعالى أو النذر للمخلوقين أو اعتقاد أن الخلق ينفعون أو يضرون بما لا يقدر عليه إلا الله أو صرف أنواع العبودية من خوف أو رجاء أو حب لغير الله مما لا ينبغي إلا لله، أم شركًا خفيًا كفعل شيء رياء أو سمعة وشهرة[١]، والرياء هو الشرك الأصغر، فقد قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء[٢] وقد جمعت الآية الكريمة شرطي قبول الأعمال، اتباع الرسول ﷺ وهو قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ والإخلاص لله وهو قوله: ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

إن هذه المعاني الكريمة والآيات العزيزة كان الحسن بن علي يقرأها كل يوم بتمعن وتدبر، فكانت لها تأثيرها على نفسه وفي حياته، كما كان للحسن بن علي رضي الله عنه اهتمام بالسيرة النبوية الشريفة، فقد كانت من ثقافة ذلك الجيل تعلم السيرة النبوية، فقد قال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ يعدها علينا ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها[٣] وقال علي بن الحسن: كنا نُعلم مغازي رسول الله كما نعلم السورة من القرآن[٤]، وأما السنة النبوية، فقد كان والده أمير المؤمنين على أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله ﷺ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء، وكثرة الرواة عنه، وانتشار طلبة العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال، ووقوع الأحاديث التي تقتضي البلاغ والرواية في أمور أخرى، فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة، وقد استفاد منه ابنه الحسن استفادة عظيمة، أما من جده ﷺ فقد توفي ﷺ والحسن صغير كما هو معلوم، فعقل عن رسول الله أحاديث وأمورًا ذكرها منسوبة لرسول الله ﷺ قد بينتها فيما مضى، وكان الحسن رضي الله

---

(١) التفسير المنير (١٦/ ٤٣).

(٢) مسند أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) إسناده حسن.

(٣) البداية والنهاية (٢/ ٢٤٢).

(٤) المصدر نفسه، السيرة النبوية للصّلابي(١/ ٦).

عنه يحث أولاده على طلب العلم، فقد دعا بنيه وبنى أخيه فقال: يا بنىَّ وبنى أخى إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين فتعلّموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه فى بيته(١).

وكان رضى الله عنه خطيبًا مفوهًا، فقد قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه للحسن ذات يوم: قم فاخطب الناس يا حسن. قال: إنى أهابك أن أخطب وأنا أراك فتغيب عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه، فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وتكلم(٢)، ثم نزل فقال على: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤]. وقد ورث الحسن من جده ﷺ ووالده رضى الله عنهم الخطابة والفصاحة والبلاغة وقوة البيان، وقد ذكرت كتب التاريخ: أن عليًا رضى الله عنه سأل ابنه - يعنى الحسن - عن أشياء عن المروءة، فقال: يا بُنى ما السَّداد؟ قال: يا أبتى السَّدادُ دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء مالَه. قال: فما الدقةُ(٣)؟ قال: النظر فى اليسير ومنع الحقير(٤). قال: فما اللُّؤم؟ قال: إحراز المرءِ نفسه وبذله يحْرسه، قال: فما السماحة؟ قال: البذل فى العسر واليسر. . قال: فما الشُّح؟ قال: أن ترى ما فى يديك شرفًا وما أنفقته تلفًا. قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء فى الشدة والرخاء. قال: فما الجُبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنّكول على العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة فى التقوى، والزهادة فى الدنيا هى الغنيمة الباردة قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ ومَلْكُ النفس. قال فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قلَّ، فإنما الغنى غنى النفس قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس فى كل شىء. قال: فما الذلُّ؟ قال: الفزع عند المصدوقة(٥). قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكُلْفة؟ قال: كلامك فيما لا يَعْنِيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطى فى الغُرم وأن تعفو عن

(١) الطبقات (١/ ٢٩٢) إسناده حسن تحقيق السُّلمى.
(٢) الطبقات (١/ ٢٧٦) إسناده ضعيف مرسل.
(٣) الدقة: الحقارة، النهاية (٢/ ١٢٧).
(٤) الحقير هنا: الشى اليسير.
(٥) المصدوقة: الحملة الصادقة ليس لها مكذوبة.

الجُرم. قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كلَّ ما استرعيته. قال: فما الخُرقُ[1]؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما الثناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم. قال: فما الشَّرف؟ قال: موافقة الإخوان، وحفظ الجيران، قال: فما السَّفَهُ؟ قال: اتباع الدُّناة، ومصاحبة الغُواة. قال: فما الغفلة؟ قال: تركُك المسجد وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظَّك وقد عُرِض عليك. قال: فما السَّيدُ؟ قال: الأحمق فى المال، المتهاون بعرضه، يُشْتَمُ فلا يجيب، المحتزن بأمر العشيرة[2] هو السيد.

ثم قال علىٌّ: يا بنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكفِّ، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الظَّرف الصَّلف، وآفة الشجاعة البغى، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحبِّ الفخر. ثم قال على: يا بُنَى، لا تستخفَّنَّ برجل تراه أبدًا فإن كان أكبر منك فعُدَّ أنه أبوك، وإن كان مثلك فهو أخوك، وإن كان أصغر منك، فاحسب أنه ابنك، فهذا ما ساءل علىٌّ ابنه عن أشياء من المروءة.

قال القاضى أبو الفرج: ففى هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه ووعاه، وعمل به، وأدّب نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده، وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبىِّ ﷺ ما لا غنى لكل لبيب عليم ومدرة[3] حكيم عن حفظه وتأمُّله، والمسعود من هُدى لتقبُّله والمجدود[4] من وفق لامتثاله وتقبله[5].

---

(١) الخرق: الجهل والحمق.

(٢) المتحزن بأمر العشيرة: المهتم بأمرهم.

(٣) المدرة: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم.

(٤) المجدود: المحظوظ.

(٥) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٢).

وقد علق ابن كثير على هذا الأثر فقال: ولكنَّ هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف ومثل هذه الألفاظ فى عبارتها ما يدل ما فى بعضها من النّكارة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم[1].

وما دامت الأمور التى ذكرتها مع الكتاب والسنة لا تتعارض ولا تبنى عليها عقيدة أو عبادة وإنما تدعو إلى مكارم الأخلاق، فلا مانع من الاستئناس بها.

وقد سأل أمير المؤمنين على ابنه الحسن: كم بين الإيمان واليقين؟ فقال الحسن رضى الله عنه: أربع أصابع. فقال أمير المؤمنين على: وكيف؟ فقال الحسن: الإيمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك. واليقين ما رأته عيناك، فأيقن به قلبك وليس بين العين والأذن إلا أربع أصابع[2]. ومن أقواله: حسن السؤال نصف العلم[3]، وسئل عن الصمت فقال: هو ستر العين أو زين العرض وفاعله فى راحة وجليسه فى أمان[4].

ومن علمه أنه أوصى بتعلم اللغة العربية[5]، وتأكيده على تعلم اللغة العربية تأكيد على ضرورة تطبيق القواعد العلمية فى القراءة وخاصة قراءة الآيات القرآنية، لأن اللغة العربية هى اللغة التى أنزل الله بها القرآن كتابة ولفظًا وبيَّن بها شرائع دينه وفرائض ملته، وبها بلغ الرسول ﷺ رسالته وعلم بها سنته النبوية الشريفة المطهرة، وبها ألفت الكتب الدينية والكتب العلمية وكتب الحكمة. فلا بد للناشىء من تعلمها، وإلا كان جاهلاً بالدين منقوصًا فى العلم، إضافة إلى ما تمتاز به هذه اللغة من الفصاحة والبيان والطلاوة على اللسان والحلاوة فى الأسماع والآذان[6]، ومن الأمور التى تؤكد تمكن الحسن بن على من اللغة العربية، فقد كان يعد من فصحاء العرب، فقد قال عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن بن على رضى الله عنهما[7]، وقد كان للحسن بن على تلاميذ نجباء منهم ابنه الحسن،

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٢) الطبرانى الكبير، حديث موضوع.

(٢) التبيين فى أنساب القرشيين، ص (١٢٧).

(٣) نور الأبصار للشبلنجى، ص (١٢٢)، الحسن بن على رسالة ماجستير، ص (٣٨).

(٤) من أقوال الصحابة ،ص (٦٧) نقلا عن الحسن بن على رسالة ماجستير، ص (٣٨).

(٥) مفتاح السعادة، أحمد مصطفى (٢/ ٨٢) نقلاً عن الحسن بن على.

(٦) نصيحة الملوك، ص (٣٥٠) للماوردى.

(٧) الكامل فى التاريخ (٤/ ١٣٢).

والمسيب بن نجبة، وسويد بن غفلة، والعلاء بن عبد الرحمن، والشعبى، وهبيرة ابن يريم، والأصبغ بن نباته، وجابر بن خالد، وأبو الحوراء، وعيسى بن مأمون ابن زرارة ويقال ابن المأموم وأبو يحيى عميرة بن سعيد النّخعى، وأبو مريم قيس الثقفى، وطحرب العجلى، وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق، وسفيان بن الليل، وعمر بن قيس الكوفيين[1].

وتظهر غزارة علمه، ودقة فقهه فى علم المصالح والمفاسد، ومعرفته العميقة بمقاصد الشريعة فى تقديمه وحدة الأمة وحفظ الدماء على المصلحة الخاصة من ملك الدنيا عندما تنازل لمعاوية.

٢- عبادته:

كان الحسن بن على رضى الله عنه من المجتهدين فى العبادة، ومارس مفهوم العبادة الشامل فى حياته، فقد رضع لبان العبادة مع ما رضعه من معدن النبوة، وتربية الزهراء التى جاءت إلى أبيها عليه الصلاة والسلام لتطلب خادمًا، فدلها على ما هو أفضل من ذلك ألا وهو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وقال لها ولزوجها فى الليل وهما فى الفراش: ألا تقومان تصليان؟ فأطل على الحياة فى بيت الزهد والعبادة، والورع والتقى، والحلم والصبر، وانغمس فى هذه المفاهيم والمثل والمبادئ حتى غدا مثالاً من مثلها، ومثالاً بها يضرب، يشهد له بذلك معاصروه من الصحابة الأبرار، ومن عاشره من الأخيار، فقد كان عابدًا بمعرفة، مقبلاً على الله بيقين، مدبرًا عن الدنيا وشواغلها برضا واطمئنان، ولهذا كان إذا توضأ وفرغ من الوضوء تغير لونه، فقيل له فى ذلك فقال: حق لمن أراد أن يدخل على ذى العرش أن يتغير لونه[2]، وقد ذكر ابن سعد قوله: ما رأيت أخوف من الحسن بن على وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما[3]، فكلما اقترب العبد من مولاه، وتعرف على أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، ازدادت هيبته وإجلاله وخوفه منه فهو سبحانه وتعالى يداول الأيام بين الناس قال تعالى: ﴿قُلِ

(١) تاريخ دمشق (١٤/ ٥).
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٦٩).
(٣) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٩٨).

اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، يقلب الدول، فيذهب بدولة، ويأتى بأخرى والرسل من الملائكة - عليهم السلام - بين صاعد إليه بالأمر، ونازل من عنده به، وأوامره متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كان كما يشاء فى الوقت الذى يشاء على الوجه الذى يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ فى السماوات وأقطارها، وفى الأرض وما عليها، وفى البحار، وفى الجو وفى سائر أجزاء العالم وذراته، يقبلها، ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء(١)، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] فهو سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماوات، ولا فى قرار البحار، ولاتحت أطباق الجبال، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فاستشعار عظمة الله وجلاله، ومعرفة أسمائه وصفاته تولد عند العبد خشية وخوفًا ومهابة من هذا الإله العظيم الذى يخضع له كل شىء(٢) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

وكان الحسن بن على رضى الله عنه إذا صَلَّى الغَداة فى مسجد رسول الله ﷺ يجلس فى مصلاَّه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدّثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيُسلِّم عليهن، وربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله(٣).

إن من السعداء الذين تصلِّى عليهم الملائكة أولئك الذين يجلسون بعد أداء الصلاة فى مصلاَّهم، ومما يدل على ذلك ما يلى: روى الإمام أحمد عن أبى

---

(١) الإيمان أولا فكيف نبدأ به، مجدى الهلالى، ص (٧٣).

(٢) المصدر نفسه، ص (٧٦).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٩٣، ١٩٤).

هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الملائكة تصلّى على أحدكم ما دام فى مصلاَّه الذى صلّى فيه، ما لم يحدث[1]، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه[2]، وإن جلس ينتظر الصلاة صلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه[3]، وروى الإمام أحمد عن عطاء بن السائب قال: خلت على أبى عبد الرحمن السلمى، وقد صلّى الفجر، وهو جالس، فقلت: لو قمت إلى فراشك كان أوطأ لك. فقال: سمعت عليًا رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صلّى الفجر ثم جلس فى مُصلاّه صلت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهمَّ اغفرله، اللهم ارحمه، ومن ينتظر الصلاة صلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم أرحمه[4].

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: - هل المكوث فى المنزل بعد صلاة الفجر لقراءة القرآن حتى تطلع الشمس، ثم يصلّى ركعتى الشروق، له نفس الأجر الذى يحصل بالمكوث فى المسجد؟ فأجاب: هذا العمل فيه خير كثير وأجر عظيم، لكن ظاهر الأحاديث الواردة فى ذلك أنه لا يحصل له نفس الأجر الذى وعد به إلا من جلس فى مصلاّه فى المسجد، لكن لو صلّى فى بيته صلاة الفجر لمرض أو خوف، ثم جلس فى مصلاّه، يذكر الله أو يقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس، ثم يصلى ركعتين فإنه يحصل له ما ورد فى الأحاديث لكونه معذوراً حين صلّى فى بيته، وهكذا المرأة إذا جلست فى مصلاّها بعد صلاة الفجر تذكر الله أو تقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس، ثم تصلى ركعتين فإنه يحصل لها ذلك الأجر الذى جاءت به الأحاديث[5].

إن الحسن بن على رضى الله عنه يعلمنا أهمية الذكر فى البكور، ويرغبنا فى ترك النوم فى ذلك الوقت من خلال سيرته الربانية، ولقد تحدث ابن القيم عن أهمية الذكر فى البكور فقال: ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع

(١) أى: حدثًا حقيقيًا، أى: ما لم يبطل وضوءه.

(٢) مسند أحمد، رقم (٨١٠٦) صححه أحمد شاكر.

(٣) مسند أحمد، رقم (١٢١٨) حسنه أحمد شاكر.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦) حسن إسناده أحمد شاكر.

(٥) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز (١١/ ٤٠٣، ٤٠٤).

الشمس، فـإنه وقت غنيمة، وللسيـر فى ذلك الوقت عند السالكين مزية عظـيمة حتى لو ساروا طول ليلهم لـم يسمحوا بالقعود ذلك الـوقت حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فيجب أن يكون نومها كنوم المضطر(١)، ولشرف هذا الوقت، ولأهمـيته فى السيـر إلى الله، نجد الترغـيب الشديد فى إحـيائه بالذكـر، فعن أنس - رضى الله عنه - قـال: قال: رسول الله ﷺ: من صلى الفـجر فـى جمـاعة، ثم قـعـد يذكر الله تعـالى حـتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجـر حجة وعمرة تامة تامة تامة(٢). قال ابن رجب: لما كان الحج من أفـضل الأعمال والنفوس تتـوق إليه لما وضع الله فى القلوب من الحنين إلى ذلك البيت المعظم، وكان كثير من الناس يعجز عنه ولا سيما كل عام، شرع الله لعـباده أعمـالاً يبلغ أجرها أجـر الحج، فيتـعوض بذلك العـاجزون فى التطوع(٣).

ويقول الأسـتاذ البنا: أيهـا الأخ العزيز، أمامك كل يوم لحظـة بالغداة، ولحظة بالعشى، ولحظة فى السحر، تستطيع أن تسمـو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ الأعلى، فتظفر بخـير الدنيا والآخرة، وأمامك مواسم الطاعـات، وأيام العبادات، وليالى القربات التى وجـهك إليها كتابك الكريم، ورسـولك العظيم، فاحرص أن تكون فيهـا من الذاكرين لا من الغافلين، ومن العاملين لا مـن الخاملين، واغتنم الوقت، فالوقت كالسيف، ودع التسويف فلا أضر منه(٤).

وكـان الحسن بن على رضى الله عنه يقـول إذا طلعت الشـمس: سمع سـامع بحـمد الله الأعظم لا شـريك له، له الملك وله الحـمد وهو على كل شىء قـدير، سمع سامع بحمد الله الأمجد لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قـدير(٥)، وقـد لازم الحـسن بن على مـا ثبت عن رسـول الله من أوراد وأذكـار

(١) تهذيب مدارج السالكين، ص (٢٤٨).

(٢) سنن الترمذى وقال الترمذى: حديث حسن صحيح، رقم (٥٨٦).

(٣) لطائف المعارف، ص (٣٥١)، البدر فى الحث على صلاة الفجر الدكتور عماد على، ص (٨٦).

(٤) الرقائق، ص (١٨) نقلا عن مجلة الدعوة العدد ٨ لسنة ١٩٥١م، الإيمان أولا، ص (٢٤٨).

(٥) الطبقات (١/ ٢٩١) تحقيق السلمى إسنادة صحيح.

وأدعيـة، وكان يحـث الناس على الصلوات فى المساجـد وكان يقـول: من أدمن الاختلاف إلى المساجد رزقه الله إحدى خصال: أخًا مـستفادًا ورحمة مستترة له أو علمًا مستطرفًا أو كلمة تدل على هدى أو يترك الذنوب خشـية أو حياء[1]، وكان رضى الله عنه من أهل القيام، فـقد كان رضى الله عنه يأخذ نصيبـه من القيام فى أول الليل، وكان الحسين رضى الله عنـه يأخذه من آخر الليل[2]، فقيام الليل من الوسائل المهـمة فى إيقاظ الإيمـان، جربها الصـالحون فوجـدوا لها أبلغ الأثر فى إحيـاء القلوب، قال ابن الحـاج فى المدخل: وفى قيـام الليل من الفوائد جـملة، فمنهـا: أنه يحط الذنوب كما يحط الـريح العاصف الورق اليابس من الشـجرة، ومنهـا أنه ينور القلب، ومنها أن مـوضعـه تراه الملائكة من السـماء يتراءى مـثل الكوكب الدرى لأهل الأرض، ونفحة من نفـحات قيام الليل تعود على صـاحبها بالبركات والأنوار والتحف التى يعجز عنها الوصف[3].

إن قيام الليل شرف المؤمن كما قال رسول الله ﷺ «شرف المؤمن صلاته بالليل، وعـزه استـغناؤه عـمـا فى أيدى الناس»[4]، ومهـما كـثرت دعـاوى المحبـة طولب أصحابها بالـدليل، وشهدت عليهم ساعات الليل، فـالبينة على من ادعى، فأهل القيام هم الأشراف بين الناس، أما أهل النوم والغفلة - من أمثالنا - فقد فضحتهم تلك الساعات، فأسـقطت ذكرهم، وأدنت شرفهم[5]، ومن سيرة الحسن بن على نتعلم أهمـية قيـام الليل، فباللـيل يتم الغرس، غرس بذور الإخـلاص والصدق، وعلى قدر غرسك سيكون الخير فى قلبك، وكلما ازدادت مساحته، ازداد توالى الهدايا عليه من كل جانب ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً﴾ [الأنفال: ٧٠].

إن قيام الليل من أهم صور الشكر التى كان يمارسها الحسن بن على رضى الله عنه، فشكر الله - عـز وجل - على نعمه التى لاتعد ولا تحصـى غاية من غايات

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ٥)، الحسن بن على، ص (٢٧).

(٢) الزهد لابن حنبل، ص (١٧١)، رهبان الليل (١/ ٤٠٣) للععفانى.

(٣) الإيمان أولاً، ص (١٧٢).

(٤) صحيح الجامع، رقم (٣٧٠١) السلسلة الصحيحة، رقم (١٩٠٣).

(٥) الإيمان أولاً، ص (١٧٣).

العبودية، والشكر عمل، والعبد الشكور هو الذى يظهر عليه أثر النعمة، وأبلغ أثر للنعمة ينبغى أن يظهر على العبد هو زيادة الذل والانكسار والتعظيم لولى النعم[1]، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٨، ٩].

فالآيات الكريمة تتحدث عن صنفين من الناس، أنعم الله عليهما بنعمة.. الأول مرَّ بتجربة شديدة، وكان فى ضيق وهم فدعا الله بصدق ففرج همه، وكشف كربه، لكنه أعرض عن شكره، وعاد إلى غيِّه، أما الآخر فقد سار فى طريق الشكر بطول القنوت بالليل، والتضرع لله - عز وجل- ويُعَقِّب القرآن على الحالتين بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، لا يستوى الذين يعلمون حق شكر النعم والذين لا يعلمون ذلك[2]، قال الشاعر:

القانتون المخبتون لربهم ... الناطقون بأصدق الأقوال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم ... بتلاوة وتضرع، وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم ... مثل انهمال الوابل الهطّال
في الليل رهبان وعن جهادهم ... لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوههم أثر السجود لربهم ... وبها أشعة نوره المتلالى[3]

وكان الحسن بن على رضى الله عنه كثير الحج، فقد قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما: ما ندمت على شىء فاتنى فى شبابى إلا إنى لم أحج ماشيًا، ولقد حج الحسن بن على خمسًا وعشرين حجة ماشيًا، وإن النجائب لتقاد معه،

(١) الإيمان أولا، ص (١٧٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٧٥).

(٣) رهبان الليل (١/ ٣٦٥).

ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى أنه يعطى الخف ويُمسك النعل[1]، فهذا مثل من لزوم ما لا يلزم شرعًا يقوم به الحسن بن على رضى الله عنهما، حيث لازم الحج ماشيًا خمسًا وعشرين حجّة، وهذا يدل على فضيلة المشى فى الحج، كما يؤيد ذلك ندم ابن عباس رضى الله عنهما على عدم قيامه بذلك أيام شبابه ومداومة الحسن على ذلك على ما فيه من مشقة تدل على قوة إيمانه ورغبته الصادقة فى المزيد من الأعمال الصالحة.

والمقصود بالمشى فى الحج من مكة إلى عرفة ثم من عرفة إلى مكة، وليس المقصود أن يحج الحاج ماشيًا من بلده[2].

ومن سيرة الحسن بن على رضى الله عنه نتعلم أهمية السياحة إلى البيت الحرام، كلما سمحت ظروفنا وتيسر حالنا، قال ﷺ: تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة بينهما تنفى الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد[3]، ولذلك حج الحسن ماشيًا ونجائبه تقاد إلى جانبه خمسًا وعشرين مرة فى بعض الروايات[4]، قال: إنى استحيى من ربى عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته[5]، وكان رضى الله عنه كثير الصمت، متعبدًا على منهج جده ﷺ.

٣- زهده:

فهم الحسن رضى الله عنه من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته لوالده أمير المؤمنين على رضى الله عنه، ومن تفكره فى هذه الحياة بأن الدنيا دار ابتلاء واختبار، فقد تربى على كتاب الله واستوعب الآيات التى تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، وكان رضى الله عنه يقرأ كل يوم سورة الكهف ويمر على قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٩/ ٢٢١).

(٣) الإيمان أولاً، ص (٢٤٩).

(٤) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٢).

(٥) المصدر نفسه (١٤/ ٧١).

مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦] فهذا المثل يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها، ومصير ما فيها من النعم والترف إلى الهلاك، ولما بين تعالى أن الدنيا سريعة الانقراض والزوال، بين أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا فى عرف الناس، وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض، فيقبح بالعاقل الافتخار به أو الفرح بسببه[(١)] ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ أى أن أعمال الخير وأفعال الطاعات، كالصلوات والصدقات، والجهاد فى سبيل الله، ومساعدة الفقراء والأذكار أفضل ثوابًا، وأعظم قربة عند الله، وأبقى أثرًا، إذ ثوابها عائد على صاحبها، وخير أملاً حيث ينال صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا[(٢)]، وتربى الحسن بن علىٍّ على منهج جده ﷺ الذى كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا شربة ماء»[(٣)]، وقال ﷺ: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليمِّ فلينظر بما ترجع»[(٤)]، وقال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[(٥)]، وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النَّماذج الإسلامية فى الزهد، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة فى الزهد وإليك التفصيل.

إن حرص المرء على الشرف والملك أشد من حرصه على المال كما أن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعلو فى الأرض أضرُّ على العبد من طلب المال، وضرره أعظم والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل فى طلب الرياسة والشرف، والحرص على الشرف على قسمين:

أحدهما: طلب الشرف بالولاية؛ السلطان والمال، وهذا خطر جدًا، وهو فى الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزّها. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ

---

(١) التفسير المنير (١٥/ ٢٥٩).

(٢) المصدر نفسه (١٥/ ٢٦١).

(٣) سنن الترمذى، رقم (٤١١٠) صحيح غريب.

(٤) مسلم، رقم (٢٨٥٨).

(٥) مسلم، رقم (٢٨٥٦).

نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فَيُوَفَّقُ، بل يُوكَلُ إلى نفسه[١]، كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمُرة رضى الله عنه: يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها[٢]، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة[٣]، وبئست الفاطمة[٤].

إن حبَّ المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء، حتى لا يبقى منه إلا ما شاء الله فقد قال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[٥]. وأصل محبة المال والشرف حبُّ الدنيا، وأصل حبَّ الدنيا اتباع الهوى[٦]، قال وهب بن مُنبِّه: من اتباع الهوى الرغبة فى الدنيا، ومن الرغبة فيها حبُّ المال والشرفَ، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم[٧]، ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

كما أن النفس تحب الرفعة والعُلُوَّ على أبناء جنسها، ومن هنا نشأ الكبر والحسد، ولكنَّ العاقل ينافس فى العلو الدائم الباقى الذى فيه رضوان الله وقربه وجواره، ويرغب عن العلوِّ الثانى الفانى الزائل الذى يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه، فهذا العلو الثانى الذى يُذَمُّ وهو العتو والتكبر فى الأرض بغير الحقِّ وأما العلوُّ الأول والحرص عليه، فهو محمود قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وقال

---

(١) ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص (٣٣).

(٢) البخارى، رقم (٦٦٢٢).

(٣) مثل ضربه للإمارة وما يصل إلى الرجل من المنافع فيها واللذات.

(٤) مثل ضربه للموت الذى يهدم عليه تلك اللذات ويقطع منافعها عنه، البخارى، رقم (٧١٤٨).

(٥) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، رقم (٣٢١٨) حسن صحيح.

(٦)، (٧) شرح حديث: ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص (٧١).

الحسن: إذا رأيت الرَّجُل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة، وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل[1]. ففى درجات الآخرة الباقية يُشرع التنافس وطلب العلوّ فى منازلها والحرص على ذلك بالسعى فى أسبابه، وأن لا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلوّ، وأما العلوّ الفانى، المنقطع الذى يُعقب صاحبه غدًا حسرة وندامة وذلة وهوانًا وصغارًا فهو الذى يُشْرَعُ الزهد فيه والإعراض عنه[2]، وهذا الفقه العظيم والفهم العميق نتعلمه من سيرة الحسن بن على رضى الله عنه، فقد ترك الملك والسلطان رغبة فيما عند الله وحقنًا لدماء المسلمين، فقد تركها وهو فى قوة ومنعة فقد قال: كانت جماجم العرب بيدى، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله[3]. وقال فى رواية أخرى: . . . ولكن خشيت أن يجىء يوم القيامة سبعون ألفًا أو ثمانون ألفًا، أو أكثر أو أقلُّ، كلهم تنضح أوداجهم دمًا، كلهم يستعدى الله فيم هُرِيق دمه[4]، لقد بايع الحسن بن على بعد وفاة على تسعون ألفًا[5]، فزهد فى الخلافة، فلم يردها وسلّمها لمعاوية وقال: لا يهرق على يدى محجمة دم[6]. وقال فى رواية: ما أحببت أن ألى من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعنى مّما يضرنى، فالحقوا بطيَّتكم[7].

٤- إنفاقه وكرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية والتى تتصف بها النفوس الكريمة التى تجسدت فى شخصية الحسن بن على رضى الله عنه، خلق الكرم والجود، وكثرة الإنفاق فى سبيل الله تعالى، وكان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيمًا، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه فى مستهل ثانى سورة بعد البسملة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

(١) شرح حديث: «ما ذئب جائعان» ص ٧٢.

(٢) شرح حديث: «ما ذئب جائعان» ص ٧٣.

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).

(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ١٠٤).

(٥)، (٦) المصدر نفسه (١٤/ ٩٨).

(٧) بطيتكم: : طية الشىء: جهته ونواحيه، تاريخ دمشق (١٤/ ٨٩).

وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥]. وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بالقيم القرآنية والنبوية والتربية العملية فى حضن أمير المؤمنين على وانعكس ذلك على نفسيته وترك لنا آثارًا بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم والإنفاق فى شخصيته العظيمة، فقد كان على جانب عظيم من السخاء والجود، وكيف لايكون كذلك وقد شبَّ وكبر فى بيت أكرم الكرماء سيدنا رسول الله ﷺ الذى كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وقد تسلسلت إليه هذه الخلة الكريمة وتشربتها نفسه فى طفولته، وأخبار كرمه وجوده أصبحت مضرب الأمثال، وقدوة العظماء من الرجال[(١)].

منها: قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن على الرجل الواحد بمائة ألف[(٢)]، وقال سعد بن عبد العزيز: سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم فقام إلى منزله فبعث إليه[(٣)]، وذكروا أنه رأى غلامًا فى حائط المدينة يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلبًا هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إنى استحيى من أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك فذهب إلى سيده فاشتراه، واشترى الحائط الذى هو فيه، فأعتقه وملَّكه الحائط، فقال له الغلام، يا مولاى قد وهبت الحائط للذى وهبتنى له[(٤)]، وقال أبو هارون العبدى: انطلقنا حجاجًا فدخلنا المدينة، فدخلنا على الحسن بن على، فحدثناه بمسيرتنا، وحالنا، فلما خرجنا بعث إلى كل واحد منا بأربعمائة، فرجعنا، فأخبرناه بيسارنا، فقال: لا تردوا علىّ معروفى فلو كنت فى غير هذا الحال لكان هذا لكم يسيرًا، أما إنى مزودكم، إن الله يباهى ملائكته بعباده يوم عرفة[(٥)]، فهذا الحسن بن على رضى الله عنه قد أعطى أولئك الحجاج ذلك المال

---

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٨٤).
(٢) تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).
(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٩٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦١).

مع ظهور يسارهم، فكيف الحال لو كانوا محتاجين، وحينما أظهروا له عدم حاجتهم لم يقبل منهم رد ذلك المال، وهذا دليل على قوة الدافع فى نفسه نحو السخاء والجود، ولم ينس أن يزودهم بما هو خير من ذلك حيث ذكَّرهم بفضل يوم عرفة الذى يباهى الله تعالى به ملائكته عليهم السلام[1]، وعن عبد الله به عبيد الله بن عمير قال: قال ابن عباس عن الحسن بن على: ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى إنه يعطى الخف ويمسك النعل[2]، وهذا مثال عزيز فى الكرم، حيث قسم الحسن بن على رضى الله عنه ماله قسمين ثلاث مرات، فكان يتصدق بنصف ماله، ولقد كان دقيقًا فى محاسبته نفسه وكأنه يؤدى واجبًا من الواجبات، حيث كان يعطى الخف ويمسك النعل مع أن أحدهما لا يغنى عن الآخر، وأنه فى عمله هذا قد جعل من نفسه قدوة للمسلمين فى أعمال الخير والإحسان[3]، فقد كان رضى الله عنه من أسخى أهل زمانه[4]، وعد رضى الله عنه من الأجواد[5]، ومن أخبار جوده أن معاوية بن أبى سفيان بعث إليه بمائة ألف فقسمها بين جلسائه، فأصاب كل واحد منهم عشرة آلاف[6]، ومن أخبار كرمه أنه دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول: واكرباه واحزناه، فقال له الحسن: وما الذى أحزنك يا عم، فقال له: أى ابن رسول الله علىَّ دين مقداره ستون ألف درهم ولا أتمكن من رده، فقال الحسن رضى الله عنه: سأردها عنك، فقال له أسامة: فك الله رهانك يا ابن النبى، إن الله أعلم حيث يجعل رسالته[7].

وكان الناس يشهدون للحسن رضى الله عنه بكرمه ودليل ذلك أن إعرابيًا قدم إلى المدينة يستعطى الناس فقيل له: عليك بالحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أو عبد الله بن جعفر أو سعيد بن العاص، فلقى سعيد بن العاص، فأكرمه

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٧/ ١٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).

(٣) التاريخ الإسلامى (١٧/ ١٣٧).

(٤) المحاسن والمساوئ، ص (٥٥)، الحسن بن على، ص (٣٢).

(٥) الحسن بن على، رسالة ماجستير، ص (٣٢) لم تنشر.

(٦) البداية والنهاية نقلا عن الحسن بن على، ص (٣٢).

(٧) المحاسن والمساوئ، ص (٥٧).

وأعطاه ما أراد[1]، ومن كرم الحسن رضى الله عنه أنه قيل له: من أحسن الناس عيشًا؟ فقال: من أشرك الناس فى عيشه وقيل له: من شر الناس؟ فقال: من لا يعيش فى عيشه أحد[2]. ولقد سئل الحسن ابن على رضى الله عنه: لأى شىء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة، فقال: إنى لله سائل وفيه راغب وإن الله تعالى عودنى عادة، عودنى أن يفيض نعمه علىّ وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى أن قطعت عادتى أن يمنعنى عادته[3]، وكان الحسن رضى الله عنه فى سخائه وإيثاره لا يميز بين غنى وفقير، أو صغير وكبير، أو قريب أو بعيد، لأن النفس التى ترتاح للبذل والعطاء، وجبلت على الكرم والسخاء لذتها فى إسعاد الناس[4] ابتغاء مرضاة الله وطلبًا للمثوبة والأجر تجد راحتها فى ذلك، وكأن الشاعر حافظ إبراهيم كان يعنى الحسن عندما قال:

إنى لتطربنى الخلالُ كريمةً ... طرب الغريب بأوبة وتلاق

ويهزُّنى ذكرُ المروءة والندى ... بين الشمائل هِزة المشتاق

فإذا رُزِقتَ خليقة محمودة ... فقد اصطفاك مقسِّم الأرزاق

فالناس هذا حظه مال، وذا ... علم، وذاك مكارم الأخلاق

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه خطب الناس ثم قال: إن ابن أخيكم الحسن بن على قد جمع مالاً، وهو يريد أن يقسمه بينكم، فحضر الناس فقام الحسن فقال: إنما جمعته للفقراء، فقام نصف الناس، ثم كان أول من أخذ منه الأشعث بن قيس[5]، ومن سيرة الحسن بن على نتعلم أن بداية انطلاق النفس إلى رضاء الله، وتخلصها من جواذب الأرض، وتطهيرها من الشح بدوام الإنفاق فى سبيل الله حتى يصير سجية من سجاياها، فتزهد فى المال ويخرج حبه من القلوب فلا يفرح صاحبه بزيادته ولا يحزن على نقصانه مصداقًا لقوله تعالى:

---

(١) غاية المرام، عز الدين القريشى (١/ ٩٥).

(٢) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٣) نصيحة الملوك، ص (٤٣٨) للماوردى.

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٨٤).

(٥) الطبقات (١/ ٢٧٨) إسناده صحيح.

﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]. كما أن للصدقة أثرًا عظيمًا فى تزكية النفوس فإن لها فوائد أخرى عظيمة فى الدنيا والآخرة منها:

* فهى أفضل استثمار للمال:

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ: من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل(١).

* وهى حجاب من النار:

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائشة استترى من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان(٢).

* وهى ظل لصاحبها يوم القيامة:

عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس(٣).

* والصدقة تدفع العذاب وقد ترد الحقوق بين الناس:

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار، إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير(٤)، قال ابن حجر: وفى هذا الحديث: أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها تكفر الذنوب بين المخلوقين(٥).

وأما فى الدنيا فـفوائدها كثيرة ومجزية وجاءت الأحاديث التى تؤيد تلك الفوائد، فـهى دواء للمرضى، وتدفع البلاء، وتيسر الأمور، تجلب الرزق، تقى مصارع السوء، وتطفئ غضب الرب، وتزيل أثر الذنوب(٦).

(١) صحيح متفق عليه، والفلو: الفرس أول ما يولد.
(٢) صحيح الترغيب والترهيب للألبانى، رقم (٨٥٥).
(٣) صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٨٢٢).
(٤) متفق عليه.
(٥) فتح البارى (١/ ٥٣٦).
(٦) الإيمان أولاً كيف نبدأ به، ص (١٨٨، ١٨٩).

إن للإنفاق فى سبيل الله علاقة وثيقة بالسير إلى الله فهو وسيلة مؤثرة غاية التأثير، كما أنه من الوسائل المحورية فى إحياء القلب وإيقاظ الإيمان، ولنا فى جود وكرم وإنفاق الحسن بن على أسوة وقدوة حسنة. فإن الإنفاق فى سبيل الله من أعظم أبواب الجنة وهو مفتوح للموسرين أكثر من غيرهم، دخل من خلاله سادات الأمة الجنة، مثل عثمان وعبد الرحمن بن عوف والحسن وغيرهم، فعلى أغنياء المسلمين فى العصر الحديث أن يقتحموا هذا الباب فيدعموا قضايا الإسلام العادلة ومشاريع الدعوة إليه بما يستطيعون فيكسبون رضا الله ودخول الجنة والمساهمة فى نصرة دين الله وإغاثة المحتاجين وألا يبخلوا فيضيق الله عليهم.

٥- حلمه:

كان بين الحسن بن على ومروان بن الحكم كلام، فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له، والحسن ساكن، فامتخط مروان بيمينه، فقال الحسن رضى الله عنه: ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج، أف لك، فسكت مروان[١]، وما سكون الحسن رضى الله عنه إلا لما كان لحق نفسه، فلما خالف مروان السنة غضب لله وللسنة وأبان له الصواب فيها[٢]، ولما مات رضى الله عنه، بكى مروان ابن الحكم فى جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرِّعه ما تجرَّعه؟ فقال: إنى كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار إلى الجبل[٣]، وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام، قال: دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فرأيت رجلاً راكبًا على بغلة، لم أرَ أحسن وجهًا ولا سمتًا، ولا ثوبًا، ولا دابة منه، فمال قلبى إليه فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن على بن أبى طالب فامتلأ قلبى بغضًا له، وحسدت عليًا أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه، فقلت: أأنت ابن على بن أبى طالب؟ قال: أنا ابنه، قلت: فعل بك وبأبيك، أسبهما، فلما انقضى كلامى، قال لى: أحسبك غريبًا، قلت: أجل، قال: مر بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإن احتجت إلى مال آسيناك، أو إلى حاجة عاوناك، قال:

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).

(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٨٧).

(٣) تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٥).

فانصرفت عنه، وما على الأرض أحب إلىَّ منه، ومـا فكرت فيما صنع، وصنعت إلا شكرته وخزيـت نفسى[1]، وهذه المواقف الكريمـة التى نتعلم منهـا الحلم من سيـرة الحسن بن على رضى الله عنه وكـيفيـة كسب المخالفـين، بالإحسـان إليهم والترفق بهم، والصـبر على آذاهم ومحبة الخـير لهم، وقد يغلب على كثـير منهم الجهل وعدم مـعرفة الحقـائق، تطبيقًا لقـول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] واقتداء بجده ﷺ، فقد بلغ عليه الصلاة والسلام الذروة والغاية فى حلمـه وعفوه وضبط نفسه إزاء التخـرصات والمفتريات التى نُسبت إليه، إضـافة إلى الإيذاء من مشركى العـرب: كامرأة أبى لهب، وأبى جهل، وأُبى بن خلف، وغيرهم من سفهاء مكة[2]، ووصفت السيدة عائشة رضى الله عنهـا خُلق رسول الله ﷺ فقـالت: ولا يجزى بالسـيـئـة السيـئة ولكن يعـفو ويصفح[3]، وعنها أيضًا قالت: ما ضرب رسـول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله، ومـا نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيئًا من محارم الله فينتقم لله عز وجل[4].

وعن معاذ بن أنس رضـى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه[5] دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخـلائق حتى يُخيَّر من أى الحور العين[6] شاء[7]» وفى صفة الحلم يقول الشاعر:

وفى الحلم ردع للسفـيه عن الأذى ... وفى الخرق[8] إغراء فلا تلك أخرقا

فـتنـدم إذ لا تنفـعـك ندامـة ... كـمـا ندم لما تفـرَّقـا[9]

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٦٧، ٦٨).

(٢) الأخلاق بين الطبع والتطبع، فيصل الحاشدى، ص (١٣٩).

(٣) رواه الترمذى، رقم (٢٠١٦) وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى، رقم (١٦٤٠).

(٤) مسلم، رقم (٢٣٢٨).

(٥) ومنه العفو عند المقدرة.

(٦) الحور: نساء شديدات سواد العيون وبياضها.

(٧) سنن الترمذى، رقم (٤٧٧٧) حسنه الألبانى صحيح الجامع (٢/ ٦٥١٨).

(٨) الخرق: الجهل ضد الرفق.

(٩) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص (١٥١).

٦- تواضعه:

مرّ الحسن بن على رضى الله عنه على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها من الطريق، وهم يأكلون منها فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك وهو يقول: إن الله لا يحب المتكبرين. ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته، فأطعمهم وكساهم وأغدق عليهم من إحسانه[(١)]. ومن مواقف تواضعه: أنه مرّ على صبيان يتناولون الطعام فدعوه لمشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك ثم حملهم إلى منزله فمنحهم ببره ومعروفه وقال: اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمونى ونحن نجد مما أعطيناهم[(٢)]، فصفة التواضع من صفات عباد الرحمن، قال الله تعالى وتبارك: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والتواضع علامة من علامات حب الله للعبد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] فمن سيرة الحسن بن على رضى الله عنه نتعلم صفة التواضع، قال الشاعر:

تواضع كالنجم لاح[(٣)] لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولأنك كالدخان يعلو بنفسه ... على طبقات الجو وهو وضيع[(٤)]

٧- سيادته:

ولقد أعلن رسول الله ﷺ مكانة هذا الإمام وسيادته وجلالة قدره، على مرأى ومسمع من الناس فى غير مرة، وقد تواترت الروايات بقوله ﷺ عن الحسن: إن ابنى هذا سيد، قال ابن عبد البر: وتواترت الآثار الصحاح عن النبى ﷺ أنه قال فى الحسن ابن على: إن ابنى هذا سيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين

(١) حياة الإمام الحسن بن على (١/ ٢٩١).
(٢) صلاح الأمة فى علو الهمة (٥/ ٤٣٧).
(٣) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص (١٢٨): لاح: ظهر وبرز.
(٤) المصدر نفسه، ص (١٢٨).

عظيمتين من المسلمين[١]، وجاء من حديث جابر بن عبد الله قال رسول الله: إن ابنى هذا - يعنى الحسن - سيد، وليصلحنّ الله به بين فئتين من المسلمين[٢]، وعن سعيد بن أبى سعيد قال: كنا مع أبى هريرة جلوسًا، فجاء الحسن بن على بن أبى طالب فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا الحسن بن على قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدى، فقلت له: تقول: يا سيدى؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لسيد[٣]، وعن جابر ابن عبد الله أنه قال: من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن على[٤]، وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[٥].

وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين فى الجنة جمع غفير من الصحابة، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله ﷺ بذلك مرة بعد مرة، أو فى محافل جامعة[٦]، وقد أثبتت الأيام ومرور الشهور والأعوام على رسوخ صفة السيادة فى الحسن، وقد بلغت ذروتها فى توفيق الله له فى عقد الصلح مع معاوية، وجمع الأمة على كلمة سواء، فقد كان الحسن سيدًا جليلاً، ويعلمنا الحسن بأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحرمات، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة التى لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفًا منها، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف فيهم من هو طامع مدسوس ولكن فيهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يخدش مسلم فى هذا السبيل، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها وحياطتها وحفظها، وترقيتها، فهى نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق، والمغامرة والمقامرة التى تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال

---

(١) البخارى، فضائل الصحابة (٧/ ٩٤).

(٢) الطبرانى فى الكبير، رقم (٢٥٩٧).

(٣) المستدرك (٣/ ١٦٩) وقال الحاكم: صحيح وأقره الذهبى.

(٤) صحيح ابن حبان (١٥/ ٤٢١، ٤٢٢)، مجمع الزوائد (٩/ ١٧٨).

(٥) مستدرك الحاكم (٣/ ١٦٦) وقد صح هذا الحديث من أوجه كثيرة.

(٦) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٨١).

واليباب، وينتهى أصحابها إلى غضب الله، ولعنة التاريخ، وهل تَدَافُع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرياسة والسلطان والتكالب على الدنيا[1].

٨- صفاته الخَلْقية:

كان الحسن بن على رضى الله عنه سيدًا وسيمًا جميلاً أبيض اللون مشربًا بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية كأن عنقه أبريق فضة، عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهًا، جعد الشعر، حسن البدن[2]، ومن بركات الله سبحانه وتعالى على الحسن أنه كان أشبه الناس بجده ﷺ[3].

ثانيًا: من حياة الحسن بن على فى المجتمع:

ترك لنا الحسن بن على مواقف متميزة من حياته فى المجتمع الإسلامى الراشدى، فقد كان حريصًا على تصحيح المفاهيم وقضاء حوائج الناس، ومخالطتهم بالحسنى، وإرشادهم بالمواعظ، والحكم النادرة وغير ذلك وإليك تفصيل ما أجملت:

١- تفنيده لمعتقد الرجعة:

عن عمرو بن الأصمِّ، قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن عليًا مبعوث قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوَّجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله[4]. وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية الكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الإثنى عشرية عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الألوسى إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة الرافضة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان فى القرن الثالث[5]، وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الإثنى عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

---

(١) الدوحة النبوية، ص (٩٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩)، أخبار الدول، ص (١٠٥).

(٣) الحسن بن على، فتيخان كردى، ص (٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣).

(٥) روح المعانى (٥/ ٢٧) ضحى الإسلام (٣/ ٢٣٧) أحمد أمين.

* الأئمة الاثنى عشر، حيث يخرج المهدى من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقى الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

* ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - فى زعمهم الباطل - من أصحابها الشرعيين «الأئمة الاثنى عشرية»، فيبعث خلفاء المسلمين وفى مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان.. ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا. كما يزعم الشيعة الرافضة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجرى عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

* عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضًا، وهم الشيعة عمومًا - على حد زعمهم - ولأن الإيمان خاص بالشيعة كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم. ومن محض الكفر محضًا وهم كل الناس ما عدا المستضعفين[1]. ولهذا قالوا فى تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[2]، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت فى صورهم التى كانوا عليها[3].

وقد خالف الشيعة الرافضة علماء أهل البيت ممن ساروا على الهدى والحق؛ كتاب الله وسنة رسوله فى معتقد الرجعة وعلى رأسهم الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وجعلوا الرجعة من أصول المذهب الشيعى الرافضى، فمن رواياتهم التى اختلقها الرواة الكذبة: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا[4]، وقال ابن بابويه فى الاعتقادات: واعتقادنا فى الرجعة أنها حق[5]، وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[6]، وقال الطبرسى والحر العاملى، وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[7]، وأنها من ضروريات مذهبهم، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمام والقيامة[8].

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٥).

(٢) تفسير القمى (٢/ ٧٦) وضع عنوان فى أعلى الصفحة أعظم دليل على الرجعة.

(٣) أوائل المقالات، ص (٩٥).

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٣).

(٥) الاعتقادات، ص (٩٠).

(٦) أوائل المقالات، ص (٥١).

(٧) مجمع البيان (٥/ ٥٢).

(٨) القاموس (٣/ ٢٨) مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤).

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح فى نفى الرجع مطلقًا[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، فهؤلاء جميعًا يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار يجابون لما سبق من قضائه أنهم لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو فى بدعة التشيع[٢].

وقد مرّ معنا موقف الحسن بن على من رواية عمرو بن الأصمّ وقد جاء فى مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة- وكان من أصحاب على رضى الله عنه- قال للحسن بن على: إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، ولو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه[٣].

والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافى طبيعة هذه الدنيا أنها ليست دار جزاء قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقد كان لابن سبأ اليهودى دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلى كما أنه ينفى وقوع الموت عليه أصلاً كحال الإثنى عشرية مع مهديهم الذى يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله كلما توعد كافرًا أو ظالمًا إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة

(١) مختصر التحفة، ص (٢٠١).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤).

(٣) مسند أحمد (٢/ ٣١٢) قال أمد شاكر: إسناده صحيح.

بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة[1]، هذا من حيث النقل، وأما من حيث العقل، فإن الله جعل الدنيا دار ابتلاء، وجعل الآخرة دار جزاء فلماذا يرجعهم للدنيا ليحاسبهم فيها مع وجود الآخرة، علمًا بأن عذاب الآخرة أعظم وأشد لمن انحرف عن دينه، ولم يحدث أن أرجع الله أحدًا من الأموات ليحاسبه فى الدنيا فى تاريخ البشرية كلها.

٢- قضاء حوائج الناس:

جاء رجل إلى الحسن بن على رضى الله عنه فذكر له حاجته فخرج معه لحاجته، فقال: أما إنى قد كرهت أن أعينك فى حاجتى ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافى لخرجت معك. فقال الحسن: لقضاء حاجة أخ لى فى الله أحبّ إلىّ من اعتكاف شهر[2]، وجاء فى رواية أخرى أنه ترك الطواف وخرج فى حاجة إنسان له حاجة عند شخص معين[3]، وجاء من كلام الحسن وذكر بعض الكتّاب أنه من كلام الحسين رضى الله عنهما: إن حوائج الناس إليكم، من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور[4] نقمًا، واعلموا أن المعروف مكسب حمدًا ومعقب أجرًا، فلو رأيتم المعروف رجلاً، رأيتموه حسنًا جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم، رأيتموه سمجًا[5] مشوهًا، تنفر عنه القلوب والأبصار[6]، وذكر صاحب كتاب الشهب اللامعة فى السياسة النافعة: أن رجلاً رفع إلى الحسن بن على رضى الله عنهما رقعة فقال: قد قرأتها، حاجتك مقضية، فقيل له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، لو نظرت إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها، فقال: أخاف أن أسأل عن ذل مقامه بين يدى حتى أقرأها[7].

وهذه المواقف تدل على حسن أخلاقه وعظمتها مع تواضع كبير ولا نستغرب ذاك من سيدنا الحسن، فهو القائل: مكارم الأخلاق عشرة، صدق اللسان،

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤).
(٢)، (٣) تاريخ دمشق الكبير (١٤/ ٧٦).
(٤) فتحور: ترجع.
(٥) سمج: قبح، لسان العرب (٢/ ١٩٧) سمج.
(٦) الشهب اللامعة فى السياسة النافعة، ص (٤٤١).
(٧) المصدر نفسه، ص (٤٣٩).

وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والترحم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء[1]، وأيضًا قوله: أشد من المصيبة سوء الخلق[2].

وهذه المواقف الكريمة للحسن رضى الله عنه تطبيق لتوجيهات رسول الله ﷺ، فعن عبدالله بن دينار عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إلى الله؟ قال: أنفعهم للناس. وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كربًا أو تقضى عنه دينًا أو تطرد عنه جوعًا، ولأنْ أمشى مع أخي المسلم في حاجة، أحبُّ إلىَّ منْ أن أعتكف شهرين في مسجدي.. ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يُثبتَها له، ثَبَّت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام، وإنَّ سوء الخُلُق ليُفْسدُ العمل، كما يفسد الخلُّ العسل[3]. وعن مسلمة بن مخلد، أن النبى ﷺ قال: «من ستر مسلمًا في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن نجّى مكروبًا فك الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[4].

٣- زواجه من بنت طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم:

عن شعيب بن يسار، أن الحسن بن على أتى ابنًا لطلحة بن عبيد الله[5]، فقال: قد أتيتك لحاجة وليس لى مرد قال: وما هى؟ قال: تزوجنى أختك[6]، قال: إن معاوية كتب إلىَّ يخطبها على يزيد، قال: مالى مردٌّ إذ أتيتك فزوجها إياى ثم قال: دخل بأهلك، فبعث إليها بحلة ثم دخل بها، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى مروان أنْ خيّرها فخيّرها فاختارت حسنًا فأقرّها ثم خلف عليها بعده الحسين[7].

---

(١) من أقوال الصحابة، محمد خورشيد، ص (٦٨)، الحسن بن على، ص (٣١).

(٢) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢٢٧).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٩٠٦) وحسن الألبانى إسناده فى الصحيح الجامع.

(٤) مصنف عبد الرزاق، رقم (١٨٩٣٦)، حديث صحيح.

(٥) هو إسحاق بن طلحة.

(٦) هى أم إسحاق.

(٧) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢٩٢) إسناده لا بأس به.

٤- زواجه من خولة بنت منظور:

عن ابن أبى مليكة، قال: تزوج الحسن بن على خولة بنت منظور فبات ليلة على سطح أجم[١]، فشدت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها فقام من الليل فقال: ما هذا؟ قالت: خفت أن تقوم من الليل بوسنك[٢] فتسقط، فأكون أشأم سخلة[٣] على العرب، فأحبها، فأقام عندها سبعة أيام[٤]. فقال ابن عمر: لم نر أبا محمد منذ أيام. فانطلقوا بنا إليه، فأتوه فقالت له خولة: أتحبسهم حتى نهيىء غداءً قال: نعم، قال ابن عمر: فابتدأ الحسن حديثًا ألهانا بالاستماع إعجابًا به حتى جاءنا الطعام[٥].

٥- لا يرى أمهات المؤمنين:

كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين، فقال ابن عباس: إنَّ رؤيتهن حلال لهما وعلق الذهبى فقال: الحل متيقن[٦]. وهذا يدل على شدة حيائه.

٦- الغيرة فى النسب النبوى:

دخل سيدنا الحسن بن على - رضى الله عنهما - السوق لحاجة يقضيها فساوم صاحب دكان فى سلعة، فأخبره بالسعر العام، ثم علم أنه الحسن بن على رضى الله عنهما سبط رسول الله ﷺ، فنقص فى السعر إجلالاً له وإكرامًا، ولكن الحسن بن على رضى الله عنهما لم يقبل منه ذلك، وترك الحاجة، وقال: إننى لا

---

(١) الطبقات (١/ ٣٠٧).

(٢) الوسن: قيل: النوم الثقيل وقيل: أول النوم.

(٣) سخلة: السخلة: ولد الشاه من المعز والضأن ذكرًا كان أو أنثى ويطلق على المولود المحبب لوالديه والمراد أشأم امرأة.

(٤) المعلوم من السنة أن الرجل إذا تزوج امرأة على زوجته فإنه يقيم عندها سبعة أيام متواصلة إذا كانت بكرًا وثلاثة أيام إذا كانت ثيبًا ثم يعود إلى القسم بينهن، وخولة عندما تزوجها الحسن لم تكن بكراً حيث سبقها عليه محمد بن طلحة بن عبيد الله كما فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص (٢٥٨) وحقها ثلاث ليال لا سبعًا وهذا ما يؤكد ضعف الرواية فإن إسنادها ضعيف جدًا وهذه نكارة فى المتن تؤكد الضعف.

(٥) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٠٧، ٣٠٨) إسناده ضعيف.

(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٥).

أرضى أن أستفيد من مكانتي من رسول الله في شيء تافه[1]. وهذا الحال كان مصاحبًا لأهل البيت ممن ساروا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذا زين العابدين بن علي بن الحسين، يقول عن جويرية بن أسماء - وهو من أخص خدمه- ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهمًا قط[2]، وكان إذا سافر كتم نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطى به[3]، وكذلك روى عن أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم فقد قيل إنه كان إذا سافر كتم نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ مالا أعطى به[4].

فهؤلاء السادة من أهل البيت كانوا غيارَى أشد الغيرة في الرحم التي كانت تصلهم برسول الله ﷺ. فما كانوا يستغلون هذه النسبة لمصالح دنيوية، شأن أبناء أسر الزعماء الدينيين في الديانات الأخرى ممن ينالون تقديسًا زائدًا في كل حال، ويعاملون من أتباعهم كشخصيات تفوق البشر، وكانوا بعيدين عن كسب حطام الدنيا بأسمائهم، وبناء قصور الفخر على عظامهم واستغنائهم وعزّة نفسهم، تصور سيرتهم وسلوكهم تصويرًا يختلف تمامًا عن سيرة الطبقة المحترفة بالدين من البراهمة والكهنة في الديانات والملل الأخرى، فإنها تعتبر ذات قدسية وعظمة عن طريق الولادة، فهي لا تحتاج لكسب المعاش وتحقيق حاجات الحياة إلى بذل شيء من الجهد والسعي[5].

٧- صلاته على الأشعث بن قيس:

مات الأشعث بن قيس بعد مقتل أمير المؤمنين علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي[6]، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس[7]، وقد ذهبت بعض الروايات الضعيفة إلى تورط الأشعث بن قيس في دم أمير المؤمنين وهذا ليس عليه

(١) المرتضى للندوى، ص(٢٢٨).

(٢) البداية والنهاية نقلا عن المرتضى للندوى، ص (٢٢٨).

(٣)، (٤) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٤).

(٥) المرتضى للندوى، ص (٢٢٨).

(٦) الكامل فى التاريخ (٣/ ٤٤٤).

(٧) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٠٠).

دليل، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره فى خلافة على رضى الله عنه نجده مخلصًا ووفيًا، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم فهو الذى أبلغ عليًا رضى الله عنه أن الخوارج يقولون: إن عليًا تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم، وقاتل على الخوارج فى النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلى وآل بيته فزوج ابنته من الحسن بن على رضى الله عنه، وعندما أراد الحسن أن يبنى بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطًا من بابه إلى باب الأشعث[1]، وقد مات الأشعث بعد مقتل على، وصلى عليه الحسن بن على كما مرّ، ولم ينقل عن آل على بن أبى طالب رضى الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة، أو كشفوا أحدًا من آل الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل على عملاً من تدبير الخوارج جاء فى الأرجح ثأرًا لقتلى النهروان[2].

٨- معاملته لمن يسىء إليه:

قدم رجل من المدينة وكان يبغض عليًا فقُطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة، فقال له عليك بالحسن بن على، فقال له الرجل: ما لقيت هذا إلاّ فى حسن وأبى حسن؟ فقيل له: فإنك لا تجد خيرًا إلا منه فأتاه فشكا إليه، فأمر له بزاد وراحلة، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته فقيل للحسن: أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاد وراحلة، قال: أفلا اشترى عرضى منه بزاد وراحلة[3].

٩- من أدبه فى المجالس:

كان ذات يوم جالسًا فى مكان، فأراد الانصراف، فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال له: إنك جلست على حين قيام منا أفتأذن لى بالانصراف؟ قال: نعم يا ابن بنت رسول الله ﷺ[4].

(١) تهذيب الكمال (٣/ ٣٩٣، ٣٩٤) الطبقات (٦/ ٢٣).
(٢) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، بطاينة، ص (٥٢).
(٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٦).
(٤) الطبقات (١/ ٢٨١) تحقيق السلمى، إسناده ضعيف، تاريخ الخلفاء، ص (٧٣).

١٠- حسن خلقه بين الناس:

عن عـمـيـر بن إسحـاق قال: مـا تكلم عنى أحد كـان أحبَّ إلىَّ إذا تكلَّم ألا يسكت من الحسن بن على، وماسمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين الحسين بن على وبين عمـرو بن عثمان خصومة، فـقال الحسن: ليس له عندنا إلا ما رَغِم أنفه. فهذا أشد كلمة فحش سمعتها منه قط[١].

١١- ملاعبته بالمداحى[٢]:

قال سليمان بن شديد: كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحى فكنت إذا أصبت مدحاته فكان يقول لى: يحل لك أن تركب بضعة من رسول الله ﷺ؟ وإذا أصاب مدحاتى قال: أما تحمد ربك أن يركبك بضعة من رسول الله ﷺ[٣].

١٢- بعده عن فضول الكلام:

كان الحسن بن على أكـثر دهره صامتًا، فإذا قال بذَّ القـائلين، فالحسن بن على يعلمنا الابتعاد عن فضول الكلام، وهذا من هدى النبى ﷺ، فقد قال: لا يستقيم إيمان عبـد حتى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتى يستـقيم لسانه[٤]، وقال ﷺ «من كان يؤمـن بالله واليوم الآخـر فليقل خـيرًا أو ليـصمت»[٥]، وجاء عنه: «من صمت نجـا»[٦]، وسـئل الرسـول ﷺ عن أكـثـر مـا يدخل الناس النار؟ فـقـال: الفم والفرج[٧]، وقد سـأل معاذ النبـى ﷺ عن العمل الذى يدخله الجنة ويبـاعده من النار، فأخبره برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كلِّه؟ قال: بلى يا رسـول الله، فأخـذ بلسان نفـسه، ثم قـال: كُفَّ عليك هذا. فقـال: وإنا لمؤاخـذون بما نتكلم به؟ فقـال: ثكلتك أمك يا مـعاذ وهل يُـكُب الناس فى النار على

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٩٨).

(٢) المداحى: هى أحجار أمثـال القرصة كانوا يحفرون حـفرة ويدحون فيها بتلك الأحجـار، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها وإن لم يقع غُلب، وهى لعـبة يلعب بها أهل مكة. وقد سئل ابن المسيب عن المراماة والمسابقة بها فقال: لا بأس به.

(٣) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢٩٤).

(٤) السلسلة الصحيحة، رقم (٢٨٤١).

(٥) البخارى، رقم (٦١٣٦).

(٦) صحيح الجامع، رقم (٦٣٦٧).

(٧) السلسلة الصحيحة، رقم (٦٦٩).

وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»[١] ويقول ابن عبيد: ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحًا فى سائر عمله[٢]، وكان ابن الكاتب يقول: إذا سكن الخوف فى القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه[٣]، وقال الأوزاعى: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة أما بعد: فإنه من أكثر ذكر الموت رضا بالدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه، والسلام[٤].

فالحسن بن على كان يعد كلامه من عمله ولذلك أكثر الصمت.

١٣- إكرام الحسن بن على أسامة بن زيد رضى الله عنهما:

عن حرملة - مولى أسامة - قال: أرسلنى ابن زيد إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال لى: إنه سيسألك ويقول لك: ما خلَّف صاحبك فقل له: يقول لك: لو كنت فى شدق الأسد لأجبت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أرَه قال: فأتيت عليًا فلم يعطنى شيئًا، ذهبت إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر -رضى الله عنهم- فأوقروا لى راحلتى[٥].

١٤- الحسن بن على واليهودى الفقير:

اغتسل الحسن - رضى الله عنه - وخرج من داره فى بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له فى طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود، قد أنهكته العلة، وركبته القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه، فاستوقف الحسن رضى الله عنه وقال: يا ابن رسول الله، سؤال، قال: ما هو؟ قال: جدك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[٦]. وأنت مؤمن وأنا كافر. فما أرى الدنيا إلا جنة لك

---

(١) سنن الترمذى وقال: حديث صحيح.

(٢) صفة الصفوة (١/ ٣٧٢).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٣٢٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٣).

(٥) ذخائر العقبى، ص (٢٣٧).

(٦) مسلم، وابن ماجة، رقم (٤١١٣).

تتنعم بها، وما أراها إلا سجنًا عليّ قد أهلكنى ضرها وأجهدنى فقرها، فلما سمع الحسن كلامه قال له: يـا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لى فى الآخرة لعلمت أنى فى هذه الحـالة بالنسبـة إلى تلك فى سـجن، ولو نظرت إلى ما أعـد الله لك فى الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن فى جنة واسعة(١).

لقد كـان الحسن بن على حاضر البـديهة، فأجـاب بجواب مقنع مفـحم حيث أوضح له أن حالته التى يشكو منها إنما هى كـالجنة بالنسبة إلى عذاب الآخرة الذى أعد للكافرين، وأن حالة الحسن التى ظنها نعيمًا إنما هى كالسجن بالنسبة إلى نعيم الجنة الذى أعد للمتقين(٢).

١٥- احترام وتقدير ابن عباس للحسن والحسين رضى الله عنهم:

قـال مدرك أبو زياد: كنـا فى حيطان ابن عـبـاس فجـاء ابن عـباس والحـسن والحسين فطافـوا فى البستان فنظروا ثم جاءوا إلى سـاقية فجلسوا على شـاطئها، فقـال لى الحسن: يا مُدرك أعندك غداء؟ قـلـت: قد خبزنا، قـال: ائت به. قال: فجئته بخبز وشىء من ملح جـريش وطاقتى بقل فأكل ثم قال: يا مُدرك ما أطيب هذا؟ ثم أتى بغدائه- وكان كثـير الطعام طيبه - فقـال: يا مُدرك اجمع لى غلمان البستان قـال: فقدم إليهم فأكلوا ولم يأكل. فقلـت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك أشهى عندى من هذا، ثم قامـوا فتوضـأوا ثم قدّمت دابة الحـسن فأمسك له ابن عـباس بالركاب وسوَّى عليه، ثم جىء بدابة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوَّى عليه، فلما مـضيا قلت: أنت أكبر منهمـا تمسك لهما وتسوّى عليهمـا؟ فقال: يا لكع أتدرى مـن هذان؟ هذان ابنا رسـول الله ﷺ، هذا مما أنعـم الله علىّ به أن أمسك لهـما وأسوّى عليهـما(٣). وهذا الاحتـرام والتقدير من ابن عبـاس للحسن والحسين دليل على محبته لهما ومعرفة فضلهما، كما يدل على فضل ابن عباس، فلا يعرف الفـضل لأهل الفضل إلا أهله. وقد كان أمير المؤمنين على يـعامل عمه العباس والد عبد الله معاملة قلّ نظيرها فى الاحترام والتقدير، فعن ابن عباس

(١) الحسن والحسين، محمد رشيد رضا، ص (٣٢).
(٢) المصدر نفسه، ص (٣٣).
(٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٦٩).

- رضى الله عنهما - قال: اعتل أبى العباس، فعاده علىٌّ، فوجدنى أضبط رجليه، فأخذهما من يدى، وجلس موضعى وقال: أنا أحقُّ بعمِّى منك، إن كان الله عز وجل قد توفَّى رسول الله ﷺ وعمِّى حمزة وأخى جعفرًا فقد أبقى لى العباس. عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه، وبرُّه به كِبرِّه بأبيه، اللهُمَّ هب لعمِّى عافيتك وارفع له درجته، واجعله عندك فى علِّيين[1].

١٦- ثناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على الحسن:

قال عبدالله بن عروة: رأيت عبدالله بن الزبير قعد إلى الحسن بن على فى غداة من الشتاء باردة قال: فوالله ما قام حتى تفسّخ جبينه عرقًا فغاظنى ذلك، فقمت إليه فقلت: يا عم! قال: ما تشاء؟ قال: قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن على، فأقمت إليه حتى تفسخ جبينك عرقًا، قال: يا ابن أخى إنه ابن فاطمة، لاوالله ما قامت النساء عن مثله[2].

١٧- بين الحسن والحسين رضى الله عنهما:

ذكر ابن خلكان (بصيغة التمريض) وقيل: دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقيل للحسين، لو أتيت أخاك فهو أكبر منك سنًا منك، فقال: فإن الفضل للمبتدئ وأنا أكره أن يكون لى الفضل على أخى، فبلغ ذلك الحسن فأتاه[3].

١٨- أكرم الناس أبًا وأمًا وجدًا وجدة وخالاً وخالة وعمًا وعمة:

قال معاوية - وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف-: من أكرم الناس أبًا وأمًا وجدًا وجدّة وخالاً وخالة وعمًا وعمّة؟ فقام النعمان بن العجلان الزُرقانى، فأخذ بيد الحسن فقال: هذا أبوه على وأمه فاطمة وجده رسول الله ﷺ، وجدته خديجة، وعمّه جعفر، وعمته أمّ هانى بنت أبى طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب[4].

---

(١) ذخائر العقبى، ص (٣٣٧).
(٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٠).
(٣) وفيات الأعيان (٢/ ٦٩).
(٤) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٠).

١٩- محبة الناس له ولأخيه الحسين وازدحامهم عليهما فى البيت الحرام:

قال أبو سعيد: رأيت الحسن والحسين صليا مع الإمام العصر ثم أتيا الحجر فاستلماه ثم طافا أسبوعًا وصليا ركعتين، فقال الناس: هذان ابنا بنت رسول الله ﷺ، قال: فحطمهما الناس حتى لم يستطيعا أن يمضيا إلا معهما إلا رجل من الركانات وأخذ الحسين بيد الركانى(١)، وردّ الناس عن الحسن - وكان يجله وما رأيتهما مرّا بالركن الذى يلى الحجر من جانب الحجر إلا استلماه قال: قلت لأبى سعيد(٢)، فلعله بقى عليهما بقية من سُبُوع قطعته الصلاة؟ قال: لا بل طافا أسبُوعًا تامًا(٣).

ثالثًا: من أقواله وخطبه ومواعظه التى حفظها عنه الناس:

١- قال الحسن بن على: هلاك الناس فى ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين، وبه لُعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل(٤).

فهذه الأمراض القلبية حذر منها الحسن بن على - رضى الله عنه - وهى من أشد الأمراض علة وإليك بعض البيان:

أ- مرض الكبر: قول الحسن: فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس:

الكبر نقيض التواضع، وهو استعظام النفس واستكبار حالة نفسه، والنظر إلى الآخرين بعين الاحتقار وهو من عظيم الآفات، وعنه تتشعب أكثر البليات يستوجب به من الله عز وجل سرعة العقوبة والغضب، لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه، إذ كل من سواه عبد مملوك، وهو المليك الإله القادر، فيستحق المتكبرَ أن يقصمه الله عز وجل ويحقره ويصغره، إذ تعدى قدره، وتعاطى ما لا يصلح لمخلوق(٥).

---

(١) كأنه منسوب إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدا لمطلب بن عبد مناف الذى صارعه النبى ﷺ مرتين، كما فى مادة ركن من القاموس وشرحه.

(٢) القائل الراوى وهو عمارة بن معاوية الدهنى.

(٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٦٩).

(٤) علموا أولادكم محبة آل بيت النبى ﷺ، ص (٣١).

(٥) منهج الإسلام فى تزكية النفس، ص (٣٤٢).

- علامات الكبر، وللكبر علامات فى الظاهر تدل عليه، فمنها: حب التقدم على الناس، وإظهار الترفع عليهم، وحب التصدر فى المجالس والتبختر فى المشية، والاستنكاف من أن يرد عليه كلامه وإن كان باطلاً، والامتناع من قبوله، والاستخفاف بضعفاء المسلمين ومساكينهم، ومنها تزكيته لنفسه والثناء عليها، والفخر بالآباء والتبجح بالنسب، والتكبر بالمال والعلم والعمل والعبادة والجمال والقوة، وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة ونحو ذلك[1].

الوقاية والعلاج من هذا المرض:

* أن يُسائل المسلم نفسه وأن يراقب قلبه، هل هو متكبر؟ هل يميل إلى التكبر؟ فإن وجد نفسه ميالاً إلى التواضع كارهًا التكبر وأهله، فليحمد الله عز وجل على ما أنعم عليه وأفضل وإلا عاتب نفسه، وحاسبها وجاهدها، وعاقبها بكثرة الذكر والعبادة والصيام والطاعة وحرمانها من كثير من الراحة واللهو والرغبات المباحة حتى تعود إلى رشدها، وتبتعد عن طريق غيها، وتشفى من مرضها.

* وأن يضع المسلم نصب عينه حقيقة هذا المرض ونتائجه فى الدنيا والآخرة، وحكمه فى الشريعة، وعقابه فى الدنيا والآخرة، ومن القرآن والسنة والواقع، وقصص الصالحين وحياتهم، فهذا القرآن الكريم يظهر أن الكبر من صفات الشيطان، قال تعالى فى إبليس اللعين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

والمتكبر لا يحبه الله كما قال تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبر، والمتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

---

(١) منهج الإسلام فى تزكية النفس، ص (٣٤٢).

فإن تكبر بالعلم والعبادة وهو أعظم آفات التكبر، فعليه أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم. . .، وأنه يحتمل من الجاهل مالا يحتمل من العالم، وبالتكبر يعصى الله عز وجل عن علم فجنايته أفحش وخطره أعظم، وإن تكبر من جهة النسب، فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره ثم يعلم أباه وجدّه، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وأباه البعيد تراب، ومن اعتراه الكبر بالجمال، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آلمه عرق عاد أعجز من عاجز، ومن تكبر بسبب الغنى فلينظر لمن هو أغنى منه قارون وهامان وما حل بهما، من كل ذلك يجد نفسه أصغر من أن يتكبر، وما عليه إلا أن يتواضع فيرفعه الله ويعزه، ويعلو شأنه ويرضى الله عنه فى الدنيا والآخرة وأن يعتبر بالآخرين ممن ذكروا فى القرآن الكريم أو السنة الشريفة، أو من قصص الأقدمين والحاضرين ممن تكبروا، فما كان مصيرهم ومآلهم وخزيهم فى الدنيا والآخرة؟ يعتبر منهم فيتقى نفسه من التكبر ويعالجها إن مرضت، وأن يصاحب المتواضعين من الصالحين لينتفع منهم ويكسب من أخلاقهم وأقوالهم وطريقة معاملتهم للآخرين ويبتعد عن المتكبرين ولا يجالسهم، حتى لا يكسب منهم ما يضره فى الدنيا والآخرة، أو يتأثر بهم فينساق فى أهوائهم وضلالاتهم[(1)].

ب- الحرص: قول الحسن: والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[(2)] فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبى ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف فى الدنيا، وأنَّ فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا فى الغنم قد غاب عنها رِعاؤها ليلاً، فهما يأكلان فى الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبى ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف أفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساويًا وإما أكثر. يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال

---

(١) منهج الإسلام فى تزكية النفس، ص (٣٤٦).

(٢) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، رقم (٣٢١٨) حسن صحيح.

والشرف فى الدنيا إلا القليل، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرِّ الحرص على المال والشرف فى الدنيا، فأما الحرص على المال فهو على نوعين:

- حال من حرص على جمع المال:

* أحدهما شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة فى طلبه، والجدُّ فى تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة، وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع، كما أخرجه الطبرانى(١) من حديث عاصم بن عدىّ رضى الله عنه قال: اشتريت مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: **ما ذئبان ضاريان ضلاً فى غنم أضاعها ربُّها فأُفسد فى طلب المسلم المال والشرف لدينه**(٢). وقد علق ابن رجب - رحمه الله - على الحديث فقال: ولو لم يكن فى الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذى لا قيمة له، وقد يُمكّن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم، فضيَّعه بالحرص فى طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتى منه إلا ما قُدِّر وقُسم، ثُمَّ لا ينتفع به، بل يتركه لغيره، ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا يحمده، ويقدَّم على مَنْ لا يعذره لكفاه بذلك ذمًا للحرص، فالحريص يضيع زمانه الشريف، ويخاطر بنفسه التى لا قيمة لها فى الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينتفع به غيره، كما قيل:

ومن ينفق الأيام فى جمع ماله ... مخافة فقر فالذى فعل الفقر(٣)

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: اليقين أن لاترضى الناس بسخط الله ولا تحسدنَّ أحدًا على رزق الله، ولا تلوم أحدًا على ما لم يؤتك الله، فإنّ الرزق لا يسوقه حِرصُ حريصٍ، ولا ترده كراهة كاره، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح فى اليقين والرِّضا، وجعل الهمَّ والحزن فى الشك والسَّخط(٤). وكان عبد الواحد ابن زيد يحلف بالله: لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندى من أعْدَى أعدائه.

---

(١) الطبرانى فى الأوسط (١/ ٤٧٠)، رقم (٨٥٥).

(٢) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، رقم (٣٢١٨) حسن صحيح.

(٣) ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص (٢٣).

(٤) المصدر نفسه، ص (٢٦).

وكان يقول: يا إخوتاه لا تغبطوا حريصًا على ثروته وسعته فى مكسب ولا مال وانظروا له بعين المقت له فى اشتغاله اليوم بما يرديه غدًا فى المعاد ثمَّ يتكبَّر، وكان يقول: الحرص حرصان: حرص فاجع، وحرص نافع، فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله، وأما الحرص الفاجع، فحرص المرء على الدنيا(١). وكتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصًا على الدنيا: أما بعد: فإنك أصبحت حريصًا على الدنيا تخدمها وهى تخرجك من نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل، كأنك لم ترحريصًا محرومًا ولا زاهدًا مرزوقًا. وقال بعض الحكماء: أطول الناس همًا الحسود، وأهنؤهم عيشًا القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفضهم عيشًا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط(٢). قال الشاعر:

الحرص داء قد أضرَّ ... بمن تري إلاّ قليلا
كم من حريص طامع ... والحرص صيَّرهُ ذليلا(٣)

وقال الشاعر محمود الوراق:

ونازح الدار لا ينفك مغتربًا ... عن الأحبة لا يدرون بالحال
بمشرق الأرض طورًا ثم مغربها ... لا يخطر الموت من حرص على بال
ولو قنعت أتاك الرزق فى دعة ... إنَّ القنوع الغِنَى لا كثرة المال

وقال أيضًا:

أيها المتعب جهدًا نفسه ... يطلب الدنيا حريصًا جاهدًا
لا لك الدنيا ولا أنتَ لها ... فاجعلِ الهمينِ همًا واحدًا(٤)

وأما النوع الثانى: من الحرص على المال أن يزيد على ما سبق ذكره فى النوع الأول،حتى يطلب المال من الوجوه المحرّمة ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشحِّ المذموم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦]. وفى سنن أبى داود عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى

(١) ما ذئبان جائعان، ص (٢٦).
(٢) المصدر نفسه، ص (٢٧).
(٣) المصدر نفسه، ص (٢٧).
(٤) المصدر نفسه، ص (٢٩).

ﷺ قال: اتقوا الشحَّ فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم أمرهم فالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا[١].

وقال طائفة من العلماء: الشُّحُّ هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحِبَهُ على أن يأخذ الأشياء من غير حلّها، ويمنعها حقوقها[٢]، والبخل هو إمساك الإنسان ما فى يده. والشّحُ تناول ما ليس له ظلمًا وعُدْوانًا من مال أو غيره. حتى قيل: إنه رأس المعاصى كلها، وبهذا فسَّرَ ابن مسعود رضى الله عنه وغيره من السلف الشحَّ والبخل[٣]، وقد يستعمل الشُّح بمعنى البخل وبالعكس، ولكنَّ الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والإيمان نقصًا بيِّنًا، فإن منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والإيمان بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل[٤].

وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد إهلاكًا من الحرص على المال، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعُلُوِّ فى الأرض أضرُّ على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل فى طلب الرياسة والشرف.

والحرص على الشرف. قسمان: أحدهما: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطر جداً وهو فى الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزَّها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيُوفَّق، بل يُوكَلُ إلى نفسه، كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه: يا عبد الرحمن. لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها[٥].

---

(١) سنن أبى داود (٢/ ٣٢٤)، رقم (١٦٩٨)، صححه الألبانى.

(٢)، (٣)، (٤) ما ذئبان جائعان، ص (٣١).

(٥) البخارى، رقم (٦٦٢٢).

واعلم أنَّ الحرص على الشرف يستلزم ضررًا عظيمًا قبل وقوعه فى السّعى فى أسبابه، وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذى يقع فيه صاحب الولاية من الظُّلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد(١).

وأما القسم الثانى، طلب الشرف والعلوّ على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد، فهذا أفحش من الأول، وأقبح فسادًا وخطرًا، فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ماعند الله من الدرجات العُلى والنعيم المقيم، والقُرب منه، والزُّلفى لديه(٢)، وأما طريقة العلاج من الحرص المذموم، فيكون بالزهد وفيه أسباب عديدة منها:

- نظر العبد إلى سوء عاقبة الشرف فى الدنيا بالولاية والإمارة لمن يؤدى حقها فى الآخرة.

- نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمتكبرين، ومن ينازع الله رداء الكبرياء.

- نظر العبد إلى ثواب المتواضعين لله فى الدنيا بالرفعة فى الآخرة، فإن من تواضع لله رفعه الله.

- وليس هو فى قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوِّض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يغنى عن المال والشرف بما يعجِّلُهُ الله لهم فى الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم فى الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة فى الباطن، وهى الحياة الطيبة التى وعدها الله لمن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك فى الدُّنيا ولا أهل الرياسات، والحرص على الشرف كما قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجادلونا عليه بالسيوف. ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل، والرياسة الفانية(٣)، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] فالحسن بن على رضى الله عنه يحذرنا من الحرص المذموم ولذلك قال: الحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة(٤).

---

(١) ما ذئبان جائعان، ص (٣٥، ٤٣).

(٢) المصدر نفسه، ص (٤٧).

(٣) ما ذئبان جائعان، ص (٧٥، ٧٦).

(٤) علموا أولادكم حب آل بيت النبى ﷺ، ص (١٣١).

ج- الحسد: قال الحسن: والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل:

الحسد نقيض الحب الذى هو تمنى الخير للآخرين، فهو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وهو مرض مهلك مذموم وقبيح، أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، وقد قال ﷺ: لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا(١)، وقال أنس: كنا يومًا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال: فطلع علينا رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه، قد علّق نعليه فى يده الشمال، فسلم، فلما كان الغد قال ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل، وقاله فى اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له: إنى لاحيت أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤينى إليك حتى تمضى الثلاث فعلت، فقال: نعم فبات عنده ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا انقلب عن فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم إلا لصلاة الفجر، قال: غير أنى ما سمعته يقول إلا خيرًا فلما مضت الثلاث، وكدت أن أحتقر عمله فقلت: ياعبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هَجْر، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيرًا، فما الذى بلغ بك ذاك؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعانى فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنى لا أجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشًا ولا حسدًا على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فقلت له: هى التى بلغت بك، وهى التى لا نطيق(٢)، والحسد له أسباب كثيرة منها العداوة والبغضاء والعجب وحب الرياسة، وخبث النفس وبخلها وغيرها من أمراض القلب الأخرى، فالحسد جامع الآفات والأمراض، وهو من أشدها مذهبًا للدين والإيمان والحب والإخاء، وهو مفسدة وأى مفسدة. ويكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم

(١) البخارى، رقم (٦٠٦٥).

(٢) مسند أحمد (٣/ ١٦٦) إسناده صحيح.

الأسباب التى ذكرناها، ويقع ذلك غالبًا بين الأقران، والأمثال والإخوة وبنى العم، وأصحاب المهن والأعمال، وبين العلماء والتجار، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل فيها فيثور التنافر والتباغض، فأصل الحسد التزاحم على غرض واحد، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، والدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين(١).

* علاج مرض الحسد:

هناك عدة أدوية تقي وتعالج من مرض الحسد منها:

- العلم بأن مرض الحسد ضرر على الحاسد فى الدين والدنيا، وأنه لا يضر المحسود فى الدين ولا فى الدنيا، وأن النعمة لا تزول عن المحسود بحسد الحاسد، فماذا يستفيد الحاسد من حسده إلا البغض والألم والحسرة والانفعال وذهاب الدين والدنيا، فكيف يريد الحاسد زوال نعمة أنعمها الله عز وجل على المحسود، فالله أحب أن ينعم على عبده، والحاسد يحب زوالها، فقد أحب ماكره الله وكره ما أحب الله، وهذا داء مزيل للإيمان، لأن صاحبه لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

- التذكر الدائم لمساوئ هذا المرض فى الدين والدنيا، وبغض الله عز وجل له وكراهية النبى ﷺ له، والنتيجة التى ينالها الحاسد فى الدنيا والآخرة. كل هذا يساعد على فهم حقيقة الحسد، والوقاية منه والبعد عنه وطلب العلاج.

- العبرة من الآيات والأحاديث والقصص وواقع الحاسدين، ونتائج حسدهم، كل ذلك يساعد على الوقاية والعلاج من هذا المرض الخطير.

- محاسبة النفس ومعاتبتها عند كل فكرة حسد تعرض عليه، ومحاولته كف نفسه عن المحسود، بل الثناء عليه، والدعاء له، بالحفظ والزيادة، ولا مانع من أن يتمنى لنفسه مثل ذلك دون حسد الآخرين.

- الرضا بعطاء الله ومنحه، والقناعة بذلك، والإيمان بأن الرزق والعطاء والفضل من الله يؤتيه من يشاء وكيفما يشاء، ولا أحد يستطيع أن يزيل نعمة أنعمها الله على عبد من عباده، وأنه لا ينال عطاء الله إلا بفضل الله وإرادته، ولا

---

(١) منهج الإسلام فى تزكية النفس، ص (٣٤٠).

يملك العبد إلا الرضا والدعاء والالتجاء، فلِمَ لا يقف العبد على الباب الذى يجلب الخير؟ ولِمَ يبتعد عن المرض الذى يجلب الشر[1]؟

فالحسن بن على رضى الله عنه يحذرنا من الحسد ولذلك قال: والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل[2]، عندما حسد أخاه على تقبل الله منه ولم يتقبل منه هو.

٢- مقام الرضا بين الحسن وأبى ذر:

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ: قيل للحسن بن علىَ: إن أبا ذرٍّ يقول: الفقر أحبُّ إلىَّ من الغنى، والسَّقم أحُب إلىَّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتَّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون فى غير الحالة التى اختار الله له، وهذا حد الوقوف على الرِّضا بما تصرَّف به القضاء[3].

إن الحسن بن على رضى الله عنه فى حديثه هذا يصف لنا شيئًا من أعمال القلوب وهذا دليل على معرفته بهذا العمل العزيز، فالرضا من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإنَّ كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان[4]، فالرضا ثمرة من ثمار المحبة - لله عز وجل - وهو أعلى مقامات المقرّبين، وحقيقته غامضة على الأكثرين. وهو باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا، فجدير بمن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيه، وأن لا يستبدل بغيره منه، ورضا الله على العبد أكبر من الجنة، وما فيها، لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، بعد قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. وهذا الرضا جزاء من رضاهم عنه فى الدنيا، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء، كما سببُه أفضل الأعمال، والسخط باب الهمِّ والغمِّ وشتات القلب، وكَسْف البال، وسُوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله، والرضا يخلّصه من ذلك كلّه، ويفتح له باب جنة

(١) منهج الإسلام فى تزكية النفس، ص (٣٤١).

(٢) علموا أولادكم محبة آل بيت النبى، ص (٣١).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢١٤).

الدنيا قبل جنة الآخرة، فالـرضا يوجب له الطمأنينة وبرد القلب وسكونه وقراره، والسُّخط يُوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعـاجه، وعدم قراره، والسُّخط يوجب تلون العـبـد، وعدم ثبـاته مع الله، فـإنه لا يرضى إلاّ بما يلائم طبـعـه ونفسـه، والمقادير تجرى دائمًا بما يـلائمه وما لا يلائمه، وكلّها جرى عليهـا منه ما لا يلائمه أسخطه فـلا تثبت له قـدم على العبودية، فـإذا رضى عن ربه فى جمـيع الحالات استـقرت قدمه فى مـقام العبودية، فـلا يُزيل التلوُّن عن العبد شيءٌ مـثل الرضا، والرضـا يفرِّغ القلب لله، والسـخط يُفرِّغ القلب من الله، فـإنّ من ملأ قلبـه من الرضا، ملأ الله صدره غـنى وأمنًا وقناعة، وفرّغ قلبه لمحبّتـه والإنابة إليه والتوكل عليه، ومن فـاته حظُّه من الرضا امتلأ قلبـه بضدّ ذلك واشتغـل عمّا فيه سـعادته وفلاحه، وبداية الرضا مكتـسبة للعبد وهى من جملة المقامـات، ونهايته من جملة الأحوال وليـست مكتسبـة، فأوَّله مقام ونهـايته حال، وقـد مدح الله أهله وأثنى عليهم وندبهم إليه، فدل ذلك على أنه مقدور لهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: ذاق طعم الإيمان من رضى بـالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولا[1]، وقال رسول الله ﷺ: من قال حين يسـمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـهد أن محمد عبـده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينًا. غفر الله له ماتقدم من ذنوبه[2].

قال ابن القيم: وهذان الحـديثان عليهما مـدار مقامات الدين، وإليهـما ينتهى. وقد تضمنّا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضا برسوله، والأنقياد له والرضا بدينه، والتسليم له. ومن اجتمعت له هذه الأربعة، فهو الصديق حقا، وهى سهلة بالدعوى واللسان، وهى من أصعب الأمور عند الحقيـقة والامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، من ذلك تبيّن أن الرضا كان لسانه به ناطقًا، فهو على لسانه لا على حاله.

- فالرضا بإلـوهيته: يضمن الرضا بمحبته وحـده وخوفه، ورجائه والإنابة إليه، والتبـتُّل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحبّ كلهـا إليه، فعل الراضى بمحـبوبه كلّ الرضا، وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

(١) مسلم، رقم (٤٣) (١/ ٦٢).

(٢) مسلم، رقم (٣٨٦) (١/ ٢٩٠).

- والرضا بربوبيّته: يتضمّن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به، والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيًا بكل ما يفعل به، فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني: يتضمن رضاه بما يقدِّر عليه.

- وأما الرضا بنبيّه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه، وأن يكون متميزًا بمكانته عن غيره من البشر فلا يشاركه أحد مكانته ولا خصوصيته، فلا يتلقّى الهدى إلا من واقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، ولا فى شىء من أسماء الربّ وصفاته وأفعاله، ولا فى شىء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا فى شىء من أحكام ظاهره وباطنه، ولايرضى فى ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يعينُه إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله: أن يكون من باب التراب، الذى إنما يُتيمَّم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه، فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى: رضى كل الرضا، ولم يبق فى قلبه حرج من حكمه، وسَلَّم له تسليمًا، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها أو قوْل مُقلده وشيخه وطائفته[1] . . وقال: . . فإن الرضا آخر التوكل، فمن رسخ قدمه فى التوكل والتسليم والتفويض حصل له الرضا ولابد، ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له، وصعوبته عليها، لم يُوجبه الله على خلقه، رحمة بهم، وتخفيفًا عنهم، لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذى هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها، فمن رضى عن ربه رضى الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده، رضا قلبه، أوجب له أن يرضى عنه، ورضًا بعده وهو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين.

كيف يتحقق الرضا؟

إن من أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضا فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولابد، قيل ليحيى بن معاذ: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ فقال:

إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يُعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتنى قبلت، وإن منعتنى رضيت، وإن تركتنى عبدت، وإن دعوتنى أجبت، وقال الجنيد: الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم، أداه إلى الرضا، وليس الرضا والمحبة كالرجاء والخوف، فإن الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة، لا يفارقان المتلبس بهما فى الدنيا، ولا فى البرزخ، ولا فى الآخرة، بخلاف الخوف والرجاء، فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه، وأمنهم مما كانوا يخافونه، وإن كان رجاؤهم لما ينالون من كرامته دائمًا لكنه ليس رجاء مشوبًا بشك، بل هو رجاء واثق بوعد صادق، من حبيب قادر، فهذا لون ورجاؤهم فى الدنيا لون، وقال ابن عطاء: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل، فيرضى به(١).

وقال بعض العارفين: من يتوكل على الله، ويرضى بقدر الله، فقد أقام الإيمان،وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير، وأقام الأخلاق الصالحة التى تُصلح للعبد أمره، والرضا يفتح باب حُسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والرضا يُثمر سرور القلب بالمقدور فى جميع الأمور وطيب النفس وسكونها فى كل حال.. ولهذا سمى بعض العارفين الرضا: حسن الخلق مع الله، فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه فى ملكه، وحذف فضول الكلام التى تقدح فى حسن خُلقه(٢).

قال الشاعر:

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر ... والدهر ذو دول والرزق مقسوم

والخير أجمع فى ما اختار خالقنا ... وفى اختياره سواه اللومُ والشُّومُ

وقال الشاعر:

إذا ارتحل الكرام إليك يومًا ... ليلتمسوك حالاً بعد حال

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٤ ، ١٧٥).

(٢) صلاح الأمة (٤/ ٥١٢) نقلاً عن مدارج السالكين.

فـإن رحـالنا حطـت لتـرضى ... بحـلمك عـن حلول وارتحـال
أنـخـنـا فـى فنـانـك يـا إلـهـى ... إليك مُـعَـرِّضـين بلا اعـتـلال
فـسُسْنا كـيف شـئـت ولا تكلنا ... إلى تـدبيـرنـا يا ذا المعـالى(١)

فهـذه بعض المعانى فى مقام الرضـا توضح قول أميـر المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه عندما قال: من اتكل على حسن اخـتيار الله له، لم يتمن أن يكون فى غيـر الحالة التى اخـتار الله له، وهذا حـد الوقوف على الرضا بمـا تصرف به القضاء(٢).

٣- قال أميـر المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه: إنى أخبركم عن أخ لى كان من أعظم الناس فى عينى، وكان عظيم ما عظمه فى عـينى صغر الدنيا فى عينه، كان خارجًا عـن سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد، ولا يكـثر إذا وجد، وكان خارجًا من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، وكان خارجًا من سلطان الجهلة، فلا يمد يدًا إلا على ثقة المنفعـة، كان لا يسخط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلمـاء يكون على أن يسـمع أحـرص منه على أن يتكلم، وكـان إذا غُلب على الكلام لم يغلب على الصمت، كان أكثر دهره صامـتًا، فإذا قال بذَّ القائلين، كان لا يشارك فى دعوى، ولا يدخل فى مراء، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيًا يقول ما يفـعل، ويفعل مـا لا يقول تفـضلاً وتكرمًـا، كان لا يغفـل عن إخوانه، ولا يستـخص بشىء دونهم، كان لا يلوم أحـدًا فيمـا يقع العذر بمثله، كـان إذا ابتدأه أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه(٣).

ففى هـذا الأثر ترشيد وتـوضيح وتعليم للناس نحـو صفـات كريمـة وأخلاق حميدة، وهذا منهج سلوكى رفيع ينبغى أن نـربى عليه أنفسنا وأبناءنا حتى يتحول إلى واقع ملموس فى الحياة، ونستفيد من ذلك الأثر دروسًا وعبرًا منها:

- قول الحسن رضى الله عنه: وكان عظيم ما عظمـه فى عينى صغر الدنيا فى عينه(٤): ولا تصغر الدنيا إلا فى عـين من عرف حقائق الأمور، واستقر التـصور الصحيح

(١) صلاح الأمة فى علو الهمة (٤/ ٥٢٩).
(٢)، (٣) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).
(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

عن الله والحيـاة والكون والجنة والنار، والقـضاء والقـدر، واستـوعب بعمق فـقه القدوم على الله تعالى فعمل للباقى وتـرفع عن الفانى، وأيقن أن الدنيا دار اختبار وابتلاء وعليـه، فإنه مزرعـة للآخرة، ولذلك تحرر من سـيطرة الدنيا بزخارفـها، وزينتها، وبريقها، وخضع وانقاد وأسلم نفسه لربه ظاهرًا وباطنًا، وكان وصل إلى حقائق استقرت فى قلبه ساعدته على الزهد فى هذه الدنيا، ومن هذه الحقائق:

* اليقين التام بأننا فى هذه الدنيا أشبه بالغـرباء أو عابرى سبيل، كما قال النبى ﷺ: «كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل»[1].

* إن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قـيمة عند رب العزة إلا ما كـان منها طاعة لله تبارك وتعـالى، إذ يقول النبى ﷺ: «لو كانت الدنيـا تعدل عند الله جناح بعوضـة ما سقى كافرًا منـها شربة ماء»[2]، وقال ﷺ: «الدنيا ملعـونة، ملعون ما فيـها إلا ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا»[3].

* إن عمرها قد قـارب على الانتهاء: إذ يقول ﷺ: «بعثت أنا والساعـة كهاتين بالسبّابة والوسطى»[4]، وتبدأ قيامـة الإنسان بموته والعمر قصير، فـإذا استثنينا منه فترة الطفولة والنوم والكدر فكم يصفو لنا منه.

* إن الآخرة هى الباقية، وهى دار القرار، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٩، ٤٠] فإذا استـقرت هذه الحقائق فى قلب الأخ المسلم تصغر الدنيا فى عينيه.

- قول الحسن رضى الله عنه: كان خارجًا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد[5]، ففى هذا التـوجيه دعوة إلى ترك فضـول الطعام، لأنه داع إلى

---

(١) الترمذى، ك الزهد، رقم (٢٣٣٣) وهو حديث صحيح.

(٢) الترمذى، ك الزهد، رقم (٢٣٢٠).

(٣) الترمذى، ك الزهد، رقم (٢٣٢٢) وقال: حسن غريب.

(٤) مسلم، ك الفتن وأشراط الساعة، رقم (١٣٢ - ١٣٥).

(٥) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

أنواع كثيرة من الشرب، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصى وينقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شراً، فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقى شر بطنه فقد وقى شراً عظيماً، والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام(1)، ولذلك حذرنا ربنا سبحانه من اتباع وساوسه ومكائده التى تؤدى إلى طغيان شهوة البطن وعدم الاكتفاء بالحلال، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]. ، كما أرشد سبحانه إلى الاعتدال فى الطعام والشراب لئلا يؤدى ذلك إلى تسلط شهوة البطن وانحرافها قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

فالأمور التى تدل على تسلط شهوة البطن أن يُكثر صاحبها من الطعام والشراب فوق الحاجة، ويبالغ فى الشبع ويفرط فيه، وقد أشار النبى ﷺ إلى أخطار هذا الإسراف وضرره على الجسد والنفس وذلك فيما رواه الترمذى عن مقدام بن معدى كرب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(2).

وفى هذا الحديث النبوى بيان للمنهج السوى الذى ينبغى التمسك به فى الإقلال من الطعام والشراب وعدم الإسراف فى شهوة البطن، لأن هذا الإسراف يؤدى إلى الشر الكبير، وليس المقصود بالشرهنا ما يتعلق بأمراض المعدة فحسب، وإنما المقصود أيضاً الشر الذى يصيب النفس حينما تعتاد الشره فى الطعام والشراب وشدة التعلق بهما فيتحول الطعام من وسيلة للغذاء وتقوية البدن إلى غاية وهدف يسعى صاحبه من أجله، ويصبح ذلك السعى شغله الشاغل حتى تصبح همته مصروفة إليها، فمهما شبع بطنه لا تشبع نفسه، لأن شهوة البطن أضحت عنده مقياس السعادة(3)، فطغيان شهوة البطن لا يعنى كثرة الأكل فحسب لأن كثرة

(١) جهاد النفس / على الدهامى، ص (٩٣).

(٢) الترمذى، ك الزهد ، رقم (٢٣٨٠)، حديث حسن صحيح.

(٣) أمراض النفس، وأنس كرزون، ص (١٠٩).

الأكل عرض ظاهرى لهذا المرض، وإنما حقيقة المرض فى شره النفس وماديتها وتحول الطعام من وسيلة إلى غاية حتى يصبح الإنسان كالبهائم التى تسيرها شهواتها، وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، وقد روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معى واحد»[١]. ومعنى هذا الحديث أن من شأن المؤمنين التقليل من الأكل للاشتغال بأسباب العبادة، والكافر بخلاف ذلك كله لأنه تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعات الحرام، وإن أكل قليلاً فليس ذلك لزهده، فى الدنيا وإنما لمراعاة الصحة ورياضة الجسم، فهو لشدة حرصه على الدنيا وتمسكه بها كأنه يأكل فى سبعة أمعاء كما تقول: فلان يأكل الدنيا أكلاً، وأما المؤمن فإنه يأكل فى معى واحد، فالرسول ﷺ يضرب المثل فى هذا الحديث للمؤمن وزهده فى الدنيا وللكافر وحرصه عليها[٢]، وقد ذكر النووى - رحمه الله - توجيهًا آخر لهذا الحديث فقال: قيل: المراد بالسبعة سبع صفات، الحرص والشره، وطول الأمل، والطمع، وسوء الطبع،والحسد، والسمن[٣]. وقد قال ابن القيم - رحمه الله -: لعينه وذاته كالمحرمات والثانى: ما يفسده بقدر تعدى حده كالإسراف فى الحلال والشبع المفرط، فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولته حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها والتأذى بثقلها، وقوى عليه مواد الشهوة، وطرق مجارى الشيطان ووسعها، فإنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقه، والشبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخسر كثيراً[٤].

قول الحسن رضى الله عنه: وكان خارجًا من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه[٥]، فالحسن رضى الله عنه يدعو إلى التحكم فى شهوة الفرج ولا يكون

---

(١) مسلم، رقم (٢٠٦٠).

(٢) فتح البارى شرح البخارى (٩/ ٥٣٨ ، ٥٣٩).

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم (١٤/ ٢٣).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٥٨ ، ٤٥٩).

(٥) االبداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

إشباعها إلا بما شرع المولى عز وجل، لأن طغيانها يترتب عليه نتائج خطيرة، كقسوة القلب وضعف الإيمان، فكلما تمادت شهوة الفرج فى الطغيان ازداد القلب قسوة وظلمة ووحشة إبتداء من النظر إلى ما حرم الله ثم الاختلاط بين الجنسين وما يتبعه من ترجُّل النساء وتخنث الرجال، وما ينتج عنه من تهوين أمر الفاحشة والتمهيد لها حتى يقع فيها، وعندها يتمكن المرض من القلب، وتبتعد عنه حقيقة الإيمان، ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن...»(١).

قال البخارى - رحمه الله - عند روايته لهذا الحديث: أى لا يكون هذا مؤمنًا تامًا ولا يكون له نور الإيمان.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان فوق رأسه كالظُلة، فإذا أخرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان»(٢). فأصحاب الكبائر ينزع منهم نور الإيمان ويضعف تعظيم الرب سبحانه من قلوبهم، إذ لو استشعر من أتى الكبائر مثل الزنى أو السرقة أو شرب الخمر وغير ذلك، فلابد أن يذهب ما فى قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور، وإن بقى أصل التصديق فى قلبه، وهذا من الإيمان الذى ينزع منه عند فعل الكبيرة(٣).

ومن نتائج طغيان شهوة الفرج، كثرة الوقوع فى المعاصى، فالمعصية ولو كانت صغيرة تمهد الطريق لأختها حتى تتابع المعاصى ويهون أمرها ولا يدرك صاحبها خطرها، فالنظرة تؤدى إلى الفكرة ثم يتولد الخاطر فى القلب وتتحرك الشهوة، وقد يؤدى ذلك إلى العزم على اقتراف الفاحشة، فإن تيسرت أسبابها وقع فيها، ولهذا كانت النظرة مقدمة من مقدمات الزنى، وبابًا من الأبواب الموصلة إليه، روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب

(١) البخارى، ك الحدود (٨/ ١٣) مسلم، رقم (٥٧).
(٢) صحيحه الحاكم فى المستدرك (١/ ٢٢) ووافقه الذهبى.
(٣) كتاب الإيمان، لابن تيمية، ص (٢٩).

يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»[1]، وهكذا تتدرج المعاصى فى تسربها إلى قلب العبد وتأثيرها عليه حتى لا يبالى بهـا ولا يقدر على مفارقتها ويطلب ما هو أكثـر منها[2]، وفى ذلك يقول ابن الـقيم - رحمـه الله - : إن المعاصى تزرع أمثالها، ويولد بعضـها بعضًا حتى يعز على العبد مفارقـتها والخروج منها. . حتى تصير هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة، ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليـه نفسه، وضاق صدره حتى يعاودها، حـتى إن كثيرًا من الفساق ليواقع المعـصية من غير لذة يجدها، ولا داعيـة إليها إلا لما يجده من الألم بمفارقتها[3].

ومن نتائج طغـيان شهوة الفـرج، ذهاب الحياء، فإذا اعـتاد العبد على مـفارقة الآثام نتيـجة لطغيان شـهوته، سيـصل إلى حال لا يبالى فـيه بإطلاع الناس على أفعاله القبيحة، بل أن كثيرًا من هؤلاء يخبرون الناس بما يفعلونه ويتباهون به لأنهم انسلخوا من الحياء[4].

وهكذا نجد أن التـهاون فى وقاية شهـوة الفرج من الانحراف ولو كان يسـيرًا، سيؤدى شيئًـا فشيئًا إلى ما هو أخطر وحتى لا يقع المرء فريسـة طغيان الشهوة التى يصـعب التخلـص من شرودها، وتؤدى فى النـهاية إلى طمس قلـب صاحـبهـا وانسلاخـه من الأخلاق الفاضلة بـالإضافة إلى مـا يصيبـه من الأمراض النفسـية والجسدية[5]، فقد شرّع الإسلام تدابير وقائية من طغيان شهوة الفرج منها:

* غض البصر وستر العورة:

لأن الطريق الذى تنفذ منه سـهام الشهوة إلى القلب هو البـصر ولذلك أمر الله عباده بغض البصر عما حرم عليـهم وستر عوراتهم عمن لا يحل لهم قال تعالى:

---

(١) مسلم، رقم (٢٦٥٧).

(٢) أمراض النفس، ص (١٢١).

(٣) الجواب الكافى، ص (٥٩، ٦٠).

(٤) أمراض النفس، ص (١٢٢).

(٥) أمراض النفس، ص (١٢٣).

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠] وقال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد»[١]. يقول ابن القيم - رحمه الله-: قد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق شهوته[٢]، ويقول أيضًا: النظرة تفعل فى القلب ما يفعل السهم فى الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهى بمنزلة الشرارة من النار تُرمى فى الحشيش اليابس، فإن لم تُحرقه كله أحرقت بعضه وقد قيل:

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مُستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يُقلِّبها ... فى أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر[٣]

* تحريم الاختلاط والأمر بحجاب النساء:

وقد ورد فى بيان ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة ومنها: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ١٥٣]. وروى البخارى ومسلم عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله قال: «إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت»[٤]. والحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، وقوله ﷺ: الحمو الموت. معناه

---

(١) مسلم، رقم (٣٣٨).
(٢) روضة المحبين، ص (١٠٩).
(٣) المرجع نفسه، ص (١١٤).
(٤) مسلم، رقم (٢١٧٢).

أن الخوف منه أكثر من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبى[١]، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم»[٢] كما ورد التشديد والوعيد فى أحاديث عديدة من تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال فى اللبس والحركة لما فى ذلك من إثارة الشهوات وانحرافها، روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[٣].

* الترغيب فى الصيام لتسكين الشهوة:

إذا لم يتيسر الزواج ولم يجد المرء المقدرة عليه لسبب من الأسباب، فعليه أن يقى نفسه من تسلط الشهوة، وذلك بالمبادرة إلى الصيام لما فيه من تسكين الشهوة وتخفيف وطأتها، وقد ورد فى الإرشاد إلى ذلك الحديث الذى رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٤]، أى: أن الصوم يقطع الشهوة، ويُلحق بذلك التقليل من الأغذية المحركة للشهوة لكى يكسر من حدتها ويضعف تأثيرها، فإذا لم يحرص المرء على هذه التدابير الوقائية ولم يلتزم بها، فإن سهام الشهوة وسمومها لابد أن تنفذ إلى القلب ما دام على أهبة الاستعداد لقبول هذا الانحراف، وعندها سيتمادى فى مرضه وتتمادى الشهوة فى طغيانها يومًا بعد يوم حتى يقع صاحبه فى حمأة الرذيلة[٥]، فقول الحسن بن على رضى الله عنه: كان خارجًا من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه[٦]، دعوة صريحة إلى كبح طغيان شهوة الفرج.

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٤/ ١٥٣).

(٢) مسلم، رقم (١٣٤١).

(٣) البخارى. ك اللباس (٧/ ٥٥).

(٤) مسلم، رقم (١٤٠٠).

(٥) أمراض النفس، ص (١٢٦).

(٦) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

- قـول الحسن بن على رضى الله عنه: كـان إذا جامع الـعلماء يكون على أن يسـمع أحرص منه أن يتكلم[1]:

وفى هذا احترام للعلماء وتقديرهم والاستفـادة منهم، فتوقيرهم واحترامهم من السنة، يقول رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صـغيـرنا ويوقر كـبيرنـا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر ويعرف لعالمنا حقه»[2]. لقد كان سلف هذه الأمة يحترمون علماءهم احـترامًا كـبيـرًا ويتأدبون معـهم، ولقد أكثـر أهل العلم من الكلام عن أسلوب التعامل مع العالم فى مجلسه. وأسلوب الحديث معه مما هو مذكور بتوسع فى كتب آداب العـالم والمتعلم، ومن أجمع ما رُوى فى ذلك مـا قاله على بن أبى طالب - رضى الله عنه -: إن من حق العالم ألا تكثر عليه السؤال، ولا تعنته فى الجواب، وأن لا تُلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سرًا ولا تغتابن عنده أحدًا، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجـة سبقت القوم إلى خدمته[3]. وقال: من حق العـالم عليك إن أتيته أن تسلم عليـه خاصة، وعلى القوم عـامة، وتجلس قدامـه، ولا تشر بيـديك، ولا تغمز بعـينيك، ولا تقل قال فـلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه فى السؤال فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شىء[4]. وقال عـبد الرحمن بن مـهدى - رحمـه الله -: كان الرجل من أهل العلم إذا لقى من هو فوقـه فى العلم فهو يوم غنيمـة سأله وتعلم منه، وإذا لقى من هو دونه فى العلم علمه وتواضع له، وإذا لقى من هو قرينه فى العلم ذاكره ودارسه[5].

ولقد ضـرب السلف الصالح أبلغ المثل فى الحرص عـلى الطلب، والسعى فى الأخـذ عن أهل العلم والاستـمـاع إليهم واحـترامـهم وتقـديرهم، تشهـد لذلك قصصهم التى ساقها الخطيب البغدادى وغيره فى هذا المجال.

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

(٢) سنن الترمذى، رقم (١٩٨٦) صححه ابن حبان، رقم (١٩١٣).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٩).

(٤) المصدر نفسه (١/ ١٤٦).

(٥) المحدث الفـاصل للرامهـرمزى، ص (٢٠٦)، قواعـد فى التعـامل مع العلماء، عبـد الرحمن بن مـعلا اللويحق ص (٨٦).

- قول الحسن بن على رضى الله عنه: كان أكثر دهره صامتًا، فإذا قال بذ القائلين، كان لا يشارك فى دعوى، ولا يدخل فى مراء[1]:

فالحسن بن على رضى الله عنه يدعو إلى التقليل من الكلام، ومنابذة المراء، وفى الحديث: إذا أصبح العبد فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا[2]، وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسه فى كلامه، لأن اللسان أيسر حركات الجوارح وهى أضرها على العبد، وكان الصديق رضى الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردنى الموارد[3]، والكلام أسيرك، فإذا أخرج من فيك صرت أنت أسيره، والله عند لسان كل قائل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وفى اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى فى وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص لله، مراء، مداهن، إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله، وأكثر الخلق منحرف فى كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم - كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه فى الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أن تضره فى آخرته، وإن العبد ليأتى يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتى بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به[4]، فليس الكلام مأمورًا به على الإطلاق، ولا السكوت كذلك، بل لابد من الكلام بالخير والسكوت عن الشر، وكان السلف كثيرًا يمدحون الصمت عن الشر، وعما لا يعنى لشدته على النفس، ولذلك يقع فيه الناس كثيرًا، فكانوا يعالجون أنفسهم، ويجاهدونها على السكوت عما لا يعنيهم[5]، قال الفضيل بن

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

(٢) الترمذى، رقم (٢٤٠٧) حسنه الألبانى فى الصحيح الجامع (١/ ٥١٣٦).

(٣) جهاد النفس، ص (٧٦).

(٤) الداء والدواء لابن القيم، ص (٣٧٩).

(٥) جهاد النفس، ص (٧٧).

عياض - رحمه الله -: ما حج ولا رباط، ولا جهاد أشد من حبس اللسان، ولو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت فى غم شديد. وقال: سجن اللسان سجن المؤمن، ولو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت فى غم شديد[(١)].

- قول الحسن بن على رضى الله عنه: كان إذا ابتدأه أمران[(٢)] لا يرى أيهما أقرب إلى الحق، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه:

فالحسن رضى الله عنه، يحث على مخالفة الهوى، والهوى ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[(٣)]، ويعتبر الهوى من الأسباب التى لأجلها خالفت كثير من الأمم أنبياءها فاستكبروا ولو يقبلوا الحق والهدى والنور الذى جاءتهم به أنبياؤهم، عليهم السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]. كما أن الله تعالى أمر نبيه داود عليه السلام بمخالفة الهوى، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - :ونفس الهوى - هو الحب والبغض الذى فى النفس - لا يلام عليه، فإن ذلك قد لا يملك، وإنما يلام على اتباعه[(٤)]، وقال فى موضع آخر: ومجرد الحب والبغض هوى، لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله[(٥)]. إن العلاج الناجح والبلسم الشافى لمن ابتلى بشىء من الهوى، إلزام النفس بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى، واتهام النفس ومحاسبتها دائمًا فيما يصدر منها وعدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها، والإكثار من استشارة أهل العلم

---

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

(٣) التعريفات للجرجانى، ص (٢٥٧).

(٤) الفتاوى (٢٨/ ١٣١).

(٥) المصدر نفسه (٢٨/ ١٣٣).

والإيمان واستجلاء آرائهم حول مـا يريد أن يقوله ويفعله، وكذلك ترويض النفس على استنصاح الآخرين وتقبل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كـانت مخالفة لما فى النفس، وتعويـدها على التريث وعدم الاستعجـال فى إصدار الأحكام وإمـضاء الأعمـال والحذر من ردود الأفـعال التى قـد يكون فيـها إفراط وتفـريط وغلو أو تقصير، وجهل وبغى وعدوان، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتبـاع الهوى ومضلات الفتن، ويسـأله تعالى أن يوفقه لقـول كلمة الحق فى الغضب والرضا، ويكثر الدعـاء الذى علمه رسول الله ﷺ لأمته: «وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب»(١). وقوله ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»(٢).

٤- قال الحسن رضى الله عنه: يجوز أن يظن السوء بمن علم السـوء منه وبدت عليه أدلته وليس ينبغى أن يظن به السوء بمجرد الظن فإن الظن يكذب كثيراً(٣).

ومفهـوم هذه الحكمة الحسنية أن المؤمن الكيس الفطن يـجوز له ظن السوء بمن علم من أحواله، وتصرفاته، وسلوكه ومواقفـه وأقواله ما يشير إلى السوء به، فإن الإنسان يظهـر بعض ما فى نفسـه على صفحـات وجهه وفلتـات لسانه، وبعض مواقفه، وهذا الظن لا يبنى عليه عقاب أو جزاء على الشخص المشكوك فيه بطبيعة الحال، ولكن المقصـد من قول الحسن رضى الله عنه الاحتـراز والحذر والحيطة من أمثال هؤلاء. حتى لا يقع الإنسان المسلم فـى مصائب وويلات بسبب حسن الظن بأمثال هؤلاء ومن عـاشر الناس علم خطورة الثقة فيـمن له سوابق من سوء الظن وقرائن تدل على ذلك، وأمـا مجرد ظن السوء بالمسلم بلا دلائل ولا قـرائن قوية فلا ينبغى للمسلم، فـقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. قال بعض العلماء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ . هو أن تظن بأهل الخير سوءًا، فأمـا أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن

---

(١) النسائى، ك السهو، باب الدعاء بعد الذكر (٣/ ٥٥) صححه الألبانى.

(٢) سنن الترمذى وصححه الألبانى، كما فى صحيح سنن الترمذى (٣/ ١٨٣).

(٣) الشهب اللامعة فى السياسة النافعة للمالقى، ص (١٧٣).

بهم مثل الذى ظهر لنا(١)، وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»(٢). وعد ابن حجر سوء الظن بالمسلم من الكبائر الباطنة حيث قال: وذلك أن من حكم بشرٍّ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره، وعدم القيام بحقوقه، والتوانى فى إكرامه، وإطالة اللسان فى عرضه، وكل هذا مهلكات، وكل من رأيته يسئ الظن بالناس، طالبًا لإظهاره معايبهم.. فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه(٣).

فهذه إطلالة موجزة على قول الحسن بن على رضى الله عنه: يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه وبدت عليه أدلته، وليس ينبغى أن يظن به السوء بمجرد الظن، فإن الظن يكذب(٤) كثيراً.

٥- قول الحسن بن على رضى الله عنه: والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضلَ ما يحضرهم(٥).

فالحسن رضى الله عنه يحث الناس ويوصيهم بضرورة التشاور فيما بينهم فى جميع أمورهم، وقد مارس الرعيل الأول الشورى وتعلمها من هدى الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وقد شاور الحسن أخاه الحسين وابن عمه عبد الله بن جعفر وغيرهم من قادة دولته فى الصلح مع معاوية رضى الله عنهم كما سيأتى بيانه، وتعتبر الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين - من الأحكام - فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه(٦). وقال الجصاص الحنفى - رحمه الله - فى تفسيره بأحكام القرآن معقبًا على قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وهذا يدل على جلالة موقع الشورى لذكرها مع

---

(١) الأخلاق بين الطبع والتطبع ص٢٤٣.

(٢) البخارى، رقم (٥١٤٣)، مسلم، رقم (٢٥٦٣).

(٣) الزواجر، ص (١١٤).

(٤) الشهب اللامعة فى السياسة اللامعة، ص (١٧٣).

(٥) تهذيب الرياسة، وترتيب السياسة للقلعى، ص (١٨٣).

(٦) المحرر والوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٧٩).

الإيمان، وإقامة الصلاة، ويدل على أننا مأمورون بها[1]، قال الطاهر بن عاشور: مجموع كلام الجصاص يدل على أن مذهب أبى حنيفة وجوبها[2]، وقال النووى - رحمه الله - : واختلف أصحابنا هل كانت الشورى واجبة على رسول الله ﷺ أم كانت سنة فى حقه كما فى حقنا، والصحيح عندهم وجوبها، وهو المختار قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، والمختار الذى عليه جمهور الفقهاء ومحققو الأصول أن الأمر للوجوب[3]. وقال ابن تيمية رحمه الله: لا غنى لولى الأمر عن التشاور فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. إن الشورى من قواعد النظام الإسلامى التى تساهم فى إقامة المجتمع المسلم، وقد شرع نظام الشورى لحكم بالغة ومقاصد عظيمة، ولما فيها من المصالح الكبيرة، والفوائد الجليلة التى تعود على الأمة والدولة والمجتمع بالخير والبركة ومن ذلك:

- الشورى نوع من الحوار المفتوح، ومن أحسن الأساليب لتوعية الرأى العام وتنويره، وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكومين، والقائد والمقودين، والرئيس والمرءوسين، وهو خير أسلوب فى الحكم لعزل الشكوك، ونفى الهواجس، وإزالة الأوهام، ووقف الإشاعات التى تنمو عادة فى ظل الاستبداد، وتنشر فى عتمة الغوغائية.

- تقضى مبادئ الإسلام بأن يشعر كل فرد أن له دوراً فى حياة المجتمع والجماعة، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكى يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ومهارات لخير المجتمع، كما تتيح الفرصة أمام كل فرد ليعبر عن رأيه فى الشئون العامة.

- إن الشورى تمنح الدفء العاطفى، والتماسك الفكرى لأفراد الأمة، وفيها إشعار الفرد بقيمته الذاتية، وقيمته الفكرية، وقيمته الإنسانية، وتدفع أفراد المجتمع

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٨٦).

(٢) التحرير والتنوير (٤/ ١٤٩).

(٣) شرح النووى على مسلم (٤/ ٧٦).

نحو الاجتهاد والإبداع والرضا وتتفجر الطاقات وتنكشف المواهب المغمورة فى الأمة.

- إن الشورى تساهم فى علاج ضروب الكبت الضاغطة، وكوامن الأحقاد الدفينة، وتطيح بكثير من الكظوم الخفية، تدفع رعايا الدولة للعطاء والحرص على ترسيخ النظام، وصدق الولاء.

- وفى نظام الشورى تذكير للأمة بأنها هى صاحبة السلطان وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها فى مباشرة الحكم والسلطان.

- وفى المشاورة امتثال لأمر الله بها، واقتداء برسول الله ﷺ، وهذه المزية أرجح المزايا المتقدمة، وهذا أهم العوامل فى نجاح نظام الشورى(١).

فالحسن بن على رضى الله عنه يحث الناس على الاهتمام بالشورى وممارستها وتطبيقها ولذلك قال: والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم(٢).

٦- قال الحسن بن على رضى الله عنه فى بعض مواعظه للمسلمين: يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدًا، وارْضَ بما قسم الله لك تكن غنيًا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً. إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرًا ويبنون مشيدًا ويأملون بعيدًا أصبح جمعهم بورًا وعملهم غرورًا ومساكنهم قبورًا. يا ابن آدم إنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما فى يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع(٣)، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهذا شرح موجز لهذه الخطبة الحسنية:

---

(١) الشورى بين الأصالة والمعاصرة لعز الدين التميمى، ص (٣٣، ٣٤).

(٢) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص (١٨٣).

(٣) نور الأبصار، الشبلنجى، ص (١٢١)، الحسن بن على، ص (٢٨).

أ- يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدًا[1]:

فهذا توجيه من الحسن بن على يحث فيه الناس على الابتعاد عن المحرمات، ويعتبر الحسن بن على من ترك المحرمات فهو العابد، فالوقوع فى المحرمات توقع الإنسان فى الغفلة وتعرضه لسخط الله وعقابه وغضبه، كما أن الوقوع فى المحرمات والغفلة عن طاعة الله سببان لمفاسد كثيرة وأضرار بليغة فى الدنيا والآخرة، يقول ابن القيم: قلة التوفيق وفساد الرأى، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونضرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة فى الرزق والعمر، وحرمان العلم ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب، ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم وضنك المعيشة، وكسف البال، كل هذه الأشياء تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع من الماء، والإحراق من النار، وأضداد هذه تتولد من الطاعة[2]، فالبعد عن المحرمات طريق للطاعات، فيصبح المسلم عابدًا، ولذلك قال الحسن: عف عن محارم الله تكن عابدًا[3].

ب- وارْضَ بما قسم الله لك تكن غنيًا[4]:

يتحدث الحسن رضى الله عنه عن الرضا بما كتبه الله على العبد، وأن الرضا يؤدى إلى الغنى بالله سبحانه وتعالى، والرضا عن الله سبحانه وتعالى معناه: أن لا يكره العبد ما يجرى به قضاء الله تعالى[5]. وأعلاه: سرور القلب، وسكينة النفس إلى قضاء الله وقدره؛ خيره وشره، والإيمان بالقضاء والقدر أحد الأركان الستة، حلوه ومره، وهذا القسم من الرضا من أجل الأخلاق الإيمانية لأنه آخذ بزمام مقامات الدين كلها، إذ هو روحها وحياتها، فإنه روح التوكل وحقيقته،

---

(١) نور الأبصار، ص (١٢١).

(٢) الفوائد، ص (٣٢).

(٣) الحسن بن على، ص (٢٨)، نور الأبصار، ص (١٢١).

(٤) الحسن بن على، ص (٢٨).

(٥) المفردات للراغب، ص (١٩٧).

وروح اليقين، وروح المحبة ودليل صحة محبة المحب، وروح الشكر ودليله[(١)]، وهو أيضًا يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، بل إن بعض العلماء عرف الرضا بحسن الخلق مع الله، قال: لأنه يوجب ترك الاعتراض عليه فى ملكه، وحذف فضول الكلام الذى يقدح فى حسن خلقه... فلا يسمى شيئًا قط قضاء الله تعالى وقدره باسم مذموم، إذا لم يذمه الله تعالى، لأنه ينافى الرضا[(٢)]، ولذلك كان هذا النوع من الرضا محل عناية القرآن الكريم فى التحدث عنه بآيات كثيرة يقول فيها عز وجل: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] مما يدل على أنه من أعلى مقامات الإيمان لما يعنيه من كمال الخلق مع الخالق جل وعلا لكل ما يقضيه الله عز وجل فى خلقه وكونه وتشريعه، فيقبله العبد بكل سرور واطمئنان وانشراح نفس، فلا يجد فى نفسه حرجًا مما قضاه الله تعالى له من خير أو شر - بل يرضى بمر القضاء الذى قدره له - ولا على ما قضاه فى الكون من تدبير وخلق وفناء بداية لما يعلمه من حكمته سبحانه فى تدبيره الملكوت كله، ولا على ما شرعه لعباده من تشريع على ألسنة رسله، وفى محكم كتابه، لأنه كله هو الحق والهدى، فصاحب هذا الخلق يتلقى كل ذلك بالمحبة والسرور على مراد الله الذى قضاه فى كل ذلك، لعلمه أن الله عز وجل حكيم فى فعله وتدبيره وقضائه، ودود مع عباده لا يفعل لهم إلا محض الخير مهما بدا لأنفسهم خلافه[(٣)].

وقد كان جد الحسن ﷺ القدوة المثلى والأسوة الحسنى، فقد بين لنا ﷺ كيف كان رضاه عن الله تعالى فيما يبتليه به فى الحياة من متاعب فى النفس أو المال أو البنين أو الأقارب، فكان ﷺ على ذلك النحو من الرضا كمالاً وتمامًا سواء فيما ناله من الأذية فى نفسه من جراء دعوته إلى الله تعالى فى مكة أو فى الطائف أو فى المدينة، ولقد بلغت به الأذية، أن جرت عليه عدة محاولات اغتيال فلم تفلح، فلم يزد على تقرير المحاولين ما أرادوه، ثم العفو عنهم، وأما رضاه بما كان عليه

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢١٨).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٠).

(٣) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (١/ ٩٦).

من القلة فى المال، فلم تعرف البشرية رضًا مثله، حيث بلغ به فى حاله ذاك، أن جعل يدعو الله تعالى ويقول: «اللهم اجعل رزق آل محمدًا قوتًا»(١)، وأما فى فقد الأولاد فلما مات خال الحسن ولد النبى ﷺ الرضيع إبراهيم عليه السلام عن ثمانية عشر شهرًا، وقد رزق به على الكبر وبعد موت أبنائه الذكور من قبل، لم يتزعزع رضاه عليه الصلاة والسلام لقضاء الله وقدره، بل أعلن رضاه بذلك، وقال فيما رواه عنه أنس بن مالك - رضى الله عنه - : إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا بما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون(٢) وأما أقاربه ﷺ فقد صرعوا حوله بين يديه فى الدفاع عنه وعن دعوته، فلم يتبرم لذلك، بل جاء أنه قال فى حق عمه أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب(٣) - رضى الله عنه- الذى استشهد بأحد، ومثل به أيمًا تمثيل-: فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه، نظر إليه، وقد مثل به، فما زاد على أن قال: رحمة الله عليك، إن كنت ما علمتك إلا وصولا للرحم، فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرنى أن أتركك حتى يحشرك الله فى بطون السباع(٤).

ومع ما كان عليه ﷺ من كمال الرضا عن الله تعالى فى كل أحواله، فقد كان دائب الدعاء أن يرزقه الله تعالى المزيد من الرضا والثبات الدائم عليه(٥)، فكان من دعائه ﷺ: «وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة، وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»(٦)، ولم تقتصر أقواله ﷺ فى الرضا على ما كان يعبر به عن نفسه من ذلك الخلق العظيم، بل كذلك كان ينوه بهذا الخلق العظيم، ويبين ما له من عظيم الأجر والثواب عند الله، ليحض أمته عليه، وذلك كما فى

---

(١) البخارى، الرقائق رقم (١٠٥٥).

(٢) مسلم، رقم (٢٣١٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٢) عزاء ابن كثير إلى البزار وقال عنه بعد إيراده له بسنده: هذا إسناده فيه ضعف، وذكره بنحوه ابن هشام فى سيرته (٣/ ١٧) عن ابن إسحاق مرسلاً.

(٥) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (١/ ١٠٠).

(٦) سنن النسائى، فى السهو (٣/ ٥٥) من حديث عمار بن ياسر إسناده حسن.

قوله ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، وبالإسلام دينًا، غفر له ذنبه»(١). ويلاحظ هنا كيف ربط النبى ﷺ هذا الدعاء بأمر يتكرر يوميًا خمس مرات، ليصبح هذا الدعاء ومضمونه شيئًا راسخًا فى نفس المؤمنين والمؤمنات، وقوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً»(٢).

فقد بين فى هذين الحديثين عظيم خلق الرضا عن الله تعالى حيث أبان أن هذا الخلق سبب لمغفرة الذنوب، وشهد له فى الحديث الآخر أنه مما يوجد حلاوة الإيمان، وذلك لأن صاحب هذا الخلق يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن تدبير الله تعالى له خير من تدبيره لنفسه، فيعيش قرير العين فى هذه الحياة فى السراء والضراء، يحمد الله تعالى على الخير وغيره، لأن ذلك كله فعل الله تعالى وتصرفه فى ملكه، وأى راحة للمرء أكثر من أن يعيش فى هذه الحياة على هذا النحو(٣)؟، فالحسن بن على رضى الله عنه حثّ على هذا الخلق بلسان الحال ولسان المقال فقد قال: وارْضَ بما قسم الله لك تكن غنيًا(٤).

جـ- قوله: وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا(٥):

فالحسن رضى الله عنه يحث المسلمين على حسن الجوار فحق الجار على جاره من أعظم الحقوق، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال النبى ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٦) وذلك لشدة الوصية به وتأكيدها، ومن حقوق الجوار وآدابه فى الإسلام أمور منها:

---

(١) مسلم، رقم (٣٨٦).
(٢) مسلم، رقم (٢٧٥٨).
(٣) أخلاق النبى فى القرآن والسنة (١/ ١٠١).
(٤) الحسن بن على، ص (٢٨)، نور الأبصار، ص (١٢١).
(٥) الحسن بن على، ص (٢٨).
(٦) البخارى، رقم (٦٠١٥).

- عدم إيذائه بأي شيء من قول أو عمل: فقد قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»(١). فيجب على الإنسان أن يكف أذاه عن جاره، سواء كان بالقول، أو بالفعل، أو الإشارة فأذية الجار محرمة على كل حال.

- الإحسان إليه دائمًا: وبكل صورة ممكنة، كما قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا، أو ليسكت»(٢) ونظرًا للأهمية الكبرى التى يعطيها الإسلام للجار ربط الرسول ﷺ بين صدق الإيمان بالله واليوم الآخر والإحسان للجار، ولو طبقنا هذا التوجيه النبوى مع جيراننا فى مجتمعاتنا لتحولت هذه المجتمعات إلى مجتمعات متعاونة ومتكاتفة ولعاش أهلها حياة طيبة.

- تحمل أذى الجار والصبر عليه: وكما قيل: ليس حسن الجوار بكف الأذى على الجار، ولكن بتحمل أذاه. فينبغى للمسلم أن يصبر على أذى جاره، وأن يتحمله، وأن يقابله بالإحسان. فإنه بهذا يغلق الباب أمام نزغ الشيطان.

- مواساته بالطعام ولاسيما إذا كان فقيرًا:

قال ﷺ: «ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع جنبه»(٣)، وقال ﷺ: «إذا طبخ أحدكم قدرًا فليكثر مرقها، ثم ليناول جاره منها»(٤)، وقال ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»(٥). فينبغى لكل مسلم أن ينتبه إلى هذا الأدب الرفيع، وألا يهمله، فإن له أثرًا عظيمًا على الجار، وهو دليل على اتصاف المجتمع المسلم بالتراحم، والتعاطف، والتكافل بين أفراده(٦). ويفهم من الحديث الحرص على سد احتياجات الجار ما أمكن من ملابس وأدوية وغيرها.

---

(١) البخارى، رقم (٦٠١٨).

(٢) مسلم، رقم (٨)٤.

(٣) المستدرك (٤/ ١٦٧) السلسلة الصحيحة، رقم (١٤٨).

(٤) مجمع الفوائد (٨/ ١٦٥)، صحيح الجامع للألبانى، رقم (٦٧٦).

(٥) مسلم، رقم (١٠٣٠).

(٦) موسوعة الآداب الإسلامية (١/ ٢٩٩).

- مشاركته الفرح والحزن:

فإذا كان عند جاره مناسبة فينبغى له أن يذهب إليه، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه، ما لم يكن فيه معصية وإذا أحلت به. نازلة فينبغى له أن يحضره، وأن يشاركه ويقاسمه حزنه، ويواسيه بالكلمة الصالحة، ويشد من أزره. وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم، والجار أولى بهذه الحقوق من غيره.

- أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه:

فإذا أراد أن ينتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره، فقد يرغب فى شرائها، وكذلك أى أرض أو عقار، وقد قال ﷺ: «من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره»[1]. وهذا أطيب لخاطره ولقلبه، وإذا فرط الناس فى هذا الأمر فإنهم يفتحون بابًا للمشاحنات والمنازعات والعداوات، فالله المستعان.

- ألا يمنع جاره من غرس خشبة فى جداره: إذا احتاج الجار إلى ذلك، فينبغى أن يسمح له بغرس هذه الخشبة، ولا يمنعه من الانتفاع بها، فقد قال ﷺ: «لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة فى جداره»[2]. ثم قال أبو هريرة: مالى أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم. أى لأصرحن ولأحدثن بها بينكم مهما ساءكم ذلك وأوجعكم[3]. ويفهم من الحديث كل مساعدة يحتاجها الجار ولا يترتب عليها ضرر لجاره، فالإسلام يحث على تقديمها.

- تعظيم حرمة الجار وعدم خيانته: لا بإفشاء سره، ولا بهتك عرضه، ولا بالفجور بأهله، فإنه من أقبح الكبائر قال ﷺ لما سئل: أى الذنب أعظم؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قيل: ثم أى؟ قال: أن تزانى حليلة جارك[4]، بل ينبغى أن يحفظه فى نفسه وماله وعرضه، حتى يأمنه جاره، فقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن - ثلاثًا - الذى لا يأمن جاره بوائقه»[5] أى غدره وخيانته[6]. ولذلك كان

(١) سنن ابن ماجة، رقم (٢٤٩٣)، صحيح ابن ماجة (٢٠٢٢).

(٢) البخارى، رقم (٢٤٦٣).

(٣) موسوعة الآداب الإسلامية (١/ ٣٠١).

(٤) مسلم، رقم (٨٦).

(٥) البخارى، رقم (٦٠١٦).

(٦) موسوعة الآداب الإسلامية (١/ ٣٠١).

الحسن بن على رضى الله عنه يوصى الناس فى مواعظه وخطبه بحسن الجوار والإحسان إلى الجار فقد قال: «وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا»[(١)].

د- قوله: وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً:

فالحسن رضى الله عنه يحث المسلمين على إنصاف الناس ومصاحبتهم بالعدل وعدم ظلمهم، فالإنصاف خصلة شريفة وخلة كريمة، يدل على نفس مطمئنة، وأفق واسع، ونظر فى العواقب بعيد، ويعرف بأنه، استيفاء الحقوق لأربابها[(٢)]، واستخراجها بالأيدى العادلة، والسياسة الفاضلة[(٣)].

وقال ابن القيم فى إنصاف الناس: أن تؤدى حقوقهم، وألا تطالبهم بما ليس لك، وألا تحملهم فوق وسعهم، وأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وأن تعوضهم مما تحب أن يعوضوك به، وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم به لنفسك أو عليها[(٤)].

الإنصاف والعدل توءمان نتيجتهما علو الهمة، وبراءة الذمة باكتساب الفضائل، واجتناب الرذائل[(٥)]، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإنصاف، ونهى أن يحملنا بغضنا للكفار على عدم الإنصاف، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. قال ابن تيمية - رحمه الله -: فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا فكيف إذا كان البغض لفاسق، أو مبتدع أو متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالمًا له[(٦)]. وقال ابن كثير - رحمه الله -: أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل، فإن العدل واجب على

(١) الحسن بن على، ص (٢٨) نور الأبصار، ص (١٢١).

(٢) أرباب: أصحاب، مفرد رب.

(٣) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص (٢٢٨).

(٤) زاد المعاد (٢/ ٤٠٧) بتصرف.

(٥) التوفيق على مهمات التعريف للمناوى، ص (٦٤).

(٦) الإستقامة (١/ ٣٨).

كل أحد فى كل أحد، وقال لبعض السلف: ما عملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه[1]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢] قال أبو عبيدة والفراء: أى لا يكسبنكم بغض قوم أن تعتدوا[2] الحق إلى الباطل، والعدل إلى الظلم[3].

فما أجمل أن يتحلى المرء بالإنصاف، فهو من صفات الربانيين الذين لا يرجون إلا الحق[4]. قال ابن القيم - رحمه الله -:

وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلق الردى بمذمة وهوان[5]

ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان

وتحل بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان[6]

وقال المتنبى

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة ... بين الرجال ولو كان ذوى رحم

ومن إنصاف العباد إنصافهم فى الأموال والمعاملات، والحجج والمقالات، وقد عاب الله سبحانه وتعالى الذين يبخسون الناس أشياءهم، وأوعدهم بالخسارة والهلاك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١- ٣]. قال ابن سعدى - رحمه الله -: دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذى له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل فى عموم هذه الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن واحداً منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه - أيضًا - أن يبين ما لخصمه

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٧).

(٢) عتدوا: تتجاوزاً.

(٣) تفسير القرطبى (٦/ ٤٥).

(٤) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص (٢٢٩).

(٥) الهوان: الخزى والعار.

(٦) الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب.

من الحجج التي لايعلمُها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه[1]، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه[2]. فما أجمل قول الحسن بن على رضى الله عنه: وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً[3].

هـ- قول الحسن رضى الله عنه: إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرًا ويبنون مشيدًا ويأملون بعيدًا أصبح جمعهم بورًا وعملهم غرورًا ومساكنهم قبورًا، يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجُد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالحسن رضى الله عنه يصف صنفًا من الناس منغمسًا في الدنيا وزينتها، مشغولاً بالجمع والبناء ومصابًا بمرض طول الأمل فهذا حال أغلب الناس إلا من رحم ربى، فإذا الموت يأتي بغتة، فلم ينتفعوا بما جمعوا، فأصبحت أعمالهم ضائعة، ومساكنهم خالية، فالحسن بن على رضى الله عنه يحذر الناس من الاغترار بهذه الدنيا ويحثهم على الزهد فيها، وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]. والقرآن يربى المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها، فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقد بين القرآن الكريم في كثير من المواضع أن الدنيا حقيرة لا يجب أن تشغل المرء عن طلب الآخرة منها قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ

---

(١) الإعتساف: أشد الظلم.

(٢) تفسير ابن سعدى، ص (٩١٥).

(٣) الحسن بن على، ص (٢٨).

﴿الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١، ٨]، أي أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها"[١]. وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يقول ابن آدم: مالى مالى، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت[٢]؟ وقال رسول الله ﷺ: يقول العبد: مالى مالى، وإنما له من ماله ثلاث، ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس[٣]. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[٤]، وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: يهرم ابن آدم وتبقى معه اثنتان: الحرص والأمل[٥]، وقال الأحنف بن قيس لما رأى فى يد رجل درهمًا: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لى، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته فى أجر، أو إبتغاء شكر، ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمال لك[٦]

وفى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أى: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ماذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته[٧]. وقال تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

---

(١) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين لأبى سعيد البعرى، ص (٩).

(٢) مسلم، رقم (٢٩٥٨).

(٣) مسلم، رقم (٢٩٥٩).

(٤) البخارى، رقم (٦٥١٤).

(٥) مسلم، رقم (١٠٤٧).

(٦) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص(١٠).

(٧) المصدر نفسه، ص(١٠).

قال ابن كثير - رحمه الله - : يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادى الشكور، وقال مجاهد: ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ يعنى: الأغنياء، فقد آتاك الله خيرًا مما آتاهم. ولهذا قال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ فكان ﷺ أزهد الناس فى الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا فى عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئًا قال: إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: بركات الأرض[1]. وقال قتادة والسدى: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ﴾ يعنى: زينة الحياة الدنيا. وقال قتادة: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبتليهم. وقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أى: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصبر أنت على فعلها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. وقوله: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾. يعنى: إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ولهذا قال: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، وقال الثورى: لا نسألك رزقًا: أى لا نكلفك الطلب. وقال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة[2]. وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة»[3]. وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أى: وحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة وهى الجنة لمن اتقى.. انتهى[4].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فأثر فى جنبه فلما استيقظ جعلت امسح عنه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا

(١) البخارى، رقم (٦٤٢٧).

(٢) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص (١١).

(٣) سنن ابن ماجة، رقم (٤١٠٥)، وصححه الألبانى صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٤) ففروا إلى الله، ص(٦٢) لأبى ذر القلمونى بتصرف.

فبسطنا شيئًا يقيك منه، فتنام عليه، فقال: مالى وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف، فقال تحت شجرة، ثم تركها[1]. وقد كان الصحابة رضى الله عنهم سائرين على نهج النبى ﷺ، فقد كانوا أزهد الناس وأرغبهم فى الآخرة، فنظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية، فتزودوا من الدنيا زاد الراكب ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم، فعلموا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم وأعينهم ولما علموا أنهم سيرتحلون منها بأبدانهم تعبوا قليلاً، وتنعموا كثيرًا، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم، فأحبوا ما أحب لهم، وكرهوا ما كره لهم، قال ابن مسعود رضى الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا خيرًا منكم، كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة، فكان فى التابعين من هو أكثر قيامًا وصيامًا وعبادة من الصحابة رضى الله عنهم، ولكن الصحابة رضى الله عنهم سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد واليقين، وصدق التوكل على الله عز وجل.

ولا شك فى أن الصحابة رضى الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله ﷺ، فقد كان النبى ﷺ يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة فى شهرين، ولا يوقد فى بيت من أبياته نار[2].

وأما قول الحسن بن على رضى الله عنهما: فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الأية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ففيها دعوة للتقوى، والالتزام بها، والتقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، والمطلوب من العبد أن يتعلق قلبه بالله وحده محبة له وإخلاصًا له فى عبادته ورغبة فيما عنده من نعيم أعده للمتقين، وخوفًا من سخطه وعقابه وعذابه، وللتقوى ثمار يحتاج إليها كل مسلم منها، المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب العبد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

---

(١) سنن الترمذى، رقم (٢٣٧٧) وصححه الألبانى صحيح الجامع، رقم (٥٦٦٨).

(٢) البخارى، رقم (٦٥٦٧) مسلم، رقم (٢٩٧٢).

ومنها: تيسير العلم النافع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ومنها: إطلاق نور البصيرة، قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، ومنها: محبة الله عز وجل ومحبة ملائكته والقبول في الأرض، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانًا فأحبه. فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»[(١)]. ومنها: نصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده: وهي المعية المقصودة بقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد وهي معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين، وهي تقتضي التأييد والحفظ والإعانة، كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون: ﴿لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وأما المعية العامة مثال قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨]: والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله عز وجل. ومنها: البركات من السماء والأرض قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. ومنها: البشرى في الحياة الدنيا، وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم، قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. والبشرى في الحياة ما بشر الله المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه، وعن النبي ﷺ: الرؤيا الصالحة من الله[(٢)]. وعنه ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات،

---

(١) مسلم، ك البر والصلة، رقم (٦٩٣٧).

(٢) البخاري، ك الرؤيا، رقم (٦٩٨٦).

قالوا: وما المبشرات قال: الرؤيا الصالحة»[1]. وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس، فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن[2]. وقد رأينا من الموفقين ثناء الناس على أعمالهم فى الدنيا. ومنها: الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[3]. ومنها: حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]. وفى الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى فى سائر شئونهم حتى تحفظ أبناؤهم ويدخلون تحت حفظ الله وعنايته، ويكون فى إشعارها تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون فى ذريتهم الضعاف كما فى الآية: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما فى أنفسهما ومالهما[4]، ومنها: سبب قبول الأعمال التى بها سعادة العباد فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. ومنها: سبب النجاة من عذاب الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٧، ١٨]. ومنها: تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار، وعظم الأجر، وهو سبب الفوز بدرجة الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

(١) البخارى، رقم (٦٩٩٠).

(٢) مسلم، (٤/ ٢٠٣٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٩).

(٤) محاسن التأويل للقاسمى (٥/ ٤٧).

ومنها ميراث الجنة، فهم أحق الناس بها وأهلها، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٣]، فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عز وجل، وهم لا يذهبون إلى الجنة سيرًا على أقدامهم بل يحشرون إليها ركبانًا مع أن الله عز وجل يقرب إليهم الجنة تحية لهم ودفعًا لمشقتهم كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٣١] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

فالحسن رضى الله عنه يحث المسلمين على التقوى حرصًا منه على أن ينال المسلمين هذه الثمار فى الدنيا والآخرة، ولذلك قال: فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾(١) [البقرة: ١٩٧].

(١) الحسن بن على ص٢٨، نور الأبصار ص١٢١.

المبحث الثالث

من أهم الشخصيات فى خلافة الحسن بن على

كانت الظروف التى أعقبت وفاة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه صعبة ومعقدة، إذ لازالت الحرب قائمة مع معاوية بن أبى سفيان، وفى هذه الظروف بايع أهل الكوفة الحسن بن على رضى الله عنه بالخلافة عام ٤٠هـ/ ٦٦٠م، ولذلك لم يكن لدى الحسن رضى الله عنه متسع من الوقت لإجراء تغييرات إدارية، أو تغيير الولاة، فأقر عمال أبيه على ولاياتهم، عدا الكوفة، فقد ولى عليها المغيرة بن نوفل[١] بعد ما سار إلى معاوية بدلاً من واليها السابق هانى ابن النخعى[٢]، أما على المدائن، فقد استمر سعد بن مسعود الثقفى عاملاً عليها[٣]، وقد كان عاملاً للخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه على ذات المدينة[٤]، وقد استبقاه الحسن إبان خلافته واستمر يشغل منصبه الإدارى إلى نهاية عهد الحسن بن على رضى الله عنه وتنازله لمعاوية، أما على البصرة فقد جاء فى بعض الروايات، بأن عبد الله بن عباس كان واليًا عليها من قبل الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه وبقى عليها لغاية عقد الصلح مع معاوية بن أبى سفيان، ثم خرج من البصرة معتزلاً السياسة قاصدًا مكة المكرمة[٥]، متفرغًا للعلم والتعليم، أما ولاية فارس فقد كانت لزياد بن سفيان[٦]، وكان على رضى الله عنه قد بعثه إلى فارس لتأديب بعض المتمردين بها، فظفر بهم وتمكن من القضاء عليهم[٧]، ثم ولاه بعد ذلك على فارس فاستمرت ولايته لغاية عقد الصلح مع

---

(١) التبيين فى أنساب القرشيين، ص: (٨٠، ٨١).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، نقلاً عن الحسن بن على، فتيخان، ص (٨٥).

(٣) أنساب الأشراف (٥/ ٢١٤)، نهاية الأرب (٢/ ٢٦٦).

(٤) التاريخ الكبير للبخارى (٤/ ٥٠).

(٥) الحلة السيراء للقضاعى نقلاً عن الحسن بن على، ص (٨٦).

(٦)، (٧) الحسن بن على، ص (٨٦).

معاوية[1]، كما أبقى الحسن رضى الله عنه العمال أنفسهم الذين كانوا يعملون لوالده الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقد استبقى عبيد الله بن أبى رافع كاتبًا[2]، وكذلك استبقى شريح بن الحارث قاضى الكوفة[3]، وأبقى معقل ابن قيس الرياحى على الشرطة[4]، وكان من أهم شخصيات عهد خلافته، شقيقه الحسين بن على رضى الله عنه، وهذا سنفرد له كتابًا خاصًا به بإذن الله تعالى، ومن أهم شخصيات عهده أيضًا قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى، وقد رأيت أن أترجم للشخصيات الثلاث الأخيرة.

أولاً: قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه:

هو قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب، الأمير المجاهد، أبو عبد الله سيد الخزرج وابن سيدهم أبى ثابت، الأنصارى الخزرجى الساعدى، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه[5]، كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوى الرأى الصائب والمكيدة فى الحرب، مع النجدة والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم[6]، له عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ منها، عن أبى ليلى قال: كان سهل بن حُنيف، وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمرت بهما جنازة فقاما، فقيل؛ إنما هو من أهل الأرض فقالا: إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل: إنما هى جنازة يهودى، فقال: أليست نفسًا[7].

وفى هذا الحديث تكريم الإنسان من حيث هو إنسان، وعن أبى عمار، عن قيس بن سعد قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم عاشوراء قبل أن ينزل رمضان،

---

(١) مروج الذهب (٣/ ١٥)، الحسن بن على، ص (٨٦).

(٢) محاضرة الأبرار، لابن العربى (١/ ٦٦)، الحسن بن على، ص (٨٧).

(٣) مختصر التاريخ لابن الكمازرونى، ص (٨٠).

(٤) نهاية الأرب (٥/ ٢٢٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).

(٦) أسد الغابة (٤/ ٤٥٠).

(٧) البخارى، رقم (١٣١٢).

فلما نزل رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا، ونحن نفعله[١]، وعن محمد بن شرحبيل، عن قيس بن سعد قال: أتانا رسول الله ﷺ فوضعنا له ماء فاغتسل، ثم أتيناه بملحفة ورسية، فالتحف بها، فكأنى أنظر إلى أثر الورسى على عُكنة[٢]، روى عنه أنس، وثعلبة بن أبى مالك، وأبو ميسرة، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وعروة[٣]، وعبد الله بن مالك الجيشانى وأبو عمار الهمدانى، وميمون بن أبى شيب، وعريب بن حميد الهمدانى، والوليد بن عبده وآخرون[٤]، وقد حدث قيس بن سعد بالكوفة والشام ومصر[٥]، كان قيس ضخمًا حسنًا طويلاً إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض[٦]، وكانت أمه بنت عم أبيه واسمها فكيهة بنت عبيد ابن دُليم[٧]، وكان موقعه من رسول الله ﷺ، كصاحب الشرطة من الأمير، وحمل لواء الرسول ﷺ فى بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة[٨]، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد[٩]، وشارك فى بعض السرايا منها:

١- سرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى سيف البحر:

تعتبر سرية أبى عبيدة رضى الله عنه إلى سيف البحر، استمرارًا لسياسة النبى ﷺ العسكرية ولإضعاف قريش ومحاصرتها اقتصاديًا على المدى الطويل، فقد بعث ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى ثلاثمائة راكب قبل الساحل ليرصدوا عيرًا لقريش، وعندما كانوا ببعض الطريق فنى الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان قدر مزود تمره يأكلون منه كل يوم قليلاً، حتى كان أخيرًا نصيب الواحد منهم تمرة واحدة، وقد أدرك الجنود صعوبة الموقف فتقبلوا هذا الإجراء بصدور رحبة دون تذمر أو ضجر، بل إنهم ساهموا فى خطة قائدهم التقشفية

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٤٢٢).

(٢) العكن جمع عكنة وهى الطى فى البطن من السمن، تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٧١).

(٣) الإصابة (٥/ ٣٦١).

(٤)، (٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).

(٦)، (٧) الإصابة (٥/ ٣٦٠).

(٨) البداية والنهاية (١١/ ٣٥٤).

(٩) الإصابة (٥/ ٣٦١، ٣٦٠).

فصاروا يحاولون الإبقاء على التمرة أكبر وقت ممكن[1]، يقول جابر رضى الله عنه أحد أفراد هذه السرية: كنا نمصها كما يمص الصبى ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل[2]، وقد سأل وهب بن كيسان جابرًا رضى الله عنه: ما تغنى تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت[3]، وقد اضطر ذلك الجيش إلى أكل ورق الشجر، قال جابر رضى الله عنه: وكنا نضرب بعصينا الخبط[4]، ثم نبله بالماء فنأكله[5]، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط[6]، وقد أثر هذا الموقف فى قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه وكان من أحد جنود هذه السرية، فنحر للجيش ثلاث جزائر[7]، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نهاه[8]، وقد جاء ما فعله قيس بن سعد من كرم وجود مفصلاً فى تاريخ ابن عساكر، فعن داود بن قيس، وإبراهيم بن محمد الأنصارى وخارجة بن الحارث، قالوا: بعث ﷺ أبا عبيدة فى سرية فيها المهاجرون والأنصار، ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر، إلى حين، فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد: من يشترى منى تمرًا بجزر، يوفينى الجزر ههنا وأوفيه التمر بالمدينة، . . . فوجد رجلاً من جهينة فقال قيس: بعنى جزرًا أوفيك وسقة من تمر المدينة، قال الجهنى: والله ما أعرفك، فمن أنت؟ قال: أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم. قال الجهينى: ما أعرفنى بنسبك، وذكر كلامًا، فابتاع منه خمس جزائر، كل جزور بوسق من تمر، فشرط عليه البدوى تمر دخرة مصلبة من تمر آل دُليم، يقول قيس: نعم، قال: فأشهد له نفرًا من الأنصار، ومعهم نفر من المهاجرين، قال قيس: أشهد من تحب، فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب، قال عمر: ما أشهد، هذا يدين ولا ماله إنما المال

---

(1) السرايا والبعوث النبوية، ص (118).

(2) شرح النووى على مسلم (13/ 84).

(3) فتح البارى (8/ 77).

(4) الخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها واسم الورق الساقط: خبط.

(5) شرح النووى (13/ 84).

(6) فتح البارى (8/ 78).

(7) جمع جزور، والجزور: البعير، أو خاص بالناقة.

(8) فتح البارى (8/ 78).

لأبيه، قال الجهينى[1]: والله ما كان سعد ليخنى بابنه فى وسقة من تمر، وأرى وجهًا حسنًا وفعالاً شريفًا. . . وأخذ قيس الجزر فنحرها لهم فى مواطن ثلاثة كل يوم جزورًا، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره، وقال: تريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك[2]، وجاء فى رواية أخرى: . . . . أقبل أبو عبيدة ومعه عمر، فقال: عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك؟ قال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل، ويطعم فى المجاعة لا يقضى عنى وسقة من تمر لقوم مجاهدين فى سبيل الله، فكاد أبو عبيدة أن يلين له وجعل عمر يقول: اعزم فعزم عليه وأبى أن ينحر، وبقيت جزوران، فقدم بهما قيس المدينة ظهرًا يتعاقبون عليهما، وبلغ سعدًا فقال: ما صنعت فى مجاعة القوم؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟، قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نُهيت، قال: من نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميرى، قال: وثم؟ قال: زعم أنه لا مال لى، وأن المال لأبيك، فقلت: أبى يقضى عن الأباعد،ويحمل الكل، ويطعم الطعام فى المجاعة ولا يصنع هذا بى، قال: فلك أربع حوائط أدناها حائط منه تجد خمسين[3] وسقًا، وقدم البدوى مع قيس فأوفاه وسقته وحمله وكساه. وجاء فى رواية أن الأعرابى قال: والله ما مثل أبيك ضيعت ولا تركت بغير مال، فأبوك سيد من سادات قومك، نهانى الأمير أن أبيعه، فقلت: لم؟ قال: لا مال له، فلما انتسب عرفته وتقدمت لما أعرف أنك تسمو إلى معالى الأخلاق وجسيمها، وإنك غير مدبر، ولا معرفة لديك، فأعطى ابنه يومئذ أموالاً عظامًا[4]. وفى هذه القصة قيم ودروس وعبر كثيرة منها:

أ- ضرورة الصبر لأصحاب الدعوة لأنهم سيمرون بمشاق عظيمة.

ب- أهمية تربية الأبناء على الكرم والمروءة ومكارم الأخلاق، وهذا واضح فى تربية سعد لابنه قيس وإعطاؤه الأموال العظيمة تشجيعًا له للمضى فى طريق المروءة والكرم.

---

(١) أى يسلمه ويخفر ذمته.

(٢)، (٣)، (٤) تاريخ ابن عساكر (٥٢/ ٢٨٠).

جـ- أهمية وجود المال الصالح للعبد الصالح فلو لم يكن لسعد مال كثير لم يستطع قيس المساهمة فى حل أزمة المجاعة.

د- وكان قيس بن سعد رضى الله عنه يقول: اللهم هب لى حمدًا ومجدًا، لا مجدًا إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحنى إلا القليل[١].

٢- فى فتح مكة:

دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[٢]، وهو واضع رأسه تواضعًا لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، ودخل وهو يقرأ سورة الفتح[٣]، مستشعرًا بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز[٤]،وعندما دخل مكة فاتحًا - وهى قلب جزيرة العرب ومركزها الروحى والسياسى - رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة، والتواضع والخضوع، فأردف أسامة بن زيد[٥]، وهو ابن مولى رسول الله ﷺ ولم يردف أحدًا من أبناء بنى هاشم وأبناء أشراف قريش وهم كثير، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة ثمان من الهجرة[٦]، وقد حرص النبى ﷺ على تأمين الجبهة الداخلية فى مكة عند دخوله يوم الفتح، ولذلك عندما بلغه مقولة سعد بن عبادة لأبى سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم نستحل الكعبة، قال ﷺ: «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة»[٧]، وأخذ الراية من سعد بن عبادة وسلمها لابنه قيس بن سعد، وبهذا التصرف الحكيم حال دون أى احتمال لمعركة جانبية هم فى غنى عنها، وفى نفس الوقت لم يُثره، ولا أثار الأنصار، فهو لم يأخذ الراية من أنصارى ويسلمها لمهاجر، أو أنصارى آخر بل أخذها من أنصارى وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر أن لا يرضى الإنسان بأن

---

(١) تاريخ ابن عساكر: (٥٢/ ٢٨٤).

(٢) مسلم، رقم (١٣٥٨).

(٣) البخارى، رقم (٤٢٨١)، ك المغازى.

(٤) صور وعبر من الجهاد النبوى فى المدينة، ص (٣٩٦).

(٥) البخارى، رقم (٤٢٨٩).

(٦) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى، ص (٣٣٧).

(٧) البخارى، ك المغازى، (٥/ ١٠٨)، رقم (٤٢٨٠).

يكون أحد أفضل منه إلا ابنه[١]. وفى هذه الحادثة تظهر حكمة النبى ﷺ فى كيفية تصحيح الخطأ وأسلوبه فى التعامل مع النفوس، فلم يترك خطأ سعد يمر، وفى نفس الوقت راعى نفسيته، فصحح خطأ سعد وأعطى الراية ابنه.

٣- فى عهد الصديق رضى الله عنه:

كانت أواصر النسب بين الصديق وقيس بن سعد بن عبادة من القوة بمكان، فقد تزوج قيس رضى الله عنه قريبة بنت أبى عتيق أخت أبى بكر الصديق[٢]، وقد ذكر ابن عبد البر خبراً حكم عليه بالصحة حيث قال: توفى - سعد بن عبادة - عن حمل لم يعلم به، فلما وُلد - وقد كان سعد رضى الله عنه قسم ماله فى حين خروجه من المدينة بين أولاده - فكلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فى ذلك قيساً، وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القسمة، فقال: نصيبى للمولود، ولا أغير ما صنع أبى ولا أنقصه - خبر صحيح من رواية الثقات[٣]، وهذا الخبر الصحيح يبين بطلان الرواية الباطلة التى تنسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصرة وجهاد وإيثار للمهاجرين والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إلى سعد بن عبادة من قول: لا أبايعكم حتى أرميكم بما فى كنانتى، وأخضب سنان رمحى، وأضرب سيفى، فكان لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع بجماعتهم ولا يقضى بقضائهم، ولا يفيض بإفاضتهم، حتى هلك أبو بكر[٤]، فقد استغلت هذه الرواية الباطلة للطعن بوحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوتهم، فالراوى صاحب هوى وهو إخبارى تالف لا يوثق به[٥] ولا سيما فى المسائل الخلافية وهو لوط بن يحيى أبو مخنف متروك، ولم يعتد بأبى مخنف ويعتبر بروايته ويعتمد عليها سوى الشيعة، فقد كان من أعظم

(١) قيادة الرسول السياسية والعسكرية، ص (١٩٦).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٣٥٥).

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٢٨٩).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٢) لا يفيض بإفاضتهم: أى فى الحج.

(٥) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٣/ ٢٩٩٢).

مؤرخى الشيعة على قول ابن القمى[1]، وزعمت رواية أخرى فى غاية الضعف بأن سعد عاش حتى عهد عمر حيث قالت: . . فلما ولى عمر، لقيه فقال: إيه يا سعد؟ فقال: إيه يا عمر؟ فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه؟ قال: نعم. وقد أفضى إليك هذا الأمر، وكان صاحبك والله أحب إلينا منك، وقد أصبحت كارهًا لجوارك، قال: من كره ذلك تحول عنه. فلم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل إلى الشام. فمات بحوران[2].

إن الرواية الصحيحة تبين بأن سعد بن عبادة مات فى خلافة الصديق كما مر معنا، كما أن سعد بن عبادة رضى الله عنه بايع أبا بكر بالخلافة فى أعقاب النقاش الذى دار فى سقيفة بنى ساعدة إذ أنه نزل عن مقامه الأول فى دعوى الإمارة وبايع للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصارى أول من بايع الصديق رضى الله عنهم فى اجتماع السقيفة، ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات، لا بسيطة ولا خطيرة، ولم يثبت أى انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع فى الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هى، بل ازدادت توثقًا كما يثبت ذلك النقل الصحيح، ولم يثبت النقل الصحيح تآمرًا حدث بين أبى بكر وعمر وأبى عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ[3]، فهم كانوا أخشى لله وأتقى أن يفعلوا ذلك[4]، وقد حاول بعض الكُتَّاب من المؤرخين من أصحاب الأهواء أن يجعلوا من السيد الكبير الشريف، أبو قيس الأنصارى الخزرجى الساعدى المدنى، النقيب سيد الخزرج[5] سعد بن عبادة رضى الله عنه منافسًا للمهاجرين يسعى للخلافة بالشر، ويدبر لها المؤامرات ويستعمل فى الوصول إليها كل أساليب التفرقة بين المسلمين. هذا الرجل -الذى هو والد قيس- إذا راجعنا تاريخه وتتبعنا مسلكه، وجدنا مواقفه مع الرسول ﷺ تجعله من الصفوة

---

(١) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: د. يحيى اليحيى، ص (٤٥، ٤٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٧) إسنادها فى غاية الضعف لأن الواقدى متروك، ومحمد بن صالح التمار صدوق يخطئ، والزبير بن منذر مستور.

(٣) استخلاف أبو بكر - جمال عبد الهادى، ص (٥٠ - ٥٣).

(٤) أبو بكر الصديق، للصلابى، ص (١٤٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٠).

الأخيار الذين لم تكن الدنيا أكبر همهم، ولا مبلغ علمهم، فهو النقيب فى بيعة العقبة الثانية حتى لجأت قريش إلى تعقبه قرب مكة وربطوا يديه إلى عنقه وأدخلوه مكة أسيرًا حتى أنقذه منهم جبير بن مطعم بن عدى حيث كان يجيرهم فى المدينة وهو من الذين شهدوا بدرًا[1]، وحظى بمقام أهل بدر ومنزلتهم عند الله، وكان من بيت جود وكرم وشهد له ذلك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يعتمد عليه - بعد الله - وعلى سعد بن معاذ كما فى غزوة الخندق عندما استشارهم فى إعطاء ثلث ثمار المدينة لعيينة بن حصن الفزارى، فكان رد سعد بن عبادة يدل على عمق الإيمان وكمال[2] التضحية. فمواقف سعد مشهورة ومعلومة، فهذا الصحابى الجليل صاحب الماضى المجيد فى خدمة الإسلام والصحبة الصادقة لرسول الله لا يثبت ولا يعقل أنه كان يريد أن يحيى العصبية الجاهلية فى مؤتمر السقيفة لكى يحصل فى غمار هذه الفرقة على منصب الخلافة، كما أنه لم يثبت ولم يصح ما ورد فى بعض المراجع من أنه - بعد بيعة أبى بكر - كان لا يصلى بصلاتهم ولا يفيض فى الحج بإفاضتهم[3]، كأنما انفصل سعد بن عبادة رضى الله عنه عن جماعة المسلمين[4]، فهذا باطل ومحض إفتراء، فقد ثبت من خلال الروايات الصحيحة أن سعدًا بايع أبا بكر، فعندما تكلم أبو بكر يوم السقيفة، فذكر فضل الأنصار وقال: ولقد علمتم أن رسول الله قال: لو سلك الناس واديًا، وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادى الأنصار أو شعب الأنصار[5]. ثم ذكر سعد بن عبادة بقول فصل وحجة لا ترد فقال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم.

قال سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[6]، فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد[7]، وبهذا تثبت بيعة سعد بن عبادة، وبها يتحقق إجماع الأنصار على بيعة

---

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (٢/ ٥٩٤).

(٢) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوى، ص (٤٨).

(٣)، (٤) المصدر نفسه، ص (٤٩).

(٥) البخارى، ك التمنى - رقم (٧٢٤٤).

(٦) السلسلة الصحيحة، رقم (١١٥٦)، مسند أحمد، رقم (١٨).

(٧) الأنصار فى العصر الراشدى، ص (١٠٢)، تاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٣).

الخليفة أبى بكر، ولا يعود أى معنى للترويج لرواية باطلة، بل سيكون ذلك متناقضًا للواقع واتهامًا خطيرًا أن ينسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصرة وجهاد، وإيثار للمهاجرين، والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إليه من قول ثبت بطلانه. وقد بينا أن إسناده فى غاية الضعف، وأما متنه فهو يناقض سيرة سعد بن عبادة! وما فى عنقه من بيعة على السمع والطاعة ولما روى عنه من فضائل[1]. هذا وقد كان لسعد وصية أوصى بها ابنه جاء فيها: يا بنى أوصيك بوصية فاحفظها، فإن أنت ضيعتها فأنت لغيرها من الأمر أضيع، إذا توضأت فأتم الوضوء، ثم صل صلاة امرئ مودع يرى إنك لا تعود، وأظهر اليأس من الناس، فإنه غنى، وإياك وطلب الحوائج إليهم فإنه فقر حاضر، وإياك وكل شيء يعتذر منه[2].

٤- فى عهد على رضى الله عنه:

استشهد عثمان رضى الله عنه وعلى مصر محمد بن أبى حذيفة مغتصبًا للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علىّ على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشًا إلى نواحى مصر فظفر بمحمد بن أبى حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل[3]، وقد ذكر أن عليًا لم يعين محمد بن أبى حذيفة على مصر وإنما تركه على حاله حتى إذا قتل عين علىّ قيس بن سعد الأنصارى على ولاية مصر[4]، فقال له: سر إلى مصر وليتكها واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله. فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن[5]، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه فى العديد من المواقف؛ فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا فى قتله، ولقد لقيته

---

(١) الأنصار فى العصر الراشدى؟ ص (١٠٢، ١٠٣).

(٢) تاريخ ابن عساكر (٢٢/ ١٨١).

(٣) ولاة مصر للكندى، ص (٤٢، ٤٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٩).

(٤) ولاة مصر، ص (٤٤)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٤).

(٥) الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٥٤).

خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فألة عثمان، فأنا أطلب من أوى إليه فانتصر به لله، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض فمضى حتى دخل مصر[1]، وهذا الموقف الذى لقيس هو الذى مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه علىّ إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميرًا على الشام[2]، وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب فى أهل مصر، وقرأ عليهم كتابًا من على ابن أبى طالب رضى الله عنه وطلب البيعة لعلى[3]، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين فريق دخل فى بيعة على وبايعوا قيسًا، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس ابن سعد حكيمًا مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم فى حالهم[4]، ولم يكتف بذلك بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم فى مكان اعتزالهم، ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم[5]، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالى ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم أمور الخراج وعين رجالات على الشرطة[6]، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضى جميع الأطراف فيها[7]، وأصبح قيس بن سعد فى هذا الموقع يشكل ثقلاً سياسيًا وخطرًا عسكريًا على معاوية بن أبى سفيان فى الشام، ونظرًا لقرب مصر من الشام ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم ودهاء، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئة له تخرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد فى مصر مهددًا له، وفى الوقت نفسه يحاول إغراءه

---

(١) الفألة: الجماعة المنهزمون، لسان العرب (١١/ ٥٣١).

(٢) الولاية على البلدان (٢/ ١٠) نقلاً عن نهاية الأرب فى تاريخ العرب للنويرى.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩).

(٤)، (٥) ولاة مصر، ص (٤٤).

(٦) الولاية على البلدان (٢/ ١١)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٨).

(٧) الولاية على البلدان (٢/ ١١).

بالانضمام إليه وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوى عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[1]، وقد انتشرت الروايات الشيعية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التى ذكرها أبو مخنف فى كتب التاريخ وهى باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضى التالف الذى ضعفه رجال الجرح والتعديل بها، وفى متن تلك الرواية الساقطة غرائب من أبرزها ما يلى:

أ- خطاب على إلى أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: ثم ولى بعدهما وال فأحدث أحداثًا فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا ثم نقموا عليه فغيروا، وهذا يعنى أن الذين قاموا على عثمان رضى الله عنه، رجال الأمة، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان، وعلى رضى الله عنه برئ من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك ومنها ما رواه ابن عساكر أن محمد بن الحنفية قال: ما سمعت عليًا ذاكرًا عثمان بسوء قط[2]، وأخرج الحاكم وابن عساكر أن عليًا رضى الله عنه قال: اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان. ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان وأنكرت نفسى، وجاؤونى للبيعة فقلت: والله إنى لأستحى من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة وإنى لأستحى من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألوننى البيعة، فقلت: اللهم إنى مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبى وانسكب[3] بعبرة، وقد أرسل الحسن والحسين رضى الله عنهما للدفاع عن عثمان رضى الله عنه وأقواله فى هذا المعنى كثيرة[4]، وقد جمعتها فى كتابى تيسير الكريم المنان فى سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان[5].

---

(١) الكامل (٢/ ٣٥٥)، الولاية على البلدان (٢/ ١١).

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص (٣٩٥).

(٣) المستدرك (٢/ ٣٥٥) صحيح على شرط الشيخين.

(٤) مرويات أبى مخنف د. يحيى اليحيى، ص (٢١١).

(٥) عثمان بن عفان، للصلابى، ص (٤٠٧ - ٤٠٩).

ب- قول قيس بـن سعد: أيها الناس إنا قـد بايعنا خير ما نعلم بعـد نبينا ﷺ وهذا مردود، إذ أن الثـابت تفضـيل أبى بكر وعمر رضى الله عنهـما، على بقـية الصحابة وعلى عليٍّ رضى الله عنه كمـا صح عن على نفسه أنه صرح بذلك وهذا لا يشك فيه أحد فى ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعـد رضى الله عنه ولا لغيره من الصحابة، ولم يشـتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين[1]، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبى بكر وعمر[2]، والأدلة فى تفضيل أبى بكر وعمر كـثيرة منها ما رواه ابن عـمر رضى الله عنهـما قـال: كنا نخيـر بين الناس فى زمن النبى ﷺ، فنخير أبا بكر ثـم عمر بن الخطاب ثم عثمـان بن عفان[3]، والأحاديث فى ذلك كثيرة[4]، ومشهورة وحقيقة الأمر كما مر معنا فى الروايات. الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين على به.

جـ- رسالة معاوية إلـى قيس بن سعد: وإشارته فيهـا إلى كون على طرفًا فى قتل عـثمان، وهذا لا يصح صدوره مـن معاوية، ذلك أن الأمر واضح فـيه براءة على رضى الله عنه كمـا فى الفقرة السـابقة وهذا لا يجهله مـعاوية رضى الله عنه فضلاً أن يُقره لقـيس بن سعد رضى الله عنهما، وهذا محمد بن سـيرين من كبار التابعين ومن الذين عاصـروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثـمان وما أعلم أحدًا يتهم عليًـا فى قتله[5]، ويقول أيضًـا: لقد قتل عثـمان يوم قتل وإن الدار يومـئذ لغاصة، فيـهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحـسن بن على فى عنقه السيف، ولكن عثمان عـزم عليهم أن لا يقاتلوا[6]، وأخرج ابن أبى شيبـة بسند رجاله ثقات عن محـمد بن الحنفـية أن عليًـا قال: لعن الله قتلة عـثمـان فى السهل والجـبل والبر

---

(١) مرويات أبى مخنف، ص (٢١١).

(٢) منهاج السنة (١/ ١١١).

(٣) البخارى، رقم (٣٦٩٧).

(٤) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٢).

(٥) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص (٣٩٥)، مرويات أبى مخنف، ص (٢١٢).

(٦) تاريخ ابن عساكر، ص (٣٥٠).

والبحر[١]، والنصوص الصحيحة فى هذا المعنى كثيرة جدًا[٢]، مما يؤكد اشتهار كراهية على رضى الله عنه لقتل عثمان[٣].

د- وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار فى دم عثمان فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذى قام بالدفاع جميعًا هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت رضى الله عنه جاء إلى عثمان رضى الله عنه وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا[٤].

هـ- ما ذكره من اختلاق معاوية كتابًا على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذى لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التى يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبى سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخارى فى قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من يأثرون على كذبًا لكذبت عنه[٥]، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى. ولا يقول قائل: هذه خدعة، والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب، كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية رضى الله عنه أحذق من أن يفعل هذا[٦].

و- رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلى رضى الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها.

يقول الدكتور يحيى اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما على مصر من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أمر مجمع

---

(١) المصنف (١٥/ ٢٦٨).

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص (٣٩٥).

(٣) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٣).

(٤) الطبقات (٣/ ٧٠) سنده صحيح.

(٥) البخارى، رقم (٧).

(٦) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٤).

عليه[1]، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل[2] - أى التى ذكرها أبو مخنف فى روايته - وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك[3]، هذا وقد نقل رواية أبى مخنف من الطبرى بعد حذف واختصار كل من: ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغرى بردى[4]، وقد أخرج الكندى أيضًا عن عبد الكريم الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بنى أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيرًا واكتموا ذلك، فإنى أخاف أن يعزله على إن بلغه ما بينه. وبين شيعتنا حتى بلغ عليًا فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدل قيس وتحول، فقال على: ويحكم إنه لم يفعل، فدعونى، قالوا لتعزله فإنه بدل، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إنى قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك وأقدم[5]، وقد رجح هذه الرواية الدكتور اليحيى فى كتابه القيم مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى قال:

- أنها من رواية مصرى ثقة وهو أعلم بقطره من غيره.
- أخرجها مؤرخ مصرى.
- خلوها من الغرائب.
- متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.
- بينت تردد على فى عزل قيس حتى ألح عليه الناس، فاستبقاه عنده وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن[6].

هذا وقد تدخل بعض الناس للإفساد بين على وقيس بن سعد لكى يعزله وفى نهاية المطاف طلب بعض مستشارى على منه أن يعزل قيسًا وصدقوا تلك الإشاعات التى قيلت فيه، وألحوا فى عزله، فكتب إليه على: إنى قد احتجت إلى

(١) تاريخ خليفة، ص (٢٠١)، فتوح مصر، ص (٢٧٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢)، تاريخ بغداد (١/ ١٧٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).
(٣) النجوم الزاهرة (١/ ٩٧)، البداية والنهاية (٧/ ٢٥١).
(٤) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٠).
(٥) ولاة مصر، ص (٤٥، ٤٦) وفيها المدائنى وهو صدوق وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.
(٦) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٠).

قربك فاستخلف على عملك وأقدم[1]. كان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين على مكانه الأشتر النخعى[2]، على أكثر الأقوال، وقد التقى على بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك اخرج رحمك الله، فإنى إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك فأخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ واعزم بالشدة حين لا يغنى عنك إلا الشدة[3]، وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه إلا أنه حينما وصل إلى أطراف بحر القلزم - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل إنه سقى شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[4]، والتهمة الموجهة إلى معاوية فى قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح واستبعد ذلك ابن كثير[5]، وابن خلدون[6]، وسار على نهجهم الدكتور يحيى اليحيى[7]، وملت إلى هذا القول، هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله فى مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلى بن أبى طالب، وقد ولى بعده على مصر محمد بن أبى بكر[8]، وقد سبق لمحمد بن أبى بكر أن عاش فى مصر قبل أن يغادرها الوالى الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبى بكر قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصًا فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا عليًا بعده وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزله وإياى بمانعى أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا عليًا ولا غيره - على ما هم عليه، فإن أتوك، فاقبلهم وإن

---

(١) ولاة مصر، ص (٤٥، ٤٦).

(٢) فتوح البلدان، ص (٢٢٩)، الولاية على البلدان (٢/ ١٢).

(٣) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٣).

(٤) المصدر نفسه (١/ ١٠٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ٣٠٣).

(٦) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١١٢).

(٧) مرويات أبى مخنف، ص (٢٢٤).

(٨) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٦).

تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم، وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فإن هذا لا ينقصك[1]. ثم رجع قيس إلى المدينة وبعدها التحق بأمير المؤمنين على رضى الله عنه بالكوفة وشهد معه معركة صفين وهو القائل يومها:

هذا اللواء الذى كُنا نحف به ... مع النبى وجبريل لنا مدد

ما ضر من كانت الأنصار عيبته[2] ... أن لا يكون له من غيرهم أحد

قوم إذا حاربوا طالت أكُفُهمُ ... بالمشرفية حتى يفتح البلد[3]

وبقى مع أمير المؤمنين على حتى قتل. فصار مع الحسن فى مقدمته إلى معاوية، فلما بايع الحسن معاوية - وسيأتى تفصيلها بإذن الله - دخل قيس فى بيعة معاوية، وعاد إلى المدينة[4]، وأقبل على العبادة[5].

٥- قول قيس: إنا لا نعود فى شىء أعطيناه[6]:

عن موسى بن أبى عيسى أن رجلاً استقرض من قيس بن سعد بن عبادة ثلاثين ألفًا، فلما ردها عليه أبى أن يقبلها وقال: إنا لا نعود فى شىء أعطيناه[7].

٦- قول قيس: لقد سألت فأحسنت[8]:

جاءت عجوز إلى قيس بن سعد بن عبادة قد كان يعرفها، فقال لها: كيف أنت؟ فقالت: أحمد الله إليك ما فى بيتى فأرة تدب، فقال: لقد سألت فأحسنت، لأملان عليك بيتك فأرًا، فأمر لها بدقيق كثير وزيت وما يحتاج إليه معها وانصرفت[9]. وقد ذكرها ابن عبد البر وقال: مشهورة صحيحة[10].

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٢٢/ ١٨١).

(٢) عيبة الرجل: موضع سره.

(٣) المشرفية: سيوف منسوبة إلى المشارف وهى قرى من أرض اليمن.

(٤) أسد الغابة (٤/ ٤٥٢).

(٥) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٠).

(٦)، (٧) المصدر نفسه (٣/ ١٢٩١)

(٨)، (٩) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٦).

(١٠) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٢).

٧- حال الرجل الذى تمنى قيس أن يعمل مثله(١):

قال قيس بن سعد: تمنيت أن أكون فى حال رجل رأيته، أقبلنا من الشام، فإذا نحن بخباء، فقلنا: لو نزلنا ههنا فإذا امرأة فى الخباء، فلم نلبث أن جاء رجل بذود له، فقال لامرأته: من هؤلاء؟ فقالت: قوم نزلوا بك، فجاء بناقة فضرب عرقوبيها ثم قال: دونكم، وقال: يا هؤلاء انحروها، قال: فنحرناها فأصبنا من أطايبها، فلما كان من الغد جاءنا بأخرى، فضرب عرقوبيها، وقال: يا هؤلاء انحروها، قال: فنحرناها، فقلنا: اللحم عندنا كما هو قال: إنا لا نطعم أضيافنا الغاب، قال: فقلت لأصحابى: إن هذا الرجل إن أقمنا عنده لم يبق عنده بعير، فارتحلوا بنا، وقلت لقيمى: اجمع ما عندك، قال: ليس إلا أربع مائة درهم، قلت: هاتها، وهات كسوتى، فجمعناها فقلت: بادروه، فدفعناه إلى امرأته، ثم سرنا، فلم نلبث أن رأينا شخصًا، فقلت: ما هذا؟ قالوا: لا ندرى، فدنا، فإذا رجل على فرس يجر رمحه، فإذا صاحبنا، فقلت: وأسوأتاه استقل والله ما أعطيناه، قال: فدنا، فقال: دونكم متاعكم، فخذوه فقلت: والله ما كان إلا ما رأيت، ولقد جمعنا ما كان عندنا، قال: إنّى والله لم أذهب حيث تذهبون، فخذوه، قلنا: فلا نأخذه، قال: والله لأميلنّ عليكم برمحى ما بقى منكم رجل أو تأخذونه، قال: فأخذناه فولىّ وقال: إنّا لا نبيع القِرَى(٢)، أى الضيافة.

٨- أسخى الناس هل قيس بن سعد، أم عبدالله بن جعفر، أم عرابة الأوسى؟

امترى ثلاثة فى الأجواد، فقال رجل: أسخى الناس عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وقال آخر: أسخى الناس فى عصرنا هذا قيس بن سعد بن عبادة، وقال الثالث: أسخى الناس عرابة الأوسى، فتلاحوا وأفرطوا وكثر ضجيجهم فى ذلك بفناء الكعبة، فقال لهم رجل: قد أكثرتم، فلا عليكم يمضى كل منكم إلى صاحبه، يسأله حتى ينظر ما يعطيه، ونحكم على العيان، فقام صاحب عبد الله بن جعفر، فصادفه وقد وضع رجله فى غرز راحلته، يريد ضيعة له، فقال له: يا ابن عم رسول الله ﷺ، قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فأخرج

---

(١)، (٢) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٥).

رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستو على الناقة، وخذ ما فى الحقيبة، ولا تحد عن السيف، فإنه من سيوف على بن أبى طالب وامض لشأنك، قال: فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطاوف خزّ، وفيها أربعة آلاف دينار، وأعظمها وأجلها خطراً السيف.

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فلم يصادفه وعاد، فقالت له الجارية: هو نائم فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبع مائة دينار، ما فى دار قيس مال فى هذا اليوم غيره، وامضى إلى معاطن الإبل إلى مولانا بغلامينا، فخذ راحلةً مرحّلة، وما يصلحها، وعبداً، وامض لشأنك، فقيل: إن قيسًا انتبه من رقدته، فخبرته المولاة بما صنعت، فأعتقها، وقال لها: ألا نبهتنى فكنت أزيده من عروض ما فى منزلنا، فلعل ما أعطيته لم يقع بحيث ما أراد.

ومضى صاحب عرابة الأوسى إليه فألفاه وقد خرج من منزله يريد الصلاة، وهو متوكئ على عبدين، وقد كُفّ بصره فقال: يا عرابة، قال: قل ماتشاء قال: ابن سبيل ومنقطع به قال: فخلىّ عن العبدين، ثم صفّق بيده اليمنى على اليسرى ثم قال: أوه والله ما أصبحت ولا أمسى وقد تركت الحقوق لعرابة من مال، ولكن خذهما فهما حرّان، وإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ، وأقبل يلتمس الحائط بيده قال: فأخذهما وجاء بهما قال: فحكم الناس على ابن جعفر قد جاء بمال عظيم، وإن ذلك ليس بمستنكر له إلا أن السيف أجلهّا، وأن قيسًا أحد الأجواد حكّم مملوكة فى ماله بغير علمه، واستحسانه ما فعله وعتقه لها، وما تكلم به، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسى لأنه جهد من مُقّل[1]. ومن قيم ذلك العصر الواضحة المعالم التنافس فى الكرم والجود وفعل الخير.

٩- خبر منسوب إلى قيس لا يصح إثباته:

بعث قيصر إلى معاوية بن أبى سفيان، أن ابعث على سراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما أظننا إلا قد احتجنا إلى سراويلك، قال: فقام

---

(١) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٦).

فتنحىّ فجاء بها فألقاها إلى معاوية، فقال معاوية: رحمك الله، ما أردت إلا هذا؟ ألا ذهبت إلى منزلك ثم بعثت بها إلينا؟ فقال قيس:

أردت بهـــا كى يعلم الناس أنّــهـا ... ســراويل قــيس والوفـود شـهـود

وأن لا يقـولوا غـاب قـيس وهذه ... ســراويل عـــادى نمتـــه ثمـــود

وإنى من الحىّ اليــمــانى لسـيـدٌ ... ومـا النـاس إلاّ سـيـد ومـســود

فكدهم بمـثلى إن مـثلى علـيـهم ... شـديد وخلقى فى الرجـال مـديد

قال: فأمر معاوية أطول رجل فى الجيش فـوضعها على أنفه فوقعت بالأرض، قال: فدعا معاوية بسراويـل، فلما جئ بها. قال له قيس: نح عنك ثيابك هذه، فقال معاوية:

أمـا قــريش فـأقـوام مــســرولة ... واليـثـربيـون أصحـاب التـبـابين

فقال قيس:

تلك اليــهـود التى يعنى بـبلدتنا ... كما قـريش هم أهل السخاخين(١)

وجاء فـى رواية أخرى: أن قيـصر كـتب إلى معـاوية: إنِّى قد وجـهت إليك رجلين: أحدهمـا أقوى رجل ببلادى، والآخر أطول رجل فى أرضى، وقـد كانت الملوك تتجـارى فى مثل هذا وتتـحاجى به، فأخـرج إليهمـا ممن فى سلطانك من يقـاوم كلّ واحد منهـمـا، فإن غلب صـاحـباك حـملت إليك من المال وأسـارى المسلمين كذا وكذا، وإن غلب صاحباى هانتنى ثلاث سنين، فلما ورد كتاب قيصر على معاوية أهمّه وشاور فيه أصحابه فقـيل له: أما الأيد فادع لمناهضته إما محمد ابن الحنفية وإما عـبدالله بن الزبير، فقال: فأحضـر محمد بن على والأيد الرومى حاضر، فـأخبره بما دعاه له، فقـال محمد للرومى: ما تشـاء؟ فقال: يجلس كلّ واحد منا ويدفع يده على صـاحبه، فـمن قلع صاحبـه من موضعه أو رفـعه عن مكانه فقد فلج عليه، ومن عـجز عن ذلك وقهره صاحبه قـضى بالغلبة له، فقال محمد: هذا لك، فاختر أينا يبدأ بالجلوس، فقال له: اجلس أنت، فجلس وأعطاه يديه، فجعل يمـارسه ويجتهد فى إزالته عن مـوضعه فلم يتحرك محـمد، وظهر

---

(١) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩٣، ٢٩٤).

عجز الرومى لمن حضر، فقال له محمد: اجلس الآن، فجلس وأخذ بيده فما لبث أن اقتلعه ورفعه فى الهواء ثم ألقاه على الأرض، فسرّ معاوية وحاضروه من المسلمين. وقال معاوية لقيس بن سعد والرومى الطوال: تطاولا، فقال قيس: أنا أخلع سراويلى ويلبسها هذا العلج، فإن ما بيننا يبين بذلك، ثم خلع سراويله، وألقاها إلى الرومى فلبسها، فبلغت ثدييه وانسحب بعضها فى الأرض، فاستبشر الناس بذلك، وجاءت الأنصار إلى قيس فقالت له: تبذَلت بين يدى معاوية ولو كنت مضيت إلى منزلك وبعثت بالسراويل إليه، فقال:

أردت لكيما يعلم الناس أنهما ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادّى نمته وثمود
وإني من القوم الثمانين سيّدٌ ... وما الناس إلا سيّد ومسود
وفضلنى فى الناس أصلى ووالدى ... وباع به أعلو الرجال مديد[1]

قال أبو عمر بن عبد البر حافظ الأندلس الشهير: خَبُره فى السراويل عند معاوية كِذب وزور مختلق ليس لها إسناد، لا يشبه أخلاق قيس، ولا سيرته فى نفسه ونزاهته، وهى حكاية مفتعلة وشعر مزور[2].

١٠ - دهاة العرب حين ثارت الفتنة:

كان قيس بن سعد بن عبادة من ذوى الرأى من الناس، قال ابن شهاب: وكان يعدّون دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة رهط، يقال لهم: ذوو رأى العرب فى مكيدتهم: معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص، وقيس بن سعد والمغيرة بن شعبة، ومن المهاجرين: عبدالله بن بُديل الخُزاعى، وكان قيس وابن بديل مع على رضى الله عنه، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف وأرضها حتى حكم الحكمان واجتمعوا بأذرح[3]، وكان قيس يقول: لولا الإسلام لمكرت مكرًا لا تطيقه العرب[4].

(١) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩٤).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٣).
(٣) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٨).
(٤) المصدر نفسه (٥٢/ ٢٨٧).

١١- لوددنا أن نشترى لقيس لحية بأموالنا(١):

ذكر الزبير بن بكار أن قيس بن عبادة، وعبدالله بن الزبير، وشريحًا القاضى، لم يكن فى وجوههم شعرة ولا شىء من لحية، وذكر غير الزبير أن الأنصار كانت تقول: لوددنا أن نشترى لقيس بن سعد لحية بأموالنا. وكان مع ذلك جميلاً رضى الله عنه(٢).

١٢- قول قيس: لِمَ تَرين قلّ عوّادى؟

باع قيس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفًا، فأمر مناديًا، فى أهل المدينة، من أراد القرض فليأتِ منزل سعد، فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز الباقى، وكتب على من أقرضه صكًّا، فمرض مرضًا قلَّ عواده، فقال لزوجته قريبة بنت أبى قحافة أخت أبى بكر: يا قريبة لم ترين قلّ عوادى؟ قالت: للذى لك عليهم من الدين، فأرسل إلى كلّ رجل بصكّة(٣) وجاء فى رواية... فمرض واستبطأ عواده، فقيل له: إنهم يستحيون من أجل دينك، فأمر مناديًا ينادى: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له، فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه(٤).

١٣- قيس بن سعد يطعم الناس فى أسفاره:

كان قيس بن سعد يطعم الناس فى أسفاره مع النبى ﷺ، وكانت له صحفة يدار بها حيث دار، وكان إذا أنفد ما معه يدين، قال: وكان ينادي في كل يوم: هلمَّوا إلى اللحم، والثريد(٥).

١٤- خبر لا يصح بين قيس ومعاوية رضى الله عنه:

قال معاوية لقيس بن سعد: إنما أنت حبر من أحبار يهود، إن ظهرنا عليك قتلناك، وإن ظهرت علينا نزعناك، فقال: إنما أنت وأبوك صنمان من أصنام

(١)، (٢) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٢).
(٣) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٤).
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٣).
(٥) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٣).

الجاهليـة، دخلتما فى الإسلام كُـرها وخرجتمـا منه طوعًا[1]، قال الذهبى: هذا منقطع، والمنقطع من أنواع الضعيف.

١٥- وفاة قيس بن سعد رضى الله:

مـات فى أواخـر خلافـة مـعـاوية، وذهب إلى ذلك خليـفة بـن خيـاط[2]، والذهبى[3]، وقال ابن حـبان: مات سنة ٨٥هـــ فى خلافة عـبد الملك[4]، ووافق ابن حجر خليفة والذهبى[5] وقال ابن عبد البر: . . . لزم قيس المدينة، وأقبل على العبادة حتى مات بها سنة ستين هجـرية وقيل: سنة تسع وخمسين فى آخر خلافة معاوية، وكان رجلاً طوالاً سُناطًا[6].

ثانيًا: عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى« أبو محمد»:

هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى، ابن عم رسول الله ﷺ[7]، وأمه أم الفـضل لبابة الكبـرى بنت الحارث بن حزن بن بجـير الهـزَم بن رُوَيْبة بن عبدالله بن هـلال بن عامر بن صعـصعة[8]، وأخو عـبد الله، وكثيـر، والفضل، وقُثَم، ومعبد، وتمّام[9].

١- أولاده وزوجاته:

ولد لعبيد الله بـن العباس: محمد وبه كان يكـنى، وأمه الفرعة[10] بنت قطن ابن الحـارث بن حـزن بن بُجيـر بن الهُـزم بن هلال بن عـامـر، والعبـاس[11]، والعالية، تزوجها على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فولدت له محمد بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١١).

(٢) الإصابة (٥/ ٣٦١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٢).

(٤)، (٥) الإصابة (٥/ ٣٦١).

(٦) السناط: بالكسر، وبالضم: لا لحية له أصلا أو الخفيف العارض، أو لحيته فى الذقن وما بالعارضين شىء.

(٧) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢).

(٨) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٢).

(٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢).

(١٠)، (١١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٢).

على، وفى ولده الخلافة من بنى العباس، وميمونة، وأمهم عائشة بنت عبد الله من مذجح[1] ولبابة وأم محمد، وأمهما عمرة بنت عَرْيب الحميرى[2]، وعبد الرحمن وقثم وأمهما أم حكيم بنت قارظ بن خالد الكنانية[3]، وعبد الله وجعفرًا وأمّ كلثوم وعمرة وأم العباس وأمهم أم ولد[4].

٢- عمره ورؤيته لرسول الله ﷺ:

كان عبيد الله بن العباس أصغر سنًا من عبدالله بن العباس بسنة[5]، فكان رسول الله ﷺ قبض وهو ابن اثنتى عشرة سنة، وقد رأى النبى ﷺ وسمع منه[6]، وقيل له رؤية وله حديث عن النبى ﷺ فى سنن النسائى: أن الغميصاء أو الرميصاء أتت النبى ﷺ تشتكي زوجها أنه لا يصل إليها، فلم يلبث أن جاء زوجها، فقال: يا رسول الله هى كاذبة، وهو يصل إليها، ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال رسول الله ﷺ: **ليس ذلك حتى تذوقى عسيلته**[7] وأورده أحمد من طريق هشيم لنفس الإسناد، ورجاله ثقات، إلا أنه ليس بصريح بأن عبيد الله شهد القصة[8]، وأورده الهيثمى فى المجمع[9] مختصرًا عن عبيد الله والفضل بن العباس، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح[10]، وقال الذهبى عن حديثه فى سنن النسائى، حكمه بأنه مرسل[11] وحدث عنه: ابنه عبد الله، عطاء، وابن سيرين، وسليمان بن يسار، وغيرهم، وكان أميرًا، شريفًا جوادًا، مُمدَّحًا[12].

---

(١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٢).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (١/ ٢١٣).

(٤) نسب قريش، ص (٣١)، الطبقات (١/ ٢١٤).

(٥) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩).

(٦) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٤).

(٧) سنن النسائى (٦/ ١٤٨) وقد تخرف فى المطبوع من عبيد الله إلى عبد الله.

(٨) مسند أحمد (١/ ٢١٤) رجاله ثقات إلا أنه ليس بصريح بأن عبيد الله شهد القصة.

(٩) المجمع (٤/ ٣٤٠) رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

(١٠)، (١١) ، (١٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٣).

أ- كان رسول الله يصف عبدالله وعبيد الله وكثيراً بنى العباس:

عن عبدالله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصُف عبدالله وعبيد الله، وكثيراً بنى العباس، ثم يقول: من سبق إلىَّ فله كذا. فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبّلهم ويلزمهم[1].

ب- كان عبيد الله أحب إلى العباس من قثم:

قال عبد الله بن جعفر: لو رأيتنى وقُثمًا وعبيد الله ابنى العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبى ﷺ على دابة فقال: ارفعوا إلىَّ هذا، فحملنى أمامه. وقال لقُثَم: ارفعوا إلىَّ هذا، فحمله وراءه، قال: وكان عبيد الله أحبَّ إلى العباس من قُثَم، فما استحيا من عمه أن حمل قثمًا وترك عبيد الله[2].

٣- استعمال أمير المؤمنين على رضى الله عنه على اليمن:

استعمل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عبيد الله بن العباس على اليمن، وأمَّره على الموسم، فحجّ بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين، فلما كانت سنة ثمان وثلاثين بعثه أيضًا على الموسم، وبعث معاوية فى ذلك العام يزيد بن شجرة الرُّهاوى ليقيم الحج، فاجتمعا فسأل كل واحد منهما صاحبه أن يُسلم له، فأبى واصطلحا على أن يصلّى بالناس شيبة بن عثمان، وفى هذا الخبر اختلاف بين أهل السير، منهم من جعله لقُثم بن العباس، وقال خليفة: فى عام أربعين بعث معاوية بسُر بن أرطأة العامرى إلى اليمن، وعليها عبيد الله بن العباس، فلم يزل عليها حتى على رضى الله عنه[3].

٤- بسر بن أبى أرطأة وحقيقة قصة مقتل ولدى عبيد الله:

تذكر بعض كتب التاريخ بأن عبد الرحمن وقثم ابنا عبيد الله بن العباس قتلهما بسر بن أبى أرطأة باليمن، وقتل أيضًا بعض أنصار على رضى الله عنهم هناك ثم

---

(١) مسند أحمد (١/ ٤٥٩)، رقم (١٨٣٦).

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٣)، الطبقات، تحقيق السلمى (٢/ ١٤) إسناده حسن.

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩).

رجع على الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدى قيل ففعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبى عثمان فى اليمن[١]. قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفى صحته عندى نظر[٢]، ولا شك أن قتل الأبرياء لم يحصل فى تلك المرحلة حتى فى أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء فى مرحلة الهدنة لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم[٣]، كما أن رواية مقتل بسر بن أبى أرطأة للطفلين، ذكرها ابن سعد من طريق الواقدى وهو متروك وذكره الطبرى فى تاريخه[٤]، ذكر عن زياد البكائى عن عوانة قال: أرسل معاوية.. وهذا إسناد منقطع على ما فى عوانة بن الحكم الأخبارى من كلام[٥]، وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب[٦]، قصة قتله لابن عبيد الله بن عباس من طريق هشام الكلبى عن أبى مخنف وهما متروكان[٧]، فأما هشام بن محمد بن السائب الكلبى، اتفقوا على غلوه فى التشيع قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أحدًا يحدث عنه، وقال الدارقطنى: متروك[٨]، وقال ابن حبان: كان غاليًا فى التشيع[٩]، وقال ابن عساكر: رافضى ليس بثقة[١٠]، وقال الذهبى: الرافضى النسابة[١١]. وأما أبو مخنف، لوط بن يحيى، قال عنه ابن عدى: شيعى محترق، صاحب أخبارهم[١٢]، وعده ابن تيمية فى الشيعة وقال عنه: متروك كذاب[١٣]،

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٥).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٤).
(٣) الإنصاف د. حامد، ص (٥٧٥).
(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ١٣٩)، الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٣).
(٥) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٣).
(٦) الاستيعاب (١/ ٨٩).
(٧) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٣).
(٨) المجروحين لابن حبان (٣/ ٩١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣).
(٩) المجروحين (٣/ ٩١).
(١٠) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٢).
(١١) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣).
(١٢) الكامل فى ضعفاء الرجال (٦/ ٢١١٠).
(١٣) منهاج السنة (٥/ ٨٢).

ولم يذكر قتل بسر لشيعة على باليمن أو الحجاز المؤرخ الثقة خليفة بن خياط فى تاريخه(١)، وطبقاته(٢)، وإنما ذكر خبر بعث معاوية له للاستيلاء على اليمن والحجاز وكذلك البخارى فى الكبير(٣)، والحاكم فى المستدرك(٤)، ولا يصح أبدًا قتل بسر بن أبى أرطأة العامرى لابنى عبيد الله باليمن، ويرى أهل الشام بأن بسر ابن أبى أرطأة سمع من النبى ﷺ، وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مددًا إلى عمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه، فيمن ذكره فيهم، قال: كانوا أربعة: الزبير، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أرطأة، والأكثرون يقولون: الزبير، والمقداد، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة وهو أولى بالصواب(٥)، ولبسر بن أرطأة عن النبى ﷺ حديثان: أحدهما: **لا تقطع الأيدى فى المغازى**(٦) والثانى: فى الدعاء: أن رسول الله ﷺ كان يقول: **اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة**(٧).

وأمام البحث النزيه لا يصح مقتل ولدى عبيد الله بن العباس على يدى بسر بن أبى أرطأة العامرى، وما ترويه كتب التاريخ والأدب فى الشعر المنسوب إلى عائشة بنت عبد الله والدة الطفلين من شعر ليس له أساس من الصحة، حيث زعموا أنها قالت:

ها من أحسن بابنىَّ اللذين هما ... كالدُّرتين تشظَّى عنهما الصَّدَفُ
ها من أحسن بابنىَّ اللذين هما ... سمعى وعقلى فقلبى اليوم مُختطف
حدّثتُ بسرًا وما صدّقتُ ما زعموا ... من ميلهم ومن الإثم الذى اقترفوا

---

(٣) تاريخ خليفة، ص (١٩٨).

(٤) طبقات ابن خياط، ص (٢٧).

(٥) التاريخ الكبير فى البخارى (٢/ ١٢٣).

(٦) المستدرك (٣/ ٥٩١).

(٧) الاستيعاب (١/ ٨٨).

(٨) مسند أحمد (٤/ ١٨١) الحديث الصحيح.

(٩) مسند أحمد (٤/ ١٨١) سنده حسن.

أنحى على ودجى ابنى مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يُقتَرفُ

فزعموا أنها وسوست، فكانت تقف فى الموسم تنشد هذا الشعر، وتهيم على وجهها[1]، وكذلك الشعر المنسوب لعبيد الله بن العباس ليس له أساس من الصحة، فقد ذكر المؤرخون بأنه دخل على معاوية فى خلافته وبعد حديث أنشأ عبيد الله بن عباس يقول:

يا بن صخر وابن حربٍ تبيّن من تقيسون بعبد المطلب
من إذا رأت قريش وجهه عظموا المرء وخرّوا للركب
صاحب الفيل وساقى زمزم ثمت الفدية رأس فى العرب
وهدى آخرنا آخركم فيه الملك لكم أجرى الحقب
إن بُسرا قتل ابنىَّ وما بين بُسر وبنى فهر نسب
فاقتل العبدَ بفرخى هاشم إنّ هذا من بواء العجب
اجعل الفضة فينا ذهبًا ونضار القوم فينا كالغرب
لا يقرّ العين إلاّ قتل من سبب القتل وللقتل سبب
ذاك ما ذاك ابن حرب إنه قُطب الشّر وللشرّ قطب[2]

وزعموا أن معاوية رضى الله عنه رد عليه فى أبيات منها:

إن بسُرا قتل ابنيك على غير جُرم قاطعًا منك النّسب
أنزل الله ببسر بأسه وعلى بسُر من الله الغضب
اضرب العبد على يافوخه ضربة تذهب منه ما ذهب
في مقيل الدهر من ضعف به ليس هذا من مناف بعجب[3]

---

(١) الاستيعاب (١/ ٨٩).
(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٤، ٣٥٥).
(٣) المصدر نفسه (٣٩/ ٣٥٥).

٥- قول عبيد الله: والله لهو أسخى منا وأجود وإنما أعطيناه بعض ما نملك وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده(١):

خرج عبيد الله بن العباس فى سفر له، ومعه مولى له، حتى إذا كانا فى بعض الطريق رفع لهما بيت أعرابى، قال: فقال لمولاه: لو أنّا مضيفًا - وجدنا من يضيفنا - فنزلنا بهذا البيت وبتنا به؟ قال: فمضى، وكان عبيد الله رجلاً جميلاً جهيرًا، فلما رآه الأعرابى أعظمه وقال لامرأته: لقد نزل بنا رجل شريف، وأنزله الأعرابى، ثم إن الأعرابى أتى امرأته فقال: هل من عشاء لضيفنا هذا؟ فقالت: لا، إلا هذه السُّوَيمة(٢) التى حياة ابنتك من لبنها. قال: لابد من ذبحها، قالت: أفتقتل ابنتك؟ قال: وإن! قال: ثم إنه أخذ الشاة والشفرة وجعل يقول:

يا جارتى لا توقظى البُنَيَّة إن توقظيها تنتحب عَلَيَّه
وتنزع الشفَّرة من يديَّه(٣)

ثم ذبح الشاة، وهيّأ منها طعامًا، ثم أتى به عبيد الله ومولاه، فعشاهما وعبيد الله يسمع كلام الأعرابى لامرأته ومحاورتهما، فلما أصبح عبيد الله قال لمولاه: هل معك شىء؟ قال: نعم، خمسمائة دينار فضلت من نفقتنا. قال: ادفعها إلى الأعرابى. قال: سبحان الله! أتعطيه خمسمائة دينار وإنما ذبح لك شاة ثمنها خمسة دراهم؟ قال: ويحك! والله لهو أسخى منّا وأجود، إنما أعطيناه بعض ما نملك، وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده. قال: فبلغ ذلك معاوية، فقال: لله دُرّ عبيد الله! من أى بيضة خرج؟ ومن أى عش درج(٤)؟ وجاء فى رواية: عبيد الله معلم الجود، وهو والله كما قال الحطيئة:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا
وإن كانت النِّعمى عليهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدّروها ولا كدُّوا(٥)

---

(١) أسد الغابة (٣/ ٥٤٣).

(٢) السويمة: تصغير سائمة.

(٣)، (٤) أسد الغابة (٣/ ٥٤٣).

(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ٣٦٠).

٦- **بين عبد الله بن جعفر والحسن بن على وعبيد الله بن العباس رضى الله عنهم:**

قال أبو الزناد: قيل: أى هؤلاء الثلاثة أسخى: عبدالله بن جعفر، أو الحسن بن على، أو عبيد الله بن العباس؟ فقال: ما رأينا أعطى الجزيل من الحسن، وما رأينا أحدًا أعطى الجزيل وغير الجزيل من عبدالله بن جعفر، وما مررنا بأبيات عبيد الله ابن العباس فى ساعة قط إلا رأينا عنده قوتًا رطبًا، قال: وكان ينحر كل يوم جزورًا فى مجزرته وبه سميت مجزرة ابن عباس، قال: فقلت الجزُر حتى بلغت خمسة عشر دينارًا وعشرين دينارًا، فعاتبه عبد الله بن جعفر على ذلك وقال: لا يقوم لهذا مال، فقال: والله لا أدع ذلك أبدًا(١).

٧- **ضيوف جاءوا لبيت عبيد الله بدون موعد:**

أراد رجل بالمدينة أن يسوء عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، ويضارّ به، فجعل يأتى وجوه أهل المدينة فيقول: قال لكم عبيد الله بن العباس: تغدّوا عندى، فجاء الناس حتى ملأوا عليه الدار، وعبيد الله غافل، فقال: ما شأن الناس؟ قال: جاءهم رسولك أن يتغدّوا عندك، فعلم ما أريد به، فأمر بالباب فأغلق، وأرسل إلى السوق فى أنواع الفاكهة، وذكر الأُترج(٢)، والعسل والموز فشغلهم، وأمر بالأطعمة فطبخت وشُويت فلم يفرغوا من الفاكهة حتى أتوا بالطعام حتى صدورا عنه. فقال عبيد الله: أموجود هذا كلمّا شئت؟ فقالوا: نعم، قال: ما أبالى من أتانى(٣).

٨- **امرأة أصيبت بنيها:**

قدمت امرأة إلى البصرة فى سنة شهباء ومعها ابنان لها، فلم يأت عليها الحول حتى دفنتهما فقعدت بين قبريهما فقالت:

فلله عيناى اللذّان نراهما ... قريبين منّى والمزار بعيد
هما تركا عينّى لا ماء فيهما ... وشكّا سواد القلب، فهو عميد

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٧)، الطبقات (٢/ ٢٣) إسناده ضعيف.

(٢) الأترج. شجر يعلو، زكى الرائحة، حامض كالليمون الكبار.

(٣) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٧).

مقيمان بالبيداء لا يبرحانها ولا يسألان الرّكب: أين يريد؟

فقيل لها: لو أتيت عبيد الله بن العباس فقصصت عليه القصة فأتته، فقالت له: يا ابن عم رسول الله ﷺ إنى أصبحت لا عند قريب يحمينى، ولا عند عشيرة تؤوينى، وإنى سألت عن المرجى سببه، المأمول نائله، المعطى سائله، فأُرشدت إليك، فاعمل بى واحدة من ثلاث: إما أن تقيم أودى، أو تحسن صلتى، أو تردّ بى إلى أهلى، فقال عبيد الله: كلّ يفعل بك[1].

٩- الجمال والفقه والسخاء فى دار العباس:

ذكر أبو العباس أحمد الطبرى المكى فى كتابه تراجم آل بيت رسول الله ﷺ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى.. وكان يقال: من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس، الجمال للفضل، والفقه لعبد الله، والسخاء لعبيد الله[2].

١٠- خيرا الدنيا والآخرة فى دار ابن عباس:

دخل أعرابى دار العباس بن عبد المطلب وفى جانبها عبد الله بن عباس لا يرجع فى شىء يُسأل عنه، وفى الجانب الآخر عبيد الله بن العباس يطعم كل من دخل، فقال الأعرابى: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بدار العباس بن عبد المطلب، هذا يفتى ويفقّه الناس، وهذا يُطعم الطعام[3]، وعن مصعب بن عبد الله، قال: بعض أهل العلم: كان عبدالله يوسعهم علمًا، وكان عبيد الله يوسعهم طعامًا[4]، وكان عبيد الله يتجر[5].

١١- حكيم المعضلات وتيار الفرات:

كان عبد الله بن عباس يسُمّى حكيم المعضلات، وكان عبيد الله يسمى تيار الفرات، وكان يطعم كل يوم، فقال له أبوه: يابُنى مالك تغدّى ولا تعشى؟ إذا غدّيت فعشِّ، فقال عبيد الله لغلام له: يا بُنىّ انحر غدوة وانحر عشية[6].

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٨).

(٢) ذخائر العقبى، ص (٣٩٤).

(٣)، (٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٦).

(٥) الإصابة (٤/ ٣٣١).

(٦) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٦)، الإصابة (٤/ ٣٣١).

١٢- ما قيل فى جوده من شعر:

كان معاوية يقول: إن عبيد الله بن عباس علّم قريشًا الجود، وكان عبيد الله أجود العرب وقد قال فيه شاعر من قريش:

وعلمها عبيد الله ما لم ... تكن تأتيه من شيم الكرام

وورثها مكارم ثابتات ... نفى عنها بها لوم اللئام

وصية هاشم وبنى أبيه ... قُصى والهمام بن الهمام(١)

١٣- صيامه يوم عرفة:

عن عبد الله بن عباس، أنه دعا أخاه عبيد الله يوم عرفة إلى طعام، فقال: إنى صائم. فقال: إنكم أئمة يُقتدى بكم، قد رأيت رسول الله ﷺ دعا بحلاب فى هذا اليوم فشرب(٢).

١٤- طلبه للعلم:

قيل لعبيد الله بن العباس: لم تطلب العلم؟ قال: إذا نشطت فهو لذتى، وإذا اغتممت فسلوتى(٣).

١٥- إحسانه لعجوز وأولادها الثلاثة:

مر عبيد الله بن العباس بقرب عجوز لها أولاد، فأكرمتهم وأحسنت وفادتهم، فأراد عبيد الله أن يصلح من شأنهم ويحسن إليهم، فلما اجتمعوا عند عبيد الله أدناهم من مجلسه، وقال: إنى لم أبعث إليكم ولا إلى أمكم لما تكرهون، قالوا: فما بعد هذا؟ قال: أحب أن أصلح من أمركم، وألُمّ من شعثكم، قالوا: إنّ هذا قلّ ما يكون إلا عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم، قال: ما هو لشىء من ذلك، ولكن جاورتكم فى هذه الليلة، وخطر ببالى أن أضع بعض مالى فيما يحب الله عز وجل، قالوا: يا هذا، إن الذى يحب الله لا يحب لنا إن كنا فى خفض من

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٥).

(٢) الإصابة (٤/ ٣٣١) سنده صحيح.

(٣) الإصابة (٤/ ٣٣٢)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٦٤).

العيش، وكفاف مـن الرزق، فإن كنت هذا أردت فوجهه نحو من يستحقه، وإن كنت أردت النوال مبتدئًا لم يتقدمه سؤال فـمعروفك مشكور، وبرك مقبول، فأمر لهم عـبيـد الله بعشـرة آلاف درهم، وعشـرين ناقـة، وحول أثقـاله إلى البغـال والدواب، وقال: ما ظننـت أن فى العرب والعجم من يشبـه هذه العجوز وهؤلاء الفتيان، فـقالت العجوز لفتيـانها: ليقل كل واحد منكم شيئًـا من الشعر فى هذا الشريف، ولعلى أن أعينكم فقال الكبير:

شـهـدتُ عليك بطيـب الكلام   وطيب الفـعـال وطيب الخـبـر

وقال الأوسط:

تبـرعت بالجـود قـبل السـؤال   فـعـال كـريم عظيـم الخطر

وقال الأصغر:

وحق لمـن كـان ذا فـعـلة   بأن يسـتـرق رقـاب البـشـر

وقالت العجوز:

فـعـمـرك الله من مـا جـد   ووقيت سـوء الردى والحذر[1]

١٦- وفاته:

اختلف فى تحـديد سنة وفاته على عدة أقوال: قـال البخارى[2] والفسوى[3]: مات زمن معاوية[4]، وقال خليفة[5]، وغيره: سنة ثمان وخمسين[6]، وقال أبو عبـيد، وأبو حسـان الزيادى: مات سنة سـبع وثمانين[7]، وقيل: توفى أيام يزيد وهو الأكثر، وكان موته بالمدينة وقيل: باليمن والأول أصح[8]، ولنا فى وفاة إخوة

(١) الإصابة (٤/ ٣٣٢)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٦٤).
(٢) البخارى فى تاريخه الصغير، ص (٧٣).
(٣) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٢).
(٤) تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٨١- ١٠٠هـ، ص (١٤٧).
(٥) فى تاريخه ص٢٢٥.
(٦)، (٧) تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٨١ - ١٠٠هـ، ص (١٤٧).
(٨) أسد الغابة (٣/ ٥٤٤).

عبيد الله عبرة وذكرى لأصحاب القلوب الحية، فعبد الله بن عباس دفن بالطائف، واستشهد معبد بأفريقية، واستشهد قثم بسمرقند[1]، وعبيد الله بالمدينة وكلهم أبناء أب واحد وأم واحدة قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثالثًا: عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى رضى الله عنه:

هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، السيد العالم، أبو جعفر القرشى الهاشمى، الحبشى المولد، المدنى الدار، الجواد بن الجواد ذى الجناحين[2]، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث لأمها، ولدت عبد الله بن جعفر بالحبشة وهو أول من ولد لها من المسلمين[3]، وولدت هناك، محمدًا وعونًا[4]، ثم ولد للنجاشى بعدما ولدت أسماء ابنها عبد الله بأيام ابنٌ، فأرسل إلى جعفر، ما سميت ابنك؟ قال: عبد الله. فسمى النجاشى ابنه عبد الله، وأخذته أسماء بنت عميس، فأرضعته حتى فطمته بلبن عبد الله بن جعفر، ونزلت أسماء بذلك عندهم منزلة، فكان من أسلم من الحبشة يأتى أسماء بعد فيخبرها خبرهم[5]، وقد تزوجت أسماء بعد استشهاد جعفر، أبا بكر الصديق، فولدت محمدًا ثم تزوجها على فولدت له يحيى،[6] فيكون عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبى بكر الصديق، ويحيى بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لأمهم[7]، ويعتبر عبد الله بن جعفر آخر من رأى النبى ﷺ من بنى هاشم وفاة[8].

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٦).

(٣) الإصابة (٤/ ٣٦).

(٤)، (٥) الطبقات، للسلمى (٢/ ٧).

(٦) الإصابة (٤/ ٣٧).

(٧) أسد الغابة (٣/ ١٩٩).

(٨) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).

١- أولاده وأزواجه:

ولد لعبد الله بن جعفر، جعفر الأكبر وبه كان يكنى، وأمه الأُميَّة وتكنى أم عمرو بنت خراش العبسية[١]، وعلى وعون الأكبر، ومحمد وعباس، وأم كلثوم وأمهم زينب بنت على بن أبى طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٢]، وحسين درج، وعون وعون الأصغر قُتلا مع الحسين بن على لا بقيه له[٣]، وأمهما جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة بن عوف من بنى فزارة[٤]، وأبو بكر وعبيد الله، ومحمداً، وأمهم الخوصاء بنت خصفة بن ثقف بن عابدين بن عدى بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل[٥] وصالح لا بقية له، ويحيى وهارون لا بقية لهما، وموسى لا بقية له وجعفر وأم أبيها وأم محمد، وأمهم ليلى بنت مسعود بن خالد، وحميد والحسن لأم ولد، وجعفر، وأبو سعيد، وأمهما أم الحسن بنت كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٦]، ومعاوية وإسحاق وقثم لا بقية له، وأم عون لأمهات أولاد شتى[٧].

٢- مجئ جعفر بن أبى طالب بأسرته من الحبشة إلى المدينة:

قدم جعفر بن أبى طالب وصحبه من مهاجرى الحبشة على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ومعه زوجته أسماء وأولاده عبد الله، وعون ومحمد، وفرح لقدومه رسول الله فرحًا عظيمًا، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل فى طلبهم من النجاشى، عمرو بن أمية الضمرى، فحملهم فى سفينتين ووافق قدومهم عليه يوم فتح خيبر، وقد رافق جعفر أبو موسى الأشعرى ومن بصحبته من الأشعريين، فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/٦) تحقيق السلمى.

(٢) المصدر نفسه (٢/٦).

(٣) المصدر نفسه (٢/٦).

(٤) المصدر نفسه (٢/٦).

(٥) المصدر نفسه (٢/٦).

(٦) المصدر نفسه (٢/٦).

(٧) المصدر نفسه (٢/٦).

قال: فى بضع، وإما قال فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى، فركبنا السفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبى طالب، فأقمنا جميعًا، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر(١).

٣- لكم أنتم أهل السفينة هجرتان:

فعن أبى موسى: . . . كان أناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة - وكانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر - فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء ابنة عميس. قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم! قال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا فى أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك فى الله ورسول الله، وأيم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاءت النبى ﷺ قالت: كذا وكذا. قال: **ليس بأحق بى منكم - له وأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان**(٢)، فأخذت أسماء والدة عبد الله بن جعفر هذا الوسام ووزعته على جميع أعضاء الوفد حيث كانوا(٣)، كما قالت: يأتونى أرسالاً يسألوننى عن هذا الحديث، ما من الدنيا شىء هم به أفرح ولا أعظم فى نفوسهم مما قال لهم النبى ﷺ(٤)، وقد أشركهم النبى ﷺ مغانم خيبر بعد أن استأذن من الصحابة رضى الله عنهم الذين شاركوا فى فتحها(٥).

٤- استشهاد جعفر بن أبى طالب فى مؤتة:

عن يحيى بن أبى يعلى، سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أمى فنعى لها أبى، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسى ورأس

---

(١) البخارى، ك المغازى، رقم (٤٢٣٠، ٤٢٣١)، معين السيرة، ص (٢٥٣).

(٢) البخارى، ك المغازى، رقم (٤٢٣١).

(٣) فقه السيرة للغضبان، ص (٥٣٥).

(٤) مسلم، رقم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣).

(٥) الصراع مع اليهود لأبى فارس (٣/ ٩٦).

أخى، وعيناه تُهْرقان الدمـوع حتى تقطر لحيته، ثم قال: اللهم إن جعـفرًا قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلُفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدًا من عبادك فى ذريته، ثم قال: يا أسـماء: ألا أبشرك؟ قالت: بلى بأبى أنت وأمى، قـال: إن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهـما فى الجنة. قالت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فأعلم الناس بذلك، فقـام رسول الله ﷺ وأخذ بيدى يمسح رأسى حتى رقـا على المنبر، وأجلسنى أمامه على الدرجـة السفلى، والحزن يعرف عليه، فـتكلم فقال: «**ألا إن جعفرًا قـد استشهد، وقد جُعل له جناحـان يطير بهما فى الجنة،** ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وأدخلنى معه، وأمر بطعام فصنع لأهلى، وأرسل إلى أخى فتغدينا عنده والله غداء طيبًا مباركًا، عمَدت سلمى خادمه إلى شعير فطحنته ثم نسّفته[١]، ثم أنضجته. . فتغديت أنا وأخى معه[٢].

٥- لا تبكوا أخى بعد اليوم:

قال عبـد الله بن جعفر: إن النبى ﷺ أتاهم بعد مـا أخبرهم بقتل جعـفر بعد ثلاثة، فقال: لا تبكوا أخـى بعد اليوم ثم قال: ائتونى ببنى أخى، فـجئ بنا كأننا أفرخ، فقال: ادعوا لى الحـلاق فأمره، فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محـمد فشبه عمنا أبى طالب، وأما عبد الله فشبـه خَلقى وخُلُقى، ثم أخذ بيدى، فأشالها. ثم قال: **اللهم اخلف جعفرًا فى أهله، وبارك لعبد الله فى صفقته،** قال: فجاءت أُمُّنا، فذكرت يتـمنا. فقال: **العيلة تخـافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيـا والآخرة؟**[٣]. معنى العيلة: الفقر.

٦- حمل النبى ﷺ له على دابته:

عن عبد الله بن جعفر قال: كـان النبى ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقى بالصبيان من أهل بيته قال: وإنه قدم من سفر فـسبق بى إليه قال: فحملنى بين يديه. قال: ثم أُتى بأحد ابنى فـاطمة - إما الحـسن وإما الحسين - فـأردفه خلفه. قـال: فدخلنا المدينة ثلاثة على الدابة[٤].

---

(١) نسفته: تنقيه الجيد من الردئ لسان العرب (٩/ ٣٢٨).

(٢) الطبقات، تحقيق السلمى (٢/ ٨) إسناده ضعيف جدًا، وله شواهد.

(٣) مسند أحمد (١/ ٢٠٤) من طريق وهب بن جرير، عن أبيه بهذا الإسناد وهو قوى.

(٤) مسلم، رقم (٢٤٢٨).

٧- **دعاء النبى ﷺ له:**

عن عمرو بن حريث: أن رسول الله ﷺ مر بعبد الله بن جعفر وهو يلعب مع الغلمان أو الصبيان فقال: **اللهم بارك لعبد الله فى بيعته أو فى صفقته**(١)، وعن عبد الله بن جعفر: أن رسول الله مسح على رأسه ثلاثًا كلما مسح قال: **اللهم اخلف جعفرًا فى ولده**(٢).

٨- **ذكر بيعته للنبى ﷺ:**

عن هشام بن عروة عن أبيه: عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر بايعا النبى ﷺ وهما ابنا سبع سنين، وأن رسول الله ﷺ لما رآهما تبسم وبسط يده فبايعهما(٣)، والصحيح أن عبد الله بن الزبير ولد عام الهجرة(٤).

٩- **تفقد رسول الله ﷺ لأبناء جعفر:**

قال جابر بن عبد الله: أن النبى ﷺ قال لأسماء بنت عميس: **ما شأن أجسام بنى أخى ضارعة أتصيبهم حاجة؟** قالت: لا، ولكن تسرع إليهم العين(٥)، أفأرقيهم؟ قال: وبماذا؟ فعرضت عليه فقال: **ارقيهم**(٦) ومعنى ضارعة: الضارع: النحيف الضاوى الجسم.

١٠- **علمتنى أسماء شيئًا أمرها رسول الله ﷺ أن تقوله عند الكرب:**

عن عبد الله بن جعفر، قال: علمتنى أسماء بنت عميس شيئًا أمرها رسول الله أن تقوله عند الكرب: **الله الله ربى لا أشرك به شيئًا**(٧).

١١- **شكوى الجمل لرسول الله ﷺ:**

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسرَّ إلى حديثًا لا أحدث به أحدًا أبدًا، وكان رسول الله ﷺ أحب ما أستتر به فى حاجته

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٨)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٦) رجالهما ثقات.

(٢) مسند أحمد (١/ ٢٠٤) من طريق وهب بن جرير عن أبيه بهذا الإسناد وهو قوى.

(٣) المستدرك (٣/ ٥٦٦، ٥٦٧) فى سنده إسماعيل بن عياش ضعيف عن غير أهل بلده.

(٤) الإصابة (٤/ ٣٨).

(٥) ما يصيب المرء إذا نظر إليه عدو أو حسود، فأثرت فيه فمرض بسببها.

(٦) الرقية: العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك.

(٧) الطبقات، تحقيق السلمى (٢/ ١١) إسناده ضعيف.

هدفًا[١]، أو حائش[٢] نخل - زاد يزيد بن هارون فى هذا الحديث بهذا الإسناد - ، فدخل يومًا حائطًا من حيطان الأنصار - يعنى النبى ﷺ - فإذا جمل قد أتاه فجرجر[٣] وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سَرَاته[٤]، وذفراه[٥]، فسكن، فقال رسول الله ﷺ: «من صاحب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لى يا رسول الله. قال: أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملككها الله، إنه شكا إلى إنك تُجيعه وتدئبه»[٦].

هذا وكان عمره عشر سنين عند موت النبى ﷺ[٧]، وقد ثبت صحبته لرسول الله وروى عن النبى ﷺ أحاديث وروى عن أمه أسماء بنت عميس، وعمه على ابن أبى طالب، وروى عنه بنوه، إسماعيل وإسحاق، ومعاوية، ومحمد بن على ابن الحسين، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مُليكة، وعبد الله بن شداد بن الهاد، والشعبى، وعباس بن سهل بن سعد، ومورق العجلى، وخالد بن سارة، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى رافع الفهمى[٨].

١٢- سلام ابن عمر على عبد الله بن جعفر:

قال الشعبى: كان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين[٩].

١٣- حرص أمير المؤمنين علىٍّ على تعليم عبد الله بن جعفر:

عن عبد الله بن شداد، أن عليًا قال لعبد الله بن جعفر - رضى الله عنه-: ألا أعلمك كلمات لم أعلمهن حسنًا ولا حسينًا، إذا سألت الله مسألة فأردت أن

---

(١) الهدف: كل بناء مرتفع مشرف.

(٢) الحائش: النخل الملتف المجتمع.

(٣) الجرجرة: صوت البعير عند الفجر، النهاية فى غريب الحديث (١/ ٢٥٥).

(٤) سراته: أى ظهره.

(٥) وذفراه: ذفرى البعير: أصل أذنيه، النهاية فى غريب الحديث (١/ ١٦١).

(٦) تدئبه: تكده وتتعبه، الطبقات، تحقيق السلمى (٢/ ١٣، ١٤) إسناده صحيح.

(٧) الإصابة (٤/ ٣٧).

(٨) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٦٩).

(٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٩)، أخرجه البخارى (٧/ ٦٢).

تنجح[1]، فقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلى العظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم[2]، وقد صاحب عبد الله بن جعفر عمه على رضى الله عنهم، وكان أحد امرائه يوم صفين[3].

من أخبار كرمه وجوده:

كان عبد الله بن جعفر جوادًا، ظريفًا، حليمًا، عفيفًا، سخيًا يسمى بحر الجود[4]، وكان يقال له: قطب السخاء[5]، ويقال: إنه لم يكن فى الإسلام أسخى منه - أى فى عصره - ويقولون: إن أجود العرب فى الإسلام عشرة، فأجواد أهل الحجاز عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، وسعيد بن العاص، وأجود أهل الكوفة عتاب بن ورقاء أحد بنى رباح بن يربوع، وأسماء بن خارجة بن حصن الفزارى وعكرمة بن ربعى الفياض أحد بنى تيم الله ابن ثعلبة، وأجواد أهل البصرة عمرو بن عبيد بن معمر، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ثم أحد بنى مليح وهو طلحة الطلحات، وعبيد الله بن أبى بكرة، وأجواد أهل الشام خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وليس فى هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر، ولم يكن مسلم يبلغ مبلغه فى الجود، وعوتب فى ذلك فقال: إن الله عودنى عادة، وعودت الناس عادة، فأنا إن قطعتها قطعت عنى[6]، وعن على بن حسين عن الحسين رضى الله عنه قال: علمنا عبد الله بن جعفر السخاء[7]، وهذا تواضع الحسين رضى الله عنه وإلا فله ولأخيه الحسن القدح المعلى فى الجود والكرم والإنفاق، وإليك بعض أخبار جود عبد الله بن جعفر فى الكرم والجود.

---

(١) تنجح: نجح فلان وأنجح، إذا أصاب طلبته وأنجحت حاجته.

(٢) الطبقات، للسلمي (٢/ ١٦) إسناده صحيح.

(٣) الإصابة (٤/ ٣٧).

(٤) الاستيعاب (٣/ ٨٨١).

(٥) الإصابة (٤/ ٣٧).

(٦) الاستيعاب (٣/ ٢٨٨).

(٧) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٧).

١- ماعندنا ما نصلك ولكن عليك ابن جعفر:

ذكر أن أعرابيًا وقف فى الموسم على مروان بالمدينة، فسأله فقال: ما عندنا ما نصلك، ولكن عليك بابن جعفر، فأتاه الأعرابى فإذا ثقُلُه قد سار، وراحلة بالباب عليها متاعها وسيف معلق فخرج عبد الله، فأنشأ الأعرابى يقول:

أبو جعفر من أهل بيت نبوة   صلاتهم للمسلمين طهور

أبا جعفر ضن الأمير بماله   وأنت على ما فى يديك أمير

أبا جعفر يابن الشهيد الذى له   جناحان فى أعلى الجنان يطير

أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجى   فلا تتركنى بالغلاة أدور[١]

فقال: يا أعرابى سار الثقل، فعليك الراحلة، وإياك أن تُخدع عن السيف، فإنى أخذته بألف دينار[٢].

٢- وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحًا يروى وثناء يبقى:

مدحه نُصيب - أحد الشعراء- فأعطاه إبلاً وخيلاً وثيابًا ودنانير ودراهم، فقيل له: تعطى لهذا الأسود مثل هذا؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى، وأعطانا مدحًا يروى وثناء يبقى. وقد قيل إن هذا الخبر إنما جرى لعبد الله بن جعفر مع عبيد الله بن قيس الرقيات[٣]، ومن شعره فى عبد الله بن جعفر:

وما كنت إلا كالأغر بن جعفر   رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرًا[٤]

ومن شعره أيضًا فى عبد الله بن جعفر:

نفدت بى الشهباء نحو ابن جعفر   سواء عليها ليلها ونهارُها

يزور امْرأً قد يعلم الله أنه   تجود له كف قليل غرارها

---

(١) تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، ٦١ - ٨٠ ، ص (٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٩).

(٣) الاستيعاب (٣/ ٨٨٢) وقد ذكر أن اسمه عبد الله.

(٤) الإصابة (٤/ ٣٨).

فـوالله لولا أن تزور ابن جـعـفـر لكان قلـيـلاً فى دمـشـق قـرارُها
أتيـــتـك أثنى بـالذى أنت أهــله عليك كـمـا أثنى على الروض جـارُها
ذكـرتك إذا فاض الفـرات بأرضنا وجلل أعـــلا الرقـــتين بحـــارُها
فإن متّ لم يوصل صديق ولم تقم طريق من المعـروف أنت مـنارُها[(١)]

وقال مصـعب بن عبد الله: قال عبد المـلك بن مروان: أى ويحك يا ابن قيس أما اتقيت حين تقول فى ابن جعفر:

أنت رجـــلاً قـــد يعـلم الله أنه يجـــود له كف قـليل غـــرارها

ألا قلت: قد يعلم الناس، ولم يقل: قد يعلم الله، قال له ابن قيس: قد والله علمه الله وعلمته، وعلمه الناس[(٢)].

وقال الشماخ بن ضرار يمدح عبد الله بن جعفر:

إنك يا ابن جـعـفـــر نعم الفـتى ونعــم مــــــأوى طارق إذا أتــى
ورب ضـــيف طرق الحى سُـــرى صادف زادًا وحـديثًـا ما اشتـهى[(٣)]

وجاء أعرابى إلى عبد الله بن جعفر وهو محموم، فأنشأ يقول:

كم لـوعــــة للندى وكم قـلق للجـــود والمكرمـــات من قـلقك
ألبـــسك الله منه عــــافـيـــة فى نومك المعـتـــرى وفى أرقك
أخـــرج من جســمك السقـام كمـا أخـــرج ذم الفـــعـال من عـنقك

فأمر له بمائة ألف دينار.[(٤)]

وذات يوم كان عبد الله بن جعفر فى سفـر له فمر بفتيان يوقدون تحت قدر لهم فقام إليه أحدهم فقال:

---

(١) الإصابة (٤/ ٣٨).
(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٥).
(٣) الإصابة (٤/ ٣٩).
(٤) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٤).

أقـــول له حين ألـفـيـــتـــه   عليك الـسـلام أبا جـعـفـــر

فوقف وقال: عليك السلام ورحمة الله، فقال:

وهذى ثـيـــابى قـــد أخلـقت   وقـــد عـــفّنى زمن منـكـر

قال: فهذى ثيابى مكانها، وعليه جبة خز ويعينك على زمنك، فقال:

فـــأنت كـــريم بـنى هـاشم   وفى البـيت منهـا الذى يذكـر

قال: يا ابن أخى، ذاك رسول الله ﷺ[1].

وكتب رجل إلى عـبد الله بن جعـفر رقعـة فجعلها فى ثـنى وسادة التى يتكئ عليها، فقلب عبد الله الوسادة، فنظر بالرقعة، فقرآها فردها فى موضعها، وجعل مكانها كيسًا فـيه خمسة آلاف دينار فجاء الرجل فدخل عليـه، فقال: اقلب المرفقة فانظر ما تحتها فخذه، فأخذ الرجل الكيس وخرج وأنشأ يقول:

زاد مـعـــروفك عـنـدى عظمًـــا   أنه عندك مـســتـور حـقـيـر

تتـنـاســـــاه كــــأنـه لم تـأته   وهو عند الله مشـهور كبـير[2]

٣- ديون الزبير بين عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر:

أسلف عبد الله بن جعفر الزبيـر ألف ألف، فلما توفى قال ابن الزبير لعبد الله ابن جـعفـر: إنى وجدت فى كـتب أبى أن له عليك ألف ألف درهم، قـال: هو صادق، فاقبضها إذا شئت، ثم لقيه بعد فقال: إنما وهمت عليك، المال لك عليه، قال: فهـو له، قال: لا أريد ذلك[3]. قال الذهبى: هذه الحكاية من أبلغ ما بلغنا فى الجود[4]، وجاء فى رواية ابن عساكر عندما قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر: لا أريد ذاك، قـال ابن جعفر: فاختر إن شـئت فهو له، وإن كرهت ذلك فلك فيه نظرة ما شئت، فإن لم ترد ذلك فـبعنى من ماله ما شئت، قال: أبيعك، ولكنى أقوِّم، فقوم الأموال ثم أتاه فقـال: أحب أن لا يحضرنى وإياك أحد، فقال

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٩).

(٢) المصدر نفسه (٢٩/ ١٨٩).

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، ٦١ - ٨٠، ص (٤٣١).

(٤) المصدر نفسه، ص (٤٣١).

له ابن جعفر: يحضرنا الحسن والحسين فيشهدان لك، قال: ما أحب أن يحضرنا أحد، قال: انطلق فمضى معه، فأعطاه خرابًا وسباخًا لا عمارة له، وقومه عليه حتى إذا فرغ، قال عبد الله لغلامه: ألق لي في هذا الموضع مصلى، فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلى، فصلى ركعتين وسجد، فأطال السجود يدعو، فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه: احفر في موضع سجودي، فحفر، فإذا عين، فملأ نبطها فقال له ابن الزبير: أقلني، قال: أما دعائي وإجابة الله إياي فلا أقيلك فصار ما أخذ منه أعمر مما في يدي ابن الزبير(١).

٤- لئن والله وعدنا نعيم الآخرة، فقد عجلت نعيم الدنيا(٢):

عن محمد بن عبيد الله بن أبي مليكة، عن أبيه، عن جده، قال: دخل ابن أبي عمار - وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز - على نخاس يعترض منه جارية، فعرض عليه جارية بأكثر مما كان معه من الثمن، وكانت حسنة الوجه جدًا، فعلق بها، وأخذه أمر عظيم، ورآه النخاس فتباعد عليه في الثمن، واستُهْتِر بذكرها فمشى إليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه، فكان جوابه أن قال:

يلومني فيك أقوام أجالسهم ... فما أبالي أطار اللوم أوقعا

قال: فبلغ خبره عبد الله بن جعفر، فبعث إلى مولى الجارية، فاشتراها منه بأربعين ألف درهم، وأمر قيّمة جواريه أن تزينها وتحيها ففعلت، وقدم المدينة، فجاءه الناس يسلمون عليه، وجاءه جلة أهل الحجاز فقال: مالي لا أرى ابن أبي عمار زائرًا؟ فأخبر الشيخ، فأتاه، فلما أراد أن ينهض استجلسه فقال له ابن جعفر: ما فعل حبك فلانة، قال: في اللحم والدم والمخ والعصب والعظم، فقال له: أتعرفها إن رأيتها؟ قال: جعلت فداك، هي مصورة في نصب عيني عند كل خطرة وفكرة، قال: والله ما نظرت إليها منذ ملكتها، يا جارية أخرجيها، فأخرجت ترفل في الحلي والحلل فقال: هي هذه؟ فأنشأ يقول:

هي التي هام قلبي من تذكرها ... والنفس مشغولة أيضًا بذكراها

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦١).

قال: فشأنك بها، فخذها، فبارك الله لك فيها، قال: جعلت فداك، لقد تفضلت بشيء ما كان يتفضل به إلا الله -على حذر عنها - فلما ولى بها قال: يا غلام احمل معها مائة ألف درهم، كى لا يهتم بها، ولا تغنم به، فبكى ابن أبى عمار سرورًا، ثم قال: الله يعلم حيث يجعل رسالاته، والله جعلت فداك، لئن كان الله وعدنا نعيم الآخرة، فقد عجلت نعيم الدنيا[1].

٥- ما غلبنا بالسخاء إلا الشيخ العُذرى:

عن بُديح مولى عبد الله بن جعفر قال: خرجت مع عبد الله بن جعفر فى بعض أسفاره، فنزلنا إلى جانب خباء من شعر قال: وإذا صاحب الخباء رجل من بنى عذرة، قال: فبينا نحن كذلك، إذا نحن بأعرابى قد أقبل بسوق ناقة حتى وقفت علينا ثم قال: أى قوم أبغونى شفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ فى لُبتها وقال: شأنكم بها، قال: وأقمنا اليوم الثانى، وإذا نحن بالشيخ العُذرى، يسوق ناقة أخرى، فقال: أى قوم أبغونى شفرة، قال: فقلنا: إن عندنا من اللحم، قال: فقال: أبحضرتى تأكلون الغاب[2]، ناولنى الشفرة، فوجأ فى لبتها، ثم قال شأنكم بها، وبقينا اليوم الثالث، فإذا نحن بالعذرى يسوق أخرى حتى وقف علينا، فقال: أى قوم أبغونى شفرة، قال: فقلنا: إن معنا من اللحم ما ترى، قال: أبحضرتى تأكلون الغاب، إنى لأحسبكم قومًا لئامًا، ناولونى الشفرة، فوجأ فى لبتها ثم قال: شأنكم بها، قال: وأخذنا فى الرحيل، فقال ابن جعفر لجارية، ما معك؟ قال رزمة ثياب وأربع مائة دينار، قال: اذهب بها إلى الشيخ العُذرى، قال: فذهب بها، فإذا جارية فى الخباء، فقال: ياهذه خذى هدية ابن جعفر، قالت: إنا قوم لا نقبل على قرى[3] أجرًا، قال: فجاء إلى بن جعفر، فأخبره، فقال: عُد إليها فإن هى قبلت وإلا فارم بها على باب الخيمة فعاودها فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإنا قوم لا نقبل على قرانا أجرًا، فوالله لئن جاء شيخى فرآك هاهنا لتلقانا منه أذى، قال: فرمى بالرزمة والصرّة على باب الخباء ثم

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٥).

(٢) أغب اللحم: أنتن كغبّ، وأغب القوم: جاءهم يومًا وترك يومًا كغب عنهم.

(٣) قرى: ضيافة.

ارتحلنا، فما سرنا إلا قليلاً حتى إذا نحن بشخص يرفعه السراب مرة ويضعه أخرى، فلما دنا منا إذا نحن بالشيخ العذرى ومعه الصرة والرزمة، فرمى بذلك إلينا ثم ولى مدبراً، فجعلنا ننظر فى قفاه هل يلتفت فهيهات قال: فكان ابن جعفر يقول: ماغلبنا بالسّخاء إلا الشيخ العُذرى[1].

٦- ما سمعت بأعجب من هذا:

خرج عبد الله بن جعفر حاجًا حتى إذا كان ببعض الطريق تقدم ثقله على راحلة له، فانتهى إلى أعرابية جالسة على باب الخيمة، فنزل عن راحلته ينتظر أصحابه، فلما رأته قد نزل، قامت إليه، فقالت: إلىّ بوَّاك الله مساكن الأبرار، قال: فأعجب بمنطقها، فتحول إلى باب الخيمة، فألقت إليه وسادة من أدم، فجلس عليها، ثم قامت على عنيزة لها فى كسر الخيمة، فما شعر حتى قدمت منها عضواً فجعل ينهش وأقبل أصحابه فلما رأوه نزلوا، فأتتهم بالذى بقى عندها من العنز، فطعموا وأخرجوا سفرهم، فقال عبد الله: ما بنا إلى طعامكم حاجة سائر اليوم. فلما أراد أن يرتحل دعا مولاه الذى كان يلى نفقته فقال: هل معك من نفقتنا شيء؟ قال: نعم، قال: وكم هو؟ قال: ألف دينار، قال: أعطها خمس مائة واحتبس لنفقتك باقيها، قال: فدفعه إليها، فأبت أن تقبل، فلم يزل عبد الله يكلمّها وهى تقول: أي والله أكره عذل بعلى[2]، فطلب إليها عبد الله حتى قبلت فودّعها وارتحل هو وأصحابه، فلم يلبث أن استقبله أعرابى يسوق إبلاً له، فقال عبد الله: ما أراه إلا المحذور، فلو انطلق بعضكم فعلم لنا علمه ثم لحقنا، فانطلق بعض أصحابه راجعًا متنكرًا حتى نزل قريبًا منه، فلما أبصرت المرأة الأعرابى مقبلاً قامت إليه تفداه وتقول: بأبى أنت وأمى

توسمته لما رأيت مهابة ... عليه فقلت: المرء من آل هاشم
وإلا فمن آل المرار فإنهم ... ملوكُ ملوكٍ من ملوك أعاظم
فقمت إلى عنز بقيت أعنز ... فأذبحها فعل امرئ غير نادم
يعوضنى منها غنان ولم يكن ... يساوى لُحيم العنز خمس دراهم[3]

---

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٠).
(٢) البعل: الزوج.
(٣) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٢).

فأظـهرت له الدنانيـر، وقصت عليـه القصـة، فقـال: بئس لعمـر الله معـقل الأضياف كنت، أبعت مـعروفك بما أرى من الأحجار؟ قـال: إنى والله قد كرهت ذلك، خفت الـعذْلَ، قال: وهذه لم تخـافى العار، وخـفت العذْلَ؟ كـيف أخذ الركب؟ فأشارت إلى الطريق، قال: وهذا يعنى الرجل الذى أرسله عبد الله فقال: أسرجى لى فرسى، قالت: تصنع ماذا؟ قال: ألحق القوم، فإن سلموا لى معروفى وإلا حاربتهم، قالت: أنشدك الله أن تفعل فتـسوءهم، فأقبل عليها ضربًا، وقال: ركنت إلى إمحـاق المعروف؟ قال: وركـب فرسه، وأخـذ رمحه، فـجعل الرجل صاحب عبد الله يسـير معه ويقول له: ما أراك تدرك القـوم، فقال: والله لآتينهم ولو بلغوا كذا وكذا، فلما رأى الرجل أنـه غير منته قال: على رسلك، أُدرك لك القوم وأخبرهم خبرك، فتقدم الرجل، فأخبر ابن جعفر، وقصّ عليه القصة، فقال عبد الله: قـد كانت حذرة من المشـؤوم، فقال: فرهقـهم، فسلّم عليه ابن جعـفر وأخبره بحـسن صنيع المرأة، فقال: والله ما رأيت ذلك بتمّـامه، فلم يزل يكلمّه، وسأله، فأبى الأعرابى إلا ردّها، فلما رأى عـبد الله ذلك قال: لننظر ما عنده، ما نحبّ أن يرجع إلينا شىء قد أمـضيناه، قال: فقام من بين يديه، فـتنحى، فصلّى ركعتين ثم قـام فركب فرسه، وأخرج قوسه، ونبله، فقـال له عبد الله: ما هاتان الركعتان؟ قال: استخرت فيـها ربى عز وجل فى محاربتكم، وقال: فعلى ما عزم لك من ذلك؟ قـال: عزم لى علـيه رشـدًا أو ترجعـون أحجـاركم وتسلمـون لنا معروفنا، فقال له عبد الله: نفعل فأمر بالدنانير فقُبضت، فولّى الأعرابى منصرفًا، فقال له عبد الله: ألا نزودك طعامًا؟ قـال: الحىّ قريب فهل من حاجة؟ قال: نعم قال: ومـا هى؟ قال: المرأة تخبـرها بسوء فعلك، فـاستضـحك الأعرابى، وولّى منصرفًا، فقـدم عبد الله بن جعفر بعد ذلك على يزيد بن معـاوية، فحدّثه حديث الأعرابى، فقال يزيد: ما سمعت بأعجب من هذا[1].

٧- إن الله لايحب المسرفين:

جاءت امرأة إلى عبـد الله بن جعفر بدجاجة مسمـوطة فى مكتل فقالت: بأبى أنت، هذه الدجاجة كـانت مثل بُنيتى أكل من بيضهـا وتونسنى، فآليت ألا أدفنها

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٣).

إلا فى أكرم موضع أقدر عليه، ولا والله ما فى الأرض موضع أكرم من بطنك، قال: خذوها منها، واحملوا إليها من الحنطة كذا، ومن التمر كذا، وأعطوها من الدّراهم كذا، فعدد شيئًا، فلما رأت ذاك قالت: بأبى أنت، إن الله لايحب المسرفين[١].

٨- كساد سلعة مجلوبة إلى سوق المدينة:

جلب رجل من أهل البصرة سكرًا إلى المدينة، فكسد عليه، فذكر لعبد الله، فأمر قهرمانه[٢]، أن يشتريه فيدعو الناس فينهبهم[٣] إياه[٤]، وفى رواية قالوا للرجل: ائت عبد الله بن جعفر، فأتاه فاشتراه منه، وقال: من شاء أخذ، فقال الرجل: آخذ معهم؟ قال: خذ[٥].

٩- إنفاقه مالاً وصله من يزيد بن معاوية:

وجَّه يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر مالاً جليلاً هدية، ففرَّقه فى أهل المدينة، ولم يُدخل منزله منه شيئًا، وفى ذلك يقول عبيد بن قيس الرقيّات:

وما كنت إلا كالأغر بن جعفر رأى المال لايبقى فأبقى له ذكرًا[٦]

وعندما وفد عبد الله بن جعفر على يزيد، أمر له بألفى ألف[٧]، وعلق الذهبى فقال: ماذاك بكثير، جائزة ملك الدنيا لمن هو أولى بالخلافة منه[٨].

١٠ - دعاء أعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه:

قال أعرابى لعبد الله بن جعفر: لا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، وأنعم الله عليك نعمة يعجز عنها شكرك[٩].

---

(١) تاريخ الإسلام (٦١/ ٨٠)، ص (٤٣١، ٤٣٢).

(٢) القهرمان: كلمة فارسية وهو كالخازن والحافظ لما تحت يده.

(٣) ينهبهم إياه: أى يعطيه لهم نُهبى بدون ثمن.

(٤) الطبقات، للسلمى (١/ ١٩).

(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٣).

(٦) الإصابة (٤/ ٣٨).

(٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٧).

(٨) المصدر نفسه (٣/ ٤٥٧).

(٩) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠١).

١١- ذاك مالى جدت به:

رُئى عبد الله بن جعفر (يماكس) فى درهم، فقيل له: تماكس فى درهم وأنت تجود من المال بكذا أو كذا؟ فقال: ذاك مالى جُدت به، وهذا عقلى بخلت به[١].

١٢- هذا رجل أراد أن يبخل الناس، أمطر المعروف مطراً:

ذكر بعض أهل العلم، أن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه أنشد:

إنّ الصنيعة لاتكون ضيعة حتى يصاب بها طريق المقنع

فقال محمد بن عبد الله المهرانى: هذا رجل أراد أن يبخل الناس، أمطر المعروف مطراً، فإن صادفت موضعًا فذاك ما أردت، وإلا رجع إليك[٢].

١٣- إنما الجوادُ الذى يبدئ المعروف:

قال عبد الله بن جعفر ذى الجناحين: ليس الجواد الذى يعطى بعد المسألة، لأن الذى يبذل السائل من وجهه وكلامه أفضل مما يبذل من نائله، وإنما الجواد الذى يبدئ المعروف[٣].

١٤- إنا لا نأخذ على المعروف ثمنًا:

روى أن دُهقانا من أهل السواد كلم بن جعفر فى أن يكلم أمير المؤمنين عليًا فى حاجة، فكلّمه فيها، فقضاها له، فبعث إليه الدُّهقان أربعين ألفًا، فقالوا: أرسل الدُّهقان الذى كلمّت له، فقال للرسول: قل له، إنّا أهل بيت لا نبيع المعروف[٤]، وفى رواية: إنا لا نأخذ على المعروف ثمنًا[٥].

١٥- هو والناس فى ماله شركاء:

قيل لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له مادون الناس، هو والناس فى ماله شركاء، كان من سأله أعطاه، ومن استمنحه شيئًا منحه، لايرى أنه يقتصر فيقتصر، ولايرى أنه يحتاج فيدخر[٦].

---

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠١) والمماكس محاولة تنزيل السعر من البائع.

(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠١).

(٣) المصدر نفسه (٢٩/ ٢٠٠).

(٤) المصدر نفسه (٢٩/ ١٨٦).

(٥) المصدر نفسه (٢٩/ ١٨٧).

(٦) المصدر نفسه (٢٩/ ١٩٨).

- من أخبار عبد الله بن جعفر مع معاوية:

كان عبد الله بن جعفر يفد على معاوية، وعلى عبد الملك، وكان كبير الشأن كريمًا، جوادًا، يصلح للإمامة[1]، وكانت علاقته بمعاوية متميزة وقوية، حتى أنه سمّى أحد أولاده بمعاوية وعن أبان بن تغلب، قال: ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر قدم على معاوية وكانت له وفادة فى كل سنة، يُعطيه ألف ألف درهم، ويقضى له منه حاجة[2]، وقد ذكرت كتب الأدب والتاريخ روايات بين معاوية، وابن جعفر لا تثبت ولا تصح وهى كثيرة، منها: ما قال يحيى بن سعيد بن دينار: بينما عبد الله ابن جعفر ذات ليلة عند معاوية بالخضراء[3] بدمشق إذ ورد على معاوية كتاب غمّه من الحسين بن على، فضرب به الأرض، ثم قال: من يعذرنى من ابن أبى تراب، والله لهممت أن أفعل به وأفعل. قال: فجعل عبد الله بن جعفر يجيبه بنحو مما يشتهى ويداريه حتى قام، فانصرف، قال: وكانت بينهما خوخة، فلما صار إلى منزله دعا برواحله فقعد عليها وخرج من ساعته متوجهًا إلى المدينة قال: ودخل معاوية على امرأته[4] بنت قرظة مغتمًا فقال: ماذا صنعت الليلة بابن جعفر ففحشت عليه وأسمعته فى ابن عمه ما يكره، وحال ابن جعفر حاله وحبه لنا ومودته إيانا، فقالت: بئس والله ما صنعت ما أقبح ما أتيت إليه؛ فبات ليلته مغتمًا يتذكر صنيعه به ولا يأخذه النوم حتى أسحر، فقام فتوضأ وقال: والله لا ينبهه من فراشه غيرى، فمشى إليه، فدخل فإذا ليس فيه أحد فسأل عنه فقيل له: رحل إلى المدينة ساعة من عندك، فبعث فى إثره، وقال: أدركوه فردوه ولو دخل منزله، فلحقوه فردوه إليه، فجعل معاوية يعتذر إليه منه تلك الليلة، وقال: قد أقطعتك ووهبت لك كل شيء[5] مررت به فى مسيرك، قال: وقد كان، بإبل وغنم كثيرة لمعاوية فأمر بها فقبضها وذهب ما كان فى نفسه[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٨).

(٢) المصدر نفسه (٣/ ٤٥٩).

(٣) قصر معاوية بدمشق.

(٤) هى فاختة بنت قرظة بنت عمرو بن نوفل بن عبد مناف.

(٥) المراد: كل شيء نملكه.

(٦) الطبقات (٢/ ١٩، ٢٠) تحقيق السلمى، إسناده ضعيف منقطع.

هذا الخبر لايصح لأن إسناده ضعيف منقطع، فيحيى بن سعيد بن دينار السعدى، شيخ للواقدى، مجهول[1]، فهذا الأثر على سبيل المثال لا الحصر، وتذكر كتب التاريخ والأدب مساجلات شعرية بين معاوية وعبد الله بن جعفر منها؛ عن يونس بن ميسرة بن حلبس يقول: بلغ معاوية أن عبد الله بن جعفر أصابه خفقٌ وجهد هذا أو نحوه، فكتب إليه ببيتين من شعر:

لمال المرء يصلحه فيغنى مفاقره أعفّ من القنوع
يسد به نوائب تعتريه من الأيام كالنهر الشروع

وكتب إليه يأمره بالقصد ويرغبه فيه وينهاه عن السَّفَر ويعيبه عليه، قال: فأجابه عبد الله بن جعفر:

سلى الطارق المعتر يا أم خالد إذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
أأبسط وجهى أنه أول القرى وأبذل معروفى بهم دون مُنكرى
وقد أشترى عرضى بمالى وما عسى أخوك إذا ما ضيع العرض يشترى
يؤدى إلى الليل إتيان ماجد كريم ومالى سارح مال مقتر

فأعجب معاوية ما كتب إليه، وبعث بأربعين ألف دينار عونًا له على دينه[2].

- **عبد الله بن جعفر وسماع الغناء:**

نسبت كثير من كتب التاريخ والأدب إلى عبد الله بن جعفر سماعه للغناء، وانشغاله بالجوارى وهذا لا يصح، ولايثبت، وإنما جاءت روايات ضعيفة، فقد ذكر ابن عساكر رواية مطولة، عن جماعة من مشايخ قريش من أهل المدينة قالوا: وذكر فيها قصة المغنية عمّارة، وأنه كان يجد بها وجدًا شديدًا[3]، وذكر ابن كثير القصة بصيغة قيل[4]، وقال أبو عمر بن عمر عبد البر: ويقال: . . وكان لايرى بسماع

---

(١) الطبقات (٢/ ١٩).
(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٠).
(٣) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٥).
(٤) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠١).

الغناء بأسًا[1]، وأما الذهبى فلم يذكر فى تقريره أى إسناد يعتمد عليه[2]، فهذه أقوال لاسنام لها ولا خطام، وبعضها مشكوك فى أصله وعليه لايمكننى التسليم بأن عبد الله بن جعفر كان يستمع لغناء الجوارى وكان له معهن قصص من الحب والغرام، كما تزعم الروايات.

- وفاته:

توفى عبد الله بن جعفر سنة ثمانين وهو عام الجحاف[3] نسبة إلى السيل الجحاف بمكة، لأنه جحف على كل شيء مرّ به، وحمل الحجّاج من بطن مكة والجمال بما عليها، والرجال والنساء لايستطيع أحد أن يُنقذهم منه، وبلغ الماء إلى الحجون[5]، وغرق خلق كثير، وقيل: إنه ارتفع حتى كاد أن يُغطى البيت[6]، وقيل: إنه توفى سنة أربع أو خمس وثمانين، وهو ابن ثمانين سنة، ورجح ابن عبد البر وفاته عام ٨٠ هـ وصلّى عليه أبان بن عثمان وهو يومئذ أمير المدينة[7]، فى عهد عبد الملك بن مروان، وقد وضع على قبره بيتين من الشعر جاء فيها:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يُرجى وأنت قريب

تزيد بلى فى كل يوم وليلة ... وتُنسى كما تُبلى وأنت حبيب[8]

---

(١) الاستيعاب(٣/ ٨٨١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٢).

(٣) نسبة إلى سيل الجحاف، الطبقات تحقيق السلمى (٢/ ٢٥).

(٤) الحجون: جبل بأعلى مكة، معجم البلدان (٢/ ٢١٥).

(٥) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٦).

(٦) الاستيعاب (٣/ ٨٨١).

(٧) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٤).

المبحث الرابع

صلح الحسن بن على مع معاوية رضى الله عنهم

بويع الحسن رضى الله عنه بيعة عامة، وبايعه الأمراء الذين كانوا مع والده، وكل الناس الذين بايعوا لأمير المؤمنين على رضى الله عنه، وباشر سلطته كخليفة، فرتب العمال وأمّر الأمراء وجند الجنود وفرق العطايا، وزاد المقاتلة فى العطاء مائة مائة؛ فاكتسب بذلك رضاءهم[1]، وكان فى وسعه أن يخوض حربًا لا هوادة فيها ضد معاوية، وكانت شخصيته الفذة من الناحية السياسية، والعسكرية، والأخلاقية، والدينية تساعد على ذلك مع وجود عوامل أخرى، كوجود قيس بن سعد بن عبادة، وحاتم بن عدى الطائى وغيرهما من قادة المسلمين الذين لهم من القدرات القيادية الشىء الكثير، إلا أن الحسن بن على مال إلى السلم والصلح لحقن الدماء، وتوحيد الأمة، ورغبة فيما عند الله وزهده فى الملك، وغير ذلك من الأسباب التى سيأتى بيانها وتفصيلها، وقد قاد الحسن بن على مشروع الإصلاح الذى توّج بوحدة الأمة، وظل زمام الموقف فى جانبه وبيده ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما جاء فى رواية البخارى، وقد عبر عن ذلك عمرو بن العاص عندما قال: إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها[2]، وقال الحسن ابن على : كانت جماجم العرب بيدى تحارب من حاربت وتسالم من سالمت[3]، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية رضى الله عنه إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه، ومطالبه.

وتفوق جانب معاوية على الحسن لا مراء فيه فهل صالح الحسن معاوية لهذا السبب[4]؟، قال ابن تيمية فى منهاج السنة:

---

(١) تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى، ص (٨٧)، مقاتل الطالبين، ص (٥٥).

(٢) البخارى، ك الصلح رقم (٢٧٠٤).

(٣) المستدرك (٣/ ١٧٠) صحيح على شرط الشيخين.

(٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين بطاينة، ص (٦٠، ٦١).

فقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية بمن كان معه وإن كان أقل ممن كان مع معاوية صنيع الذين قاتلوا خصومهم على قلة من كان معهم من الأعوان والأنصار، ولكن الحسن كان ذا خلق يجنح إلى السلم وكراهة الفتنة ونبذ الفرقة، جعل الله به رأب الصدع، وجمع الكلمة[1].

وكان رضى الله عنه يملك رؤية إصلاحية واضحة المعالم، خضعت لمراحل، وبواعث، وتغلبت على العوائق وكتبت فيها شروط، وترتبت عليها نتائج، وأصبح هذا الصلح من مفاخر الحسن بن على رضى الله عنهما على مر العصور وتوالى الأزمات، حتى قال الدكتور خالد الغيث حفظه الله: كان الحسن رضوان الله عليه فى صلحه مع معاوية رضى الله عنه، وحقنه لدماء المسلمين، كعثمان فى جمعه للقرآن، وكأبى بكر فى الردة[2]، ولا ادل على ذلك فى كون هذا الفعل من الحسن يعد علمًا من أعلام النبوة، والحجة فى ذلك ما أخرجه البخارى من طريق أبى بكرة رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن على إلى جنبه - وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: **إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**[3]. إن صلح الحسن مع معاوية رضى الله عنه من الأحداث العظام فى تاريخ الأمة الإسلامية، وقد أسهم فى تبوُّؤ هذا الحدث لهذه المنزلة عدة أسباب منها:

١- كونه علمًا من أعلام النبوة.

٢- إن من ثمار هذا الصلح حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم على إمام واحد بعد سنوات من الفرقة.

٣- كون الحسن رضى الله عنه أول خليفة يتنازل عن منصبه ويخلع نفسه طواعية، وبدون ضغوط، ومن مركز قوة لا من مركز ضعف، من أجل إصلاح ذات بين المسلمين.

---

(١) منهاج السنة (٤/٥٣٦)، دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦١).

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، خالد الغيث، ص (١٣٤).

(٣) البخارى، رقم (٧١٠٩).

٤- كون الحسن رضى الله عنه آخر خلفاء مرحلة النبوة من هذه الأسباب وغيرها امتلأت كتب العقيدة والسنة والتاريخ والأدب وغيرها من المصادر بأخبار صلح الحسن مع معاوية رضى الله عنهما، والقارئ لتلك المصادر - بما فيها تاريخ الطبرى- يلاحظ كثرة روايات الصلح وتضاربها مع بعضها واختلاط ضعيفها بصحيحها وتشابه بعض أحداثها، يضاف إلى ذلك عدم مراعاة المصادر للترتيب الزمنى لوقوع الحدث، مع أن التسلسل الزمنى لمجريات الصلح يعد بالغ الأهمية لفهم الحدث[1]، ولقد قام الأخ الكريم الدكتور خالد الغيث بجهد كبير فى دراسة تلك المصادر واستخراج الروايات الصحيحة منها، واعتمدها فى ترتيب أحداث الصلح ترتيبًا زمنيًا، كما استفاد من بعض الروايات الضعيفة المتوافقة مع الروايات الصحيحة وفقًا للمنهج الذى بيَّنه فى رسالته المعروفة، بمرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى من أجل استكمال تفاصيل الحدث[2]، ولقد استفدت من ذلك الجهد الرائع، والترتيب المبدع، والتسلسل الجميل لمجريات الصلح.

- أهم مراحل الصلح:

المرحلة الأولى:

دعوة الرسول ﷺ للحسن بأن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فتلك الدعوة المباركة التى دفعت الحسن رضى الله عنه إلى الإقدام على الصلح بكل ثقة وتصميم[3]، فقد قال ﷺ: **إن ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**[4]، فلم تكن نبوءة رسول الله ﷺ عن الحسن بن على أنه سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين مجرد نبأ يسمعه الحسن والمسلمون ويصدقونه كالنبوءات النبوية الأخرى، بل كانت الكلمة الموجهة الرائدة للحسن بن على رضى الله عنهما فى اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، لابدّ أنها حلّت فى قرارة نفسه، واستولت على مشاعره، وامتزجت بلحمه ودمه، واعتبرها كوصيّة من

---

(١)، (٢)، (٣) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٢٥).

(٤) البخارى، رقم (٧١٠٩).

الرسـول ﷺ -وهو نبيـه وجدُّه- يتكلم بـهذه الكلمـات رأى السرور فى أسـارير وجهـه، والبريق فى عينيه ﷺ، فـتمسك بهـا كهدف من أهداف حيـاته، وكالمثل الأعلى له فى مستقبله.

وقد ظهرت آثار هذه النبوءة فى جمـيع حركاته وسكناته، حتى فى الحديث مع والده الكبير الذى يحبـه حبّ الأبناء البررة للآباء العظام الذين خصهم الله بمواهب ومناقب، قلّما يشاركهم فيهـا أفراد الأمة، وكان من أعرف الناس بها بحكم البنوة والصحـبة، ويجلّه إجلال العـارفين والمعجـبين، وقد أشار عـلى أبيه علىّ بن أبى طالب بعد مقتل عثمان أن يعتزل الناس إلى حيث شاء من الأرض حتى تثوب إلى العرب عـوازب أحلامهـا، وقال له: لو كنت فى جُـحر ضبّ لاستـخرجـوك منها فبايعـوك دون أن تعرض نفسك لهم، ولما عزم علىّ على قتـال أهل الشام، وعزم على التجـهّز، وخرج من المدينة وهو عـازم على أن يقاتل بمن أطاعه من عـصاه، جاء إليه الحسن بن على وقال: يا أبت دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم[1]، ولكن عليًا لم يقبل ما أشـار به الحسن ولم يكن ليترك الناس فى فتنة دون أن يؤدى ما يدين الله به من أمـر بمعروف ونهى عن منكر، وردّ الأمر إلى نصابه، والحقّ إلى أصحابه ولكلٍّ وجـهة هو موليها[2]، وكان على رضى الله عنه مصيبًا فى رأيه.

وقد ظـهرت المعـجزة النبـوية، وبلغت ذروتها بتـربية الحـسن بن على التربـية الإسلامية الربانيـة، من كون هذا الإمام الفذ سيدًا جليلاً، وليست السـيادة بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحـرمات، بل السيادة بصيانتهـا وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحـقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة، التى لايسـتطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفًـا منها، وقد صالح الحسن مـعاوية وحوله الألوف فيهم من هو طامع مدسوس ولكن فيهم الكثيـر الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسـببـه قطرة دم، أو يخـدش مـسلم فى هذا السـبيل، وإن الرئاسـة للأقوام إن لم تكن لصيانتها، وحياطتها وحفظها، وترقيتها فهى نوع من الطاغوت

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٩، ٢٣٠) نقلا عن المرتضى للندوى، ص (١٩٨).
(٢) المرتضى للندوى، ص (١٩٨).

الأعمى والتهور الأحمق، والمغامرة والمقامرة التى تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال والسباب وينتهى أصحابها إلى غضب الله، ولعنة التاريخ، وهل تدافع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا؟![1].

لقد كان الحسن زاهداً فى الدنيا والملك والرئاسة، ولو أرادها لأدار الحرب الطحون سنين وسنين ولكنه كان ينظر إلى الدار الآخرة، ويريد حفظ دماء أمة محمد ﷺ، قال الحسن البصرى: فلما ولى الحسن ما أهريق فى سببه محجمة دم[2]، وكان يعلنها صريحة ويفتخر بذلك ويعتز بتنفيذه للوصية النبوية، وسلوكه مسلك التربية الإيمانية[3]، فقد أصلح الله بالحسن بين أهل العراق والأمة كلها، فجعل النبى ﷺ الإصلاح من فضائل الحسن، مع أن الحسن نزل عن الأمر وسلم الأمر إلى معاوية، فلو كان القتال هو المأمور به دون ترك الخلافة ومصالحة معاوية لم يمدحه النبى ﷺ على ترك ما أمر به وفعل ما لم يؤمر به، ولا مدحه على ترك الأولى وفعل الأدنى، فعلم أن الذى فعله الحسن هو الذى كان يحبه الله ورسوله لا القتال[4].

المرحلة الثانية:

شرط البيعة الذى وضعه الحسن رضى الله عنه أساساً لقبوله مبايعة أهل العراق له، ذلك الشرط الذى نص على أنهم يسالمون من يسالم ويحاربون من يحارب[5]، فعن ميمون بن مهران، قال: إن الحسن بن على بن أبى طالب بايع أهل العراق بعد علىّ على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه ويرضوا بما رضى به[6]، وفى رواية أخرى، من طريق خالد بن مضَّرب، قال:

---

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص(٩٤).

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (٦/ ٤٤٣)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٥).

(٣) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٥).

(٤) الفتاوى (٢٨/ ٣٠٠).

(٥) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٥٦).

(٦) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣١٦، ٣١٧) إسناده حسن.

سمعت الحسن بن على يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت[1]. ويستفاد من الروايتين ابتداء الحسن رضى الله عنه فى تبييته لنية الصلح قبل استخلافه، وذلك تحقيقًا منه لنبوءة المصطفى[2]، وأدخل الحسن رضى الله عنه بشرطه فى عقلية العراقيين بأن خيار السلم قابل للنقاش والأخذ والعطاء، وليس فيه إرادة السلم على الحرب، فهو يشتمل عليهما معًا، وإن كان يوحى بالسلم وهذا دليل على عبقريته وحسن قيادته، ومعرفته بالأمور، كما أنه رضى الله عنه تقدم للخلافة لما كانت مصلحة الإسلام والمسلمين فى ذلك.

المرحلة الثالثة:

وقوع المحاولة الأولى لاغتيال الحسن رضى الله عنه بعد أن كشف عن نيته فى الصلح مع معاوية رضى الله عنه، وهذه المحاولة يبدو إنها قد جرت بعد استخلافه بقليل، وهو ما أشارت إليه الروايات التالية: ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته من طريق أبى جميلة[3]: أن الحسن بن على لما استخلف حين قتل على، فبينما هو يصلى إذا وثب عليه رجل فطعنه بخنجر- وزعم حصين بن عبد الرحمن السلمى أنه بلغه أن الذى طعنه رجل من بنى أسد- والحسن ساجد، قال حصين: وعمى أدرك ذلك، قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت فى وركه فمرض منها أشهرًا ثم برئ، فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال: فما زال يقول ذلك حتى ما رئى أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن[4] بكاء[5]. وما أخرجه ابن سعد فى طبقاته من طريق هلال بن يساف[6]، قال: سمعت الحسن بن على وهو يخطب وهو

(١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٨٦، ٣٨٧) إسناده صحيح.

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١١١).

(٣) ميسرة بن يعقوب، أبو جميلة الطهوى ذكره بن حبان فى ثقاته (٥/ ٤٢٧).

(٤) الخنين: البكاء فى الأنف، القاموس المحيط، ص (١٥٤١).

(٥) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٢٣).

(٦) هلال بن يساف الأشجعى أخرج له البخارى حديثه معلقًا ومسلم والأربعة، التقريب، ص (٥٧٦).

يقول: يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وإنا أضيافكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قال: فما رأيت يومًا قط أكثر باكيًا من يومئذ[1].

المرحلة الرابعة:

خروج الحسن رضى الله عنه بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وإرساله للقوة الضاربة من الجيش وهى شرطة الخميس إلى مسكن بقيادة قيس بن سعد بن عبادة[2]، وقد أشار ابن سعد فى طبقاته إلى ذلك فى الرواية التى أخرجها من طريق الشعبى، قال: بايع أهل العراق بعد على بن أبى طالب الحسن بن على، ثم قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله، ارتكبوا العظيم وابتزوا[3] الناس أمورهم، فإنا نرجو أن يمكن الله منهم، فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة فى اثنى عشر ألفًا، وكانوا يسمون شرطة الخميس[4].

من خلال الرواية السابقة يتضح أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن رضى الله عنه إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن كثير رحمه الله بقوله: ولم يكن فى نية الحسن أن يقاتل أحدًا، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعًا عظيمًا لم يُسمع بمثله، فأمّر الحسن بن على، قيس ابن سعد بن عبادة، على المقدمة فى اثنى عشر ألفًا بين يديه، وسار هو بالجيوش فى أثره قاصدًا بلاد الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه[5]، وقد أشهر الحسن حنكة كبيرة دلت على سعة أفقه ودهائه وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر لأنه يعرف خفتهم وتهورهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم،

---

(١) الطبقات: تحقيق السلمى (١/ ٣٨١) إسناده صحيح.

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٢١).

(٣) الابتزاز: أخذ الشىء بجفاء وقهر.

(٤) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣١٩-٣٢١) إسناده لا بأس به.

(٥) البداية والنهاية (١١/ ١٣٢).

وعلى سلامه ما اتجه إليه، فوافقهم على المسير لحرب معاوية وعبأ جيشه[١]، وكان خروج الحسن بن على من الكوفة إلى المدائن على ما رجحه الدكتور خالد الغيث فى شهر صفر من السنة التالية وهى سنة ٤١ هـ[٢].

المرحلة الخامسة:

خروج معاوية رضى الله عنه من الشام وتوجه إلى العراق بعد أن وصل خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن بجيوشه، يقول ابن سعد فى طبقاته: وأقبل معاوية فى أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبج[٣]، ثم أضاف قائلاً: فأقبل من جسر منبح إلى مسكن فى خمسة أيام وقد دخل يوم السادس[٤]، وقد تأخر خروج معاوية وكان ذلك بعد سماعه لخروج الحسن بجيوشه، وكان معاوية قد أصيب إصابة بليغة من جراء محاولة الاغتيال التى تعرض لها من قِبَلْ الخارجى البرك بن عبد الله التميمى، حين خرج لصلاة الفجر، وهى المحاولة التى نفذت فى نفس فجر اليوم الذى اغتيل فيه على رضى الله عنه، وهو فجر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ على الصحيح المشهور من الأقوال[٥]، وقد أشار الخلاَّل إلى شدة إصابة معاوية رضى الله عنه فى الرواية التى أخرجها من طريق جندب قال: كنا مع سعد بن أبى وقاص فى ركب فنزل سعد ونزلت واغتنمت نزوله قال: فجعلت أمشى إلى جانبه فحمدت الله وأثنيت عليه وقلت: إن معاوية طعن طعنًا بينًا لا أراها إلا قاتلته، وإن الناس[٦] قاتلون بقية أصحاب الشورى، وبقية أصحاب رسول الله ﷺ، فأنشدك الله إن وليت شيئًا من أمرهم، أو تشق عصاهم وأن تفرق جمعهم، أو تدعوهم إلى أمر مهلكة، فحمد سعد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فوالله لا أشق عصاهم ولا أفَرِّقهم جمعهم، ولا أدعهم إلى أمر هلكة حتى يأتونى بسيف يقول: ياسعد هذا مؤمن فدعه، وهذا كافر فاقتله[٧].

---

(١) العالم الإسلامى فى العصر الأموى، د. عبد الشافى محمد، ص (١٠١).

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٣٠).

(٣) جسر منبح قرية فى الجزيرة الفراتية، الطبقات، السلمى (١/ ٣٢١).

(٤) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٢٣).

(٥) البداية والنهاية (١١/ ١٣١).

(٦) يقصد الخوارج.

(٧) السنة للخلال تحقيق د. الزهرانى، ص (٤٧٤، ٤٧٥) إسناده صحيح.

وبينما الحسن فى المدائن، إذ نادى منادٍ من أهل العراق إن قيسًا قد قتل فسرت الفوضى فى الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم فى عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى أنهم نازعوه بساطًا كان تحته، وطعنوه وجرحوه، وهنا حدثت حادثة لها دلالة كبيرة، فقد كان والى المدائن من قبل على، سعد بن مسعود الثقفى، فأتاه ابن أخيه المختار بن أبى عبيد بن مسعود، وكان شابًا، فقال له: هل لك فى الغنى والشرف؟ قال: وماذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له عمه: عليك لعنة الله، أثبت على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه، بئس الرجل أنت[1]، فلما رأى الحسن صنع أصحابه أيقن أنه لا فائدة منهم، ولانصر يرجى على أيديهم، وهذه كانت قناعته من البداية[2]، فدفعه ذلك إلى قطع خطوات أوسع والاقتراب أكثر من الصلح.

المرحلة السادسة:

تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقوع الصلح بينهما رضوان الله عليهما، فقد سجل الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة حين التقى الجمعان، جمع أهل الشام وجمع أهل العراق، وذلك فى الرواية التى أخرجها من طريق الحسن البصرى، قال: استقبل- والله - الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية- وكان والله خير الرجلين: أى عمرو، وإن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لى بأمور الناس، مَنْ لى بنسائهم، من لى بضيعتهم[3]؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس- عبد الرحمن ابن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه. فأتياه، فدخلا عليه، فتكلما، وقالا له، وطلبا إليه، فقال

(١) تاريخ الطبرى (٥/١٥٩) نقلاً عن العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص (١٠١).

(٢) العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص (١٠١).

(٣) قال ابن حجر رحمه الله: يشير- يقصد معاوية- إلى أن رجال العسكرين معظم من فى الإقليمين، فإذا قتلوا ضاع أمر الناس وفسد حالهم بعدهم وذراريهم، والمراد بقوله: ضيعتهم: الأطفال والضعفاء وما يؤول إليه أمرهم، لأنهم إذا تركوا ضاعوا لعدم استقلالهم بأمر المعاش.

لهما الحسن بن على: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال[1]، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لى بهذا؟[2] قالا: نحن لك به[3]، فما سألهما إلا قالا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن أى البصرى: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر- والحسن بن على إلى جنبه- وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: **إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**[4]، وقد تحدث ابن حجر رحمه الله عن الفوائد المستنبطة من رواية الصلح فقال:

١- وفى هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة.

٢- ومنقبة للحسن بن على، فإنه ترك الملك لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى مصلحة الأمة.

٣- وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون عليًا ومن معه، ومعاوية ومن معه، بشهادة النبى ﷺ بالطائفتين بأنهم من المسلمين.

٤- وفيها فضيلة الإصلاح بين الناس، ولاسيما فى حقن دماء المسلمين.

٥- ودلالة على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره فى تدبير الملك، ونظره فى العواقب.

٦- وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل، لأن الحسن ومعاوية ولى كل منهما الخلافة، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد فى الحياة وهما بدريان.

٧- وفيه جواز خلع الخليفة نفسه، إذا رأى فى ذلك صلاحًا للمسلمين، والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك

---

(١) أى فرقنا منه فى حياة على وبعده ما رأينا فى ذلك صلاحه، فنبه على ذلك خشية أن يرجع عليه بما تصرف فيه، الفتح (١٣/ ٦٩، ٧٠).

(٢) أى من يضمن لى الوفاء من معاوية، الفتح (١٣/ ٧٠).

(٣) أى نحن نضمن، لأن معاوية كان فوض لهما ذلك الفتح (١٣/ ٧٠).

(٤) البخارى، رقم (٧١٠٩).

وإعطائه، بعد استيفاء شرائطه، بأن يكون المنزول له أولى من النازل، وأن يكون المبذول من مال الباذل، فإن كان فى ولاية عامة وكان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة فى ذلك عامة[١].

كما أخرج ابن سعد - رحمه الله - رواية لا تقل أهمية عن رواية البخارى فى الصلح، وتعد مكملة لها، وهى من طريق عمرو بن دينار[٢]: إن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما توفى على بعث إلى الحسن، فأصلح الذى بينه وبينه سرًا، وأعطاه معاوية عهدًا إن حدث به حدث والحسن حى لَيُسَمِّيَنَّه[٣]، وليجعلن هذا الأمر إليه، فلما توثق منه الحسن، قال ابن جعفر[٤]، والله إنى لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبى وقال: اقعد يا هناه[٥]، وأجلس، فجلست قال: إنى قد رأيت رأيًا وأحب أن تتابعنى عليه قال: قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلى بين معاوية، وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطلت الفروج- يعنى الثغور- فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد، فأنا معك على هذا الحديث، فقال الحسن: ادع لى الحسين، فبعث إلى الحسين فأتاه فقال: يا أخى قد رأيت رأيًا وإنى أحب أن تتابعنى عليه. قال: ما هو؟ قال: فقص عليه الذى قال لابن جعفر قال الحسين: أعيذك بالله أن تكذب عليًا فى قبره وتصدق معاوية. قال الحسن: والله ما أردت أمرًا قط إلا خالفتنى إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فأطينه عليك حتى أقضى أمرى. قال: فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد على، وأنت خليفته، أمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك[٦].

---

(١) فتح البارى (١٣/ ٧١، ٧٢).

(٢) عمرو بن دينار المكى الجمحى مولاهم، ثقة ثبت، من الطبقة الرابعة مات ١٢٦ هـ أخرج له الستة التقريب، ص (٤٢١).

(٣) أى يرشحه للخلافة من بعده، وعندما نتعرض لشروط الصلح، بإذن الله، سوف نبين أن الأمر الذى استقر هو أن يكون بعد وفاة معاوية شورى بين المسلمين.

(٤) أى: عبد الله بن جعفر.

(٥) ياهناه: يارجل.

(٦) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٠، ٣٣١).

ويلاحظ على روايتى البخارى وابن سعد اتفاقهما على أن معاوية رضى الله عنه كان صاحب المبادرة فى الاتصال بالحسن رضى الله عنه وعرض الصلح عليه[1].

من المبادر إلى الصلح الحسن أم معاوية؟

وهنا قد يسأل سائل: من المبادر إلى الصلح، أهو الحسن رضى الله عنه الذى ورد حديث الرسول فى الصلح بحقه، والذى كاد أن يقتل فى المحاولة الأولى لاغتياله بسبب شرط البيعة الذى اشترطه على أهل العراق والذى يفهم منه عزمه على صلح معاوية، أم معاوية رضى الله عنه؟

وجواب ذلك: أن الرغبة فى الصلح كانت موجودة لدى الطرفين، فقد سعى الحسن رضى الله عنه إلى الصلح، وخطط له منذ اللحظات الأولى لمبايعته، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن، فكان عمل كل واحد منهما مكملاً للآخر رضوان الله عليهم أجمعين[2]، والقدح المعلى فى السعى فى نجاح الصلح للحسن.

المرحلة السابعة:

محاولة أخرى لاغتيال الحسن رضى الله عنه:

بعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما، شرع الحسن رضى الله عنه فى تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذى تم، فقام فيهم خطيبًا ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، وفيما هو يخطب هجم عليه بعض عسكره محاولين قتله،لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه كما أنجاه من قبل. وقد أورد البلاذرى خطبة الحسن التى ألقاها فى أتباعه، ومحاولة قتله رضى الله عنه فقال: إنى أرجو أن أكون أنصح خلقه لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة، ولا حقدًا، ولا مريدًا به غائلة، ولا سوءًا، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة، ألا وإنى ناظر لكم خيرًا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرى، ولا تردوا علىّ، غفر الله لى ولكم. فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا: عزم والله

---

(١) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى؛ ص (١٣٨).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٤١).

على صلح معاوية، وضعف وخار، وشدوا على فسطاطه، فدخلوه، انتزعوا مصلاه من تحته، وانتهبوا ثيابه، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى جعال الأزدى، فنزع مطرفه[1] من عاتقه، فبقى متقلداً سيفه فدهش ثم رجع ذهنه، فركب فرسه، وأطاف به الناس، فبعضهم يعجزه ويضعفه، وبعضهم ينحى أولئك منه، ويمنعهم منه، وانطلق رجل من بنى أسد بن خزيمة من بنى نضر بن قعين الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، يقال له: الجراح بن سنان[2]، وكان يرى رأى الخوارج، على مظلم ساباط[3]، فقعد له فيه ينتظره فلما مر الحسن، ودنا من دابته فأخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً[4] كان معه وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بالمعول فى أصل فخذه، فشق فى فخذه شقًا كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرا إلى الأرض، ووثب عبد الله بن الخضل الطائى[5]، فنزع المعول من يد الجراح، وأخذ ظبيان بن عمارة التميمى[6] بأنفه فقطعه، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات، وحُمل الحسن إلى المدائن. ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب، وقام عليه حتى برئ وحوَّله إلى أبيض[7] المدائن[8].

وقد يعترض بشأن خطبة الحسن رضى الله عنه أنها وردت عند البلاذرى وأبى حنيفة الدينورى قبل صلح الحسن ومعاوية رضى الله عنهما، وجواب ذلك، أن ما ورد فى رواية البخارى من وصف لجيش الحسن، يفيد قوة جيش الحسن وتماسكه

---

(١) مطرفه أى: رداءه، الفيروزأبادى القاموس المحيط (١٠٧٥).

(٢) الجراح بن سنان الأسدى له سابقة فى الشر، حيث كان من الذين بهتوا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، وسعوا فى عزله فى الكوفة أيام خلافة عمر، فدعا عليهم سعد، فكان لهم من سوء الخاتمة نصيب، الطبرى (٤/١٤١).

(٣) ساباط المدائن: موضع على الضفة الغربية لنهر دجلة، ومظلم موضع هناك، معجم البلدان (٣/١٦٦) (٥/١٥٢).

(٤) معولاً: حديدة ينقر بها الصخر، القاموس المحيط، ص (١٣٤٠).

(٥) عبد الله بن الخضل الطائى، قال التوابين الذين طالبوا بدم الحسين ٦٥هـ.

(٦) ظبيان بن عمارة، يروى عن على من تابعى أهل الكوفة.

(٧) يسمى القصر الأبيض، يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، الروض المعطار، ص (٩).

(٨) أنساب الأشراف للبلاذرى مخطوطة نقلاً عن مرويات خلافة معاوية، ص (١٤٢).

مما يعنى أن جيش العراق قد قابل جيش الشام وهو فى أحسن حالاته المادية والمعنوية، وحيث إن جيش أهل العراق قد اضطرب حاله بعد خطبة الحسن فإن هذا يعنى انتفاء مقابلة جيش العراق لجيش الشام بعد الخطبة،لذا فإن الأقرب للواقع أن خطبة الحسن فى معسكره كانت بعد التقاء الجيشين العراقى والشامى، وبعد وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما[١]، هذا بالإضافة إلى أن خطبة الحسن هذه كانت مدخلاً وتمهيداً منه رضى الله عنه لإخبار أتباعه بالصلح الذى تم بينه وبين معاوية، وهذا ما تبينه الروايات التالية:

ما أخرجه ابن سعد من طريق رياح بن الحارث[٢]: إن الحسن بن على قام بعد وفاة على رضى الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله واقع، وإن كره الناس، وإنى والله ما أحببت أن ألى من أمر أمة محمد مايزن مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما يضرنى مما ينفعنى فالحقوا بطيتكم[٣] [٤]، وقد يقول قائل: إن هذه الرواية قد قيلت فى الكوفة وليست فى المدائن والجواب على ذلك: أن أحمد بن حنبل أخرج الرواية نفسها من طرق رياح بن الحارث وبإسناد صحيح[٥]، وفيها: أن الناس اجتمعوا إلى الحسن بن على بالمدائن[٦].. ثم ذكر بقية رواية ابن سعد، وحيث إن هذه الخطبة قد قيلت فى المدائن فإن الأرجح أنها قيلت بعد صلح الحسن مع معاوية -رضى الله عنهما- حيث يرد شأنها ما ورد بشأن خطبة الحسن التى عند البلاذرى. بل لعلها كانت جزءاً من خطبة الحسن التى أوردها البلاذرى وأسفرت عن اضطراب معسكر الحسن.

وقد بقيت الإشارة إلى موقف الحسن رضى الله عنه تجاه ما حصل له فى معسكره وهو ما أخرجه ابن سعد من طريق هلال بن خباب[٧]، قال: جمع الحسن ابن على رؤوس أصحابه فى قصر المدائن، فقال: يا أهل العراق، لو لم تذهل

---

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (١٤٢).

(٢) رياح بن الحارث النخفى ثقة، التقريب، ص (٢١١).

(٣) بطيتكم: أى بوجهتكم، لسان العرب (١٥/ ٢).

(٤) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣١٧).

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٧٧٣).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٧٧٣) إسناد صحيح.

(٧) هلال بن خباب العبدى، صدوق، التقريب، ص (٥٧٥).

نفسى[1]، عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبى، ومطعنكم بغلتى وانتهابكم ثقلى، أو قال: ردائى عن عاتقى، وإنكم قد بايعتمونى أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإنى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا قال: ثم نزل فدخل القصر[2].

١- موقف شرطة الخميس من الصلح:

أما موقف شرطة الخميس- وهم مقدمة جيش العراق إلى مسكن- من الصلح، فقد أخرج الحاكم عن أبى الغريف[3]، قال: كنا فى مقدمة الحسن بن على اثنى عشر ألفًا، تقطر أسيافنا من الحدة على قتال أهل الشام، وعلينا أبو العمرطة[4]، فلما أتانا صلح الحسن بن على ومعاوية كأنما كسرت ظهورنا من الحرد[5] والغيظ، فلما قدم الحسن بن علىّ على الكوفة، قام إليه رجل منا يكنى أبا عامر سفيان بن الليل[6]. فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن: لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذل المؤمنين، ولكنى كرهت أن أقتلهم فى طلب الملك[7]. ويبدو أنا أبا العمرّطة كان أميرًا على مجموعة من جيش الخميس فى المقدمة، وكان فيهم أبو الغريف، لأنه من الثابت أن جيش الخميس كان عليه قيس بن سعد رضى الله عنه، كما أن الروايات الصحيحة لاتذكر أى وجود لعبيد الله بن العباس على جيش الخميس، مما يثير الشك حول وجود عبيد الله بن العباس فى العراق فى هذه الفترة[8]، ولايلتفت إلى الروايات الساقطة والموضوعة التى تزعم أن عبيد الله خان الحسن مقابل رشاوى مالية من معاوية.

أما قيس بن سعد فقد تردد فى الدخول فى الصلح، واعتزل بمن أطاعه ثم شرح الله صدره، ودخل فى الصلح وبايع معاوية رضوان الله عليهم أجمعين، وفى

---

(١) تذهل نفسى: تسلو نفسى، لسان العرب (١١/ ٢٥٩).

(٢) الطبقات، تحقيق السُّلمى (١/ ٣٢٤).

(٣) عبيد الله بن خليفة الهمدانى المرادى، صدوق، رمى بالتشيع، التقريب، ص (٣٧٠).

(٤) اسمه عمير بن يزيد الكندى، شارك فى حركة حجر بن عدى سنة ٥١هـ، تاريخ الطبرى (٥/ ٢٥٩)، مرويات معاوية، ص (١٤٦).

(٥) الحرد: الغضب، القاموس المحيط، ص (٣٥٣).

(٦) من الذين شاركوا المختار الثقفى فى الطلب بدم الحسين ٦٦ هـ.

(٧) المستدرك (٣/ ١٧٥).

(٨) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١١٤).

الروايات التالية بيان موقف قيس حين جاءه خبر الصلح، أخرج ابن حجر من طريق حبيب بن أبى ثابت[1]، أنه قال: فبعث الحسن بالبيعة إلى معاوية، فكتب بذلك الحسن إلى قيس بن سعد، فقال قيس بن سعد فى أصحابه فقال: يا أيها الناس، أتاكم أمران، لابد لكم من أحدهما: دخول فى الفتنة، أو قتل مع غير إمام، فقال الناس: ماهذا؟ فقال: الحسن بن على قد أعطى البيعة معاوية، فرجع الناس، فبايعوا معاوية[2].

تشير الرواية السابقة إلى دخول قسم كبير من شرطة الخميس فى الصلح فور سماعهم نبأ وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهم، ولكنها لاتذكر دخول قائدهم قيس بن سعد فى الصلح، وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى ذلك بقوله: وبعث الحسن بن على إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع، فأبى قيس بن سعد قبول ذلك، وخرج من طاعتهما جميعًا، واعتزل بمن أطاعه، ثم راجع الأمر، فبايع معاوية[3]، كما تحدث ابن أبى شيبة عن موقف قيس بن سعد رضى الله عنه- ومن تابعه من شرطة الخميس- من الصلح: فقال: عن هشام ابن عروة عن أبيه، قال: كان قيس بن سعد بن عبادة مع الحسن بن على رضى الله عنه على مقدمته، ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات على بن أبى طالب رضى الله عنه، وتبايعوا على الموت، فلما دخل الحسن فى بيعة معاوية أَبَىَ قيس أن يدخل، وقال لأصحابه: ما شئتم، إن شئتم جالدت بكم حتى يموت الأعجل منا، وإن شئتم أخذت لكم أمانًا، فقالوا: خذ لنا أمانًا، فأخذ لهم كذا وكذا، ألا يعاقبوا بشىء، وأنه رجل منهم، ولم يأخذ لنفسه خاصة شيئًا فلما ارتحل نحو المدينة ومضى بأصحابه جعل ينحر لهم كل يوم جزورًا حتى بلغ[4]، وفى الرواية السابقة- على ما فيها من تقديم وتأخير فى تسلسل الأحداث- إشارة لعدد الذين تابعوا قيسًا من المجموع الكلى لتعداد شرطة الخميس الذى هو اثنا عشر ألفا[5].

---

(١) حبيب بن أبى ثابت بن دينار الأسدى، التقريب، ص (١٥٠).

(٢) المطالب العلية (٤/ ٣١٧-٣١٩) هذا الإسناد صحيح.

(٣)، (٤) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

(٥) مصنف ابن أبى شيبة (٧/ ٤٧٢).

٢- مواقف أمراء على رضى الله عنه من الصلح:

اتسمت مواقف أمراء على رضى الله عنه من الصلح بالتباين والتفاوت، حيث قبله بعضهم وكرهه بعضهم الآخر، وفيما يلى تبيان لتلك المواقف:

أ- موقف القبول والاستحسان، ويأتى فى مقدمة هؤلاء عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه.

ب- موقف الرفض ثم القبول، ويأتى فى مقدمة هؤلاء قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه، وزياد بن أبيه.

جـ - وهناك فريق ثالث دخل فى الصلح وهو كاره له، هؤلاء ينقسمون إلى قسمين.

- قسم يرى أن الصلح ملزم له فى ظل حياة الحسن رضى الله عنه فقط، ويمثل هؤلاء حجر بن عدى رضى الله عنه.
- قسم يرى أن الصلح ملزم له فى ظل حياة الحسن ومعاوية رضى الله عنه، أو الآخر موتًا منهما، ويمثل هؤلاء الحسين بن على رضى الله عنهما .

المرحلة الثامنة:

تنازل الحسن بن على عن الخلافة وتسليمه الأمر إلى معاوية رضوان الله عليهم أجمعين.

بعد أن أنجى الله سبحانه وتعالى الحسن بن على من الفتنة التى وقعت فى معسكره، ترك المدائن وسار إلى الكوفة، وقد تحدث البلاذرى عن مسير الحسن إلى الكوفة، فقال : قالوا: ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة، حين جاءه ابن عامر[١]، وابن سمرة[٢] بكتاب الصلح، وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد خطب فقال فى خطبته: وعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا، وسار إلى الكوفة[٣]، بعد ذلك سار معاوية رضى الله عنه من مسكن إلى النخيلة[٤]، وفى

(١) هو عبد الله بن عامر رضى الله عنه.

(٢) هو عبد الرحمن بن سمرة.

(٣) أنساب الأشراف مخطوط، ص (٤٤٧) نقلاً عن مرويات معاوية، ص(١٥٠).

(٤) النخيلة موضع قرب الكوفة على سمت الشام، معجم البلدان (٥/ ٢٧٨).

ذلك يقول البلاذرى: قالوا: وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة ونزل بين النخيلة ودار الرزق[1]، ثم خرج الحسن رضى الله عنه من الكوفة إلى النخيلة ليقابل معاوية رضى الله عنه ويسلم الأمر له، فعن مجالد[2]، عن الشعبى[3]، قال: شهدت الحسن بن على رضى الله عنه بالنخيلة حين صالحه معاوية رضى الله عنه، فقال معاوية: إذا كان ذا فقم فكلم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لى، وربما قال: أخبر الناس بهذا الأمر الذى تركته لى- فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه- قال الشعبى: وأنا أسمع- ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقًا لى تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقًا كان لامرئ كان أحق به منى ففعلت ذلك ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[5] [الأنبياء: ١١١]. كما أخرج هذه الرواية ابن سعد[6]، والحاكم[7]، وأبو نعيم الأصفهانى[8]، والبيهقى[9]، وابن عبد البر[10]، كلهم بنحو رواية الطبرانى من طريق الشعبى، كذلك أخرج رواية البيعة أحمد بن حنبل من طريق أنس بن سيرين، قال: قال الحسن بن على يوم كلم معاوية: ما بين جابلص[11] وجابلق رجل جده نبى غيرى، وإنى رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ، وكنت أحقهم بذاك، ألا إنا قد بايعنا معاوية ولا أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين»[12].

---

(١) أنساب الأشراف نقلاً عن معاوية، ص(١٥٠).

(٢) مجالد بن سعيد الهمذانى، فيه كلام.

(٣) عامر الشعبى ثقة.

(٤) أكيس: أعقل، والكيس العقل لسان العرب (١٦/ ٢٠١).

(٥) المعجم الكبير (٣/ ٢٦) إسناده حسن.

(٦) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٢٩).

(٧) المستدرك (٣/ ١٧٥).

(٨) حلية الأولياء (٢/ ٣٧).

(٩) دلائل النبوة (٦/ ٤٤٤).

(١٠) الاستيعاب (١/ ٣٨٨، ٣٨٩).

(١١) جابلص وجابلق مدينتان، إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب.

(١٢) فضائل الصحابة (٢/ ٧٦٩) إسناده صحيح.

وجاء فى رواية ابن سعد من طريق عمرو بن دينار، وفيها فقال الحسن: أيها الناس، إنى كنت أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره لذى حق أديت إليه حقه أحق به منى، أو حق جدت به لصلاح أمة محمد، وإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك أو لشر يعلمه فيك ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ثم نزل وأما الرواية التى تشير إلى أن عمرو بن العاص وأبو الأعور السلمى قالوا لمعاوية لما بايع الحسن بن على معاوية: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلم عيى[1] عن المنطق فيزهد فيه الناس، فقال معاوية: لا تفعلوا فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه وشفته ولن يَعْىَ لسان مصه النبى ﷺ أو شفتان، فأبوا على معاوية فصعد الحسن المنبر فحمد الله وأثنى عليه..» فهذه رواية باطلة من حيث الإسناد والمتن، فإسنادها ضعيف ومتنها منكر،[2] وليس معاوية بمن يجهل القدرات البلاغية والخطابية للحسن.

وجاء فى رواية البلاذرى أن الحسن دخل بقيس على معاوية ليبايعه، فعن جرير ابن حازم، قال: سمعت محمد بن سيرين يقول: لما بايع الحسن معاوية، ركب الحسن إليه إلى عسكره، وأردف قيس بن سعد بن عبادة خلفه، فلما دخلا المعسكر، قال الناس: جاء قيس، جاء قيس، فلما دخلا على معاوية، بايعه الحسن، ثم قال لقيس: بايع. فقال قيس بيده: هكذا، وجعلها فى حجره ولم يرفعها إلى معاوية، ومعاوية على السرير، فبرك معاوية على ركبتيه، ومدّ يده حتى مسح على يد قيس، وهى فى حجره قال - جرير بن حازم- وحكى لنا محمد بن سيرين صنيعه، وجعل يضحك وكان قيس رجلاً جسيمًا[3].

وبتنازل الحسن بن على عن الخلافة ومبايعته رضوان الله عليهم أجمعين تنتهى بذلك فترة خلافة النبوة وهى ثلاثون سنة والحجة فى ذلك قول الرسول ﷺ: **خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك، أو ملكه من يشاء**[4]، وقال ﷺ:

---

(١) عيى: العى: خلاف البيان، وعيى فى المنطق عيا أى حصر فى الكلام فلم يستطع البيان، لسان العرب (١١٢/٥، ١١٣).

(٢) الطبقات، تحقيق السلمى (٣٢٥/١) إسناده ضعيف ومتنه منكر.

(٣) أنساب الإشراف نقلاً عن مرويات خلافة معاوية، ص (١٥٤)، إسناده صحيح.

(٤) سنن أبى داود مع شرح عون المعبود (٢٥٩/١٢) صحيح سنن أبى داود، الألبانى (٨٧٩/٣).

الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك[(١)]، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل على الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وتسليمًا[(٢)]، وبذلك يكون الحسن بن على رضى الله عنه خامس الخلفاء الراشدين[(٣)].

- أهم أسباب ودوافع الصلح:

كانت هناك عوامل وأسباب متعددة ساهمت فى دفع أمير المؤمنين الحسن للصلح مع معاوية رضى الله عنه فمنها:

أولاً: الرغبة فيما عند الله وإرادة صلاح هذه الأمة:

قال الحسن بن على رضى الله عنهما ردًا على نفير الحضرمى عندما قال له: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة. فقال: كانت جماجم العرب بيدى، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله[(٤)]، وقال فى خطبته التى تنازل فيها لمعاوية: . . إما كان حقًا لى تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة[(٥)].

إن استحضار الحسن رضى الله عنه وإرادة وجه الله وتقديم ذلك، والحرص على إصلاح ذات البين من أسباب الصلح ودوافعه عند الحسن بن على رضى الله عنه، فمكانة الصلح فى الإسلام عظيمة، وهو من أجل الأخلاق الاجتماعية، إذ به يرفع الخلاف وينهى المنازعة التى تنشأ بين المتعاملين ماديًا أو اجتماعيًا، ويعود بسببه الود والإخاء بين المتنازعين لكونه يرضى طرفى النزاع ويقطع دابر الخصام، ولذلك كان الصلح من أسمى المطالب الشرعية لتتحقق به الأخوة التى ينشدها لهم ويصفهم بها، كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

---

(١) سنن الترمذى مع شرحها تحفة الأحوذى (٦/ ٣٩٥- ٣٩٧) قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٦).

(٣) مآثر الإنافة (١/ ١٠٥) للقلقشندى مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٥٥).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦)

(٥) المعجم الكبير للطبرانى (٣/ ٢٦) إسناده حسن.

[الحجرات ١٠] وهى الأخوة التى يذهبها الخلاف والتنازع فيما بينهم[(١)] ولذلك اعتنى القرآن الكريم بالصلح كثيرًا، أمرًا به، وترغيبًا فيه، وتنويهًا به وبأهله، وإليك البيان.

١- الأمر بالإصلاح:

ففى مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] فترى أن الله تعالى أمر عباده بأن يصلحوا ذات بينهم لما بينهم من الإخاء كما صرح به فى آية الحجرات حيث قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذ بينت هذه الآية علّيّة الأمر بالإصلاح بين المؤمنين بصيغة القصر، المفيدة لحصر حالهم فى حال الأخوة، مبالغة فى تقرير هذا الحكم بين المسلمين، لما بينهم من انتساب إلى أصل واحد وهو الإيمان الذى هو منشأه البقاء الأبدى فى الجنات، فأشارت جملة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ إلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين ومن هذه الأوامر القرآنية يُعلم أن الإصلاح بين الناس ليس من نافلة القول، بل هو تكليف إلهى للقادرين عليه، حتى لا تفسد أواصر الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، وهو مع ذلك من التعاون على البر والتقوى، ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذين أمر الله تعالى بهما فى غير آية، ومعلوم أن هذا من الواجبات الشرعية التكليفية على المؤمنين فى علاقتهم الاجتماعية، فكل هذه الأمور تحتم على المسلم القيام بالإصلاح بين المسلمين بل وبين الناس عامة، ولتستقر الحياة الاجتماعية عامرة بالود والإخاء[(٢)]، كانت هذه الأوامر دافعة للحسن بن على رضى الله عنه للسعى فى الإصلاح.

---

(١) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (٢/ ٩٦٩).

(٢) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (٢/ ٩٧١).

٢- الترغيب فى القيام بالإصلاح:

ولقد رتب الله تعالى على القيام به فضلاً كبيرًا وأجرًا عظيمًا، يناله القائم بذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى كما قال الله جل شأنه: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ١١٤] . ووعد القائمين به مغفرة ورحمة، كما يفيده قول الله جل ذكره: ﴿ **وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء: ١٢٩] فإن فى هذه الآية إشارة إلى مغفرة الله ورحمته للمصلحين، كما أذن به ختم الآية بصفتى المغفرة والرحمة لله سبحانه وتعالى[١]، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٨٢]، فإن فيها من الإشارة إلى مغفرته ورحمته سبحانه للمصلح ما فى سابقتها، بدلالة نفى الإثم، وتذييلها بصفتى المغفرة والرحمة، وهى إشارة جلية[٢] وقد وصف سبحانه نفسه بقوله: ﴿ **إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

٣- التنويه بالصلح والقائمين عليه:

وتكرار هذا الوعد يدل على علو شأن الإصلاح بين الناس عند الله تعالى، ولذلك أجزل للقائم به تلك المثوبة الكريمة والأجر العظيم، وقد دل على ذلك أيضًا تنويه الله تعالى به بمثل قوله سبحانه: ﴿ **وَالصُّلْحُ خَيْرٌ** ﴾ [النساء: ١٢٨] فإن وصفه بالخيرية دليل على علو منزلته عند الله تعالى، وذلك لما له من عظيم الأثر فى إصلاح ذات البين بين الناس، الذى طالما تشوف الشارع الحكيم إليه فى المجتمعات الإنسانية، ولما له من دلالة على كريم أخلاق القائم به أو الراضى عنه، ولهذا كان من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ [هود: ٨٨]، كما قال على لسان موسى وهو يخاطب أخاه هارون رضى الله عنه: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٤٢] إلى غير ذلك من الآيات، والإصلاح فى

---

(١)، (٢) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (٢/ ٩٧١).

مثل هاتين الآيتين عام فيشمل الإصلاح فى الدين والدنيا، ومنه الإصلاح بين الناس عند حدوث المقتضى لذلك من نزاع ونحوه لايخلو منه مجتمع من المجتمعات البشرية[١]. فهذا المقصد القرآنى الكريم، كان دافعًا للحسن بن على فى الصلح، وقد تتبع خطوات جده ﷺ فى الحرص على الصلح، فقد كان النبى ﷺ يجهد نفسه فى الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد حدث ذات يوم أن أهل قباء اقتتلوا[٢] حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: **اذهبوا بنا نصلح بينهم**[٣]، فانظر كيف أن النبى ﷺ لم يتوان عن الذهاب للإصلاح بين المسلمين حينما بدر الشقاق بينهم ليحسم الخلاف، ويعيد الوئام قبل أن يستفحل الأمر ويتسع الخرق على الراقع[٤].

ولأهمية الصلح بين الناس وفضله أجاز الإسلام الكذب فيه إذا كان القصد من ذلك الإصلاح بين المتخاصمين، فقد قال ﷺ: **ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرًا** أو يقول خيرًا[٥]، وقال رسول الله ﷺ: **لايحل الكذب إلا فى ثلاث: الرجل يحدث امرأته ليرضيها، والكذب فى الحرب، والكذب ليصلح بين الناس**[٦]، وما ذلك إلا لعظم خطر الخلاف بين المسلمين وفساد ذات بينهم كما بينه ﷺ: **إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة**[٧] أى: الخصلة التى من شأنها أن تحلق، أراد أنها خصلة سوء تذهب الدين كما تذهب الموسى الشعر[٨]، ولقد بين عليه الصلاة والسلام ما للصلح من أجر عظيم بقوله: **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟** قالوا: بلى يارسول الله قال: **إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة**[٩]. ولذلك كان من أمله الكبير ورجائه العظيم فى

---

(١) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (٢/ ٩٧١).

(٢) أى: فعلوا فعلاً يؤدى بهم إلى القتل من مضاربة بالأيدى والعصى.

(٣) البخارى، ك الصلح، رقم (٢٦٩٠).

(٤) أخلاق النبى ﷺ فى ضوء القرآن والسنة (٢/ ٩٧٩).

(٥) البخارى، ك الأدب، رقم (٤٩٠٠).

(٦) سنن أبى داود مع عون المعبود (١٣/ ٢٦٣)، رقم (٤٩٠٠).

(٧) سنن الترمذى، رقم (٢٥٠٨) قال عنه الترمذى: صحيح غريب من هذا الوجه.

(٨) جامع الأصول لابن الأثير (٦/ ٦٦٨).

(٩) سنن الترمذى، رقم (٢٥٠٩) وقال الترمذى: حديث صحيح.

نسله المبارك الحسن السبط- رضى الله عنه- أن يصلح الله به فساد ذات البين الذى أعلمه الله بحدوثه فى أمته بعد وفاته، فمن حديث أبى بكرة رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن على إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: **إن بنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**[1]، فرغبة الحسن بن على رضى الله عنه فى الأجر والمثوبة وإرادته للإصلاح دفعته لهذا الصلح المبارك.

ثانيًا: إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين:

إن دعوة الرسول ﷺ بأن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين دفعت الحسن إلى التخطيط والاستعداد النفسى للصلح والتغلب على العوائق التى فى الطريق، فقد كان هذا الحديث الكلمة الموجهة الرائدة للحسن فى اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، فقد حلت فى قرارة نفسه واستولت على مشاعره وأحاسيسه واختلطت بلحمه ودمه، ومن خلال هذا التوجيه واستيعابه وفهمه له بنى مشروعه الإصلاحى، وقسم مراحله وكان متيقنًا من نتائجه، فالحديث النبوى كان دافعًا أساسيًا وسببًا مركزيًا فى اندفاع الحسن للإصلاح.

ثالثًا: حقن دماء المسلمين:

قال الحسن رضى الله عنه: .. خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفًا، أو أكثر أو أقل، كلهم تنضح أوداجهم دمًا، كلهم يستعدى الله فيما هُريق دمه[2]؟ وقال رضى الله عنه: ألا إن أمر الله واقع إذ ليس له دافع وإن كره الناس، إنى ما أحببت أن لى من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعنى مما يضرنى ألحقوا بطيتكم[3] [4]، وقال فى خطبته التى تنازل فيها لمعاوية عن الخلافة وتسليمه الأمر إليه: .. إما كان حقًا لى تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم[5].

---

(١) البخارى، رقم (٧١٠٩).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).

(٣) بطيتكم: جهتكم ونواحيكم.

(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ٨٩).

(٥) المعجم الكبير للطبرانى (٣/ ٢٦) إسناده حسن.

تلحظ من كلام سيدنا الحسن رضى الله عنه شدة خوفه من الله تعالى ذلك الخوف الذى دفعه إلى الصلح، وقد مدح الله أنبياءه عليهم السلام وأولياءه بمخافتهم الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] فالخوف المحمود من الله يحث على العلم، ويكدر جميع الشهوات، ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا، ويدعوه إلى التجافى عن دار الغرور، دون الحديث النفسى الذى لايؤثر فى الكف عن المعاصى والحث على فعل الطاعات، ودون الوصول إلى اليأس الموجب للقنوط(١). فالحسن بن على رضى الله عنه أراد أن يحقن دماء المسلمين قربة إلى الله عز وجل، وخشى على نفسه من حساب الله يوم القيامة فى أمر الدماء، ولو أدى به الأمر إلى ترك الخلافة، فكان ذلك دافعًا له نحو الصلح، فالحسن بن على رضى الله عنه يعلم خطورة سفك الدماء بين المسلمين، لأن ذلك من أخطر الأمور التى تهز كيان البشرية، ولذلك ورد تحريمه والوعيد عليه، وتحديد عقوبته فى كثير من نصوص الكتاب والسنة، والقتل أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة مما يدل على عظم شأن قتل النفس والاعتداء على حرمة الإنسان، فقد روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **أول ما يقضى بين الناس فى الدماء**(٢)، فأمر الدماء عظيم يوم القيامة، والعمل على حفظها فى الدنيا من مقاصد الشريعة ولذلك حرص الحسن على الصلح حفظًا لدماء المسلمين، لقد عنيت الشريعة الإسلامية التى فهمها واستوعبها الحسن -رضى الله عنه- بالنفس عناية فائقة، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصالح لها، ويدفع المفاسد عنها، وذلك مبالغة فى حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء عليها لأنه بتعرض الأنفس للضياع والهلاك يُفقد المكلف الذى يتعبد الله سبحانه وتعالى وذلك بدوره يؤدى إلى ضياع الدين، والمقصود من الأنفس التى عنيت الشريعة بحفظها هى الأنفس المعصومة بالإسلام الجزية أو الأمان(٣)، ولهذا لما قيل للحسن من بعض المعترضين

(١) جامع العلوم والحكم، ص (٣٦٣)، الإيمان أولاً، ص (١١٧).
(٢) البخارى، ك الديات، رقم (٦٨٦٤).
(٣) روضة الطالبين (١٤٨/٩)، مقاصد الشريعة لليوبى، ص (٢١١).

على الصلح: يا عار المؤمنين! قال: للعار خير من النار[١]، وفى رواية ابن سعد: إنى اخترت العار على النار[٢]، ونلحظ أن الحسن بن على كان يناقش أتباعه ويبين لهم دوافعه ويرتقى بهم نحو قناعته، ولم يكن ممن تقوده الجماهير، وهمه ما يطلبه المستمعـون، وإنما شق طريقه وفق تصوراته وفهمه لحقـائق الأمور، ونأى بنفسه أن يتأثر بضغط عوام الناس مادامت الخطوات التى يسير بـها فيها رضا الله، ومصلحة المسلمين، وهذا درس كبير لكثير من القيادات الإسلامية، فى كون القائد هو الذى يقود عامـة الناس ويرتقى بهم نحو أهدافهم، وفى مثـل ظروف الحسن عادة يكون الزعماء بين أمور:

أ- ما تطلبه الجماهير.

ب- من لايهتم ولايرد على أحد.

جـ- عمل الصواب والحق والارتقاء بالجماهير. ونرى الحسن بن على اختار الطريق الثالث وهو عمل الصـواب والحق والارتقاء بالجماهير نحو الأهداف الـسامية التى رسمها، ولذلك قـام بتقديم رؤية واضحة وخطوات تنفيـذية عبر مراحل وتمهيدات ووضع شروط وتغلب على العوائـق، واهتم بإقناع المخالفين لوجهة نظره وهذا هو الصواب والله أعلم.

رابعًا: حرصه على وحدة الأمة:

قام الحسن بن على خطيـبًا رضى الله عنه فى إحدى مراحل الصلح فـقال: أيها الناس، إنى قـد أصبحت غـير مـحتمـل على مسلم ضـغينة[٣]، وإنى ناظر لكم كنظرى لنفـسى، وأرى رأيًا فلا تردوا علىَّ رأيى، إن الذى تكـرهون من الجمـاعة أفضل مما تحبون من الفرقة[٤]. وقد تحقق بفضل الله ثم حرص الحسن على وحدة الأمة ذلك المقـصد العظيم، فقـد ارتأى رضى الله عنه أن يتنازل عن الخلافـة حقنًا لدماء المسلمين، وتجنبًـا للمفاسد العظيمة التى سـتلحق الأمة كلها فى المآل إذا بقى

(١) تاريخ دمشق (١٤/ ٨٨).

(٢) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٢٩) إسناده ضعيف جدًا.

(٣) الضغينة: الحقد.

(٤) الأخبار الطوال، ص (٢٠٠).

مصرًا على موقفه، من استمرار الفتنة، وسفك الدماء، وقطع الأرحام، واضطراب السبل، وتعطيل الثغور وغيرها، وقد تحققت - بحمد الله - وحدة الأمة بتنازله عن عرض زائل من أعراض الدنيا حتى سمى ذلك العام عام الجماعة[(١)]. وهذا يدل على فقه الحسن فى معرفته لاعتبار المآلات ومراعاته نتائج التصرفات، ولهذا الفقه مظاهره فى كتاب الله وشواهده، فقد رتب المولى عز وجل الحكم على مقتضى النتائج والشواهد ومثال ذلك:

١ - النهى عن سب المشركين:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٠٨]. رغم أن سب آلهة المشركين أمر جائز لما فيه من إهانة الباطل ونصرة الحق إلا أن الشارع الحكيم لم يقف نظره واعتباره عند هذه الغاية القريبة، بل نظر إلى نتيجة هذا العمل المشروع، وما سينجر عنه من آثار غير مشروعة، ثم قضى بعدم سب آلهة المشركين سدًا لذريعة سبهم لله تعالى انتقامًا لآلهتهم، وانتصارًا لباطلهم، إذ إن المصلحة التى ستحصل من إهانة آلهتهم أهون بكثير من مفسدة سبهم لرب العالمين؛ والمفسدة إذا أربت على المصلحة قدم درء المفسدة على جلب المصلحة[(٢)].

٢ - النهى عن الجهر والمخافتة فى القراءة:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ١١٠] حيث نهى المولى عز وجل نبيه ﷺ عن الجهر بالقراءة فى الصلاة؛ التفافًا إلى مآل ذلك إذا سمع المشركون قراءته؛ فيحملهم ذلك على سب الله تعالى وشتم دينه وكلامه[(٣)]، يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية: إن الكفار - يعنى بمكة حين كان ﷺ مختفيًا - كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله، ومن جاء به؛ فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ**﴾

---

(١) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ص (١٦٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٢٤).

(٣) المصدر نفسه، ص (١٢٥).

أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا يسمعون، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ (1).

٣- خرق الخضر للسفينة:

قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. الاعتداء على ملك الغير بغير حق من الأمور المحظورة على وجه القطع فى الشرع، لكننا رأينا الخضر عليه السلام يهوى على السفينة بالخرق الذى هو فى ظاهر الحال تعييب، وإلحاق الخسارة بأهلها، ولما أنكر عليه موسى عليه السلام فعله، وقرره بالجميل الذى أسداه إليهما أهل السفينة حين أركبوهما بغير أجرة؛ بيَّن له أن المفسدة لم ترتكب إلا لما فيها من دفع مفسدة أعظم وهى غصب السفينة وذهابها جملة؛ حيث إن وراءهم ملكًا يأخذ كل سفينة سالمة من العيوب غصبًا، ولا شك أن ارتكاب ضرر يسير فى الحال إذا كان فيه دفع لمفسدة أعظم فى المآل، يعتبر أمرًا محمودًا، والشريعة جارية على ملاحظة النتائج ودفع المفاسد العظيمة المتوقعة فى الآجل، حتى وإن كان ذلك بارتكاب مفاسد أقل منها فى الحال، ثم إن مفسدة خرق السفينة وتعييبها يمكن تداركها بالإصلاح، بينما ذهاب ذات السفينة إذا تحقق؛ لم يتعلق بعودتها أمل(2).

٤- ومن مظاهر اعتبار المآل فى السنة النبوية وشواهده، دفع أعظم المفسدتين بأدناهما، منها كالامتناع عن قتل المنافقين، فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنا فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصارى: يا للأنصار وقال المهاجرى: يا للمهاجرين؛ فسمعها رسول الله ﷺ قال: **ما هذا؟** فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصارى: يا للأنصار؛ وقال المهاجرى: يا للمهاجرين؛ فقال النبى ﷺ: **دعوها فإنها منتنة**، قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبى ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد؛ فقال عبد الله بن أبى: أو قد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال

(١) أسباب النزول للواحدى، ص (٢٢٣، ٢٢٤).
(٢) اعتبار المآلات، ص (١٢٦).

عمر بن الخطاب رضى الله عنه: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق؛ قال النبى ﷺ: **دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**[١]، إن قتل المنافقين واستئصالهم فيه مصلحة ظاهرة للمسلمين، وتطهير لصفهم من أن تندس إليه عناصر التخذيل والإفساد؛ لكن لما كان فى ذلك هز الثقة بالمسلمين وزرع لقالة السوء عنهم بحيث ينتشر فى الناس أن النبى ﷺ يعامل الذين يعتنقون دينه بالقتل والتصفية الجسدية، فإن الأمر يتغير، وأصبح التغاضى عن قتلهم مصلحة أعلى وأولى من المصالح الأخرى التى تتأتى من استئصالهم، ورغم أن بقاء المنافقين فيه من المفاسد المحققة ما لا ينكره عاقل، إلا أن فى القضاء عليهم مفسدة تفوق مفسدة بقائهم؛ لذا اقتضت حكمة المصطفى ﷺ أن تدفع المفسدة العظمى بالمفسدة الصغرى[٢].

ومن هدى النبى ﷺ فى اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ترك تجديد الكعبة على قواعد إبراهيم وهو ما ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **لولا حداثة عهد قومك بالكفر، لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشًا حين بنت البيت استقصرت؛ ولجعلت لها خلفًا**[٣]. لما كانت الكعبة المشرفة تمثل مهوى أفئدة المؤمنين، ومجلى تاريخ النبوات الأولى، كان الأصل أن تبقى على ما تركها عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لكن قريشًا حين أرادت تجديد بنائها فى الجاهلية؛ لم يكن معها من المال الحلال ما يكفى لإعادة البناء إلى ما كان عليه، فانتهت لها الاستطاعة إلى تشييدها على النحو الذى كانت عليه فى عهد المصطفى، وقد كانت نفس النبى ﷺ تستشرف إلى تدارك ما قصرت عنه نفقة قريش، غير أنه ترك المصلحة المحققة فى إعادة بناء البيت على قواعده الأصلية التى أسسها إبراهيم عليه السلام، خشية اهتزاز حرمة البيت من النفوس، وخوف نفور الناس من الإسلام لاعتقادهم أن ذلك جرأة على الكعبة واعتداء على حرمتها[٤].

(١) البخارى، التفسير، رقم (٤٩٠٥).

(٢) اعتبار المآلات، ص (١٣٨، ١٣٩).

(٣) البخارى، ك الحج، رقم (١٥٨٥).

(٤) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ص (١٤٨، ١٤٩).

إن الحسن بن على رضى الله عنه فى فهـمه العميق لفقه اعتـبار المآلات ومراعاة التصرفات، كان نتيجة طبيعـة لتربيته على القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، فقد كان مستوعبًا لمقاصد الشـريعة قادرًا على التطبيق بين هدى الشريعة والواقع الفعلى الذى عاشـه، فكانت اجتـهاداته فـريدة، فى مجـال السياسـة الشرعـية، فـتحت للمسلمين آفاق رحبة فى تحقيق وحدة الأمة وتلاحم صفها، وقوة شوكتها، وإعادة دورها الحضارى، وهذا الفـقه الدقيق والفهم العـميق نحن فى أشد الحاجة لفـهمه والعمل به فى حـياتنا المعاصرة. فـالحسن بن على يعلمنا أصلاً عظيـمًا من أعظم أصول الإسلام؛ المحافظة على الجـماعة؛ وهو الاعتصام بحبل الله جـميعًا وأن لا يتفـرقوا، وهو من أعظـم أصول الإسلام، ومما عظمـت وصية الله تعـالى به فى كتـابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتـاب وغيرهم، ومما عظمت به وصـية رسول الله ﷺ فى مـواطن عامة وخـاصة(١). فقـد قام الحسن بن عـلى بمحاربة التفرق والاختلاف، وعـمل بالتوجيهات القرآنية الهادفة لتوحـيد الأمة قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٦].

خامسًا: مقتل أمير المؤمنين على رضى الله عنه:

ومن الأسبـاب التى دعت أميـر المؤمنين الحسن بن على إلى الصـلح ما رُوع به من مقتل أبيه، فقد ترك ذلك فراغًا كبيرًا فى جـبهة العراق وأثر اغتياله على نفسية الحسن رضى الله عنه فتـرك فيها حزنًا وأسى شديدًا، فقـد قتل هذا الإمام العظيم بدون وجه حق، ولم يرع الخوارج سـابقته فى الإسلام ولا فضـائله العظيمة، ولا

(٢) رسالة الألفة بين المسلمين، لابن تيمية، ص (٢٧).

خدماته الجليلة التى قدمها للإسلام، فقد كانت حياته حافلة بالقيم والمثل والعمل على تكريس أحكام الشريعة على مستوى الدولة والشعب، لقد كان علىٌّ رضى الله عنه معلمًا من معالم الهدى وفارقًا بين الحق والباطل، فكان من الطبيعى أن يتأثر المسلمون لفقده ويشعروا بالفراغ الكبير الذى تركه، فقد كان وقع مصيبة مقتله على المسلمين عظيمًا، فجللهم الحزن، وفاضت مآقيهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء والترحم عليه رضى الله عليه، وكان مقتله سببًا فى تزهيد الحسن فى أهل العراق أولئك الذين غمرتهم مكارم أخلاق أمير المؤمنين. وشرف صحبته فأضلتهم الفتن والأطماع، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، ونستثنى من أولئك الصادقين المخلصين لدينهم وخليفتهم الراحل العظيم رضى الله عنه وأرضاه،فقد كان مقتله ضربة قوية وجهت لعهد الخلافة الراشدة وكانت من أسباب زوالها فيما بعد.

سادسًا: شخصية معاوية رضى الله عنه:

إن تسليم الحسن بن على الخلافة إلى معاوية مع أن معه أكثر من أربعين ألفًا بايعوه على الموت، فلو لم يكن أهلاً لها لما سلمها السبط الطيب إليه، ولحاربه[(١)]، فمعاوية رضى الله عنه لم يتزعم أهل الشام من فراغ، فقد ذكر المترجمون لهذا الصحابى الكريم فضائل جمة، وإليك شيئًا منها:

١- من القرآن الكريم:

اشترك معاوية رضى الله عنه فى غزوة حنين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

ومعاوية رضى الله عنه من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبى ﷺ[(٢)].

٢- من السنة:

دعاء الرسول ﷺ لمعاوية رضى الله عنه، ومن ذلك قوله ﷺ: اللهم اجعله

(١) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص (٥٧).

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، خالد الغيث، ص (٢٣).

هاديًا[1] مهديًا[2]، واهد به[3]. وقوله ﷺ: اللهم علِّم معاوية الكتاب، والحساب، وقه العذاب[4]. وقال رسول الله ﷺ: أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا[5]. قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنتِ فيهم. ثم قال النبى ﷺ: أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر[6] مغفور لهم. فقلت - أى أم حرام -: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا[7]. قال المهلب[8]: فى هذا الحديث منقبه لمعاوية؛ لأنه أول من غزا البحر[9].

٣- نظرات أهل العلم على معاوية رضى الله عنه:

أ- ثناء عبد الله بن عباس رضى الله عنهما:

قيل لابن عباس رضى الله عنهما: هل لك فى أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه[10].

ب- ثناء عبد الله بن المبارك على معاوية رضى الله عنه:

قال عبد الله بن المبارك: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزرًا اتهمناه على القوم، يعنى: الصحابة[11].

جـ- ثناء أحمد بن حنبل:

سئل الإمام أحمد - رحمه الله: - ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحى، ولا أقول: إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف

---

(١) هاديًا للناس، أو دالاً على الخير.

(٢) مهديًا: أى مهتديًا فى نفسه.

(٣) صحيح سنن الترمذى للألبانى (٣/ ٢٣٦).

(٤) موارد الظمآن (٧/ ٢٤٩) إسناده حسن.

(٥) أوجبوا: أى: فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، فتح البارى (٦/ ١٢١).

(٦) مدينة قيصر: يعنى القسطنطينية.

(٧) البخارى، رقم (٢٩٢٤).

(٨) المهلب بن أحمد الأندلسى، مصنف شرح صحيح البخارى توفى ٤٣٥هـ.

(٩) فتح البارى (٦/ ١٢٠).

(١٠) المصدر نفسه (٧/ ١٣٠).

(١١) مرويات خلافة معاوية، ص (٢٨).

غصبًا؟[1] قال أبو عبد الله: هذا قول سوء ردئ، تجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس[2].

د- ثناء القاضى ابن العربى على معاوية رضى الله عنه:

تحدث ابن العربى عن الخصال التى اجتمعت فى معاوية رضى الله عنه، فذكر منها: قيامه بحماية البيضة، وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق[3]، وقد علق محب الدين الخطيب على هذا النص بقوله: وقد بلغ من همته - يعنى معاوية - وعظيم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم وهو فى معمعة القتال مع على فى صفين، وقد بلغه: أن ملك الروم اقترب من الحدود فى جنود عظيمة[4]، وفى ذلك يقول ابن كثير: وطمع فى معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه، وأذله، وقهر جنده، ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علىّ تدانى إلى بعض البلاد فى جنود عظيمة، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين، لأصطلحن أنا وابن عمى عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت؛ فعند ذلك خاف ملك الروم، وبعث يطلب الهدنة[5].

هـ- ثناء ابن تيمية على معاوية رضى الله عنه:

قال عنه ابن تيمية: «فإن معاوية ثبت بالتواتر: أنه أمَّره النبى ﷺ، كما أمَّر غيره، وجاهد معه، وكان أمينًا له بالوحى، وما اتهمه النبى ﷺ فى كتابة الوحى، وولاه عمر بن الخطاب الذى كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولم يتهمه فى ولايته[6].

---

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (٢٨).

(٢) السنة للخلال، تحقيق، عطية الزهرانى (٢/ ٤٣٤).

(٣) العواصم من القواصم، ص(٢١٠، ٢١١).

(٤) مرويات خلافة معاوية، ص (٣١).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١١٩).

(٦) الفتاوى (٤/ ٤٧٢)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٩).

و- ثناء ابن كثير عليه:

قال عنه ابن كثير: وأجمعت الرعايا على بيعته فى سنة إحدى وأربعين. . . فلم يزل مستقلاً بالأمر فى هذه المدة إلى هذه السنة التى كانت فيها وفاته، والجهاد فى بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه فى راحة وعدل، وصفح، وعفو، وقال أيضًا: كان حليمًا[(١)]، وقورًا، رئيسًا، سيدًا فى الناس، كريمًا، عادلاً، شهمًا[(٢)]. وقال عنه أيضًا: كان جيد السيرة، حسن التجاوز، جميل العفو، كثير الستر رحمه الله تعالى[(٣)].

٤- روايته للحديث:

يعد معاوية رضى الله عنه من الذين نالوا شرف الرواية عن رسول الله ﷺ، ومرد ذلك إلى ملازمته لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة، لكونه صهره، وكاتبه، هذا وقد روى معاوية رضى الله عنه مائة وثلاثة وستون حديثًا عن رسول الله، اتفق له البخارى ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخارى بأربعة، ومسلم بخمسة.[(٤)] وكانت سيرة معاوية رضى الله عنه مع الرعية فى ولايته من خير سير الولاة مما جعل الناس يحبونه، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ قال: **خيار أئمتكم - حكامكم - الذين تحبونهم، ويحبونكم وتصلون عليهم - تدعون لهم - ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**[(٥)].

٥- قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب على إمارته:

عن سفيان بن الليل قال: قلت للحسن بن على لما قدم الكوفة إلى المدينة: يا مذل المؤمنين، قال: لا تقل ذلك، فإنى سمعت أبى يقول: لا تذهب الأيام والليالى حتى يملك معاوية، فعلمت أن أمر الله واقع، فكرهت أن تراق بينى وبينه

---

(١) أفرد ابن الدنيا، وأبو بكر بن أبى عاصم تصنيفًا فى حلم معاوية.

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١١٨).

(٣) المصدر نفسه (٨/ ١٢٦).

(٤) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (٢٣).

(٥) مسلم، ك الإمارة، رقم (٦٥).

دمـاء المسلمين[1]. وفى رواية، عن على رضى الله عنـه، قال: لا تكرهوا إمـارة معاوية، فوالله لئن فقدتموه لترون رؤوسًا تندر عن كواهلها كأنها الحنظل[2].

فهـذه آثار تشيـر إلى قدرة معـاوية على الإمارة، كـما أن أسلوب مـعاوية فى التفاوض والتعـامل مع الحسن أوجد قواسم مشتـركة للوصول إلى الإصلاح، وإن كان المهندس الفعلى لمشروع الإصلاح هو الحسن بن علـى، إلا أن شخصية معاوية وسْعة أفقه ورحابة صدره، وما أبداه من المرونة ساعد على نجاح الصلح، وقد كان رضى الله عنه يتـأدب إلى الحسن ويكرمـه ويروى فضـائل أهل البيت، فـهذا يدل على إيثاره الحق مع المنازعـة والمخاصمة التى سـبقت بقدر الحق سبـحانه[3]، وقد أخرج أحمد فى مسنده عن معاوية قال: كان رسول الله يمص لسان الحسن وشفتيه وأنه لن يعذب الله لسانًا أو شفة مصها رسول الله ﷺ[4].

وكان رضى الله عنه صريحًا مع نفسه معتـرفًا بذنوبه، طالبًا مغفرة ربه، وطامعًا فى رحمـته وحلمه، فـعن ابن شهاب، عن عـروة أن المسور أخبـره أنه قدم على معاوية، فقال: يا مسور مـا فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا، وأحسن فيما جئنا له. قال: لتكلمنى بذات نفسك مما تعيب علىَّ؟ قال: فلم أترك شيئًا إلا بينته، فقال: لا أبرأ من الذنب فهل تعـد لنا مما نلى من الإصلاح فى أمر العامة، أم تعد الذنوب، وتتـرك الإحسان؟ قلت: نعم. قال: فإنا نـعترف لله بكل ذنب، فهل لك من ذنوب فـى خاصتك تخـشاها؟ قال: نعم. فـما يجـعلك الله برجاء المغفرة أحق منى، فوالله ما آلى من الإصلاح أكثر مما تلى، ولا أُخيَّر بين الله وبين غيـره إلا اخترت الله على سـواه، وإنى لعلى دين يقبل فيـه العمل، ويجزى فـيه الحسنات، قال: فعرفت أنه قد خصمنى، قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه[5] - أى دعا له - والحديث عن معاوية بالـتفصيل سوف يأتى بإذن الله تعالى، إن أعطانا الله القوة ويـسر الأسباب بمنه وكرمـه وجوده فى حديثنا عن

---

(١)، (٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٠٥)..

(٣) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص (٥٧)..

(٤) المسند، رقم (١٦٨٤٨) اسناده صحيح.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٢).

الدولة الأموية، ومع هذه النية المبيتة للحديث عن معاوية رضى الله عنه بالتفصيل، فلا يمنع من ذكر هذه القصة التى تبين خوفه وخشيته من الله تعالى، فعندما كان يروى فى مجلسه حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فى أن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، من أمة محمد القارئ المرائى، والمنفق المرائى، والمجاهد المرائى، وبيَّن رسول الله ﷺ ذلك وقال لأبى هريرة: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة[1]، فكان معاوية يقول عندما يسمع الحديث: فقد فعل هؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس؟ فقال الراوى: ثم بكى معاوية بكاء شديدًا، حتى ظننا أنه هالك، ثم أفاق ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله، ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦][2].

إن شخصية معاوية رضى الله عنه وتاريخه فى خدمة الإسلام كان عاملاً مهمًا فى نجاح الصلح، ولا نزعم بأنه من طبقة الخلفاء الراشدين، المهديين، ولكنه من الملوك العادلين، كما أن سيرته غنية بالفقه السياسى والإدارى والعسكرى، والاقتصادى والاجتماعى، وهذا يحتاج إلى دراسة متأنية لعصره ونسأل الله أن يوفقنا إلى ذلك.

سابعًا: اضطراب جيش العراق وأهل الكوفة:

كان لخروج الخوارج أثر فى إضعاف جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، كما أن الحروب فى الجمل وصفين والنهروان، تسببت فى ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام فى صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتمت من الأطفال ورملت من النساء، بدون أن يتحقق مقصودهم ولولا الصلح أو التحكيم الذى رحب به أمير المؤمنين على وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامى لا يتخيل

---

(١) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة، وصححه الألبانى، رقم (١٧١٣).

(٢) النهاية فى الفتن والملاحم (٢/ ٥٢).

آثارها السيئة، فكان التخاذل عن المسير مع على رضى الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إلى فريق منهم وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا يعلمون أن عليًا على حق[١].

ومن المعضلات التى أوهنت جانب أمير المؤمنين على رضى الله عنه، خروج فرقة تغالى فى تعظيم أمير المؤمنين علىّ وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرءون من على ويكفرونه[٢]، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئًا وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش على فقط[٣]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه - كما بينا - بحزم وقوة.

ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب علىّ كثيرًا، ثم تتابعت الفتوق على علىٍّ من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل اسمه الحارث بن راشد فى قومه من بنى ناجية، وكان من ولاة علىّ على الأهواز، فدعا إلى خلع على، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه على جيشًا بقيادة معقل بن قيس الرياحى فهزمه وقتله[٤]، وطمع أهل الخراج فى ناحية على فى كسر الخراج، وانتقض أهل الأهواز، ولابد أن عليًا واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روى عن الشعبى فى هذا الخصوص قوله: لما قتل على أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتفضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمى البصرة، وانتفض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج فى كسره وأخرجوا سهل بن حنيف عامل على بن أبى طالب من فارس[٥].

وقد استلم الحسن رضى الله عنه الخلافة، وجيش العراق مضطرب وأهل الكوفة مترددون فى أمرهم، وقد جاء فى المجتبى لابن دريد: قام الحسن بعد موت أبيه فقال: والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٣٤٥).

(٢) نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى، ص (١٥، ١٦)، مصطفى حلمى.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص(٣٥٠).

(٤) تاريخ الطبرى (٦/ ٢٧ - ٤٧).

(٥) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٣).

والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم فى منتدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين؛ قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، فأما الباقى فخاذل، وأما الباكى فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه قال: فناداه القوم من كل جانب: التقية التقية، فلما أفردوه أمضى الصلح[1].

وإنى وإن كنت أشك فى صحة نسبة هذه الخطبة ولكنها تصور نفسية سيدنا الحسن وأتباعه، مما عجل بالصلح بينه وبين معاوية[2] رضى الله عنه، وقد تحدث الحسن عما فعله به بعض أهل العراق وما قدموا إليه من الإساءات والإهانات وأظهر القول وجهر به فقال: أرى والله معاوية خير لى من هؤلاء يزعمون أنهم لى شيعة، ابتغوا قتلى وأخذوا مالى، والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمى وآمن به فى أهلى خير من أن يقتلونى فيضيع أهل بيتى وأهلى، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعوا بى إليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلنى وأنا أسير، أو يمن على فيكون منه على بنى هاشم آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحى منا والميت[3]. وقال أيضًا: عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لى من كان منهم فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة فى قول ولا فعل، إنهم مختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا[4]، فالحسن لم يعد يثق بأهل الكوفة بعد ما فعلوه بأبيه وبعد أن حاولوا قتله ونهبوا متاعه. وقد عبر عن ذلك فى خطبته عندما قال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسى[5] عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبى،

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٩).

(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٣).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (٣٧٩) نقلاً عن الاحتجاج للطبرسى، ص (١٤٨).

(٤) المصدر نفسه، ص (٣٧٦) نقلاً عن الاحتجاج للطبرسى، ص (١٤٨).

(٥) تذهل نفسى: تسلو نفسى، لسان العرب (١١/ ٢٥٩).

ومطعنكم بغلتى، وانتهابكم ثقلى، أو قال: ردائى عن عاتقى[1]، وقيل للحسن: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قومًا لا يثق بهم أحد أبدًا إلا غُلب، ليس أحد منهم يوافق آخر فى رأى ولا هوى، مختلفين لا نية لهم، فى خير ولا شر، لقد لقى أبى منهم أمورًا عظامًا، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى[2]، وهذا ليس على إطلاقه فجيش الحسن يمكن تقويته كما أنه هناك فصائل منه على استعداد للقتال على رأسهم قيس بن سعد الخزرجى وغيره من القادة.

ثامنًا: قوة جيش معاوية رضى الله عنه:

وفى الجانب الآخر كان معاوية رضى الله عنه يعمل بشتى الوسائل سرًا وعلانية على إضعاف جانب أهل العراق منذ عهد على رضى الله عنه فاستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشًا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

١- انشغال أمير المؤمنين على بالخوارج.

٢- عامل أمير المؤمنين على رضى الله عنه على مصر محمد بن أبى بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدى الأنصارى، فدخل فى حرب مع المطالبين بدم عثمان ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالى السابق فهزموه.

٣- اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان فى مصر فى الرأى فساعده فى السيطرة عليها[3].

٤- بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقربها من الشام.

٥- طبيعتها الجغرافية فهى متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتدادًا طبيعيًا، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية رضى الله عنه؛ قوة بشرية واقتصادية

---

(١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٢٤) إسناده حسن.

(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٤٤٨).

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣٩) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٣٥١) سنده صحيح.

كبيرة، وكذلك أرسل أمير المؤمنين على من يصدها[1]، وعمل معاوية رضى الله عنه على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال على رضى الله عنه، فقد حاول سحب قيس بن سعد رضى الله عنه عامل علىّ على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية على ومستشاريه فيه بعزله[2]، وكان عزل سعد بن قيس مكسبًا كبيرًا لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل على رضى الله عنه على فارس ففشل فى ذلك[3]، وقد استطاع معاوية رضى الله عنه أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم، ولما يرونه من علو أمره وتفرق أمر على رضى الله عنه، حتى أنه قال فى إحدى خطبه: ألا أن بسرًا قد أطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلانًا فقتل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلانًا فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم إنى أبغضتهم وأبغضونى، فأرحهم منى وأرحنى منهم.[4]

واستمر معاوية رضى الله عنه فى الاتصال بالأعيان والزعماء فى العراق حتى بعد مقتل أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فقد اجتمعت لمعاوية رضى الله عنه عوامل ساعدت على قوة جبهته منها طاعة الجيش له، اتفاق الكلمة عليه من أهل الشام، خبرته الإدارية فى ولاية الشام، وثبات مصادره المالية، وعدم تحرجه فى دفع الأموال من أجل تحقيق أهدافه التى يراها مصلحة للأمة.

- **شروط الصلح:**

تحدثت الكتب التاريخية والمصادر الحديثة وأشارت إلى حصول الصلح وفق شروط وضعها الطرفان، وقد تناثرت تلك الشروط بين كتّاب التاريخ وحاول بعض العلماء جمعها وترتيبها واستئناسًا إلى ما وصلوا إليه نحاول ترتيبها على وفق ما وصل إليه اجتهادى مع التعليق على كل مادة من مواد الصلح بما يناسبها.

---

(١) تاريخ خليفة، ص (١٩٨) بدون سند.

(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٢٥ ، ٥٢٦).

(٣) ولاة مصر، ص (٤٥ ، ٤٦).

(٤) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١٢٥) بسند منقطع وله شواهد.

أولاً: العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء:

ورواية البخارى ذكرت أن الحسن ما سأل الوفد (عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر) شيئًا إلا قالا له: نحن لك به، والتذكير بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين يتناسب مع الحالة التى تم فيها الصلح وهو نوع من التذكير والإلزام لمعاوية بالسير على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين، ولا نوافق ما ذهب إليه بعض المؤرخين ومنهم أستاذى وشيخى الدكتور أحمد بطاينة فى كون إيراد ذلك ضمن شروط الصلح تعريض من الرواية بمعاوية واتهامه بمجافاة ذلك، مما ينفى أن يكون هذا الشرط من شروط الصلح بين الجانبين[1]، وقد ذكر هذا الشرط مجموعة من العلماء منهم ابن حجر الهيثمى حيث ذكر صورة الصلح بين الحسن ومعاوية وجاء فيها: صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين وأن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين[2]، وحتى بعض كتب الشيعة ذكرت هذا الشرط وهذا دليل على توقير الحسن بن على لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى إلى حد جعل من أحد الشروط على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه: أنه يعمل ويحكم فى الناس بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين[3] - وفى النسخة الأخرى - الخلفاء الصالحين[4]، ففى هذا الشرط ضبط لدولة معاوية فى مرجعيتها ومنهجها فى الحياة ونفهم من هذا الشرط أمورا منها:

١ - مصادر التشريع فى عهد الخلافة الراشدة:

أ- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

---

(١) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٨).

(٢) الصواعق المحرقة (٢/ ٣٩٩).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (٥٤).

(٤) منتهى الآمال (ج٢/ ٢١٢) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص(٥٤).

فهو المصدر الأول الذى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التى تتعلق بشئون الحياة، كما يتضمن مبادئ أساسية وأحكامًا قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها.

ب- السنة المطهرة:

هى المصدر الثانى الذى يستمد منه الدستور الإسلامى أصوله ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية لأحكام القرآن[1]، وقد أمر المولى عز وجل بطاعة الرسول ﷺ حيث قال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقد بين المولى عز وجل خطورة من يخالف أمر الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ونفى الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد أمر المولى عز وجل بالرد إلى الرسول عند النزاع قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وجعل الرد إلى الرسول ﷺ عند النزاع من موجبات الإيمان ولوازمه قال تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فكان من الطبيعى أن تكون السنة المطهرة من مصادر التشريع فى عهد الخلافة الراشدة.

إن دولة الخلافة الراشدة خضعت للشريعة، وكانت سيادة الشريعة الإسلامية فيها فوق كل تشريع وفوق كل قانون، وأعطت صورة مضيئة مشرقة على أن الدولة الإسلامية دولة شريعة، خاضعة بكل أجهزتها لأحكام هذه الشريعة،

(١) فقه التمكين فى القرآن الكريم، للصلابى، ص(٤٣٢)

والحاكم فيها مقيد بأحكام لا يتقدم ولا يتأخر عنها[1]. ففى عهد الخلافة الراشدة وفى مجتمع الصحابة، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم، والمحكوم. ولهذا قيد الصديق طاعته التى طلبها من الأمة بطاعة الله ورسوله فقال: «أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم»[2].

٢- أهمية سنة الخلفاء الراشدين:

كان الحسن بن على رضى الله عنه - كما مر معنا - مستوعبًا لعهد الخلافة الراشدة، وقد ذكرنا أهم الدروس والعبر والفوائد التى استفاد منها من عهد الصديق والفاروق وذى النورين، ووالده على رضى الله عنهم أجمعين، فالعهد الراشدى تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوى وقربه منه، فكان العهد الراشدى امتداداً للعهد النبوى، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت فى العهد النبوى، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه، والسير فى ركابه والاستمرار فى الالتزام به، كما أن العهد الراشدى وضع التنظيمات الجديدة المتعلقة بمؤسسات الدولة لترسيخ دعائمها ومواجهة المستجدات المتنوعة، على أصول قواعد الشورى، وحدثت اجتهادات جديدة فى مجالات متعددة استفادت الدولة والأمة الإسلامية منها ويكفى للبرهان على أهمية عهد الخلافة الراشدة للحكام المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قول رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى»[3]، وقول رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدى: أبى بكر وعمر»[4].

٣- من معالم الخلافة الراشدة:

أ- كان خلفاء الرسول ﷺ ينطلقون من حكمهم وتصرفاتهم ورعايتهم لأمور الدولة ومعالجتهم للأحداث من الإسلام وباسم الإسلام وشورى من المسلمين.

---

(١) نظام الحكم فى الإسلام، ص (٢٢٧).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٦).

(٣) سنن أبى داود (٤/ ٢٠١)، الترمذى (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

(٤) صحيح سنن الترمذى للألبانى (٣/ ٢٠٠)..

ب- لم يتول أحد منهم أمر المسلمين بفرض نفسه عليهم أو يفرضه من قبل من سبقه في رئاسة الدولة بدءًا من أبي بكر وانتهاءً بعلي، بل كان كل ذلك بشورى من المسلمين، ولكن هذه الشورى قد اتخذت صورًا متعددة مما يدل على أن الإسلام لم يفرض كيفية معينة لاختيار الخليفة، بل إن ذلك متروك.

ج- بعد الاختيار المنبثق من الشورى تتم مبايعة الخليفة علنًا ولا يُلتفت لما قد يحصل من مخالفة البعض، فالعبرة بما تراه غالبية الأمة وسوادهم الأعظم، ثم إذا حصلت البيعة لا يجوز نقضها إلا حين يكون كفرًا بواحًا.

د- الأمة مسئولة عن محاسبة الخليفة في كل تصرفاته بدءًا من الشئون المالية وانتهاء بشئون السياسة والحكم والولاية، ولكن ذلك ضمن أطر حددها الإسلام ويتم ذلك عن طريق أهل الحل والعقد، ولا يجوز للأمة أن تثور بشكل غوغائي لأن ذلك يؤدي إلى الفتنة وانتشار الإشاعات، كما حدث في فتنة عثمان رضي الله عنه[1]، ومبدأ محاسبة الحاكم وحق الأمة في مراقبته قرره الخلفاء الراشدون بأقوالهم وأفعالهم؛ فأبو بكر رضي الله عنه يقول: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني[2]، وعمر يقول: أحب الناس إليَّ من رفع إليَّ عيوبي[3]، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيبًا[4]، وما قاله عثمان: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد[5]، وقال علي رضي الله عنهم جميعًا: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم إلا أنه ليس لي أمر دونكم[6].

وقد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام ولم ينكره أحد فدل ذلك على الإجماع[7]، كما أن إجماع الصحابة -

---

(١) الخلفاء الراشدون أعمال وأحداث د. أمين القضاة، ص (١٣).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٣) الشيخان أبو بكر وعمر ومن رواية البلاذري، ص (٢٣١).

(٤) المصدر نفسه، ص (٢٣١)، نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص (١٩٨).

(٥) مسند أحمد الموسوعة الحديثية، رقم (٥٢٤) ثبت إسناده إلى عثمان.

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٩ - ٤٥٧).

(٧) الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم ص ٣٧٨.

حكامًا ومحكومين - فى عهد الخلافة الراشدة له معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة(١).

هـ- للخليفة أن يقوم بما يراه من إجراءات تنظيمية فيما لا نص فيه تحت شعار المصالح المرسلة وفى ظلال الشورى حسب ما يراه مناسبًا لتحقيق المصلحة العامة.

كما فعل أبو بكر فى جمع القرآن، وكما فعل عمر فى أرض السواد وقضاياه التنظيمية، كديوان الجند والخراج، وعثمان فى نسخه للمصحف وتوزيعه على الأمصار.

و- اختلاف علماء الأمة وعظمائها أمر طبيعى، ولكن فى ظلال الأخوة والتناصح والبحث عن مصلحة الأمة، فتفاوت العقول يؤدى إلى تفاوت الآراء واختلاف وجهات النظر، كما حصل فى سقيفة بنى ساعدة، وحروب الردة وجمع القرآن، ويجب أن لا يصل ذلك إلى تفرق الأمة وتنازعها، فذلك مؤد إلى الفشل، لا محالة، والحكم فى ذلك كتاب الله وسنة نبيه ﷺ(٢).

ز- يمكن اختزال ملامح الخلافة الراشدة فى النظام السياسى إلى: المرجعية العليا للكتاب والسنة، حكم الشريعة - دولة القانون - ولكنه السماوى، والتطبيق الشامل له، الحاكم منتخب، الحاكم أجير، بيت المال للأمة وليس للحاكم، نظام الشورى الشاملة وله آلية تراض بين أفراد المجتمع، الأمة فاعلة ومشاركة فى الأحداث.

وأما فى البناء الاجتماعى: تميز عهد الخلافة الراشدة فى مجمله بالإعداد النفسى الإيمانى، وقوة الوازع الداخلى، ومحاربة العنصرية، والإعداد الشامل للإنسان المسلم، وحماية حقوق الإنسان عمومًا، وحماية الوحدة الداخلية، وحماية حدود الدولة، والمسئولية الحضارية على الجميع حكامًا ومحكومين، فهذه هى المفاهيم الأساسية فى الدولة الإسلامية والتى أصبحت نموذجًا ومقياسًا لكل العصور، وعبر عنه المسلمون بلفظ الخلافة الراشدة تمييزًا له عن أى شكل آخر من

(١)، (٢) على بن أبى طالب، للصّلابى (١/ ٣٤٥).

أشكال الحكم الأخرى[١]، ولذلك اشترط الحسن بن على فى صلحه مع معاوية رضى الله عنه؛ العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين.

ثانيًا: الأموال:

ذكر البخارى فى صحيحه أن الحسن قال لوفد معاوية وعبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال.. فمن لى بهذا؟ قالا: نحن لك به[٢]. فالحسن يتحدث عن أموال سبق أن أصابها هو وغيره من بنى عبد المطلب يريد الحسن أن لا يطالبهم معاوية، ولا ذكر لأموال يطلب من معاوية أن يدفعها إليه من قادم[٣]، وذكر ابن أعثم أن الحسن قال: أما المال فليس لمعاوية أن يشترط لى فىء المسلمين[٤]، وذكر أبو جعفر الطبرى برواية عوانة بن الحكم أن أهل البصرة حالوا بين الحسن وبين خراج داردا بجرد، وقالوا: فيئنا[٥]، والمعلوم أن جباية الخراج من مهام الدولة، ولا علاقة مباشرة بين الحسن وأهل البصرة فى هذا الجانب، ولكن الرواية أشارت إلى أن خراج داردا بجرد لم يكن فى الأموال التى صُيرت إلى الحسن[٦]، ورُوى أن الحسن قال لمعاوية: إن علىّ عدَّات ودُيونًا، فأطلق له من بيت المال نحو أربعمائة ألف أو أكثر[٧]، وذكر ابن عساكر: يُسلّم له بيت المال فيقضى منه ديونه ومواعيده التى عليه، ويتحمل منه هو ومن معه عيال أهل أبيه وولده وأهل بيته[٨]. وذهب بعض المؤرخين إلى أن إبقاءه ما فى بيت المال معه (خمسة ملايين درهم)، استبقاه لأولئك المحاربين الذين كانوا معه، يوزعه بينهم، ويبقى لمعيشته له ولأهل بيته ولأصحابه[٩]، ولا شك أن توزيع الأموال على بعض الجنود يساعد فى تخفيف شدة التوتر.

---

(١) الذاكرة التاريخية للأمة د. قاسم محمد، ص (٧٠).

(٢) البخارى، ك الصلح، رقم (٢٧٠٤).

(٣) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٤).

(٤) الفتوح (٣/ ٢٩٣).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ١٦٥).

(٦) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٤).

(٧) تاريخ الإسلام، عهد معاوية، ص (٧).

(٨) تاريخ دمشق (١٤/ ٩٠).

(٩) فى التاريخ الإسلامى، شوقى أبو خليل، ص (٢٦٨).

إن الذى جاء فى رواية البخارى هو الذى أميل إليه، فالأمر لا يكون تجاوز طلب العفو عن الأموال التى أصابها الحسن وآله فى الأيام الخالية[١]، وأما الروايات التى تشير بأن يجرى معاوية للحسن كل عام مليون درهم وأن يحمل إلى أخيه الحسين مليونى درهم فى كل عام، ويفضل بنى هاشم فى العطاء والصلات على بنى عبد شمس[٢]، وكأن الحسن باع الخلافة لمعاوية، فهذه الروايات، وما قيل حولها من تحليل وتفسير لا تقبل ولا يعتمد عليها، لأنها تصور إحساس الحسن بمصالح الأمة يبدو ضعيفًا أمام مصالحه الخاصة[٣]. وأما حقه من العطاء فليس الحسن فيه بواحد من دون المسلمين، ولا يمنع أن يكون حظه منه أكثر من غيره، ولكنه لا يصل إلى عشر معشار ما ذكرته الروايات[٤].

ثالثًا: الدماء:

ويتضمن اتفاق الصلح بين الجانبين أن الناس كلهم آمنون لا يؤخذ أحد منهم بهفوة أو إحنة، ومما جاء فى رواية البخارى أن الحسن قال لوفد معاوية: وأن هذه الأمة عاثت فى دمائها، فكفل الوفد للحسن العفو للجميع فيما أصابوا من الدماء[٥]، ولكن الرواية عن الزهرى ذكرت أن عبيد الله بن عباس قائد جيش الحسن لما علم بما يريد الحسن من معاوية، بعث إلى معاوية يسأله الأمان وشرط لنفسه على الأموال التى قد أصاب، ثم خرج إليهم ليلاً ولحق بهم وأن قيس بن سعد الذى خلّفه على الجيش تعاهد والجيش على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم[٦].

وقد حاول المستشرق فلهوزن أن يلصق هذه التهمة الباطلة بعبد الله بن عباس، وذكر أن قائد الجيش كان عبد الله بن عباس، واستند فلهوزن فى ذلك إلى أن الاسم الذى ورد فى بعض النسخ المخطوطة من تاريخ الطبرى هو عبد الله

---

(١) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٤).

(٢) الأخبار الطوال، ص (٢١٨).

(٣) ، (٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٣)..

(٥) البخارى، ك الصلح (٢/ ٩٦٣).

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ١٦٣ ، ١٦٤).

ابن عباس، وأن الاختلاف بين المخطوطات فى عبد الله وعبيد الله ليس مرجعه إلى الناسخ وإنما إلى الرواة الذين لم يريدوا أن يلحق هذا العار بعبد الله بن عباس جد العباسيين، وأما إخوة عبيد الله فلم يروا بأسًا من التخلى عن الدفاع عنه[1]، والحقيقة التاريخية تقول: أن قائد الجيش كان الحسن بن على، وأن قائد مقدمته كان قيس بن سعد ولا ذكر لعبد الله بن عباس أو أخيه عبيد الله فى هذا الجانب[2]، إلا فى الروايات الضعيفة والتى لا يقوم عليها دليل، كما أنه مما ورد عند أبى حنيفة الدينورى فى الأخبار الطوال[3]، وابن حجر فى المطالب العلية[4]، وابن أعثم فى الفتوح[5]، أن قطبى الرحى فى الجيش كانا الحسن بن على وقيس بن سعد، ولا ذكر لعبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس[6]. وتأكيد فلهوزن على أن عبد الله بن عباس كان قائدًا للجيش لا عبيد الله واحتجاجه على ذلك بما سبق الإشارة إليه يخالفه ما نقله زياد بن عبد الله البكائى عن عوانة بن الحكم الذى لا يتهم بمحاباة العباسيين قال: إن عبيد الله بن عباس كان واليا لعلى على اليمن، ولما بلغه مسير بسر بن أرطاة إليه استخلف على اليمن عبيد الله بن عبد المدائن الحارثى وهرب إلى على بالكوفة، وذلك عام أربعين للهجرة، وأرسل على بن أبى طالب جيشًا إلى اليمن يتعقب جيش بسر، وقتل على فى نفس العام، ولم يرد ما يشير إلى أن عبيد الله بن عباس ترك الكوفة إلى اليمن[7]، وسواء كان قائد الجيش عبد الله بن عباس أو عبيد الله أو غيرهما فإن دواعى اتصال قائد جيش الحسن بمعاوية وطلب الأمان منه غير قائمة، فجيش الحسن قوى وممتنع كما جاء عند البخارى، والاتصالات بين الحسن وقيادته موجودة نقلاً وعقلاً، والحسن ولى الأمر ورأسه، وقد جرت المفاوضات بينه وبين وفد معاوية، وأخذ الأمان لأتباعه ومن كان فى جانبه فضلاً عن بنى العباس وغيرهم من بنى

(١) تاريخ الدولة العربية، ص (١٠٣ - ١٠٦).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ١٥٩ ، ١٦٠).

(٣) الأخبار الطوال، ص (٢١٧).

(٤) المطالب العلية (٤/ ٣١٨، ٣١٩).

(٥) الفتوح (٣/ ٢٨٩).

(٦) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٦).

(٧) تاريخ الطبرى (٥/ ١٣٩ ، ١٤٠)، دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٦).

المطلب بشأن الدمـاء والأموال، وأعلم الحسن قـيادته بالصلح وتنازله عن الخـلافة لمعاوية، وأمرهم بالدخـول فى الجماعة ومـبايعة معاوية، ولما رأى قـيس ومن معه أنهم لم يعدوا مع إمام مـفترض الطاعة تركوا القتال وبايعـوا معاوية، ودخلوا فى الجماعة[1]، ولكن فى رواية الزهرى ثناء على قيس دون الحسن وولدى العباس من غير ما ضرورة[2].

إن الحـسن بن على اشتـرط على معـاوية، أن لا يطلب أحـدًا من أهل المدينة والحـجـاز والـعـراق بشىء[3]، والذى يلاحظه المؤرخ، أنـه من ذلك الوقت ترك الطلب بدم عثمان[4]، وقد تّم الاتفاق على عدم مطـالبة أحد بشىء كان فى أيام على، وهى قـاعدة بالغـة الأهميـة تحول دون الالتـفات إلى الماضى وتركـز على الحاضر والمستقبل[5]، وقد تم التوافق المبنى على الالتزام والشرعية حيث تم الصلح على أساس العفو المطلق عن كل ما كان بين الفريقين، قبل إبرام الصلح، وبالفعل لم يعاقب معـاوية أحدًا بذنب سابق، وتأسس بذلك صلح الحـسن على الإحسان والعفـو، تأليفًا لقلوب الجـماعة، خاصـة أنه كان بالخيـار وهذا هو العمل العظيم الذى قام به الحسن حـيث أعاد للأمة وحدتهـا ولحمتها مـن جديد، وقد تم بسط الأمن وحفظ الدماء فى عهد مـعاوية إلى حد كبير، وقد اجتهـد فى قضايا سيأتى بيانها وتفصيلها فى محله بإذن الله تعالى.

رابعًا: ولاية العهد، أم ترك الأمر شورى بين المسلمين:

قـيل: ومما اتفق الجانبـان عليـه من الشروط أن يكـون الأمر من بعـد معـاوية للحسن[6]، وإن معاوية وعـد إن حَدَثَ به حدث والحسن حى ليُسَمَّـينه وليجعلن الأمرإلـيه[7]، ولكن ابن أعـثم روى فى هذا الخصـوص عن الحسن إنه قـال: أما

(١) ، (٢) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٧)..
(٣) التبيين فى أنساب القرشيين، ص (١٢٧).
(٤) الخلفاء الراشدون للنجار، ص (٤٨٢).
(٥) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، ص (٣٤١).
(٦) فتح البارى (١٣/ ٧٠).
(٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٤).

ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب فى ذلك ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه[1]، وجاء فى نص الصلح الذى ذكره ابن حجر الهيثمى: . . . بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين[2].

وعند التدقيق فى روايات طلب الحسن الخلافة بعد معاوية، نجد أنها تتنافى مع أنفة وقوة وكرم الحسن، فكيف يتنازل عن الخلافة حقنًا لدماء المسلمين وابتغاء مرضاة الله ثم يوافق على أن يكون تابعًا يتطلب أسباب الدنيا، ويشرئب عنقه للخلافة مرة أخرى، والدليل على أن هذا غير صحيح ما ذكر جبير بن نضير قال: قلت للحسن بن على: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدى يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء مرضاة الله[3]. ومن الملاحظ أن أحدًا من أبناء الصحابة أو الصحابة لم يذكروا خلال بيعة يزيد شيئًا من ذلك، فلو كان الأمر كما تذكر الروايات عن ولاية عهد الحسن بعد معاوية، لاتخذها الحسين بن على رضى الله عنه حجة، ولكن لم نسمع شيئًا من ذلك على الإطلاق مما يؤكد على أن مسألة خلافة الحسن لمعاوية لا أساس لها من الصحة، ولو كان الحسن رضى الله عنه أسند إليه منصب ولاية العهد فى الشروط لكان قريبًا من معاوية فى إدارة الدولة أو تولى أحد الأقاليم الكبرى، لا أن يذهب إلى المدينة وينعزل عن إدارة شئون الحكم، كما أن روح ذلك العصر تشير إلى أن مبدأ اختيار الأمة للحاكم عن طريق الشورى هو الأصل.

- سبُّ أمير المؤمنين على بين معاوية والحسن:

تذكر كتب التاريخ: اشترط الحسن على معاوية ألا يُسبَّ علىٌّ وهو يسمع؛ وكأن الحسن عفا عن سب على رضى الله عنه وهو لا يسمع، ولذلك قال أستاذى وشيخى الدكتور محمد بطاينة: فقد لا تكون هذه القضية بحثت بين الحسن ومعاوية[4]. وقد اتهم الشيعة الروافض معاوية رضى الله عنه بحمل الناس على

(١) الفتوح (٣، ٤/٢٩٣).

(٢) الصواعق المرسلة (٢/٢٩٩).

(٣) البداية والنهاية (١١/٢٠٦).

(٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٨).

سب على ولعنه فوق منابر المساجد، فهذه الدعوة لا أساس لها من الصحة، والذى يقصم الظهر أن الباحثين قد التقطوا هذه الفرية على هوانها دون إخضاعها للنقد والتحليل، حيث صارت عند المتأخرين من المسلمات التى لا مجال لمناقشتها ولم يثبت قط فى رواية صحيحة، ولا يعول على ما جاء فى كتب الدميرى واليعقوبى وأبى الفرج الأصفهانى، علمًا بأن التاريخ الصحيح يؤكد خلاف ما ذكره هؤلاء[١] من احترام وتقدير معاوية لأمير المؤمنين على وأهل بيته الأطهار، فحكاية لعن علىّ على منابر بنى أمية لا تتفق مع منطق الحوادث، ولا طبيعة المتخاصمين، فإذا رجعنا إلى الكتب التاريخية المعاصرة لبنى أمية، فإننا لا نجد فيها ذكرًا لشىء من ذلك أبدًا.. وإنما نجده فى كتب المتأخرين الذين كتبوا تاريخهم فى عصر بنى العباس بقصد أن يسيئوا إلى سمعة بنى أمية فى نظر الجمهور الإسلامى، وقد كتب ذلك المسعودى الشيعى الرافضى، فى مروج الذهب وغيره من كُتَّاب الشيعة الروافض وقد تسربت تلك الأكذوبة إلى كتب تاريخ أهل السنة ولا يوجد فيها رواية صحيحة صريحة، فهذه دعوة مفتقرة إلى صحة النقل، وسلامة السند من الجرح، والمتن من الاعتراض، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند المحققين والباحثين، فكيف بها وقد صدرت من الروافض الحاقدين، ومعاوية - رضى الله عنه - منزه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله فى الدين، وكان محمود السيرة فى الأمة، أثنى عليه بعض الصحابة ومدحه خيار التابعين، وشهدوا له بالدين والعلم، والعدل والحلم، وسائر خصال الخير[٢].

١- فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما ولاّه الشام: لا تذكروا معاوية إلا بخير[٣].

٢- وعن على رضى الله عنه قال بعد رجوعه من صفين: أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل[٤].

---

(١) الحسن والحسين، محمد رضا، ص (١٨) كلام المحقق د. أحمد أبو الشباب.

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٦٧) للرحيلى.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٢٥).

(٤) المصدر نفسه (٨/ ١٣٤).

٣- وعن ابن عمر أنه قال: ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود[١] من معاوية فقيل: ولا أبوك؟ قال: أبي عمر - رحمه الله - خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه[٢].

٤- وعن ابن عباس قال: ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية[٣]، وفي صحيح البخاري أنه قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه[٤]، وذُكر عند ابن عباس معاوية، فقال: لله تلاد ابن هند ما أكرم حسبه، وأكرم مقدرته، والله ما شتمنا على منبر قط، ولا بالأرض ضنّا منه بأحسابنا وحسبه[٥].

٥- وعن عبد الله بن الزبير أنه قال: لله در ابن هند يعني معاوية إنا كنا لنفرقه[٦]، وما الليث على براثنه بأجرأ منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا الجبل حجر وأثار إلى أبي قبيس.

٦- وعن الزهري قال: عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئًا، والآثار عن الصحابة والتابعين وأتباعهم كثيرة وإنما ذكرنا جزءًا منها.

كما أثنى على معاوية رضي الله عنه العلماء المحققون في السير والتاريخ، ونقاد الرجال.

١- يقول ابن تيمية - رحمه الله -: واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو أول الملوك، كان ملكه ملكًا ورحمة[٧]. وقال: فلم يكن من ملوك المسلمين خير من معاوية، ولا كان الناس زمان ملك من الملوك خيرًا منهم في زمان معاوية[٨].

---

(١) من السيادة وسمى سيدًا لأنه يسود سواد الناس، من لسان العرب (٣/ ٢٢٩).

(٢) السنة للخلال (١/ ٤٤٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٥٢).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٧).

(٤) البخاري، رقم (٣٧٦٥).

(٥) تاريخ دمشق (٦٢/ ١٢٨، ١٢٩).

(٦) الفرق: الخوف والفزع.

(٧) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٨).

(٨) منهاج السنة (٦/ ٢٣٢).

٢- وقال ابن كثير في ترجمة معاوية رضي الله عنه: وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين.. فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو[1].

٣- وقال ابن أبي العز الحنفي: وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك المسلمين[2].

٤- وقال الذهبي في ترجمته: أمير المؤمنين ملك الإسلام[3]. وقال: معاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم[4]. وإذا ثبت هذا في حق معاوية رضي الله عنه فإنه من أبعد المحال على من كانت هذه سيرته، أن يحمل الناس على لعن علي رضي الله عنه على المنابر وهو من هو في الفضل، وهذا يعني أن أولئك السلف وأهل العلم من بعدهم الذين أثنوا عليه ذلك الثناء البالغ، قد مالؤوه على الظلم والبغي واتفقوا على الضلال[5]، وهذا من البهتان العظيم لأولئك العلماء من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم من العلماء الربانيين، ومن علم سيرة معاوية رضي الله عنه في الملك، وما اشتهر به من الحلم والصفح، وحسن السياسة للرعية ظهر له أن ذلك من أكبر الكذب عليه، فقد بلغ معاوية رضي الله عنه في الحلم مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال[6] وإليك بعض الأمثلة:

١- قال عبد الملك بن مروان وقد ذُكر عنده معاوية: ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه[7].

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧٢٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٠).
(٤) المصدر نفسه، ص (٣٧١).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).
(٦) سير أعلام النبلاء، ص (٣٧١).
(٧) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).

٢- وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحدًا أعظم حلمًا، ولا أكثر سؤددًا، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجًا، ولا أرحب باعًا بالمعروف من معاوية[1].

٣- ونقل ابن كثير: أن رجلاً أسمع معاوية كلامًا سيئًا شديدًا، فقيل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إنى لأستحى من الله أن يضيق حلمى عن ذنب أحد من رعيتى[2].

٤- وقال رجل لمعاوية: ما رأيت أنذل منك، فقال معاوية: بلى من واجه الرجال بمثل هذا[3]. فهل يعقل بعد هذا أن يسع حلم معاوية - رضى الله عنه - سفهاء الناس وعامتهم المجاهرين له بالسب والشتائم، وهو أمير المؤمنين، ثم يأمر بعد ذلك بلعن الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه على المنابر، ويأمر ولاته بذلك فى سائر الأمصار والبلدان - ويبقى هذا السب إلى أن يأتى عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيلغى ذلك - والحكم فى هذا لكل صاحب عقل وفهم[4]؟!

وأما ما استدل به الروافض على تلك الفرية من صحيح مسلم فليس فيه ما يدل على زعمهم، فعن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبى سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم[5]. قال النووى: قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدًا بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب. كأنه يقول: هل امتنعت تورعًا أو خوفًا، أو غير ذلك، فإن كان تورعًا وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعدًا قد كان فى طائفة يسبون فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار، أو أنكر عليهم، فسأله هذا السؤال. قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه: ما منعك أن تخطئه فى رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ[6]، وقال أبو العباس القرطبى صاحب المفهم معلقًا على

---

(١)، (٢)، (٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٧٢).

(٥) مسلم، ك فضائل الصحابة (٤/ ١٨٧١).

(٦) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٧٥).

وصف ضرار الصُّدائى لعلى رضى الله عنه وثنائه عليه بحضور معاوية، وبكاء معاوية من ذلك وتصديقه لضرار فيما قال: وهذا الحديث يدل على معرفة معاوية بفضل على رضى الله عنه، ومنزلته، وعظيم حقه، ومكانته، وعند ذلك يبعد عن معاوية أن يصرح بلعنه وسبّه، لما كان معاوية موصوفًا به من العقل والدين، والحلم وكرم الأخلاق، وما يروى عنه من ذلك فأكثره كذب لا يصح، وأصح ما فيها قوله لسعد بن أبى وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج من عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية، سكن وأذعن، وعرف الحق لمستحقه(١).

قال الدكتور إبراهيم الرحيلى صاحب الكتاب النفيس القيم الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوى الضال: والذى يظهر لى فى هذا والله أعلم: أن معاوية إنما قال ذلك على سبيل المداعبة لسعد، وأراد من ذلك استظهار بعض فضائل على رضى الله عنه، فإن معاوية رضى الله عنه كان رجلاً فطنًا ذكيًا، يحب مطارحة الرجال واستخراج ما عندهم، فأراد أن يعرف ما عند سعد فى على رضى الله عنه، فألقى سؤاله بهذا الأسلوب المثير. وهذا مثل قوله رضى الله عنه لابن عباس: أنت على ملة على؟ فقال له ابن عباس: ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ﷺ(٢). فظاهر أن قول معاوية هنا لابن عباس جاء على سبيل المداعبة، فكذلك قوله لسعد هو من هذا الباب، وأما ما ادعى الروافض من الأمر بالسب فحاشا معاوية رضى الله عنه أن يصدر منه مثل ذلك(٣)، والمانع من هذا عدة أمور:

١- أن معاوية نفسه ما كان يسب عليًا رضى الله عنه كما تقدم حتى يأمر غيره بسبه، بل كان معظمًا له، معترفًا له بالفضل والسبق إلى الإسلام، كما دلت على ذلك أقواله الثابتة عنه.

---

(١) المفهم للقرطبى (٦/ ٢٧٨).

(٢) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٥٥) الكبرى، شرح أصول اعتقاد، الألكائى (١/ ٩٤).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٧٤).

أ- قال ابن كثير: وقد ورد من غير وجه: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له: هل تنازع عليًا أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني[1].

ب- ونقل ابن كثير أيضًا عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال: لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[2]. فهل يسوغ في عقل ودين أن يسب معاوية عليًا بل ويحمل الناس على سبه وهو يعتقد فيه هذا[3]!!

٢- أنه لا يُعرف بنقل صحيح أن معاوية رضي الله عنه تعرض لعلي رضي الله عنه بسب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسبه بعد انتهاء حربه معه ووفاته، فهذا من أبعد ما يكون عند أهل العقول، وأبعد منه أن يحمل الناس على سبه وشتمه.

٣- أن معاوية رضي الله عنه كان رجلاً ذكيًا مشهورًا بالعقل والدهاء، فلو أراد حمل الناس على سب علي - حاشاه ذلك - أفكان يطلب ذلك من مثل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو من هو في الشجاعة والفضل والورع، مع عدم دخوله في الفتنة أصلاً؛ فهذا لا يفعله أقل الناس عقلاً وتدبيرًا، فكيف بمعاوية.

٤- أن معاوية رضي الله عنه انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه له، واجتمعت عليه الكلمة ودانت له الأمصار بالملك، فأي نفع له في سب علي؟ بل الحكمة وحسن السياسة تقتضي عدم ذلك، لما فيه من تهدئة النفوس، وتسكين الأمور، ومثل هذا لا يخفى على معاوية رضي الله عنه الذي شهدت له الأمة بحسن السياسة والتدبير.

٥- أنه كان بين معاوية رضي الله عنه بعد استقلاله بالخلافة وأبناء علي من الألفة والتقارب، ما هو مشهور في كتب السير، والتاريخ[4]، ومن ذلك أن الحسن

---

(١)، (٢) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٧٥).

(٤) نفس المصدر، ص (٣٧٦).

والحسين وفدا على معاوية فأجازهما بمائتى ألف. وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلى، فقال له الحسين: ولم تعط أحدًا أفضل منا[1]. ودخل مرة الحسن على معاوية فقال له: مرحبًا وأهلاً بابن بنت رسول الله ﷺ، وأمر له بثلاثمائة ألف[2]. وهذا مما يقطع الكذب ما يدّعى فى حق معاوية من حمله الناس على سب على، إذ كيف يحصل هذا مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة والاحتفاء والتكريم. وبهذا يظهر الحق فى هذه المسألة، وتتجلى الحقيقة[3]، كما أن ذلك المجتمع فى عمومه مقيد بأحكام الشرع حريص على تنفيذها، ولذلك كانوا أبعد الناس على الطعن واللعان والقول الفاحش والبذىء، فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - مرفوعًا -: ليس المؤمن بالطعان ولا باللعّان ولا بالفاحش ولا البذىء[4]. وقد نهى رسول الله ﷺ عن سب الأموات المشركين فكيف بمن يسب أولياء الله المصلحين، فعن عائشة رضى الله عنها - مرفوعًا - لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا[5].

وبعد أن تمّ الصلح تنازل الحسن عن الخلافة، وتمّ بيان ذلك فى حديثنا عن المراحل، وبذلك طويت صفحة من الخلاف والفرقة، واجتمعت الكلمة، وصار معاوية خليفة مجمعًا عليه، قيل: عام أربعين للهجرة[6]، ولكن ابن إسحاق[7] والواقدى[8]، وخليفة بن خياط[9]، يجعلون ذلك عام واحد وأربعين للهجرة ويختلفون فى الشهر الذى وقع فيه الصلح من ذلك العام أهو ربيع الأول أو ربيع

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٣٩).

(٢) المصدر نفسه (٨/ ١٤٠).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٧٧).

(٤) صحيح ابن حبان، رقم (٤٧)، صححه الألبانى فى الصحيحة، رقم (٣٢٠).

(٥) البخارى، رقم (٦٥١٦).

(٦) المعجم الكبير للطبرانى (٣/ ٢٦) دراسة فى الخلفاء الأمويين، ص (٦٩).

(٧) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٩) ترجمة الحسن بن على.

(٨) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٩).

(٩) تاريخ خليفة، ص (٢٠٣).

الآخر، أو جمادى الأولى، أو جمادى الآخرة[1]، ومضى معاوية يقود مسيرة الأمة من غير أن يجعل للفتنة وأحداثها سبيلاً[2].

- موقف معاوية من قتلة عثمان:

وقد يسأل سائل عما فعل معاوية بقتلة عثمان بعد صيرورة الخلافة إليه؟ ويجيب ابن قتيبة فى عيون الأخبار قائلاً: إن معاوية بن أبى سفيان لما قدم بعد عام الجماعة، دخل دار عثمان بن عفان، فصاحت عائشة بنت عفان بن عثمان وبكت ونادت أباها، فقال معاوية: يا ابنة أخى، إن الناس أعطونا طاعة، وأعطيناهم أمانا، وأظهرنا لهم حلمًا تحته غضب، وأظهروا لنا ذلاً تحته حقد، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه، فإن نكثناهم نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، لأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين خيرًا من أن تكونى امرأة من عرض الناس[3].
والذى يعتد به من كلام ابن قتيبة ما جاء عن العهود والمواثيق التى أبرمت بين معاوية والحسن، وقضت بالصلح بين الناس، ووضع الحرب، وحقن الدماء، وعدم تهييج النفوس، وإضافة إلى ذلك فإن السنوات الخمس التى احتضنت المعارك فى الجمل وصفين والنهروان ومصر وغيرها ذهبت بأولئك الذين ترددت أسماؤهم بتهمة قتل عثمان، ومع ذلك فإن مسألة قتل عثمان ظلت حاضرة فى ذهن الخلفاء من بنى أمية ونوابهم فى الأغلب، وأما انتصار بنى أمية لعثمان كان حقيقة لا شبهة فيها[4]. كما أن الصحابة الذين بايعوا معاوية رضى الله عنه جميعًا يستحال أن يرضوا بسب علىٍّ على منابر الدولة الأموية ولا يتكلم منهم أحد أو يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإليك أسماؤهم:

فقد روى عن الأوزاعى أنه قال: أكدت خلافة معاوية عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم سعد، وأسامة وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدرى، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك،

---

(١)، (٢) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٩).

(٣) المصدر نفسه، ص (٧٠).

(٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٧٠).

ورجال أكثر مما سميت أضعاف مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله تأويله، ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء الله، منهم، عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن محيريز فى أشباه له، لم ينزعوا يده عن مجامعة فى أمة محمد ﷺ(١).

- من نتائج الصلح:

أولاً: توحد الأمة تحت قيادة واحدة:

سجل فى ذاكرة الأمة عام الجماعة وأصبح هذا الحدث من مفاخرها التى تزهو به على مر العصور، وتوالى الدهور، فقد التقت الأمة على زعامة معاوية، ورضيت به أميراً عليها، وابتهج خيار المسلمين بهذه الوحدة الجامعة، بعد الفرقة المشتتة، وكان الفضل فى ذلك لله ثم للسيد الكبير مهندس المشروع الإصلاحى العظيم الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويعد عام الجماعة من علامة نبوة المصطفى ﷺ وفضيلة باهرة من فضائل الحسن، ولا يلتفت إلى ما قاله العقاد فى عام الجماعة فى هجومه الخاطئ على المؤرخين الذين سمّوا سنة إحدى وأربعين هجرية بعام الجماعة، فقد قال: فليس أضل ضلالاً، ولا أجهل جهلاً من المؤرخين الذين سموا سنة إحدى وأبعين هجرية بعام الجماعة لأنها السنة التى أستأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها، لأن صدر الإسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة كما تفرقت فى تلك السنة، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها(٢). والعقاد رحمه الله لم يأت بجديد فى حكمه الخاطئ بل سبقه إليه كثير من مؤرخى الشيعة الرافضة، ويكفى معاوية فخراً أن كل الصحابة الأحياء فى عهده بايعوه، فقد بايع معاوية جم غفير من صحابة رسول الله ﷺ(٢)، وفى ذلك يقول ابن حزم: فبويع الحسن ثّم سُلّم الأمر إلى

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٣٣) نقلاً عن أثر العلماء فى الحياة السياسية فى الدولة الأموية، عبد الله الخرعان ص (٨٣).

(٢) معاوية بن أبى سفيان، ص (١٢٥) للعقاد.

معاوية، وفى بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بلا خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل، وكلهم؛ أولهم عن آخرهم بايع معاوية، ورأى إمامته[1]، ونتعلم من فقه الحسن وموقف الصحابة من بيعة معاوية فهمهم العميق لآيات النهى عن الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فالصِّراط المستقيم هو: القرآن، والإسلام، والفطرة التى فطر الله النَّاس عليها، والسُّبل هى: الأهواء، والفرق، والبدع، والمحدثات، قال مجاهد: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعنى: البدع، والشُّبهات، والضلالات[2]، ونهى الله سبحانه وتعالى هذه الأمة عمّا وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف والتفرق من بعد ما جاءتهم البينات، وأنزل الله إليهم الكتب، فقال سبحانه: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ونهى الأمّة أن تكون من المشركين، الذين فرّقوا دينهم، وكانوا شيعًا، فقال عز من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢] وأخبر سبحانه وتعالى: أن الرسول ﷺ برىء من الذين يفرّقون دينهم ويكونون شيعًا وأحزابًا[4]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. لقد تحقق بفضل الله تعالى ثم بنجاح الحسن بن على فى صلحه مع معاوية مقصد عظيم من مقاصد الشريعة من وحدة المسلمين واجتماعهم، وهذا المقصد من أهم أسباب التمكين لدين الله تعالى، ونحن مأمورون بالتواصى بالحقِّ والتواصى،

(١) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٦٧).

(٢) الفصل (٥/ ٦).

(٣) تفسير مجاهد، ص (٢٢٧).

(٤) دراسات فى الأهواء والفرق والبدع، ناصر العقل، ص (٤٩).

بالصبر، فلابدَّ من تضافر الجهود بين الدُّعاة، وقادة الحركات الإسلاميّة، وبين علماء المسلمين، وطلبة العلم لإصلاح ذات البين إصلاحًا حقيقيًا لا تلفيقيًا، لأن أنصاف الحلول تفسد أكثر ممَّا تصلح، وقد تحدث الشيخ عبد الرحمن السعدى عن الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة، واتفاق الكلمة، وبعد أن ذكر الآيات، والأحاديث الدّالة على وجوب تعاون المسلمين ووحدتهم قال: فإن من أعظم الجهاد السَّعى فى تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم، ومصالحهم الدِّينيَّة والدنيوية[1]، إن الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين، وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد، لأن هذه الخطوة مهمة جدًا فى إعزاز المسلمين، وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلى فى أبهى صورة فى تنازل الحسن بن على رضى الله عنه لمعاوية رضى الله عنه من أجل وحدة الأمة، وحفظ دمائها، والأجر والمثوبة عند الله.

ثانيًا: عودة الفتوحات إلى ما كانت عليه:

إن دعوة الناس للدخول فى دين الله تعالى من مقاصد الإسلام الكبرى، ومن الوسائل التى استخدمت فى عهد الراشدين حركة الفتوحات المباركة، وتعد الفتنة التى أدت إلى استشهاد عثمان رضى الله عنه أكبر معوق أصاب الدعوة الإسلامية بعد حركة الردة أيام أبى بكر رضى الله عنه، حيث أدى استشهاد عثمان إلى توقف الجهاد، واتجاه سيوف المسلمين إلى بعضهم فى فتنة كادت تعصف بالأمة الإسلامية لولا أن تداركتها رحمة الله سبحانه وتعالى بصلح الحسن بن على رضى الله عنه مع معاوية رضى الله عنه، وقد امتلأت المصادر بالنصوص التى تبين أثر الفتنة فى انحسار حركة الجهاد[2] وفيما يلى بعضها:

١- عن الحسن بن على رضى الله عنه أنه قال: قد رأيت أن أعمد على المدينة فأنزلها وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج - يعنى الثغور[3].

---

(١) وجوب التعاون بين المسلمين، ص (٥).

(٢) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٠٩).

(٣) الطبقات، تحقيق السُلمى (١/ ٣٣١).

٢- ما أخرجه أبو زرعة الدمشقى بإسناده، قال: لما قبل عثمان، واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة، حتى اجتمعت الأمة على معاوية[١].

٣- قول أبى بكر المالكى: فوقعت الفتنة.. واستشهد عثمان رضى الله عنه، وولى بعده على رضى الله عنه، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية رضى الله عنه[٢].

فمن نتائج الصلح عودة حركة الفتوحات إلى ما كانت عليه وأصبحت فى عهد معاوية ثلاث جبهات رئيسية هى:

١- جبهة الروم:

وتعتبر هذه الجبهة من أهم الجبهات، وأخطرها، نظرًا لقوة الروم، ومجاورتهم لبلاد المسلمين، هذا فضلاً عن امتلاكهم لجيوش برية وأساطيل بحرية على درجة كبيرة من التنظيم والخبرة، مما دفع المسلمين والروم فى البر والبحر معًا.

٢- جبهة المغرب:

وهذه الجبهة ترتبط بجبهة الروم برباط وثيق، وذلك لوجود مستعمرات رومية على بلاد المغرب كان لها أثر كبير فى عرقلة حركة الفتوحات الإسلامية فى المنطقة.

٣- جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر[٣]:

تعتبر سجستان وخراسان من أوائل البلاد التى انتقضت على المسلمين بعد استشهاد عثمان[٤] رضى الله عنه. وقد ترك معاوية رضى الله عنه معالم واضحة فى سياسته الجهادية أوردها خليفة بن خياط فى تاريخه حيث قال: كان آخر ما أوصاهم به معاوية أن شُدوا خناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم[٥]، وقد سلك معاوية خطوات لتحقيق هذه السياسة فى أثناء خلافته:

---

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (٣١٠).

(٢) رياض النفوس (١/ ٢٧).

(٣) يقصد بمصطلح ما وراء النهر تلك البلاد الواقعة وراء نهر جيحون.

(٤) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٤).

(٥) تاريخ خليفة، ص (٢٣٠).

أ- التركيز على عمليات الصوائف والشواتى، من أجل تحقيق عدة أهداف منها:

* استنزاف قوى الروم.

* انتزاع زمام المبادرة من الروم وجعلهم فى حالة دفاع مستمر.

* إرغام الروم على توزيع قواتهم بحيث لا يستطيعون القيام بهجمات حاسمة وقوية ضد الدولة الإسلامية.

ب- مهاجمة الروم فى عقر دارهم ومحاصرة عاصمتهم، وما يترتب على ذلك من إضعاف معنوياتهم، وقذف الرعب فى قلوبهم.

ج- تقليص النفوذ البحرى للروم عن طريق فتح الجزر الواقعة فى بحر الشام، وما يترتب على ذلك من حرمان سفن الروم من قواعدها البحرية، وأما سياسة معاوية رضى الله عنه فى جبهة المغرب فكانت كالتالى:

١- أولى معاوية رضى الله عنه جبهة المغرب اهتمامًا خاصًا تمثل بارتباط هذه الجبهة به شخصيًا، حيث كان معاوية رضى الله عنه المرجع المباشر لقيادة هذه الجبهة إلى سنة ٤٧ هـ، وهى السنة التى ضمت فيها جبهة المغرب إلى والى مصر.

٢- عمل معاوية رضى الله عنه على إقامة قاعدة جهادية متقدمة فى قلب بلاد المغرب تكون عزّا للإسلام والمسلمين وذلك ببناء مدينة القيروان[١].

وأما سياسة معاوية رضى الله عنه فى جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر فكانت:

١- استعانة معاوية رضى الله عنه بفاتح سجستان وخراسان أيام عثمان رضى الله عنه، وهو عبدالله بن عامر رضى الله عنه، وتكليفه بإعادة فتحها مرة أخرى.

٢- العمل على تثبيت الحكم الإسلامى، ونشر دعوة الإسلام فى هذه المنطقة عن طريق إسكان خمسين ألفًا من العرب بعيالاتهم فى خراسان[٢]، فلولا الله سبحانه وتعالى ثم تنازل الحسن بن على لمعاوية ما عادت حركة الجهاد والفتوحات

---

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٦٣).

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (٣٦٤، ٣٦٥).

إلى ما كانت عليه، فمن نتائج الصلح تحقيق هذا المقصد الشرعى العظيم، فالوحدة بين المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله لها ثمار طيبة فى دنيا المسلمين، فلو استوعبت الأمة عمومًا وقيادتها خصوصًا هذا المقصد العظيم وطبقته فى حياتها لكان حالها فى صعود وارتقاء.

ثالثًا: تفرغ الدولة للخوارج:

من نتائج الصلح تفرغ الدولة الإسلامية للخوارج، فقد استطاع معاوية أن يضعف من شوكتهم وقوتهم، وتصدى لحركة فروة بن نوفل الأشجعى، وحركة المستورد بن عُلف التيمى، وحركة حيان بن ظبيان السلمى، وهذه الحركات ظهرت فى الكوفة[١]، وأما حركة يزيد الباهلى وسهم الهجيمى، وحركة قريب الأزدى وزحاف الطائى، وغيرهم فكانت بالبصرة[٢]. ولسنا فى محل تفصيل هذا الصراع بين الدولة الإسلامية والخوارج، ولكننا فى محل تقرير نتيجة طبيعية من نتائج الصلح، وهى التضييق والتصدى للخوارج، ولذلك اتسمت حركة الخوارج فى عهد معاوية رضى الله عنه بالعشوائية والارتجال وقلة التنظيم، وكانت أشبه ما يكون بعمليات انتحار جماعى، لأنهم يخرجون بفئات قليلة لا تلبث أن تستأصل، افتقارهم إلى قيادة واعية ومحنكة تستطيع استثمار شجاعتهم وفروسيتهم لتحقيق أهدافهم، تكرارهم لأخطاء بعضهم وعدم استفادة كل حركة من تجربة سابقتها، استبعادهم لأسلوب الحوار والمناظرة فى دعوتهم، ومحاولة فرض فكرهم على المجتمع المسلم بالقوة، اختلاط الدوافع الدينية التى دعتهم للخروج - بزعمهم - مع دوافع العصبية الجاهلية فى حركاتهم، والمتمثلة بخروج بعضهم ثأرًا لمن قتل من أصحابهم، شعورهم بالغربة داخل المجتمع المسلم، ونفورهم منه، واقتناعهم أن قتال أهل القبلة أولى من جهاد الكفار، عدم بحثهم عن أرض جديدة لنشر دعوتهم، واقتصارهم على بعض مدن العراق، وخاصة الكوفة والبصرة[٣]، فمن نتائج الصلح الملموسة التضييق على حركة الخوارج.

(١) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٩٦، ١٩٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٩٧ - ٢٠٨).

(٣) مرويات خلافة معاوية، ص (٢٠٩، ٢١٠).

- انتهاء عهد الخلافة الراشدة:

انتهى عهد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة بتنازل الحسن بن على لمعاوية رضى الله عنه، فقد قال رسول الله ﷺ: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء أن تكون، يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت[١]. وقد بين رسول الله ﷺ: خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك، أو ملكه من يشاء[٢]، وقوله ﷺ: الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك[٣]، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا[٤]، وبذلك تكون مرحلة خلافة النبوة قد انتهت بتنازل الحسن رضى الله عنه عن الخلافة لمعاوية فى شهر ربيع الأول من سنة ٤١ هـ[٥]، فالحديث النبوى الكريم أشار إلى مراحل تاريخية وهى:

١- عهد النبوة.

٢- عهد الخلافة الراشدة.

٣- عهد الملك العضوض[٦].

٤- عهد الملك الجبرى.

٥- ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٣٧١ ، ٣٧٢)، سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(٢) سنن أبى داود شرح عون المعبود (١٢/ ٢٥٩)، صحيح سنن الألبانى (٣/ ٨٧٩).

(٣) سنن الترمذى شرح تحفة الأحوذى (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧) حديث حسن.

(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

(٥) مرويات خلافة معاوية، ص (١٦٥).

(٦) العضوض: الشديد فيه عسف وعنف وظلم.

وقـد بين رسـول الله ﷺ بأنه سـتكون خلافـة نبـوة ورحـمـة ثم يكون ملك ورحمة[1]، ويجوز تسمية من بعد الخلفـاء الراشدين خلفاء وإن كانوا ملوكًا، ولم يكونوا خلفاء الأنبياء بدليل ما رواه البخارى ومـسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: كانت بنو إسـرائيل يسوسهم الأنبيـاء، كلما هلك نبى خلفه نبى وإنه لا نبى بعدى، وستكون خلفاء فتكثر. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: وفوا بـبيعـة الأول، فالأول، ثم أعطـوهم حقهـم، فإن الله سائـلهم عمـا استرعـاهم[2]، فقوله: فتكثر دليل على من سوى الراشديـن فإنهم لم يكونوا كثيرًا، وأيضًا قوله: وفوا بيعة الأول فالأول دل على أنهم يختلـفون؛ والراشدون لم يختلفوا، وقوله: فأعطوهم حقـهم، فإن الله سائلهم عما استـرعاهم دليل على مذهب أهل السنة؛ فى إعطاء الأمراء حقهم من المال والمغنم[3]، فمعـاوية رضى الله عنه أفضل ملوك هذه الأمة، والذين كـانوا قبله خلفـاء نبوة، وأما هوفكانـت خلافتـه ملكًا، وكان ملكه ملكًا ورحمة، وكان فى ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين، ما يعلم أنه كان خيـرًا من ملك غيره[4]، ومعاوية رضى الله عنه وإن كـان عالمًا ورعًا عدلاً، دون الخلفاء الأربعة فى العلم والورع والعدل، كما ترى من التفاوت بين الأولياء؛ بل الملائكة والأنبياء، فإمارته وإن كانت صحيـحة بإجماع الصحابة وتسليم الحسن -رضى الله عنه- إلا أنهـا ليست عـلى منهاج خـلافة مـن قبله، فـإنه توسع فى المباحات، وتحرز عنهـا الخلفاء الأربعة، وأما رجحان الخلفـاء الأربعة فى العبادات والمعامـلات فظاهر مما لا سترة فـيه[5]. وقد حـدد ابن خلدون مدى التغـير الذى حدث، فقرر أن الخلافة وإن كانت تحولت إلى ملـك، فإن معانى الخلافة قد بقيت - بعضها - وإنمـا كان التغير فى الوازع فبعـد أن كان دينًا انقلب عصبيـة وسيفًا؛ يقصد بذلك أنه بعد أن كان الناس يتصـرفون بوازع الدين، والخلافة شورى، صار الحكم مستندًا إلى العـصبية والقوة، ولكن مـعانى الخلافة أى مقاصـدها وأهدافها

(١) سنن الدارمى (٢/ ١١٤)، الأشربة (الفتاوى ٣٥/ ١٤).
(٢) البخارى، رقم (٣٤٥٥).
(٣) الفتاوى (٣٥/ ١٥).
(٤) الفتاوى (٤/ ٢٩٢).
(٥) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص (٧٨).

بقيت أى أن غايات هذا الملك كانت لا تزال تحقق مقاصد الدين والحكم وفق الشريعة الإسلامية بالعدل وتنفيذ الواجبات التى يأمر بها الإسلام: أى أن الحكم أو الملك استمر إسلاميًا وشرعيًا[1]، ولخص الأدوار التى مرت بها الخلافة فقال: فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً، ثم التبست معانيها واختلطت بالملك، ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبية الخلافة والله مقدر الليل والنهار[2]، فالدور الأول الذى يشير إليه هو عصر الخلفاء الراشدين وهو عصر الخلافة الخالصة أو الكاملة، والدور الثانى هو عصر الخلفاء الأمويين والعباسيين - ولا يمنع كذلك العثمانيين - وهذا عصر الخلافة المختلطة بالملك أو الملك المختلط بالخلافة: أى الذى يحقق فى الوقت نفسه مقاصد الخلافة، أما الدور الثالث فهو عصر الملك المحض الذى صار بقصد لذات الملك والأغراض الدنيوية، وانفصل عن حقيقة الخلافة أو معانيها الدينية، فهذا وصف أو تفسير ابن خلدون المؤرخ الفقيه للتطور الذى حدث والأدوار التى مرت بها الخلافة[3].

إن الخلافة الحقيقية أو الكاملة أو خلافة النبوة استمرت ثلاثين عامًا وهو عصر الخلفاء الراشدين، ثم تحولت إلى ملك، ولكن لكى نعبر عن الحقيقة يجب أن يراعى هذا التحديد، وهو أن الخلافة لم تنته أو تذهب كلية، وإنما بقيت معانيها أو مقاصدها، وأن التغيير حصل فى الأساس الذى قامت عليه، أما حقيقتها فقد بقيت، فالتغيير إذن لم يكن كليًا ولكن جزئيًا: أى أن الخلافة فى العصر الأول كانت هى الخلافة الكاملة المثالية، ثم نقصت عن المثال من وجه أو بعض الوجوه، لكن معظم عناصرها بقيت، فهى خلافة أقل من الرتبة أو خلافة مختلطة بالملك[4]، والرأى العام فى الإسلام يتمسك بالمثال، أو خلافة النبوة، أو الخلافة الكاملة، وهى تلك التى تقوم على الشورى والاختيار التام من الأمة، وأنه إذا كانت الظروف الواقعية والعوامل الاجتماعية قد حتمت أو أدت إلى هذا التطور،

---

(١) النظريات السياسية للريس، ص (١٩٤) نقلاً عن المقدمة.

(٢)، (٣) مقدمة ابن خلدون، النظريات السياسية، ص (١٩٥).

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص (١٩٦).

فإن تحمل ذلك أو قبوله لا يكون إلا مؤقتًا أو من باب الضرورة، ولكن يلزم أن يكون المثل الكامل حاضرًا دائمًا فى فكر الرأى العام، وبمجرد أن تزول تلك العوامل والظروف تجب العودة إلى تحقيق المثل الكامل، ولذا فإن الكتابات الإسلامية الأصيلة ظلت ملتزمة ومتشبثة بالمثال الكامل ولا تستخلص مبادئها إلا منه، وتفرق بين الخلافة وهى الخلافة الحقيقية الشرعية، والخلافة الواقعية التى بعدت قليلاً أو كثيرًا عن الحقيقة[1]. وقد ذكر ابن تيمية: أن مصير الأمر - أى الخلافة - إلى الملوك ونوابهم من الولاة والقضاة والأمراء ليس لنقص فيهم فقط، بل لنقص فى الراعى والرعية جميعًا، فإنه كما تكونوا يوَّل عليكم وقد قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾[2] [الأنعام: ١٢٩]. لقد ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكًا ظهر النقص فى الأمراء، وكذلك فى أهل العلم والدين وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يبق من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا فى أواخر عصر أصاغر الصحابة فى إمارة الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعى التابعين انقرضوا فى أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية[3].

- هل معاوية رضى الله عنه يعتبر أحد الخلفاء الاثنى عشر؟

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه: دخلت مع أبى على النبى ﷺ، فسمعته يقول: **إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة**، قال: ثم تكلم بكلام خفى علىَّ، قال: فقلت لأبى: ما قال، قال: **كلهم من قريش**[4]، وفى رواية أخرى عن جابر: **لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثنى عشرة خليفة.. كلهم من قريش**[5]، وفى رواية أخرى عنه: **لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثنى عشر خليفة.. كلهم من قريش**[6]، زاد أبو داود فى سننه، بإسناده عن جابر رضى الله

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٧.

(٢) الفتاوى (٣٥/ ١٥).

(٣) الفتاوى (١٠/ ٢٠٧).

(٤)، (٥) صحيح مسلم على شرح النووى (١٢/ ٢٠٢).

(٦) المصدر نفسه (١٢/ ٢٠٣).

عنه قال: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج[1] [2].

وقد شرح ابن كثير هذا الحديث فقال: ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثنى عشر خليفة صالحًا يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بنى العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدى المُبشَّر به فى الأحاديث الواردة بذكره.. وليس هذا بالمنتظر الذى تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء[3]، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة - وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثنى عشر الأئمة الاثنى عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم[4]. وإضافة لمن ذكرهم ابن كثير نضيف خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن رضى الله عنه، وقد ناقشت معتقد أهل السنة والشيعة الأمامية فى المهدى المنتظر فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب شخصيته وعصره، فمن أراد التفصيل فليرجع إليه مشكورًا، وبالنسبة لمرحلة الخلفاء الاثنى عشر فإنه استنادًا إلى الوجه الذى ذكره ابن كثير، فإن هذه المرحلة تمتاز بأن مداها الزمنى يتخلل المراحل الأخرى كلها، وخلفاء هذه المرحلة يكون ظهورهم فى الأمة متتابعًا ومتفرقًا وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة - ويبدأ ظهورهم من وفاة الرسول ﷺ - أى بخلافة أبى بكر رضى الله عنه، وتكتمل هذه المرحلة بظهور آخرهم فى آخر الزمان حيث يعقب خلافته الهَرْج[5]، وقد ذكر ابن كثير أن من خلفاء هذه المرحلة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ولما كان معاوية رضى الله عنه أفضل من

---

(١) هرج الناس: وقعوا فى فتنة واختلاط وقتل، القاموس المحيط، ص (٢٦٨).

(٢) سنن أبى داود مع شرحها عون المعبود (١١/ ٢٤٩)، صحيح سنن الألبانى (٣/ ٨٠٧).

(٣) سامراء: مدينة بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة.

(٤) التفسير (٢/ ٣٤).

(٥) مرويات خلافة معاوية، ص (١٦٥).

عـمر بن عـبد العـزيز فـهذا يعنى دخـول معـاوية رضى الله عنه فى خلفـاء هذه المرحلة، هذا والله تعالى أعلم. وقد تقدم بيـان شىء من فضائل معاوية رضى الله عنه.

- هل الحسن بن على رضى الله عنه تنازل لمعاوية مـن موقف قوة أو موقف ضعف؟

تنازل الحسن بن على رضى الله عنه لـمعاوية من موقف قوة وهناك دلائل تشـير إلى ذلك منها:

١- الشرعية التى كان يملكها الحسن:

فقد كـانت بيعته فى شـهر رمضان من سنة ٤٠ هـ وذلك بعـد استشهـاد أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقد اختير الحسن بعده اختيارًا شوريًا وأصبح الخليفة الشرعى على الحجـاز واليمن والعراق، وكل الأماكن التى كانت خـاضعة لوالده، وقد استمر فـى خلافته ستة أشهر، وتلك المدة تدخل ضـمن الخلافة الراشدة التى أخبر عنها رسول الله ﷺ بأن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا، فقد روى الترمذى بإسناده إلى رسول الله ﷺ حـيث قال: **الخـلافة فى أمـتى ثلاثون سنة ثم ملك بعـد ذلك**[١].

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقـال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن ابن على، فـإنه نزل عن الخلافة لمعـاوية فى ربيع الأول من سنة إحـدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من مـوت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عـشرة من الهـجرة وهذا من دلائل النبـوة صلوات الله وسلامـه عليه[٢]، وبذلك يكون الحسن بن على خامس الخلفاء الراشدين[٣]، وقد تحدث عن شرعية الحسن بالخلافة كثـير من علماء أهل السنة منهم، أبو بكر بن العرين[٤]، والقاضى

(١) سنن الترمذى مع شرحها تحفة الأحوذى (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧) حديث حسن.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٣) مآثر الأنافة (١/ ١٠٥). مرويات خلافة معاوية، ص (١٥٥).

(٤) أحكام القرآن لابن العربى (٤/ ١٧٢٠).

عياض[١]، وابن كثير[٢]، وشارح الطحاوية[٣]، والمناوى[٤]، وابن حجر الهيثمى[٥] ولو أراد الحسن أن يتعب معاوية بحكم أن الشرعية معه لأمكن ذلك، ولرتب حملة إعلامية منظمة فى أوساط أهل الشام، لكسب ثقتهم أو على الأقل زعزعة موقف معاوية بينهم، فقد كان يملك قوة معنوية ونفوذًا روحيًا لا يستهان به بحكم الشرعية التى يستند إليها، ولكونه حفيد الرسول ﷺ.

٢- تقييم الحسن بن على للموقف وقدراته القيادية:

فعندما قال له نفير بن الحضرمى: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدى، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله[٦]. فهذه شهادة من الحسن رضى الله عنه، بأنه كان فى وضع قوى، وبأن أتباعه على استعداد لمحاربة من يريد أو مسالمتهم، كما كان رضى الله عنه يملك من الملكات الخطابية والفصاحة البيانية، وصدق العاطفة وقوة التأثير، وقربًا من رسول الله ﷺ ما يجعله أكثر قوة وتماسكًا، ودليلنا على ذلك ما قام به من استنفار أهل الكوفة للخروج مع والده، وكان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قد ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال والفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك فى الفتنة[٧]، فقد أرسل على رضى الله عنه قبل الحسن محمد بن أبى بكر، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا فى مهمتهما، وأرسل على بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، ففشل فى مهمته لتأثير أبى موسى عليهم[٨]، وأتبعه على بعبد الله بن عباس، فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن[٩]، وكان للحسن أثر واضح، فقد قام فى

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠١).
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).
(٣) شرح الطحاوى، ص (٥٤٥).
(٤) فيض القدير (٢/ ٤٠٩٩).
(٥) الصواعق المحرقة (٢/ ٣٩٧).
(٦) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).
(٧) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.
(٨) خلافة على بن أبى طالب، ص (١٤٤)، عبدالحميد على، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).
(٩) فتح البارى (١٣/ ٥٣)، على بن أبى طالب، للصلابى (٢/ ٦٠).

الناس خطيبًا وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[1]، أمثل فى العاجلة وخير فى العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به[2] وابتليتم، ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى على ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل[3]، ولا ننسى أن أبا موسى الأشعرى كان واليًا على الكوفة، ومن قيادات العراق المحبوبين من عهد عمر وهو من هو فى علمه وزهده ومكانته عند الناس، ومع ذلك فقد استطاع الحسن أن يكسب أهل الكوفة لصفه وخرجوا معه.

٣- إن صف الحسن بن على كان يملك من القيادات الكبيرة، كأخيه الحسين، وابن عمه عبد الله بن جعفر، وقيس بن سعد بن عبادة - وهو من دهاة العرب- وعدى بن حاتم وغيرهم، فلو أراد الخلافة لأعطى المجال لقياداته للتحرك نحو تعبئة الناس والدخول فى الحرب مع معاوية وعلى الأقل يكون خليفةً على دولته إلى حين.

٤- كانت له قدرات خاصة فى التعامل مع أهل العراق ومعرفة نفوسهم ولذلك زاد لهم فى العطاء منذ بداية خلافته، كما أن مهمته التى قادها فى نجاح مشروعه الإصلاحى كانت أصعب من حربه لمعاوية، ومع ذلك تغلب على الكثير من العوائق التى واجهته، فقد حاولوا قتله،ورفض بعض الناس الصلح، وغير ذلك من العوائق إلا أنه تغلب عليها كلها وحقق الأهداف التى رسمها من حقن الدماء، ووحدة الأمة، وأمن السبيل، وعودة حركة الفتوح.. إلخ مما يدل على قدراته القيادية الفذّة.

٥- تقييم عمرو بن العاص، ومعاوية لقوات الحسن ﷺ: فقد جاء فى البخارى: استقبل والله الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو ابن العاص: إنى أرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها. فقال معاوية - وكان خير الرجلين - أى عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء مَنْ لى بأمور الناس، من لى بنسائهم،

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦) أولو النهى أصحاب العقول.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

(٣) مصنف عبدالرزاق (٥/ ٤٥٦، ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهرى.

من لى بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس - عبدالرحمن بن سمرة وعبدالله بن عامر بن كريز - فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه[(١)].

أ- فعمرو بن العاص رضى الله عنه القائد العسكرى الشهير والسياسى المحنك والذى عركته الحروب يقول: إنى أرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها.

ب- وأما معاوية رضى الله عنه، فتقييمه للموقف العسكرى بأنه لا يستطيع أحد أن ينتصر ويحقق حسمًا عسكريًا إلا بعد خسائر فادحة للطرفين ولا يستطيع معاوية حتى لو كان هو المنتصر أن يتحمل تركة الحرب من أرامل وأيتام وقتل خير المسلمين، وما يترتب على ذلك من مفاسد كبرى اجتماعية وسياسية واقتصادية، وأخلاقية للأمة الإسلامية وغيرها.

ج- ولذلك اختار معاوية رضى الله عنه شخصيتين كبيرتين من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أصحاب النفوذ فى المجتمع الإسلامى ولهم حضور واحترام عند الحسن رضى الله عنه وهما من قريش:

* عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سعيد القرشى العبشمى الأمير، أسلم عبد الرحمن يوم الفتح وكان أحد الأشراف، نزل البصرة، وغزا سجستان[(٢)]، وهو الذى قال له رسول الله ﷺ: **يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها**[(٣)]. وله فى مسند بقى بن مخلد أربعة عشر حديثا، وحدث عنه: ابن عباس، وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وحيّان بن عمير، وابن سيرين، والحسن، وأخوه سعيد بن أبى الحسن، وحميد بن هلال، وقيل: كان اسمه عبد كلال، فغيره رسول الله[(٤)] إلى عبد الرحمن.

---

(١) البخارى، ك الصلح، رقم (٢٧٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧١).

(٣) مسلم، ك الإيمان، رقم، (١٦٥٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٢).

مات بالبصرة سنة خمسين، وقيل: توفى سنة إحدى وخمسين[1]، فعبد الرحمن بن سمرة صحابى جليل مجاهد له مكانته فى ذلك العهد، وشارك فى الفتوحات وتولى إمارة جيوش الفتح فى عهد عثمان وفتح سجستان صلحًا ثم افتتح فيما بعد بُست وما يليها، ومضى إلى كابل وزابلستان فافتتحهما جميعًا وبعث بالغنائم إلى ابن عامر رضى الله عنه[2].

* عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىٍّ القرشى العبشمى[3]. ولد فى عهد رسول الله ﷺ وذلك فى السنة الرابعة من الهجرة[4]، وعندما اعتمر الرسول الكريم ﷺ فى السَّنة السابعة للهجرة عمرة القضاء، ودخل مكة، حمل إليه عبدالله بن عامر، قال ابن حجر: . . فتلمَّظ وتثاءب، فتفل رسول الله فى فيه، وقال: هذا ابن السُّلمية؟ قالوا: نعم، فقال: هذا أشبهنا، وجعل يتفل فى فيه، ويعوِّذه فجعل يبتلع ريق النبى ﷺ، فقال: إنَّه لمسقٌّى، فكان لا يعالج أرضًا إلا ظهر له الماء[5]. وقد ترجمت له فى كتابى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عند حديثى عن مؤسسة الولاة فى عهد ذى النورين[6]، وهو الرجل الذى له من الحسنات والمحبة فى قلوب الناس ما لا يُنكر كما يقول ابن تيمية[7]، وقال فيه الذهبى: وكان من كبار أمراء العرب، وشجعانهم، وأجوادهم، وكان فيه رفق وحلم[8]، وهو ممن اعتزل القتال فى الجمل وصفين. فالشخصيتان اللتان أرسلهما معاوية رضى الله عنه تدل على حرصه على نجاح الصلح مع الحسن بأى ثمن ممكن، وقد ظل زمام الموقف بيد الحسن بن على رضى الله عنه ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما مرّ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٢).

(٢) تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٩١).

(٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢).

(٥) الطبقات (٥/ ٣١)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢).

(٦) عثمان بن عفان، للصّلابى، ص (٣٠٢).

(٧) منهاج السنة (٣/ ١٨٩، ١٩٠).

(٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١).

معنا فى رواية البخارى والروايات الأخرى، وأما ما تعرض له الحسن رضى الله عنه من محاولة القتل والاعتداء فإنه يعود إلى أسباب تتصل بظروف القتال والصلح مع معاوية، حقيقة أو إشاعة كما مر معنا، وقد هزم المرجفون وقتل الرجل الذى قام بالاعتداء عليه، وتقدم هو من بعد ذلك واجتمع بمعاوية، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه ومطالبه(١)، وقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية، بمن كان معه من الأنصار والأعوان، ولكن الحسن كان ذا خلق يجنح للسلم ويكره الفتنة وينبذ الفرقة، وقد جمع الله به رأب الصدع وجمع الكلمة، وقد كان رسول الله ﷺ أشار(٢) إلى ذلك فقال: **إن ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**(٣).

- الحسن والزهد فى الملك:

فالحسن بن على رضى الله عنه قدوة للمسلمين فى الترفع عن حطام الدنيا وطلب ما عند الله تعالى واحتساب الأجر والمثوبة، فالزهد فى المناصب والكراسى من الأمور الثقيلة على النفس البشرية، فالإخوان والأصحاب والأقارب يتقاتلون على الكراسى والمناصب، فانظر إلى التاريخ القديم والحديث ترى العجب العجاب، فالزهد فى الرئاسة أقل ما يكون فى دنيا الناس، وكم من أناس زهدوا فى المال والنساء وغيرها من الأمور، ولكنهم أمام الزعامة والرئاسة والمناصب ينهزمون، فالزهد فى الرياسة أقل ما يكون فى دنيا الناس وقيل بأنه آخر ما ينزع من صدور الصالحين وتأمل مقولة سفيان الثورى، فقد قال: ما رأيت الزهد فى شىء أقل منه فى الرياسة ترى الرجل يزهد فى المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع حامى عليها وعادى(٤).

---

(١)، (٢) دراسة فى تاريخ خلفاء الدولة الأموية، ص (٦١).

(٣) البخارى، رقم (٧١٠٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٢).

إياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء، فتفقد نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنى من الناس، أمر يشتهى الرجل أن يموت(١).

فالحسن بن على يعلمنا كيف نترك المناصب والكراسى إذا كان تركها رضاءً لله، ومصلحة للأمة، وحقنًا لدمائها، وعملاً على توحيدها، ومن الأمور التى تساعدنا على الزهد فى الدنيا قصر الأمل، وذكر الموت وزيارة القبور، وكان الحسن بن على مكتوب على خاتمه:

قدّم لنفسك ما استطعت من التقى ... إن المنية نازل بك يا فتي

أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى ... أحباب قلبك فى المقابر والبلى(٢)

لقد كان الحسن بن على من زهاد عصره، ونال فى مقام الزهد القدح المعلى، فقده ترك الدنيا وحطامها واشتغل برضا الله تعالى، وكان له فى ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق، ومع هذا فقد أعطاه الله المنزلة فى قلوب الخلق والشرف عندهم، وإن كان لا يريد ذلك ولا يقف معه، بل يهرب منه أشد الهرب خشية أن يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم: ٩٦]. أى فى قلوب عباده، وفى الحديث: «**إن الله إذا أحب عبدًا نادى: يا جبريل إنى أحب فلانًا فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض**(٣)»، وبكل حال فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف فى الدنيا، وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه، وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الآخرة، ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقى على الفانى، قال أبو الفتح البُستى:

أمران مفترقان لست تراهما ... يتشوقان لخلطة وتلاقى

طلب المعاد مع الرياسة والعُلى ... فدع الذى يفنى لما هو باقى(٤)

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٦)، فقه الفتن، عبدالله شعبان، ص (١٤٢).

(٢) تاريخ دمشق (١٤/ ٨٦).

(٣) مسلم، رقم (٢٦٣٧).

(٤) أمراض النفس، د. أنس كرزون، ص (٧٧).

إن الحسن بن على رضى الله عنه يعلمنا كيف نزهد فى الجاه والسلطان والملك والشهرة ابتغاء مرضاة الله تعالى، فالحسن رضى الله عنه ازداد رفعة وسيادة بتنازله فى الدنيا وأصبح رمزًا لنكران الذات ومعلمًا للإيثار ومدرسة وفخرًا للأمة عبر الأجيال فى تقديمه مصلحة الأمة فى وحدتها وحفظ دمائها على أى مصلحة أخرى، ولقد بلغت شهوة حب الجاه فى قلوب الكثيرين مداها وأصبحوا يتنافسون على بلوغها، ويبذلون من أجلها الأموال والطاقات، ويتحايلون على الوصول إليها بالحيل والخداع ويقدمونها على شهوة حب المال وذلك للأسباب التالية:

١- لأن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، فالعالم أو العابد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو أراد اكتساب المال لبذل له الناس من أموالهم وأعمالهم ما يحقق له ذلك.

٢- أن المال معرض للتلف أو الزوال ويتطرق إليه الخطر، أما الجاه فإنه إذا دخل القلوب ملكها واستقر فيها فلا تمتد إليه الأخطار إلا إذا حصل ما يغير نظرة الناس إلى صاحب الجاه.

٣- أن ملك القلوب يسرى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة، فالناس إذا أعجبوا بشخص أكثروا مدحه والحديث عنه وانتشر صيته بينهم[(١)].

وهناك تداخل كبير بين شهوتى حب النفس وحب الجاه، وينتج عن هذا التداخل المعقد أمراض نفسية منها، الرياء، والكبر، والتعالى على الناس والإعجاب بالنفس، وحب المدح بين الناس، الأنانية والشح والحسد، وكثرة الغضب، والذل والمداهنة، وهى فى الحقيقة محرمات قلبية تحتاج لمجاهدة وتربية سلوكية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما أن من يحرص على بلوغ الجاه عند أهل الدنيا، ويجعل من ذلك شغله الشاغل، فإنه سيبذل لهم من دينه وكرامته لكى ينال ما يطمح إليه، ويذل لهم ليكسب رضاهم[(٢)]، وفى ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: وكذلك طالب الرياسة والعلو فى الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها،

(١) أمراض النفس، ص (٧٧).

(٢) أالمصدر نفسه، ص (٧٨ - ٩٢).

ولو كان فى الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو فى الحقيقة يرجوهم ويخافهم فهو فى الظاهر رئيس مطاع، وفى الحقيقة عبد مطيع لهم[١].

وهذا كلام خطير على القيادات الإسلامية أن تستوعبه وتتحرر من رقة القلب ولينه أمام مطالب الجماهير، عندما تكون مطالبهم لا تخدم دين الله وشرعه، فالحسن بن على يعلمنا الاستعلاء بالمبادئ والقيم على حظوظ النفس الخفية، فقد تعرض لهجوم كاسح من بعض أتباعه الذين لا يريدون الصلح مع معاوية، ومع هذا رد عليهم ردًا جميلاً وحاول الارتقاء بهم، وبيَّن لهم دوافعه التى دفعته للتنازل لمعاوية، من حفظ الدماء، ووحدة الأمة، وابتغاء ما عند الله تعالى، ونجح فى قيادة الأمة بأسرها لتحقيق مشروعه العظيم، ولم يتأثر بضغوط القواعد الشعبية، ولا بغيرها، وهكذا القادة الربانيون يفعلون، لقد كان الحسن رضى الله عنه فى صلحه مع معاوية مصيبًا بارًا راشدًا ممدوحًا وليس يجد فى نفسه حرجًا ولا تلومًا ولا ندمًا، بل هو راض بذلك مستبشر به[٢]، وكان رضى الله عنه يرد على منتقديه بأدب جم وحجة ظاهرة، فعندما قال له أبو عامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مُذل المؤمنين، فقال له الحسن: لا تقل هذا يا أبا عامر لست بمُذل المؤمنين، ولكنى كرِهت أن أقتلهم على الملك[٣]. وعندما قال لهم: العار خير من النار[٤]، فقول الحسن رضى الله عنه: العار خير من النار يفتح لنا آفاقًا واسعة فى فقه القدوم على الله تعالى، فقد كان رضى الله عنه عاملاً به فى حياته مستوعبًا لأبعاده يظهر ذلك فى سكناته وحركاته واختياراته رضى الله عنه وأرضاه.

- من حياة الحسن فى المدينة بعد الصلح:

ترك الحسن الكوفة بعد تنازله لمعاوية ورجع بمن معه من أصحابه وبنى هاشم إلى المدينة واستقر بها، وكان الهاشميون محل الإجلال والتكريم والاحترام من معاوية رضى الله عنه، وكانت زعامتهم عند الحسن بن على رضى الله عنه،

---

(١) العبودية لابن تيمية، ص (٤٨، ٤٩).

(٢)، (٣) البداية والنهاية (١٢/ ١٤١).

(٤) المصدر نفسه (١٢/ ٢٠٤).

وكانت المدينة فى تلك الفترة يسكنها عدد كبير من علماء الصحابة يضاف إليهم عدد من التابعين ممن تتلمذوا على الصحابة العلماء وساروا بسيرتهم ونهجوا نهجهم، وهؤلاء كانوا خليطًا من المهاجرين والأنصار ومن غير المهاجرين والأنصار، وقد جعل هؤلاء القوم همهم العبادة وتعليم الناس ورواية ما حفظوه من أحاديث رسول ﷺ؛ وكانوا يدخلون فيما دخلت فيه الأمة ولاينزعون يدًا من جماعة، ومن هؤلاء عبدالله بن عمر، وعبدالله بن العباس، وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى، وجابر بن عبدالله[١]. كانت أجواء المدينة خيرًا على الحياة العلمية، حيث تفرغ طلاب العلم فيها لرواية الحديث، وتفسير القرآن، واستنباط الأحكام الفقهية فقصدها الناس من أجل العلم، فقد كان بها الهدوء والاطمئنان الذى يساعد على العلم والبحث[٢].

١- العلاقة بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما بعد الصلح:

كان الحسن بن على يقدم على معاوية فى خلافته، فقدم عليه ذات مرة فقال له معاوية: لأجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحدًا قبلك و لا أجيز بها أحدًا بعدك، فأعطاه أربع مائة ألف فقبلها[٣]، وجاء فى رواية: . . . أن الحسن بن على كان يفد كل سنة إلى معاوية فيصله بمائة ألف درهم، فقعد سنة عنة ولم يبعث إليه معاوية بشيء فدعا بدواة ليكتب إليه فأغفى قبل أن يكتب فرأى النبى ﷺ فى منامه كأنه يقول: يا حسن أتكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك؟ قال: فما أصنع يا رسول الله وقد كثر دينى؟ قال: قل اللهم إنى أسألك من كل أمر ضعفت عنه قوتى وحيلتى ولم تنته إليه رغبتى، ولم يخطر ببالى ولم يبلغه أملى، ولم يجر على لسانى من اليقين الذى أعطيته أحدًا من المخلوقين الأولين والمهاجرين والآخرين إلا خصصتنى يا أرحم الراحمين. قال الحسن: فانتبهت وقد حفظت الدعاء فكنت أدعو به فلم يلبث معاوية أن ذكرنى فقيل له: لم يقدم السنة، فأمر

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٨٠)، المدينة فى العصر الأموى، ص (٨٤) شرّاب.

(٢) المدينة فى العصر الأموى، شراب، ص ص(٦٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٩).

(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ٨).

للحسن في المنام هو: اللهم اقذف في قلبي رجاك، واقطع رجائي عما سواك حتى لا أرجو أحدًا غيرك. اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحدًا من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا رب العالمين، قال: فوالله ما ألححت به أسبوعًا حتى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمس مائة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله وحدثته حديثي، فقال: يا بُني هكذا من رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق[1].

٢- صلات معاوية للحسن والحسين وابن الزبير رضي الله عنهم:

أمر معاوية للحسن بن علي بمائة ألف فذهب بها إليه فقال لمن حوله: من أخذ شيئًا فهو له، وأمر للحسين بن علي بمائة ألف فذهب بها إليه وعنده عشرة فقسمها عليهم عشرة آلاف عشرة آلاف، وأمر لعبد الله بن جعفر بمائة ألف[2]. وكان معاوية إذا تلقى الحسن بن علي قال له: مرحبًا وأهلاً يابن رسول الله ﷺ، وإذا تلقى عبد الله بن الزبير قال له: مرحبًا يابن عمة رسول الله ﷺ، وأمر للحسن بن علي بثلاثمائة ألف وعبد الله بن الزبير بمائة ألف[3]، وجاءت بعض الروايات بسند حسن بأن معاوية كان دائم الوصل للحسين ويسارع في تلبية مطالبه وحاجاته، وكان يغدق عليه العطاء[4]، ولقد اعترف الشيعة أنفسهم بعطايا معاوية للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر[5]. ويبدو أن صلات الحسين بمعاوية كانت طيبة واستمرت العلاقات بين الطرفين تتسم بكل احترام وتقدير، ولم تنقطع علاقة أهل الكوفة بالحسن والحسين بعد خروجهما من الكوفة واستقرارهما في المدينة، بل

---

(١) تاريخ دمشق (١٤/ ٨).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (٦٢/ ١٣٣).

(٤) مصنف ابن شيبة (١١/ ٩٤) بسند حسن، مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص (١٧٧).

(٥) انظر جلاء العيون للمجلسي، ص (٣٧٦)، والكافي في الفروع كتاب الحقيقة باب الأسماء والكنى (٦/ ١٩) الأمالي للطوسي (٢٢/ ٣٣٤)، شرح ابن أبي الحديد (٢/ ٨٢٣). وقد فصل الدكتور محمد الشيباني الأمر في كتابه مواقف المعارضة في خلافة يزيد حول الحسين، ص(١٧٧).

استمرت العلاقة بين الجانبين عن طريق الرسائل التى يبعث بها الكوفيون باستمرار، ولقد كانت تلك الرسائل - كما يبدو - تحمل دعوة لمعارضة الحكم القائم، كما تحمل تأكيدًا بأحقيتها فى الخلافة، واستنهاض هممهم إليها، وما كانت تلك الكتب لتؤثر على الحسن بل أعطته انطباعًا وتصورًا واضحًا عن أهل التشيع فى الكوفة، وأنهم أهل شر وفتنة، ولا يريدون اجتماع الأمة ووحدة كلمتها(١)، قال يزيد بن الأصم: جاءت الحسن إضبارة(٢) من الكتب فقال: يا جارية هات المخضب، فصبت فيه الماء وألقى الكتب فى الماء، فلم يفتح منها شيئًا ولم ينظر إليها، فقلت: يا أبا محمد: ممن هذه الكتب؟ قال: من أهل العراق من قوم لا يرجعون إلى حق ولا يقصرون عن باطل، أما إنى لست أخشاهم على نفسى ولكنى أخشاهم على ذلك وأشار إلى الحسين(٣)، ولما توفى الحسن بن على اجتمعت الشيعة فى دار سليمان بن صرد وكتبوا إلى الحسين كتابًا بالتعزية فى وفاة الحسن وقالوا فى كتابهم: إن الله قد جعل فيك أعظم الخلق ممن مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، والمسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك(٤)، فرد الحسين على كتابهم: إنى لأرجو أن يكون رأى أخى رحمه الله فى الموادعة، ورأيه فى جهاد الظلمة رشدًا وسدادًا، فالصقوا بالأرض وأخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا فى الأضناء ما دام ابن هند حيًا، فإن يحدث به حدث وأنا حى يأتكم رأيى إن شاء الله(٥)، ولقد كانت مكانة الحسين رضى الله عنه من المسلمين بعد وفاة الحسن مكانة لا تنكر، وأصبح هناك شعور قوى بأن المرشح الوحيد بعد وفاة معاوية للخلافة هو الحسين بن على رضى الله عنه، وقد كان يزوره كبار أهل الحجاز وزعماء الكوفة وهم لا يشكون فى أنه سيكون الخليفة

---

(١) مواقف المعارضة فى خلافة يزيد بن معاوية، ص(١٧٨).

(٢) إضبارة: الإضبارة: الحُزمة من الصحف، لسان العرب (٤/ ٤٧٩).

(٣) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٥٦) بإسناد حسن، معجم الطبرانى وقال المجمع (٦/ ٢٤٣) ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحكم بن أبى زياد وهو ثقة.

(٤) أنساب الأشراف (٣/ ١٥٢) بإسناد جمعى، الأخبار الطوال، ص (٢٢١، ٢٢٢).

(٥) المصدر نفسه (٣/ ١٥٢)، مواقف المعارضة، ص (١٧٩).

بعد معاوية[1]، ولم تقتصر محاولات الكوفيين على طلب الحسين فقط، بل إنهم طلبوا من محمد بن الحنفية القدوم عليهم فانتبه إلى خطورة أهل الكوفة عليه وعلى آل على بن أبى طالب رضى الله عنهم، فأخذ يحذر الحسين من الانجرار وراءهم وتصديق مزاعمهم، ومما قاله للحسين: إن القوم يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا[2]. ولقد أثارت تلك الرسائل المتبادلة بين الحسين وأهل الكوفة، مخاوف بنى أمية فى المدينة فكتبوا إلى معاوية يستشيرونه بشأن الحسين؛ فكتب إليهم بأن لا يتعرضوا له مطلقًا[3]، ولا يمكن أن تخفى تلك الرسائل على معاوية، ولا العلاقات الوثيقة التى تربط بين الحسين وبين الكوفيين، ولهذا فقد طلب معاوية من الحسين: أن يتقى الله عز وجل وأن لا يشق عصا المسلمين ويذكره بالله فى أمر المسلمين[4]، ولقد كان الحسن والحسين رضى الله عنهما مخلصين لعهدهما، والتزامًا ببيعتهما لمعاوية، وكان الحسين يرى أن الصلح له ملزم فى ظل حياة الحسن ومعاوية وكذلك بعد وفاة أخيه.

٣- هل يصح اتهام معاوية بسمِّ الحسن بن على رضى الله عنه؟

ذكرت بعض الروايات أن الحسن بن على توفى متأثرًا بالسم الذى وضع له، وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجة الحسن: جعدة بنت الأشعث بن قيس أمير كندة، فهذه أم موسى سرية على تتهم جعدة بأنها دست السم للحسن، فاشتكى منه شكاة، فكان يوضع تحته طست[5] وترفع أخرى نحوًا من أربعين يومًا[6]، وهذه رواية إسنادها لا يصح وهى ضعيفة[7]، وحاول البعض من الإخباريين والرواة أن يوجد علاقة بين البيعة ليزيد ووفاة الحسن، وزعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس أن سُمِّى حسنًا فإنى سأتزوجك، ففعلت، فلما مات

---

(١) أنساب الأشراف (٣/ ١٥٢) بإسناد جمعى، نقلاً عن مواقف المعارضة فى خلافة يزيد، ص (١٧٩).

(٢) الطبقات ابن سعد (٥/ ٣٥٦) يشيطوا دماءنا: يسفكوا دماءنا.

(٣)، (٤) أنساب الأشراف (٣/ ١٥٢)، مواقف المعارضة، ص (١٨٠)..

(٥) طست: إناء معلوم.

(٦) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٨) إسناده ضعيف.

(٧) المصدر نفسه (١/ ٣٣٨).

الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسـألـه الوفاء، فقال: إن والله لم نرضك له أفنرضاك لأنفسنا[1]. وفى سندها يزيد بن عـياض، ابـن جعـدية كذبه مـالك وغيـره[2]، وقريب من هذه الرواية جـاءت فى مقاتل الطالبين، بإسناده عن أحمـد بن عبد الله بن عمار وهو من رؤوس الشيعة[3]. وفى أسانيده أيضًا عيـسى بن مهران رافضى كذاب، قـال عنه الخطيب من شـياطين الرافـضة[4]. وذكر البلاذرى[5] بسند عن الهيثم بن عـدى أن الذى بعث لها معاوية بمئة ألف هى هند بنت سهـيل بن عمرو زوجة الحـسن، والهيثم بن عـدى كذاب[6]، وقد شـربت هذه الروايات فى كتب السنة بدون تمحيص، مع العلم أن أسانيد تلك الروايات أسانيدها ضعيفة[7]، وأما كتب الشـيعة الرافضـة فى اتهام معاويـة فى قتل الحسن بالسّم فحـدث ولا حرج وليس لهم روايات صحيحة يعـتمد عليها والقوم متخصـصون فى الكذب والبهتان وإلصاق التهم الباطلة، والروايات الظالمة فى الطعن فى الصحابة وخصوصًا معاوية رضى الله عنه، وقد تحدث العلماء المحققون عن هذه التهمة الباطلة فقالوا:

أ- قال ابن العربى: فإن قيل: دس على الحسن من سـمَّه، قلنا: هذا محال من وجهين:

أحدهما: أنه مـا كان ليتقى من الحـسن بأسًا وقد سلَّم الأمر، الثـانى: أنه أمر مغيب لا يعلمـه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينة علـى أحد من خلقه، فى زمن مـتبـاعد، ولم نثق فـيـه بنقل ناقل، بين أيدى قـوم ذوى أهواء، وفى حال فـتنة وعصبيـة، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغى، فـلا يقبل منها إلا الصافى، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم[8].

---

(١) تهذيب الكمال (٦/ ٤٥٣) وفى السند يزيد بن عياض كذبه مالك وغيره.

(٢) تقريب التهذيب، ص (٦٠٤).

(٣) ميزان الاعتدال (١/ ١١٨).

(٤) لسان الميزان (٤/ ٤٠٦).

(٥) أنساب الأشراف (٣/ ٥٩) فيه الهيثم بن عدى كذاب.

(٦) مواقف المعارضة، ص (١٢٢).

(٧) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (٣٩٣).

(٨) العواصم من القواصم، ص (٢٢٠ ، ٢٢١).

ب- وقال ابن تيمية: وأما قوله: معاوية سمّ الحسين، فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نقل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم[1]. وقد جاء عن ابن تيمية فى رده عن اتهام معاوية بسم الحسن وأنه أمر الأشعث بن قيس بتنفيذ هذه الجريمة وكانت ابنته تحت الحسن ما يدل على قدرات ابن تيمية للنقد العلمى القوى للروايات التاريخية حيث قال: وإذا قيل إن معاوية أمر أباها كان هذا ظنًا محضًا، والنبى ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث». . . ثم إن الأشعث بن قيس مات سنة أربعين وقيل سنة إحدى وأربعين، ولهذا لم يذكر فى الصلح الذى كان بين معاوية والحسن بن على فى العام الذى كان يسمى عام الجماعة وهو عام واحد وأربعين، وكان الأشعث حما الحسن بن على، فلو كان شاهداً لكان يكون له ذكر فى ذلك، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين فكيف يكون هو الذى أمر ابنته[2].

جـ- وقال الذهبى: قلت: هذا لا يصلح فمن الذى أطلع عليه[3].

د- وقال ابن كثير: روى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سُمى الحسن وأنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟ وعندى أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى[4].

هـ- وقال ابن خلدون: وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك[5].

و- الدكتور جميل المصرى: وقد علق على هذه القضية بقوله: ثم حدث افتعال قضية سم الحسن من قبل معاوية أو يزيد. . ويبدو أن افتعال هذه القضية لم يكن شائعًا آنذاك، لأننا نلمس لها أثراً فى قضية قيام الحسين، أو حتى عتابًا من الحسين لمعاوية[6].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٦٩).

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص (٢٢٦).

(٣) تاريخ الإسلام، عهد معاوية، ص (٤٠).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ٤٣).

(٥) تاريخ ابن خلدون (٢/ ٥٢٧).

(٦) أثر أهل الكتاب فى الفتن والحروب الأهلية، ص (٤٨٢)، مرويات خلافة معاوية، ص (٣٩٥).

وقد ناقش الدكتور خالد الغيث في كتابه مرويات معاوية في تاريخ الطبري الجانب الطبي في المرويات التي تحدثت عن وفاة الحسن وفيما يلي النصوص الخاصة بالجانب الطبي في هذه المسألة، فقد أخرج ابن سعد بإسناده، أن الحسن رضي الله عنه، دخل كنيفًا له، ثم خرج فقال: . . . والله لقد لفظت الساعة طائفة من كبدي قبل، قلبتها بعود كان معي، وإني سقيت السم مرارًا فلم أسق مثل هذا[1]، وأخرج ابن سعد بإسناده، أن الحسن رضي الله عنه قال: إني سقيت السم غير مرة وإني لم أسق مثل هذه، إني لأضع كبدي[2]، وأخرج ابن سعد بإسناده، قال: كان الحسن بن علي سقي السم مرارًا، كل ذلك يفلت منه، حتى كان المرة الأخيرة التي مات فيها، فإنه كان يختلف[3] كبده[4]، وقد عرضت النصوص المتعلقة بالجانب الطبي في هذه المسألة على أ.د كمال الدين حسين الطاهر، أجاب بقوله: لم يشتك المريض[5] من أي نزف دموي سائل، مما يرجح عدم إعطائه أي مادة كيميائية (أو سم) ذات قدرة على إحداث تثبيط لعوامل تخثر الدم، فمن المعروف أن بعض الكيميائيات، والسموم، تؤدي إلى النزيف الدموي، وذلك لقدرتها على تثبيط التصنيع الكبدي لبعض العوامل المساعدة على تخثر الدم، أو لمضادات تأثيراتها في عملية التخثر؛ ولذلك فإن تعاطي هذه المواد سيؤدي إلى ظهور نزف دموي في مناطق متعددة من أعضاء الجسم مثل العين، والأنف، والفم والجهاز المعدي - المعوي - يخرج الدم بشكل نزف دبري سائل، منفردًا أو مخلوطًا مع البراز، ولا يظهر في شكل جمادات أوقطع دموية، صلبة كانت أو إسفنجية، أو في شكل قطع من الكبد، ولذلك يستبعد إعطاء ذلك المريض إحدى المواد الكيميائية، أو السموم ذات القدرة على إحداث نزيف دموي[6]، وعن طبيعة قطع الدم المتجمد التي أشارت الروايات إلى أنها قطع من الكبد يقول: أ.د كمال

---

(١) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٣٣٥) إسناده ضعيف.

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٣٨) إسناده ضعيف.

(٣) يختلف: المراد - يتردد على الحمام مما به من الألم حتى أن كبده تقطع وتنزل المخرج.

(٤) الطبقات تحقيق السلمي (١/ ٣٣٩) إسناده ضعيف.

(٥) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٩٦) المراد المريض الحسن بن علي.

(٦) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٩٦).

الدين حسين الطاهر: هنالك بعض أنواع سرطانات، أو أورام الجهاز المعدى المعوى، الثابتة أو المتنقلة عبر الأمعاء، أو بعض السرطانات المخاطية التى تؤدى إلى النزف الدموى المتجمد، المخلوط مع الخلايا، وبطانات الجهاز المعدى - المعوى - وقد تخرج بشكل جمادات - قطع من الكبد كما فى الروايات - ولذلك فإنى أرجح أن ذلك المريض قد يكون مصابًا بأحد سرطانات، أو أورام الأمعاء(١)، وهذا التحليل الطبى اعتمد روايات ضعيفة، وبالتالى يصعب التسليم بالنتيجة التى وصل إليها.

وبالنسبة لسم الحسن رضى الله عنه، فنحن لا ننكر هذا، فإذا ثبت أنه مات مسمومًا فهذه شهادة له وكرامة فى حقه(٢). وأما اتهام معاوية وابنه فهذا لا يثبت من حيث السند، كما مر معنا ومن حيث المتن، وهل جعدة بنت الأشعث بن قيس بحاجة إلى شرف أو مال - كما تذكر الروايات - حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبة من يزيد، وبالتالى تكون زوجة له، أليست جعدة ابنة أمير قبيلة كندة كافة وهو الأشعث بن قيس، ثم أليس زوجها وهو الحسن بن على أفضل الناس شرفًا ورفعة بلا منازعة. إن أمه فاطمة وجده الرسول ﷺ وكفى به فخرًا، وأبوه على بن أبى طالب أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، إذًا ما هو الشىء الذى تسعى إليه جعدة وتحصل عليه حتى تنفذ هذا العمل الخطير(٣). إن هناك الكثير الذين هم أعداء للوحدة الإسلامية، وزادهم غيظًا وحنقًا ما قام به الحسن بن على، كما أن قناعتهم قوية بأن وجوده حيًا صمام أمان للأمة، فهو إمام ألفتها، وبالتالى حتى تضطرب الأحداث وتعود الفتن إلى ما كانت عليه فلابد من تصفيته وإزالته، فالمتهم الأول فى نظرى هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذين وجه لهم الحسن صفعة قوية عندما تنازل لمعاوية ووضع حدًا للصراع، ثم الخوارج الذين قتلوا أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهم الذين طعنوه فى فخذه، فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم فى النهروان وغيرها(٤).

---

(١) مرويات خلافة معاوية، ص(٣٩٧).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٢).

(٣) مواقف المعارضة فى خلافة يزيد بن معاوية، ص (١٢٣).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٢٤).

٤- رؤية الحسن بن على فى المنام واقتراب أجله:

عن عمـران بن عبد الله بن طلحة، قـال: رأى الحسن بن على كأن بين عـينيه مكتوبًا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فاسـتبشر به وأهـل بيته، فقـصوها على سعـيد بن المسيب فقال: إن صدقت رؤياه فقلَّ ما بقى من أجله، فما بقى إلا أيامًا(١).

٥- الأيام الأخيرة من حياة الحسن:

وفى حيـاته بالمدينة سقى السم مـرارًا، ثم لما كانت المرة الأخـيرة جـاء الطبيب فقـال: هذا رجل قد قطع السم أمـعاءه(٢)، وقال عـمير بن إسـحاق: دخلت أنا ورجل من قريش على الحسن بن على، فقام فـدخل المخرج، ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدى أقلبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مرارًا وما سقيت السم مـرة هى أشـد من هذه، قـال: وجـعل يقـول لذلك الـرجل: سلنى قـبل أن لا تسألنى، قال: ما أسألك شيئًا يعـافيك الله، قال: فخرجنا من عنده، ثم عدنا إليه من غد وقد أخذ فى السَّوْق - أى نزع الموت - فجاء الحسين حتى قعد عند رأسه، فقال: أى أخى من صاحبك؟ قال: تريد قتله؟ قال: نعم، قال: لئن كان صاحبى الذى أظن لله أشد لى نقمة، وإن لم يكنه، ما أحب أن تقتل بى بريئًا(٣).

أ- وصية الحسن للحسين رضى الله عنه:

قال ابن عبد البر: وروينا من وجوه أن الحـسن بن على لما حضرته الوفاة قال: للحسين أخيه: يا أخى، إنا أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهـذا الأمر، رجا أن يكـون صاحبـه، فصـرفه الله عنه، ووليـها أبو بكر، فلـما حضرت أبو بكر الوفاة تشـوف لها أيضًا، فصرفت عنه، إلى عمر، فلمـا احتضر عمر جعلهـا شورى بين ستة هو أحدهم، فلم يشك أنها لا تـعدوه، فصرفت عنه إلى عثـمان، فلما هلك عثـمان بويع، ثم نوزع حتى جـرد السيف وطلبها، فـما صـفى له شىء منها، وإنـى والله ما أرى أن يجـمع الله فينـا أهل البيت، النبـوة

---

(١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٤) إسناده منقطع، عمران لم يدرك الحسن.

(٢) الدوحة النبوية الشريفة ص، (٩٧، ٩٨).

(٣) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٥) إسناده ضعيف.

والخلافة، فلا أعرفنك ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك[1]، ولم يذكر ابن عبد البر أسانيده فى الرواية، وأما المتن ففيه نكارة، كما أنه ينافى ما ثبت عن على رضى الله عنه فى تقديمه لأبى بكر وعمر فى الخلافة، وقد بينت ذلك فى كتبى عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهم.

ب- تفكره فى ملكوت السماء واحتسابه نفسه عند الله:

لما حضر الحسن بن على قال: أخرجونى إلى الصحن حتى أنظر فى ملكوت السماوات - يعنى الآيات - فأخرجوا فراشه فرفع رأسه، فنظر فقال: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك، فإنها أعز الأنفس علىَّ، قال: فكان مما صنع الله له أنه أحتسب نفسه عنده[2]، وجاء فى رواية: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك، فإنى لم أصب بمثلها، غير رسول الله ﷺ[3]، ويظهر فى هذا الموقف العظيم والمشهد الرهيب صدق توجه الحسن لله وحده المتفرد بالكبرياء والعظمة والجبروت، وفى هذه العبارات تتفجر معانى الخضوع والتذلل لله عز وجل مع كمال الرجاء وتعلق قلبه بالله وحده فلا ينبغى أن تتعلق قلوبنا بغير الله عز وجل، كما أنه وهو يودع هذه الدنيا لا ينسى عبادة التفكر فى ملكوت السماوات وما فيها من المخلوقات المتنوعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثم نظر إلى نفسه التى هى أعز الأنفس عليه غير رسول الله، فاحتسبها عند الله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]. فإن التأمل والتفكر فى الكون والنفس وآيات الله المنظورة داع قوى للإيمان، لما فى هذه الموجودات من عظمة الله الخالق الدالة على قدرة خالقها وعظمته؛ وما فيها: من الحسن والانتظام، والإحكام الذى يحير الألباب، الدال على سعة علم الله، وشمول حكمته؛ وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى، الدالة على سعة رحمة الله، وجوده وبره، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها، وبارئها وشكره واللهج بذكره؛ وإخلاص الدين له،

---

(١) الاستيعاب (١/ ٣٩١).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٩).

(٣) صفة الصفوة (١/ ٧٦٢).

وهذا هو روح الإيمان وسره[١]، وإذا تأملنا فى مخلوقات الله كلها، نجدها مضطرة ومحتاجة إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغنى عنه طرفة عين خصوصًا ما تشاهده فى نفسك من أدلة الافتقار وقوة الاضطراب، وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله فى جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره فى دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه، وكمال الثقة بوعده، وشدة الطمع فى بره وإحسانه، وبهذا يتحقق الإيمان، ويقوى التعبد فإن الدعاء مخ العبادة وأصلها[٢]، فالحسن بن على رضى الله عنه أتقن عبادة التفكر وهو فى لحظاته الأخيرة من هذه الحياة الدنيا، وعلمنا معنى عظيمًا وكبيرًا فى المفهوم الشامل للعبادة فقد احتسب نفسه عند ربه، وهكذا يفهم الصحابة معانى الاحتساب عند الله، وكان معاذ رضى الله عنه قد أجاب أبا موسى الأشعرى عندما قال له: فكيف تقرأ يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئى من النوم، فأقرأ ما كتب الله، فأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى[٣]، فالأكل وجماع الرجل لأهله، إذا احتسبه المسلم عند الله فيه الأجر والمثوبة من الله تعالى، والحسن ابن على يحتسب نفسه عند الله ويودع الدنيا بعبادة التفكر وعبادة الاحتساب فى المصائب، فقد كان رضى الله عنه لسان حاله قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

جـ- يا أخى إنى أدخل فى أمر من أمر الله لم أدخل فى مثله قط، وأرى خلقًا من خلق الله لم أر مثله قط[٤].

قال أبو نعيم[٥]: لما اشتد بالحسن بن على الوجع جزع فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد، ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك فتقدم على

---

(١) شجرة الإيمان للسعدى، ص (٤٩)، والوسطية فى القرآن الكريم، للصلابى ص (٢٣٩).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص(٥١)، الوسطية، للصلابى، ص (٢٣٩).

(٣) البخارى، ك المغازى، رقم (٤٣٤٢).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٢١٠).

(٥) هو الفضل بن دكين.

أبويك على وفاطمة، وعلى جديك النبى ﷺ وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب، قال: فسُرِّى عنه[1]. وفى رواية أن القائل له ذلك الحسين، وأن الحسن قال له: يا أخى، إنى أدخل فى أمر من أمر الله لم أدخل فى مثله وأرى خلقًا من خلق الله لم أر مثله قط، قال: فبكى الحسين رضى الله عنه[2] وفى رواية: يا أخى إنى أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط[3]، أى والله وقد بين المولى عز وجل فى كتابه وسنة رسوله تفصيل مسيرة الإنسان منذ خروج روحه إلى أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، ولذلك كان السلف يخافون من سوء الخاتمة، فلا يدرى أحد بماذا يختم له، فالأعمال بالخواتيم، والمؤمنون يخافون من سوء الخاتمة عند كل خطوة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، ويخافون من سكرات الموت، وقبض الروح، ومعرفة المصير، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم هوِّن علىَّ سكرات الموت»[4]. ومع الخوف من سكرات الموت يكون أيضًا الخوف من صورة ملك الموت، ودخول الروع والخوف منه على القلب[5]، يقول القرطبى: وأما مشاهدة ملك الموت - عليه السلام - وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع، فهو أمر لا يعبر عنه لعظم هوله، وفظاعة رؤيته، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتبدى له، ويطلع عليه[6]، ومع الخوف الذى ينبغى أن يلازمنا من سكرات الموت وصورة ملكه فإن الأمر الخطير الذى من شأنه أن يزيدنا خوفًا على خوفنا هو: ظهور نتيجة امتحان الدنيا فى ذلك الوقت فهل سنكون ممن تقول لهم الملائكة: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. أم سنكون.. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]؟.

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢١٠).

(٢) تاريخ دمشق (١٤/ ١٠٩).

(٣) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٤)، سكب العبرات (١/ ١٤٨).

(٤) الترمذى، ك الجنائز، رقم (٩٧٨).

(٥) الإيمان أولاً، ص (٩٤).

(٦) التذكرة (١/ ١١٣).

قال النبي ﷺ: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كـره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عـائشة: إنا نكره الموت، فقال: ليس ذاك، ولكـن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان من الله وكـرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامـه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليـه مما أمامه فكره لقاء الله وكـره الله لقاءه[1]. وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قـال: قال رسـول الله ﷺ: «إذا خـرجت روح العـبـد المؤمن تلقـاها ملكان يصعدان بها - فـذكر من طيب ريحها - ويقول أهل السماء: روح طيـبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك، وعلى جسد كنت تعمـرينه فينُطلق به إلى ربه ثم يقول: انطلقوا به إلى آخـر الأجل، وإن الكافـر إذا خـرجت روحـه - فـذكـر من نتنهـا - ويقـول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل»[2].

وللقبـر ضمة وضغطة لا ينجـو منها أحد كمـا قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة لو نجا أحد منها لنجـا سعد بن معاذ»[3]، والقبر - كما قال ﷺ - حفرة من حفر جـهنم أو روضة من رياض الجنة[4]، وأمامنا الحـشر ومجـيء الساعة وقـيام القـيـامة قـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]. إنه يوم عـصـيب: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطفـفين: ٦] فالجميع سيحشر بداية من أبي البشر حتى آخر إنسان تقوم عليه الساعة[5]، ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] وقد تحـدث القرآن الكريم والرسول ﷺ عن أهوال يوم القـيامة قـال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢١- ٢٤]. وقال ﷺ: «يؤتى

---

(١) البخاري، رقم (٦٥٠٧).

(٢) صحيح مسلم، صحيح الجامع، رقم (٥٠٤).

(٣) مسند أحمد (٦/ ٥٥) رجاله رجال الصحيح.

(٤) سنن الترمذي، رقم (٢٥٧٨) حديث غريب.

(٥) الإيمان أولاً فكيف نبدأ به؟ ص (٩٦).

بجهنم لهـا سبعـون ألف زمام مع كل زمام سـبعون ألف ملك يجـرونها»(١) فيا له من مشهد مـهيب تنفطر منه القلوب(٢)، ولذلك قال الحسن بن على رضى الله عنه: «العار خير من النار»(٣)، ولذلك خشى على نفســه الزكية أن تحاسب بين يدى الله يوم القيامــة، وقد قال ﷺ: «أول ما يقـضى بين الناس يوم القـيامة فـى الدماء»(٤)، ومن مشــاهد يوم القيامــة المفزعة قــول رسول الله ﷺ: «يجئ المقتـول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخبُ دمًا فيقول: يا رب سل هذا فيما قتلنى؟ حتى يُدنيه من العرش»(٥)، نعم إنها أهوال عليـها قادمون، فـإذا كان سيد شـباب أهل الجنة يخشى على نفـسه فى دخوله على أمر من أمــر الله لم يدخل فى مثله قط، فكيف بأمثـالى وأمثالك يا أيها القارئ الـكريم، فيجب أن نعتبـر ونعمل لمثل هذا الموقف العصيب، نســأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا برحمته وعـفوه إنه كريم حليم وودود رحيم.

٦- دفنه فى البقيع:

لما احتضر الحـسن بن على قال للحسين: أدفنونى عند أبى - يعنى النبى ﷺ- إلا أن تخافـوا الدماء، فإن خفـتم الدماء فلا تهـريقوا فىّ دمًا، ادفنونى فى مـقابر المسلمين فلما قبض تـسلح الحسين وجمع مواليه، فـقال له أبو هريرة: أنشدك الله وصية أخيك فإن القوم لن يدعـوك حتى يكون بينكم دماء، وكان مروان بن الحكم قـد عارض دفنه فى جـوار النبى ﷺ وقال: لا يـدفن هناك أبدًا، فلم يزل به أبو هريرة وجابر بن عبـد الله، وابن عمر، وعبـد الله بن جعفر، والمسور بن مـخرمة وغيرهم حـتى رجع ثم دفنوه فى بقيع الغرقد بجانب أمـه الزهراء البتول(٦)، وقد اختلطت الروايات الضعيفـة فى حادثة دفن الحسن بن على رضى الله عنه، ووجد أصحاب الأغراض مجالاً للدس والتشويه والتـزوير، فقد زعم بعضهم بأن السيدة

(١) مسلم، ك صفة النار، صحيح الجامع، رقم (٨٠٠١).

(٢) رحلة إلى الدار الآخرة، ص (٣٩٠).

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٤).

(٤) أخرجه البخارى، ومسلم وأحمد عن مسعود، صحيح الجامع، رقم (٢٥٧٧).

(٥) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع، رقم (٨٠٣١).

(٦) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٨).

عائشة رفضت دفن الحسن بجانب رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وقالت: لا يكون لهم رابع أبدًا، وإنه لبيتى أعطانيه رسول الله ﷺ فى حياته، فإنه هذا لا يثبت وإسناده مظلم(1). وقد أثبت ابن تيمية بأن السيدة عائشة أذنت للحسن بأن يدفن فى حجرتها، ولكن كره ذلك ناس آخرون، ورأوا أن عثمان - رضى الله عنه - لما لم يدفن فيها فلا يدفن فيه غيره، وكادت تقوم فتنة(2)، وما تزعمه كتب التاريخ بأن أبان بن عثمان بن عفان قال: إن هذا لهو العجب العجاب يدفن ابن قاتل عثمان مع رسول الله وأبى بكر وعمر، ويدفن أمير المؤمنين المظلوم الشهيد ببقيع الغرقد(3)، فهذا إسناده ضعيف جدًا، وفى متنه نكارة(4)، وهناك روايات ذكرت اعتراض مروان بن الحكم على دفن الحسن بجانب النبى ﷺ إلا أن أسانيدها ضعيفة، وقد ذكرها الدكتور محمد صامل السلمى فى تحقيقه لكتاب الطبقات(5)، وإنما الرواية الصحيحة فى هذا المقام هى ما رواه أبو حازم حيث قال: لما حضر الحسن، قال للحسين: ادفنونى عند أبى - يعنى النبى ﷺ - إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا فىّ دمًا، ادفنونى عند مقابر المسلمين، قال: فلما قبض تسلح الحسين وجمع مواليه، فقال أبو هريرة: أنشدك الله ووصية أخيك فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء، قال: فلم يزل به حتى رجع. قال: ثم دفنوه فى بقيع الغرقد(6)، فقال أبو هريرة: أرأيتم لو جئ بابن موسى ليدفن مع أبيه فمنع أكانوا قد ظلموه؟(7) قال: فقالوا: نعم، قال: فهذا ابن نبى الله قد جئ به ليدفن مع أبيه(8)، وقد صلى على الحسن بن على سعيد بن العاص وكان يبكى، وكان مرضه الذى مات فيه أربعين يومًا(9)، وقد قدم الحسين بن على

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 276).

(2) الفتاوى (27/ 222).

(3) الطبقات، تحقيق السلمى (1/ 335) إسناده ضعيف جدًا.

(4) المصدر نفسه (1/ 355).

(5) الطبقات، تحقيق السلمى (1/ 356، 357، 364) فقد بين ضعف أسانيد الروايات.

(6) الغرقد: مقبرة أهل المدينة، والغرقد كبار العوسج وبه سميت المقبرة.

(7)، (8) الطبقات، تحقيق السلمى (1/ 340) إسناده صحيح.

(9) المستدرك على الصحيحين (3/ 190).

سعيد بن العاص للصلاة على الحسن، لأنه كان واليًا على المدينة لمعاوية وقد اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع معاوية وقد ولى إمارة الكوفة لعثمان بن عفان وفيه يقول الفرزدق:

ترى الغُرّ[١] الجحاجح[٢] من قريش | إذا ما الأمر ذو الحدثان[٣] عالا[٤]
قيامًا ينظرون إلى سعيد | كأنهم يرون به هلال[٥]

وقد كان سعيد بن العاص أحد من ندبه عثمان لكتابة المصحف لفصاحته، وشبه لهجته بلهجة رسول الله ﷺ[٦]، ووقف أبو هريرة على مسجد رسول الله يبكى وينادى بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ فابكوا[٧]، وقد اجتمع الناس لجنازته، حتى ما كان البقيع يسع أحدًا من الزحام[٨]، ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان[٩]، وقد كان الحسن رضى الله عنه، حليمًا ورعًا فاضلاً، دعاه ورعه إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله، وقال عنه الذهبى: وكان هذا الإمام سيدًا وسيمًا، جميلاً عاقلاً، رزينًا، جوادًا، ممدَّحًا، خيرًا، دينًا، ورعًا، محتشمًا كبير الشأن[١٠]، فرحمة الله ورضوانه على هذا السيد الجليل وجمعنا الله به مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين. ففى سيرته عبرة لمن اعتبر، وتبصرة لمن أدَّكر ورحم الله العلامة محمد إقبال إذ قال:

فى روض فاطمة نما غصنان لم | ينجبهما من النيرات سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة | الوئام والاتحاد ابناها

---

(١) الغر: جمع أغر: وهو الأبيض الغرة.
(٢) الجحاجح جمع جحجاح: السيد الكريم.
(٣) الحدثان: ما يحدث من نوائب الدهر.
(٤) عال: أثقل وقدح.
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٥).
(٦) المصدر نفسه (٣/٤٤٨، ٤٤٩).
(٧) البداية والنهاية (١٢/ ٢١١)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٨).
(٨) البداية والنهاية (١٢/ ٢١١).
(٩) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٥١) إسناده ضعيف.
(١٠) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣).

حسن الذى صان الجماعة بعدما   أمسى تفرقها يحل عُراها
ترك الإمامة ثم أصبح فى الديار   إمام ألفتها وحسن عُلاها[1]

٧- التحقيق فى سنة وفاته وعمره:

كانت وفاة الحسن بن علىٍّ على أكثر الآراء فى سنة تسع وأربعين من الهجرة[2]، وقيل: سنة خمسين[3]، وقيل: سنة إحدى وخمسين[4]، وقد رجح الدكتور خالد الغيث بأن وفاة الحسن بن على فى سنة ٥١هـ[5] وهو قول البخارى[6]، وإليه أميل وقال جعفر بن الصادق: عاش الحسن سبعًا وأربعين سنة[7]، وعلق الذهبى بقوله: وغلط من نقل عن جعفر أن عمره ثمان وخمسون سنة[8]، وقال الدكتور خالد الغيث: توفى وعمره ثمان وأربعون[9]، وأكد ما ذهب إليه بقول ابن عبد البر: أن ولادة الحسن بن على: فى النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، هذا أصح ما قيل فى ذلك[10]، وبذلك جزم ابن حجر[11]، وبذلك يكون عمر الحسن عند وفاته ثمانى وأربعين سنة، وأنه توفى سنة ٥١ هـ، والله تعالى أعلم[12].

وهكذا خرج الحسن بن على من الدنيا شهيدًا رضى الله عنه بأيدى الغدر والخيانة بعد أن قدم عملاً جليلاً ومشروعًا إصلاحيًا فريدًا ساهم فى وحدة الأمة وأعاد دورها الحضارى فى نشر دين الله فى الآفاق، وستظل الأمة الإسلامية مدينة لهذا السيد الجليل الذى حمل لواء الوحدة والألفة وحفظ الدماء وساهم فى الإصلاح بين الناس، وقدم بجهاده الرائع، وبصبره الجميل، مثالاً يقتدى به على

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٩).
(٢) تاريخ خليفة، ص (٢٠٩)، أنساب الأشراف (٣/ ٦٤)، تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٦).
(٣) الإنباء بأنباء وتواريخ الخلفاء، فتح البارى (٧/ ١٢٠).
(٤)، (٥) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص(٤٠٢).
(٦)، (٧)، (٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٧).
(٩) مرويات خلافة معاوية، ص (٤٠٢).
(١٠) الاستيعاب (١/ ٣٨٤).
(١١) الإصابة (٢/ ٦٨).
(١٢) مرويات خلافة معاوية، ص (٤٠٢).

مر العصور، وكر الدهور وتوالى الأزمان، فمواقفه الشامخة واستعلاؤه الكبير على حطام الدنيا، حفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالى ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون.

* * *

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب فى ٢١ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ١١/ ٤/ ٢٠٠٤م الساعة العاشرة إلا ربعًا ليلاً.

والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل المتواضع ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

ولا يسعنى فى نهاية هذا الكتاب إلا أن أبتهل إلى الله وأتضرع إليه بقلب خاشع منيب، معترفًا بأنعامه وفضله وكرمه وجوده وتوفيقه وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملى لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبنى على كل حرف كتبته، ويجعله فى ميزان حسناتى، وأن يثبت إخوانى الذين أعانونى بكل ما، يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته، ورضوانه

على محمد محمد الصلابى

أهم المصادر والمراجع

١-سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢هـ.

٢-نسب قريش: أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيرى دار المعارف القاهرة.

٣-الدوحة النبوية الشريفة، د. فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤-الذرية الطاهرة النبوية، لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابى وأخرج أحاديثه سعد المبارك الحسن، نشر الدار السلفية، الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

٥-الطبقات الكبرى، محمد سعد بن منيع الزهرى، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٦-مسند أحمد، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان.

٧-صحيح ابن حبان، أبو حاتم بن حبان البستى، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٨-المستدرك على الصحيحين، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٩-معجم الطبرانى الكبير، لأبى القاسم، سليمان بن أحمد الطبرانى، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٠-منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، مؤسسة الريان، بيروت لبنان، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١١-الحسن بن على ودوره السياسى، فتيخان كردى، رسالة ماجستير لم تطبع بعد.

١٢- صحيح البخاري، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٣- تسمية المولود، بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٤- تحفة المودود بأحكام المولود، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٥- موسوعة تربية الأجيال، نصر الصنقرى، دار الإيمان، الطبعة الأولى.

١٦- صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى، بيروت- لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

١٧- سنن الترمذى، أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذى، دار الفكر ١٣٩٨هـ.

١٨- ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، لأبى العباس أحمد بن محمد الطبرى المكى، مكتبة الصحابة الإمارات العربية.

١٩- المعجم الصغير للطبرانى، لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى.

٢٠- موسوعة عظماء حول الرسول، خالد العك.

٢١- سيرة آل بيت النبى الأطهار، مجدى فتحى السيد، المكتبة التوفيقية.

٢٢- الإصابة فى تمييز الصحابة، أحمد بن على بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢٣- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجيل،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٤- ميزان الاعتدال فى نقد الرِّجال، محمد بن عثمان الذهبى تحقيق: على البجاوى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة الطبعة الأولى.

٢٥- لسان الميزان، أحمد بن على بن حجر، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣١هـ- ١٩١٢م.

٢٦- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

٢٧- تقريب التهذيب لابن حجر.

٢٨- دائرة المعارف البريطانية.

٢٩- جمهرة أنساب العرب، على بن أحمد بن الأندلسى، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

٣٠- فضائل الصحابة، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار بن الجوزى، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣١- تحفة الأحوذى لشرح سنن الترمذى، محمد عبد الرحمن المباركفورى، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبى.

٣٢- منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.

٣٣- التبيين فى أنساب القرشيين، موفق الدِّين أبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى، حققه محمد نايف الدليمى، عالم الكتب، الطبعة الثانية.

٣٤- الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهى ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة، توزيع دار السلام الرياض، الطبعة العاشرة.

٣٥- نساء أهل البيت منصور عبد الحكيم، التوفيقية.

٣٦- المرتضى أبو الحسن على بن أبى طالب، لأبى الحسن الندوى، دار القلم.

٣٧- السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣٨- تاريخ الإسلام للذهبى، محمد أحمد بن عثمان الذهبى، دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٩- دلائل النبوة للبيهقى.

٤٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين على بن أبى الهيثمى دار الكتاب العربى، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٤١- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزوينى، دار الفكر.

٤٢- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير، أبى الحسن بن على بن محمد الجزرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤٣- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلى، دار النفائس الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٤٥- صفة الصفوة الإمام أبى الفرج بن الجوزى، دار المعرفة، بيروت.

٤٦- التاريخ الإسلامى مواقف وعبر، د. عبد العزيز عبد الله الحميدى، دار الدعوة، الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٧- من معين السيرة، صالح أحمد الشامى، المكتب الإسلامى، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٨- السيرة النبوية، لعلى محمد الصلابى، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٩- صحيح سنن أبى داود، محمد ناصر الدين الألبانى، مكتبة التربية العربى لدول الخليج، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٥٠- أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، د. على محمد الصلابى، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٥١- العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط د. سليمان بن سالم بن رجاء السُّحيمى، مكتبة الإمام البخارى، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٥٢- السنن الكبرى للبيهقى، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقى، طبع دار المعارف، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة المعارف الرياض.

٥٣- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السّماوى الضال، الدكتور إبراهيم الرحيلى، مكتبة الغرباء الأثرية،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥٤- ديوان محمد إقبال ، الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد غورى، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٥٥- أحاديث بشأن السبطين، عثمان الخميس، رسالة ماجستير لم تطبع حتى الآن.

٥٦- الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، لأبى الحسين الأمير علاء الدين على ابن بلبان، قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٥٧- الشريعة للآجرى، دراسة وتحقيق د. عبد الله الدميجى، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥٨- النهاية فى غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحى.

٥٩- فتح البارى، لابن حجر العسقلانى، دار المعرفة بيروت- لبنان.

٦٠- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزى، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن المزى، الدار القيمة.

٦١- شرح النووى على صحيح مسلم للإمام أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف، المتوفى ٦٧٦هـ- ١٣٤٩م.

٦٢- شرح فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام مطبعة دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

٦٣- الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد: لعلاء الدين أبى الحسن على بن سليمان المرداوى، دار إحياء التراث العربى.

٦٤- معالم السنن للخطابى لأبى سليمان بن محمد الخطابى المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ مصور عن الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ.

٦٥- الأم للشافعى، لمحمد بن إدريس الشافعى، تصحيح محمد زهرى النجار، نشر دار المعرفة، بيروت.

٦٦- المجموع شرح المهذب للنووى، الناشر دار الفكر.

٦٧- حاشية رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين، لمحمد أمين عمر الدمشقى الشهير بابن عابدين الطبعة الثانية، مطبعة البابى الحلبى، مصر.

٦٨- بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوى المالكى، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ.

٦٩-حاشية الدسوقى على الشرح الكبير، لمحمد أحمد بن عرفة الدسوقى، نشر دار الفكر.

٧٠- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٧١- المنتقى: شرح موطأ مالك، لأبى الوليد سليمان بن خلف الباجى، دار الكتاب العربى الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ، مصور عن الأولى ١٣٢٢هـ.

٧٢- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية: لعلاء الدين أبى الحسن على بن محمد البعلى تحقيق محمد حامد الفقى، دار المعرفة بيروت.

٧٣- إعلام الموقعين لابن القيم، دار الجيل، بيروت لبنان.

٧٤- مختارات من أدب العرب للندوى، دار ابن كثير، دمشق.

٧٥- حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان الإسكندرية.

٧٦- ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الحضر، دار الإيمان الإسكندرية طبعة ٢٠٠٣م.

٧٧- دراسات فى الفرق د. أحمد جلى، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٧٨- الإمامة والنص، فيصل نور، كتاب لم يطبع حتى الآن.

٧٩- وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم محمد باعبد الله، دار الراية، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٨٠- زاد المعاد فى هدى خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.

٨١- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨٢- مقدمة ابن خلدون.

٨٣- الإمام الزهرى، محمد شراب، دار القلم دمشق.

٨٤- استخلاف أبى بكر الصديق، د. جمال عبد الهادى، د. وفاء محمد رفعت جمعة، دار الوفاء ، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨٥- أبو بكر رجل الدولة، مجدى حمدى، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٨٦- عصر الخلافة الراشدة د. أكرم ضياء العمرى مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٨٧- الأنصار فى العصر الراشدى، حامد محمد الخليفة، دار الصحابة ٢٠٠٣م.

٨٨- الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق، على محمد الصلابى، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٨٩- الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة.

٩٠- عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام، د. ناصر بن على عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٩١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم على شعوط المكتب الإسلامى، الطبعة السادسة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩٢- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى، دار الغرب الإسلامى، بيروت لبنان.
٩٣- الإبانة عن أصول الديانة، لأبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، الطبعة الثانية، الجامعة الإسلامية ١٤٠٥هـ.
٩٤- الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولايجوز الجهل به، لأبى بكر بن الطيب الباقلانى، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، نشر عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
٩٥- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم بهنساوى، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٩٦- دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
٩٧- صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألبانى، منشورات المكتب الإسلامى.
٩٨- تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر الطبرى، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٩٩- معجم الطبرانى الأوسط لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى.
١٠٠- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، د. ناصر القفارى، دار الرضا بمصر الطبعة الثالثة.
١٠١- الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، أبو المعالى الجوينى، تحقيق: محمد يوسف موسى- على عبد المنعم- بمكتبة الخانجى، مصر.
١٠٢- خلافة على بن أبى طالب وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية، محمد صامل السلمى، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
١٠٣- تاريخ اليعقوبى، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
١٠٤- الكامل فى التاريخ، أبو الحسن على بن أبى المكارم الشيبانى المعروف بابن الأثير، تحقيق: على شيرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٥- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمى، دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٠٦- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبى هبيرة الليثى، تحقيق : أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، طبعة ١٣٩٧هـ.

١٠٧- قصة بعث أبى بكر جيش أسامة، د. فضل إلهى، دار بن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٠٨- تاريخ الدعوة إلى الإسلام فى زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل عبد الله المصرى، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٠٩- عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت.

١١٠- الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل، دار المعارف بمصر، الطبعة ١٩٧١م.

١١١- حركة الردة د. على العتوم، مكتبة الرسالة الحديثة عمّان، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

١١٢- مشكاة المصابيح، تحقيق ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى.

١١٣- فقه التمكين فى القرآن الكريم د. على محمد الصلابى، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١١٤- تفسير الطبرى، لأبى جعفر الطبرى.

١١٥- تاريخ دمشق الكبير، لأبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ٢٠٠١م.

١١٦- الخراج لأبى يوسف، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ الطبع.

١١٧- مصنف فى الأحاديث والآثار لأبى شيبة، دار التاج، بيروت، لبنان.

١١٨- عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبى محمد اليمنى تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدى، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١١٩- تهذيب التهذيب، أحمد بن على بن حجر، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٢٠- مختصر التحفة الإثنى عشرية، لمحمود شكرى الألوسى؛ تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٣هـ.

١٢١- على بن أبى طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، د. محمد عمر الحاجى، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٢٢- فقه السيرة للبوطى، محمد سعيد رمضان البوطى، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق.

١٢٣- المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشرى، تحقيق سيد إبراهيم صادق، دار الحديث، أمام جامعة الأزهر.

١٢٤- النهى عن سب الأصحاب ومافيه من الإثم والعقاب لمحمد عبد الواحد المقدسى، تحقيق: عبد الرحمن التركى، مؤسسةالرسالة، الطبعة الأولى.

١٢٥- النضرة فى مناقب العشرة لأبى جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى، المكتبة القيمة القاهرة.

١٢٦- أضواء البيان فى تاريخ القرآن، صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٢٧- تيسير الكريم المنّان فى سيرة عثمان بن عفان، د. على محمد الصلابى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٢٨- الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن عبد الكريم العانى، د. حسن فاضل زعين، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد طبعة ١٩٨٩م.

١٢٩- أوليات الفاروق للقرشى، د. غالب عبد الكافى القرشى، المكتب الإسلامى بيروت، مكتبة الحرمين الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٣٠- الخلفاء الراشدون للخالدى، دار القلم دمشق.

١٣١- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم البهنساوى، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٣٢- أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة، رفيق العظم، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٣م.

١٣٣- مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٣٤- المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدى، محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٣٥- نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى، ظافر القاسمى، دار النفائس- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٣٦- عثمان بن عفان، لصادق عرجون، الدار السعودية الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٣٧- شهيد الدار، عثمان بن عفان، أحمد الخروف، دار البيارق، دار عمار الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

١٣٨- التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبى بكر المالقى الأندلسى د. محمود يوسف زايد، دار الدوحة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٣٩- مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٠).

١٤٠- أثر التشيع على الروايات التاريخية، د. عبد العزيز نور ولى، دار الخضرى، المدينة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٤١- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ضمن الرسائل المنبرية، للبهيج إسماعيل الصابونى، نشر محمد أمين رمح ١٩٧٠م.

١٤٢- رياض النفوس، للمالكى، أبو بكر عبـد الله بن محمد المالكى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، طبعة عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤٣- الجهاد والقـتال فى السياسـة الشرعية، مـحمد خير هيكل، الـطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٤٤- ليبيا من الفتح العربى حتى انتقال الخـلافة الفاطمية للدكتور صالح مصطفى مفتاح المزينى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى،الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

١٤٥- الشرف والتسامى بحركة الفتح الإسلامى، د. على محمد الصلابى، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٤٦- فتنة مقتل عثمان د. محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٤٧- تحقيق مـواقف الصحابة فى الفتنة من روايات الطبـرى، والمحدثين، تأليف د. مـحمـد أمـحزون، دار طيـبـة،مكتبـة الكوثر، الرياض الـطبعـة الأولى ١٤١٥هـ.

١٤٨- عثمان بن عفان الخليفة الشاكـر الصابر، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

١٤٩- تاريخ المدينة، أبو زيد عمـر بن شبة النمـيرى البصـرى، تحقيق: محـمود شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد،المدينة ١٣٩٣م.

١٥٠- منهاج القـاصدين فى فضل الخلفـاء الراشدين، مخطوط فى مكتبـة عارف حكمت بالمدينة رقم ٢٥٣.

١٥١- مقـالات الإسلامـيين واختـلاف المصلين، لأبى الحسن الأشـعرى، مكتـبة النهضة المصرية.

١٥٢- لوامع الأنوار البهية للسفارينى، المكتب الإسلامى.

١٥٣- الوصـية الكبـرى، لشيخ الإسـلام ابن تيمـيـة، طبع دار المطبعـة السلفيـة ومكتبتها، نشر قصى محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

١٥٤- الثقات لابن حبان، محمد بن حبان، مكتبة العلم، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣م.

١٥٥- استشهاد عثمان ووقعة الجمل فى مرويات سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى دراسة نقدية، د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء جدّة.

١٥٦- أحكام القرآن لابن العربى، دار المعرفة، بيروت لبنان.

١٥٧- شرح الطحاوية، للعلامة محمد بن على بن محمد الأذرعى، المكتب الإسلامى، بيروت.

١٥٨- التاريخ الصغير للبخارى.

١٥٩- عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام، سلمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

١٦٠- العواصم من القواصم، القاضى أبو بكر بن العربى، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الثقافة، قطر الدوحة- الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

١٦١- تثبيت دلائل النبوة للهمدانى.

١٦٢- الفصل فى الملل والنحل، لأبى محمد بن حزم الظاهرى، مكتبة الخانجى، مصر.

١٦٣- دول الإسلام، للذهبى.

١٦٤- الوافى بالوفيات للصدفى.

١٦٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

١٦٦- سنن سعيد بن منصور، دار الصميعى، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٦٧- كتاب أهل البغى من الحاوى الكبير للماوردى.

١٦٨- المنتقى من منهاج الاعتدال، للحافظ أبى عبد الله محمد بن عثمان الذهبى، دار البيان، وحققه وعلق على حواشيه محب الدين الخطيب.

١٦٩- الفتن لنعيم بن حماد.

١٧٠- أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٧١- تهذيب ابن عساكر، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

١٧٢- عقيدة الإمام ابن قتيبة، على العليانى، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م السعودية.

١٧٣- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبى، القاهرة.

١٧٤- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لأبى العباس أحمد ابن محمد بن على بن حجر الهيثمى، مؤسسة الرسالة، بيروث، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٧٥- تفسير القرطبى، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان.

١٧٦- وقعة صفين لابن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة الثانية- القاهرة ١٣٨٢هـ.

١٧٧- تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبى سفيان من الظلم والفسق فى مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان لأبى يعلى محمد الفراء، تحقيق دار النبلاء، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٧٨- دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان، الأردن عمان.

١٧٩- الأخبار الطوال، لأبى حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبى بغداد.

١٨٠- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار البلاغة لبنان.

١٨١- معاوية بن أبى سفيان، صحابى كبير، وملك مجاهد، منير محمد الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٨٢- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

١٨٣- الأساس فى السنة، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة.

١٨٤- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى، الناشر، حديث أكاديمى، نشاط أباد فيصل أباد.

١٨٥- المحن لابن أبى العرب.

١٨٦- بذل المجهود فى إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٨٧- الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق على ناصر فقيهى.

١٨٨- تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه، أحمد الكاتب.

١٨٩- الحكومة الإسلامية للخمينى.

١٩٠- مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى.

١٩١- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

١٩٢- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٣- كتب حذر منها العلماء، لأبى عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان دار الهيعى السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٩٤- السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى، وليد الأعظمى، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ- ١٨٩م، دار الوفاء، مصر.

١٩٥- معجم الأدباء، ياقوت الحموى، دار صادر.

١٩٦- الأدب فى الإسلام، نايف معروف، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٩٧- وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.

١٩٨- منهج الرسول فى غرس الروح الجهادية فى نفوس أصحابه، السيد محمد نوح، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م جامعة الإمارات العربية المتحدة.

١٩٩- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلى، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق ١٤١١هـ- ١٩٩١ الطبعة الأولى.

٢٠٠- الإيمان أولاً فكيف نبدأ به، مجدى الهلالى، دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر.

٢٠١- عيون الأخبار، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٠٢- تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، هذبه عبد المنعم صالح العلى العزى مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٠٣- الرقائق، لمحمد أحمد الراشد، دار البشير مصر.

٢٠٤- صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألبانى، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، المكتب الإسلامى بيروت- لبنان.

٢٠٥- السلسلة الصحيحة، للألبانى، المكتبة الإسلامية.

٢٠٦- رهبان الليل، د. سيد بن حسين العفانى، مكتبة معاذ بن جبل، مصر.

٢٠٧- ماذئبان جائعان لابن رجب، تحقيق محمد صبحى حلاق، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٢٠٨- جواهر الأدب للهاشمى، السيد أحمد الهاشمى، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

٢٠٩- صحيح الترغيب والترهيب، للمنذرى.

٢١٠- الأخلاق بين الطبع والتطبع، لأبى عبد الله فيصل بن عبده الحاشدى، دار الإيمان - الإسكندرية.

٢١١- صلاح الأمة فى علو الهمة، د. سيد بن حسين العفانى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢١٢- جهاد النفس، على بن محمد الدهامى، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢١٣- جامع العلوم والحكم، لابن رجب.

٢١٤- الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، محمد رضا، المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٢١٥- علموا أولادكم حب آل بيت النبى، محمد عبده يمانى، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢١٦- منهج الإسلام فى تزكية النفس، د. محمد خير فاطمة، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢١٧- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٢١٨- أمراض النفس، دراسة تربوية لأمراض النفوس ومعوقات تزكيتها وعلاج ذلك، د. أنس أحمد كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.

٢١٩- الجواب الكافى، لابن القيم.

٢٢٠- جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٢١- المحدث الفاصل للرامهرمزى.

٢٢٢- قواعد فى التعامل مع العلماء، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الورّاق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٢٢٣- الداء والدواء لابن القيم.

٢٢٤- التعريفات للجرجانى.

٢٢٥- سنن النسائى، أحمد بن شعيب بن على النسائى، دار الفكر بيروت.

٢٢٦- الزواجر لابن حجر الهيثمى.

٢٢٧- الشهب اللامعة فى السياسة النافعة لعبد الله بن يوسف بن رضوان المالقى، دار المدار الإسلامى، لبنان، الطبعة الأولى.

٢٢٨- أحكام القرآن، أحمد بن على الرازى المعروف بالجصاص، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان.

٢٢٩- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، أبى محمد عبد الحق ابن غالب الأندلسى، تحقيق المجلس العلمى بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالمغرب.

٢٣٠- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتب الشرقية تونس.

٢٣١- الفوائد لابن القيم، محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية، دار الريان للتراث، القاهرة مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٣٢- تفسير ابن كثير، دار الفكر، ودار القلم، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.

٢٣٣- تفسير السعدى. . تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان لعبد الرحمن ناصر السعدى، المؤسسة السعدية بالرياض.

٢٣٤- معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين للإمام أبى سعيد أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٢٣٥- محاسن التأويل للقاسمى، محمد جمال الدين القاسمى دار الفكر، بيروت.

٢٣٦- نهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، مطبعة كوتسا توماسى بالقاهرة.

٢٣٧- صور وعبر من الجهاد النبوى فى المدينة، د. محمد فوزى فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٣٨- قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٣٩- ولاة مصر، أبو يوسف محمد الكندى، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٤٠- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسين يوسف ابن تغرى بردى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة بدون تاريخ.

٢٤١- المجروحون من المحدثين، أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد، تحقيق: إبراهيم محمود زايد، حلب، دار الوعى.

٢٤٢- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، بيروت، دار إحياء التراث.

٢٤٣- الكامل فى ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبى أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢٤٤- المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوى، تحقيق أكرم ضياء العمرى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٢٤٥- فقه السيرة، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث مكة المكرمة.

٢٤٦- الصراع مع اليهود لأبى فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٤٧- مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، خالد محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٤٨- مجموعة الفتاوى، تقى الدين أحمد بن تيمية الحرّانى، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٤٩-السنة لأبى بكر الخلال، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٥٠-المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية، المطبعة العصرية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٢٥١-أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز قاسم الحداد، دار الغرب الإسلامى، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٢٥٢-جامع الأصول من أحاديث الرسول، للإمام مبارك بن الجزرى، تحقيق حامد الفقى، إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٣٧٠هـ.

٢٥٣-مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعد اليوبى، دار الهجرة.

٢٥٤-اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، د. عبد الرحمن بن معمر السنوسى، دار بن الجوزى، الطبعة الأولى رجب ١٤٢٤هـ السعودية.

٢٥٥-أسباب النزول للواحدى، على بن أحمد الواحدى، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٥٦-رسالة الألفة بين المسلمين، لابن تيمية.

٢٥٧-الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز بن أحمد بن حامد، غرّاس للتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى.

٢٥٨-نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى، مصطفى حلمى، دار الدعوة الإسكندرية.

٢٥٩-الشيخان أبو بكر وعمر رواية البلاذرى فى أنساب الأشراف، تحقيق د. إحسان صدقى العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٢٦٠- الدولة والسيادة فى الفقه الإسلامى، فتحى عبد الكريم، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢٦١- الذاكرة التاريخية للأمة، د. قاسم محمد.

٢٦٢- الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، السيد عمر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٦٣- أثر العلماء فى الحياة السياسية فى الدولة الأموية د. عبد الله عبد الرحمن الخرعان مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٦٤- دراسات فى الأهواء والفرق والبدع، وموقف السلف منها د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مركز دار أشبيليا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٦٥- وجوب التعاون بين المسلمين، لعبد الرحمن السعدى، دار المعارف، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

٢٦٦- سنن الدارمى، لأبى عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٦٧- النظريات السياسية محمد ضياء الريس.

٢٦٨- قضاء الحوائج لأبى بكر بن أبى الدنيا، دار بن حزم، تحقيق محمد خير رمضان يوسف.

٢٦٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوى، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

٢٧٠- مآثر الأنافة فى معالم الخلافة للقلقشندى، تحقيق عبد الستار أحمد الفرج، عالم الكتب، بيروت.

٢٧١- العبودية لابن تيمية.

٢٧٢- المدينة فى العصر الأموى، محمد محمد شراب، مؤسسة علوم القرآن دمشق.

٢٧٣- مواقف المعارضة فى خـلافة يزيد، محمد الشيبانى، دار البـيارق، عمان، الأردن.

٢٧٤- تهذيب الكمـال فى أسماء الرجال، للمـزى، تحقيق: بشار عـواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٧٥- أثر أهل الكتـاب فى الفتن والحروب الأهـلية فى القـرن الأول الهجـرى، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٧٦- الوسـيطة فى القرآن الكريم، عـلى الصَّلابى، دار الصـحابة، الإمـارات، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٧٧- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدى.

٢٧٨- المرتضى سـيرة أمـير المؤمنين أبى الحـسن على بن أبى طالب لأبى الحـسن الندوى، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٧٩- تاريخ العـراق فـى ظل الحكم الأمـوى د. على حـسـن الخـربوطلى، دار المعارف بمصر.

٢٨٠- المفهم لما أشكل من تلخـيص مسلم، لأبى العبـاس أحمد عمـر القرطبى، تحقـيق: مـحى الدين مسـتو، يوسف بدوى، دار ابن كـثيـر، الطبعـة الأولى ١٤١٧هـ.

الفهرس

المؤلف في سطور

علي محمد محمد الصّلابي

* ولد في مدينة بنغازى بليبيا عام ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م

* حصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة بتقدير ممتاز وكان الأول على دفعته عام ١٤١٣ / ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٢ / ١٩٩٣م.

* نال درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن عام ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

* نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بمؤلفة « فقة التمكين فى القرآن الكريم » من جامعة ام درمان الإسلامية.

* **صدرت له عدة كتب :**

١ – من عقيدة المسلمين فى صفات رب العالمين (دار البيارق).

٢– الوسطية فى القرآن الكريم (دار البيارق – دار النفائس).

سلسلة (صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقى).

٣ – صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامى والشمال الأفريقى (دار البيارق).

٤ – عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج (دار البيارق).

٥ – الدولة العبيدية (الفاطمية) الرافضية (دار البيارق).

٦ – فقه التمكين عند دولة المرابطين (دار التوزيع والنشر الإسلامية – دار البيارق).

٧ – دولة الموحدين (دار التوزيع والنشر الإسلامية – دار البيارق).

٨ – الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

٩ – الحركة السنوسية فى ليبيا (دار البيارق).

(أ) الإمام محمد بن على السنوسي ومنهجه في التأسيس.

(ب) محمد المهدى السنوسى، وأحمد الشريف.

(ج) إدريس السنوسى، وعمر المختار.

١٠ – فقه التمكين فى القرآن الكريم (دار الوفاء، دار البيارق).

١١– السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

١٢– الانشراح ورفع الضيق فى سيرة أبو بكر الصديق (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

١٣– فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

١٤– تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

١٥– أسمي المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤

Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel:. 015 / 363314 - 362313

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

دار الطباعة والنشر الإسلامية